ذخائر العرب

٥

ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي

تحقيق

محمد عبده عزام

المجلد الأول

الطبعة الخامسة

دار المعارف

ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع

مقدمة

بدء الطريق :

كنت أقدر أنى سوف أمضى حتى نهاية الطريق ، فإذا ما تمَّ طبع ديوان أبى تمام جلست وصحبى نستروِح ، ونفضت عنى غبار السفر ، وأخذت فى الحديث والسمر ، حديث من قرت عينه بعد غياب طويل . . .

غير أنى ما كدت أبلغ هذه المرحلة من نشر هذا الديوان ، حتى استوقفنى بعض صحبى ، وهو الأستاذ الفاضل شفيق مترى صاحب « دار المعارف » ، وطلب إلىّ أن أقف وقفة لن تطول ريثما نخرج هذا القدر من ديوان أبى تمام ، بعدها نستأنف السير ، ونمضى إلى الغاية .

والحق أنى كدت لا أستجيب له ! كنت أقول لنفسى : ما دام المرء قادراً على السير فلماذا يقف وقفة قد تطول ، وقد تقصر ، وهو لم يبلغ من الطريق بعد إلا أقله ! إنَّ أخشى ما يخشاه المتعب المكدود فى سيره راحة تشعره بتعبه وكده ! ومن يدرى إذا جلس هذا المتعب المكدود واستمرأ الراحة ، واستشعر حلاوة الغفوة ، متى ينهض من مكانه ويعاود سيره ؟ !

غير أن الطريق ليست لى وحدى ؛ فألقيت عصاى ، وجلست قليلا ريثما نتأهب للمرحلة الثانية من طريقنا الشاق الطويل . وما أكاد أتلفت خلفى ، وأرنو إلى بعيد بعينى ، حتى أرى أول ما أرى صديقى الدكتور خليل محمود عساكر المدرس الآن بكلية الآداب بجامعة القاهرة . نعم ، فلقد بدأنا تلك الطريق معاً ، لكنا ما كدنا نخطو فيها خطوات قليلة حتى بدا لنا فوقفنا . ذلك أنَّ كتاباً آخر عن أبى تمام عَنَّ لنا ، هو كتاب « أخبار أبى تمام » لأبى بكر الصولى ، فنحّينا الديوان ريثما نخرج هذا الكتاب ، ونشرناه سنة ١٩٣٧ . بعدها أردنا أن نعاود السير فى الديوان ، لكن صاحبى سافر إلى براغ ليدرس هناك ، فكان

عليّ أن أبدأ الطريق وحدى . والحق أنى أحسست بعض الوحشة حين هممت لأسير وحدى ! ذلك لأنى إنسان أخشى نفسى قبل أن أخشى غيرى . ولولا أنّ مؤنساً آنسنى ، وأستاذاً حبيباً إلى نفسى أذهب عنى وحشتى ، لكنت الآن — كما أظن — ما زلت أتلفت فى بدء تلك الطريق ! ذلك المؤنس ، وهذا الأستاذ ، هو الدكتور طه حسين . فلطالما كان يحثنى على السير والدأب كلّما ادعيت الإعياء والنّصب ! وإن أنس فلن أنسى هذا الذى كان منه حين جئته يومًا من الأيام فى العام الماضى ،وكان هذا الديوان لا يزال فى طريقه إلى المطبعة، وقلت له : انظر يا سيدى ، فإنى ذاهب إلى لندن ، لأمكث سنوات ثلاثًا مدرسًا بالجامعة هناك ، فكيف إذن يطبع هذا الديوان ، ومَنْ عساه يقوم على الإشراف عليه ؟ ! فابتسم أستاذى فى رفق ، وكأنه عرف ما فى نفسى ثم قال : أهذا كل ما تخشاه ؟ لا عليك ، فإنى آخذ مكانك . أىُّ رجل هذا الرجل ، وأى أستاذ هذا الأستاذ ؟ ! *لقد كان فى ذلك الوقت — إذا سمح لى أن أذكر هذا الذى أذكره — فى حاجة ماسة لكل دقيقة من وقته ، لأنه كان يعيش على ما يكتبه ، فكيف إذن أراد أن يحل محل تلميذه فى مثل هذا العمل الذى يستنفد الوقت والجهد . إنما أقول هذا ليذكر بعض الأساتذة الذين توفّر لهم الدولة ما تستطيع أن توفره لهم من خصب العيش ، ورغد الحياة ، وهم مع ذلك لا يقدرون ما ينبغى عليهم نحو أبنائهم وأصدقائهم من تلاميذهم !

غير أنّ سفرى إلى لندن أرجئْ عامًا ، فبقيت بالقاهرة وبدأت المطبعة تطبع وتبعث لى بالتجارب ، وبدأت أراجع هذه التجارب على الأصل الذى كتبته ، وعلى الأصول المخطوطة أيضًا زيادة فى الحيطة . لكنى رأيت أنى فى حاجة لمن يعاوننى على المقابلة ، فطلبت ذلك إلى صديقى الأستاذ رشاد عبد المطلب الموظف بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، فلبى وهو سعيد مغتبط ، واحتمل فى ذلك كثيرًا من الجهد والنصب . وكان العمل يسير على النحو الآتى : تبعث المطبعة بالتجربة الأولى فنراجعها معاً ، ثم تبعث بالثانية إلى فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ، فينظر فيها ويبدى ما يعن له من الملاحظات عليها ، ثم تعود فتبعث بها إلىّ ، فأنظر فيها لأقر ما أقر منها ، ثم أعطى إذن الطبع عليها . والحق أنى مدين للشيخ أحمد محمد

شاكر بكثير من ملاحظاته القيمة التى أخذت بها فى مواضع من هذا الكتاب .

لكنى ما كدت أصل إلى حوالى صفحة أربعمائة ، حتى دعا داعى السفر إلى لندن ، فحزمت متاعى وأنا لا أدرى من يأخذ مكانى . أهو أستاذى وقد أصبح على كتفيه مسئولية جسيمة أدعو الله أن يمكن له فى النهوض بها ؟ ! كان واجبى أن أعفيه من وعده السابق . ووصلت إلى لندن بمخطوطاتى وأنا لا أدرى ما أصنع ؛ لكنى ما كدت أستقر حتى ذكرت صديقى وزميلى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، فكتبت له فى ذلك ، فإذا هو يسرع فيقوم مقامى فى النظر إلى تجارب المطبعة ، وتقويم النص ، وإعطاء إذن الطبع ، ثم يكتب إلىّ ليخبرنى أنه مغتبط بهذا التكليف . . .

فأى شكر يستحقه منى هؤلاء الصحب الذين أنفقوا وسينفقون من وقتهم وجهدهم الشىء الكثير . . . ! وأى دين لهم فى عنقى ؟ ! ألا إن صداقة الأصدقاء وزمالة الزملاء خليقة أن تثمر ثمرة من الثمرات التى يستفيد منها الناس إذا غُرست فى مثل هذه التربة الخصبة ، وسقيت مثل هذه الروح الطيبة ! !

* * *

وبعد : فهذا هو المجلد الأول من ديوان أبى تمام وعليه شرح الخطيب التبريزىّ ، ينشر لأول مرة عن أصوله المخطوطة . فلعله أن يجىء محققًا طلبة الذين طال تنظّرهم لإخراج هذا الديوان منشورًا نشرة علمية صحيحة ، فإن ديوان أبى تمام المطبوع ناقص ملىء بالأخطاء ، فضلا عن أنه خال من الشرح ، وكان لا بدّ لشعر هذا الشاعر من شرح يجلى غامضه ، ويبين عن مستغلقه ، وقد أحسّ القدماء هذه الحاجة ، فشرحه العلماء شروحًا كثيرة ، فما بالك بهذا الشعر فى أيامنا ؟ !

ولعل الناظر فى هذا الديوان يلاحظ كثْرة ما جاء فى هوامشه من الروايات المختلفة والشروح المتباينة ، وربما تشابه بعض الشروح ، وتقارب بعض الروايات ، وربما خاض شراح أبى تمام فيما لا يتصل بشعره فى قليل ولا كثير ، مثل اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك مما تعود الشراح المتقدمون أن يخوضوا فيه ، ويملئوا شروحهم الأدبية به ، فهذه الظاهرة نلاحظها على شروحنا الأدبية المتقدمة بصفة عامة ، فلنلق إذن هنا نظرة سريعة ، لنرى كيف جمع الرّواة المتقدمون شعرنا

العربى ، وكيف شرحوه ، وماذا كانت طريقتهم فى ذلك حتى جاءت دواوين الشعراء التى عملوها وعليها هذا الطابع ؟ ثم لنرى لماذا اختص شعر هذا الشاعر بكثرة الروايات والشروح ؟ ونذكر بعد ذلك شيئاً عن شرّاحه الذين اعتمد عليهم التبريزىّ، ثم نتحدث أخيراً عن النسخ التى اعتمدنا عليها .

جمع الشعر وشرحه :

كان الشعراء فى الجاهلية والإسلام يُروّون شعرهم طائفة من الشبان يتعلمون عليهم الفن ، ويعتمدون فى هذا التعليم على الحفظ والنقد الذى يوجهه أساتذتهم إلى ما يحدثون من آثار . وكان هؤلاء الرواة — أو حملة الشعر وحَفَظَته — من بين أقرباء الشعراء عادة ، أو من تلاميذهم المقربين إليهم ، فقد كان راوية زهير الحطيئة وابنه كعب ، وكان زهير نفسه راوية أوس بن حجر التميمىّ ، والذى روى النقائض مسحل بن كسيب بن عمّاد بن عُكابة بن الخَطَفَى . . .

وكان كثيرٌ من هؤلاء الرُّواة شاعراً ، فالحطيئة راوية زهير وآل زهير ، وهُدبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هدبة هذا ، وكُثَيِّر راوية جميل ، والسائب بن الحكم السَّدوسى راوية كُثَيِّر ، وذو الرمّة راوية الراعى . . . وهكذا .

اتصلت هذه العادة فى الإسلام واستمرت ، كما اتصلت عادة أخرى واستمرّت ، عادة إنشاد الشعر للجماعات وفى المجالس ، وإظهار ما يثيره الشعر من إعجاب أو سخط ، وتعليل هذا السخط وهذا الإعجاب ، فيظهر النقد ، ويظهر معه شرح لما قد يشتمل عليه الشعر من الأخبار والأنساب ، وربما وقف الناقد عند الكلمة الغريبة ، أو عند وجه غريب من أوجه الإعراب .

على أن العصر الأموى يشهد تطوراً آخر فى رواية الشعر ، إذ يفرغ بعض الأفراد لروايته عن أصحابه ، فيتصلون بهم ويلازمونهم ، ويأخذون عنهم ما يقولون ، ويدوّنون لهم ، إذ كان كثير منهم لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يحسن صناعة التدوين على كل حال . وربما اتصل غير واحد من هؤلاء الرّواة بشاعر بعينه ، وربما قام هؤلاء الرّواة من الشاعر مقام المصلح لشعره والناقد له ، مع أن كثيراً منهم لم يكن شاعراً . وقد كان الشعراء يرتجلون أحياناً ، ويندفعون فى الارتجال ،

فيتورّطون فى بعض الخطأ الذى يتصل بالوزن والقافية والإعراب ، فكان الرّواة يقوّمون لهم ذلك قبل أن يذيعوا شعرهم فى الناس .

ومنذ أواخر القرن الأول تنشأ طائفة جديدة من الرُّواة العلماء ، لا يتصلون بالشاعر ولا يلازمونه ، ولكنهم يطوفون فى أحياء البادية والأمصار يروون الشعر ويروّونه الناس ، ويتخذون هذا صناعة ، شأنهم فى ذلك شأن القصّاص والمحدّثين فى رواية الأخبار والحديث ، مثل حماد والمفضّل وخلَف وأبى عبيدة والأصمعى وغيرهم . وهؤلاء الرُّواة هم العلماء الذين حفظوا لنا الشعر واللغة والأدب بوجه عام . وقد كانوا رُواة ومفسّرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير ، وكان تفسيرهم لغويًّا أحيانًا ، ومتصلا بالقصص والنسب أحيانًا أخرى ، وربما ألموا بالنقد الأدبى إلمامًا خفيفًا ، كالأصمعى الذى كان يدعوه الرشيد شيطان الشعر .

نزح بعض هؤلاء الرواة المحترفين إلى البادية ، يأخذون الشعر من أفواه الأعراب ، ويعودون به تجارة رابحة فى الحواضر . واعتمد بعض على من كان يلقاه من الأعراب فى هذه الحواضر ، كما روى بعضهم عن بعض آخر ، فالأصمعى جلس إلى أبى عمرو عشر حِجج ، ويونس أخذ عن أبى عمرو ، وأبو عبيدة وخلف أخذا عن يونس ، وسمع خلف من حماد ، وأخذ أبو زيد عن المفضل ، والكسائى عن يونس ، وكان ابن الأعرابى ربيباً للمفضل ، سمع منه الدواوين وصحّحها ، وأملى أبو عمران موسى أحد رُواة الأصمعىّ كتب الأصمعى ببغداد ، وحملها الناس عنه .

واعتمد جل هؤلاء الرّواة على الذاكرة والحفظ ، فكانوا ينشدون الأشعار أو يملونها دون الرجوع إلى مصدر مكتوب ، ولهم فى كتب الآداب نوادر فيها كثير من المبالغات ، فعمرو بن شبّة يروى أنه سمع الأصمعى يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة ، وكان أبو عبيدة مغيظًا من دعوى الأصمعى من أنه ما قرأ كتابًا قط فاحتاج أن يعود إلى ما فيه ، ولا دخل قلبه شىء قط وخرج منه ، وقالوا إن الأصمعىّ يحفظ نصف اللغة ، وقالوا إن الأحمر صاحب الكسائى ومُؤدّب الأمين يحفظ أربعين ألف بيت شاهد فى النحو . سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب . وقالوا إن الفرّاء أملى كتبه كلها حفظاً ، لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين ، ومقدار كتب الفرّاء ثلاثة آلاف ورقة ،

ومع ذلك فإنه يقال إن الأحمر كان أحسن حفظاً منه ! وقال ابن الإعرابيّ لثعلب : أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل بعير ، وكان الرياشي يحفظ كتب الأصمعيّ كلها وأبي زيد كلها[1] :

على أن بعض هؤلاء الرواة كان لا يكتفي بالسماع والحفظ ولكنه كان يدوّن . فقد كان أبو عمرو الشيباني يخرج إلى البادية ومعه الورق والمداد فيدون ما يسمعه ، وقد قيل إنه جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة، فكان كلما عمل شعر قبيلة وأخرجه إلى الناس ، كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه[2] وقد أخذ عن المفضّل الضبيّ دواوين العرب وسمعها منه أبو حسّان وابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

جمع هؤلاء الرّواة ما استطاعوا جمعه من الشعر ، بعضهم عني بجمع غريبه كما فعل المفضّل في « المفضّليّات » ، وبعضهم عني بجمع أراجيزه ، كما فعل الأصمعيّ ، والبعض جمع ديوان شاعر بعينه ، او شعر قبيلة من القبائل . وقد اشتهر بجمع الدواوين جماعة كالأصمعيّ ، وأبي سعيد السُّكّري ، وابن السِّكّيت ، وأبي عمرو الشيباني ، والطوسي ، وابن حبيب ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ، وأبي الأسود الدؤلي ، وخلف الأحمر ، وحماد الراوية[3] .

ولم يكن يهمهم شرح الشعر أو العناية بنقده بقدر ما كان يهمهم الإكثار من روايته ، فقد روى حمّاد «المعلّقات» دون تفسير ، وروى خلف « لامية العرب » من غير تفسير أيضاً ، والأصمعي جمع « الأراجيز » و« الأصمعيات » من غير تفسير كذلك ؛ ذلك لأن تهافتهم على جمع الشعر كان قبل كل شيء لتدوين اللغة ، والاستشهاد به على مسائل النحو ، وكان هذان العلمان يدرسان في بدء الأمر لأجل القرآن الكريم والحديث الشريف . يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » : « وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، وفي النحو ، وفي كتاب

---

(١) انظر في هذا نزهة الألبا صفحات : ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ .
(٢) الفهرست : ص ٦٨ والمراد بالمصحف هنا : المجلد .
(٣) الفهرست : ص ١٥٨ .

الله عزّ وجل ، وفى حديث رسوله صلى الله عليه وسلم » . وكان ابن عباس يقول : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه فى الشعر ، فإنه ديوان العرب .

وقد يكون الأدب نفسه أغراهم بجمعه ؛ وربما خافوا من ضياعه لكثرة الموالى وتفشى الانتحال ، وقد كان المؤدّبون فى حاجة إليه لمحاضراتهم ، وكان الأمراء ووجوه الناس فى حاجة إليه ليثقّفوا ، وليروّحوا عن أنفسهم ، كما احتاج إليه أصحاب العلوم الأخرى ليأخذوا منه شواهدهم . على أن كثيرًا من النحاة والفقهاء والمحدثين وأصحاب اللغة كانوا يطلبون الشعر ويروونه ويتناشدونه لا من أجل علومهم ولكن حبًّا فيه واستجمامًا لنفوسهم من مسائل الفقه وعلوم الحديث واللغة وشواهد النحو . حدّث شعبة قال: سمعت قتادة يحدّث عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير قال: صحبت عمران بن الحصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه شعرًا[1] . وضجر شُعبة من إملاء الحديث، فرأى أبا زيد الأنصارى فى أخريات الناس فقال : يا أبا زيد :

استعجمتْ دارُ ميٍّ ما تكلّمنا   والدّارُ لو كلّمتنا ذاتُ أخبارِ

إلىّ يا أبا زيد ! فجاءه فجعلا يتناشدان الأشعار . فقال له بعض أهل الحديث : يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟ ! فغضب شعبة غضبًا شديدًا وقال : يا هؤلاء ! أنا والله فى هذا أعلم منى فى ذاك[2] .

وفى القرن الثالث تؤلف الكتب الأدبية التى تجمع أطرافًا من الأدب شعرًا أو نثرًا ، ويطيل المؤلفون فى كثير من الأحيان الوقوف عند الشروح النحويّة واللغويّة والتاريخية ، وعند النقد الفنى لما يرون ، كما فعل ابن سلاّم وابن قتيبة فى طبقاتهما .

فأمّا الرُّواة الذين كانوا يتصلون بالشعراء ، فقد كانوا يجمعون ما يأخذون عنهم ، ويذيعونه فى الناس ، إما لأدائه إلى العلماء الذين يحترفون التعليم ، وإما بإذاعته فى الناس كتبًا منسوخة بأيدى الورّاقين ، وعلى هذا النحو ظهرت

---

(١) الزبيدى : ص ٦ .

(٢) مقدمة نوادر أبى زيد .

المجموعات الشعرية التى سمّيت فيما بعد بالدواوين .

وهناك مجموعات شعرية أخرى أنشأها علماء الرواية الذين أشرنا إليهم ، رَوَوها عن العرب فى باديتهم وحاضرتهم ، ودونوها كتباً ، وألقوها على الطلاب دروساً ، كالذى جمع الأصمعى من الأراجيز ، وكالذى جمع المفضل للمهدىّ ، وكالذى جمع حماد وخلف ورواه أولهما للكوفيين والآخر للبصريين ، وكالذى صنفه أبو عمرو الشيبانى من جمع أشعار العرب ، وكالذى جمع أشعار النقائض بين الفرزدق وجرير ، وكالذى صنفه أبو تمام فى نقائض جرير والأخطل .

ويشهد القرن الثالث ظاهرة أخرى ، هى نشأة المجموعات التى لا يُروى فيها ، ديوان شاعر بعينه ، ولا قبيلة بعينها ، وإنما يختار فيها من الشعر على اختلاف أبوابه وموضوعاته ، لتيسير المحاضرة والحديث على المثقّفين والمؤدّبين ، الذين يتصلون بالملوك والأمراء والوزراء وأصحاب المكانة ، كالأشعار التى قيلت فى الخمر والميسر ؛ كما فعل ابن قتيبة فى كتاب « الأشربة » ، وأبو تمام والبحترى فى حماستيهما .

وأخيراً تظهر فى أواخر القرن الثالث وفى أثناء القرن الرابع ظاهرة التيسير على الناس ، وذلك بترتيب الدواوين وجمعها على حروف المعجم ، كما فعل الصولى فى جمع ما جمع من دواوين الشعراء ، ولا نعرف أحداً قبل أبى بكر الصولى جمع الدواوين ورتّبها على حروف المعجم .

فأما عمل الشعر شروحاً فلا نعرف هذه الظاهرة إلا فى القرن الرابع ، ولا نعرف كذلك شروحاً ظهرت على هذا النحو قبل شرح الصولى لديوان أبى تمام ، وشرح ابن جنى لديوان المتنبى ، ذلك لأنه عند ما استغلق شعر هذين الشاعرين وكثر الخلاف فيهما ، لخروجهما عن عمود الشعر المألوف ، ظهرت الحاجة إلى الشرح الطويل الشامل ، واستمرت هذه العادة متبعة حتى شرح الأدباء من الشعر ما ليس فى حاجة إلى شرح . فأما هذه الشروح المتقدمة كشرح ثعلب لديوان زهير ، وما رواه أبو حاتم من نوادر أبى زيد ، فليست فى الحقيقة شروحاً بهذا المعنى الاصطلاحى الذى عرفت به الشروح الأدبية فيما بعد ، وإن رأينا البيت يذكر وتحته تفسير له من اللغة والنحو وغير ذلك ، وأغلب الظن أنّ ما ذكر فى صلب هذه الدواوين من الشرح كان على هوامش بعض النسخ تعليقاً لبعض

العلماء ، ثم نقله تلاميذهم إلى هوامش من نسخهم ، ثم انتقلت هذه الهوامش إلى المتن بعد ذلك .

ولم تكن عادتهم الوقوف عند كل بيت لشرحه ، وإنما كانوا ينشدون القصيدة أو المقطّعة جملة ، ثم يعودون إلى بعض أبياتها بالتعليق ، وقد قيل إن الأخفش هو أول من فسّر الشعر تحت كل بيت . وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة[1] وأغلب الظن أيضًا أن الأخفش لم يقصد إلى أن يكون للشعر شرح بمعناه المعروف ، ولكنه كان أول من قطع الشعر بالوقوف عند كل بيت ، لغلبة النحو واللغة ، فاستمرت هذه عادة الشراح بعده .

وقد أراد الخطيب التبريزيّ صاحب هذا الشرح الرجوع إلى الطريقة القديمة قبل الأخفش وهى إنشاد الشعر جملة ثم الرجوع بعد ذلك إلى ما فيه من لغة أو نحو أو أخبار أو تفسير لمعنى ، غير أن نظر المتأدّبين من تلاميذه إلى الشعر كان لا يزال من أجل استخدامه لتثقيفهم بهذه العلوم ، فأبوا عليه ذلك ، واضطر أن يعود إلى طريقة الأخفش . يقول لصاحبه الذى قدم له شرح الحماسة : « وأنا كنت شرحته شرحًا مستوفى ، غير أنى كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ، ثم شرحتها مجملا ، ولم أفصل بين أبياتها بالتفاسير ، فرأيت من يقرأ علىّ هذا الكتاب يرغب فى شرح كل بيت بعده ، ويميل إلى ذلك ، ليسهل عليه معرفة ما يشكل فى كل بيت منه ، ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه ، فاستعنت بالله تعالى على شرحه ، من أوله إلى آخره ، شرحًا شافيًا ، بيتًا بيتًا على الولاء » . وكذلك نرى الخطيب التبريزى يشكو من كثرة ما أخذ شراح الشعر أنفسهم به ، من الخوض فى اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك ، ويحاول أن يقلل من ذلك ما وسعه التقليل ، فيقول لصاحبه الذى قدم له شرح المفضليات : « سألت ، أدام الله توفيقك ، أن أشرح لك القصائد المفضليات بعد فراغى من شرح كتاب الحماسة ، فعرفتك أنها شرحت ، وفيما شرحه العلماء المتقدمون كفاية ، وفيه مقنع ؛ فذكرت أن بعض الشروح قد طال لكثرة ما ذكر فيه من اللغة الغريبة والاستشهادات عليها ، ومع طوله فكثير من معانى الشعر غير معلوم منه ، وبعض الشروح

---

(١) المزهر : ص ٢٤٨ .

يذكر فيه تفسير البيت مما يتعلّق به ومما لا تعلّق له به ، وإيراد ما يحتاج إليه البيت يطول به الكتاب ، والغرض من شرح هذه القصائد الإيجاز والاقتصار على ما يُعرف به ما فى الشعر من الغريب والإعراب والمعانى ، دون ما يتشعّب من اللغة والإعراب ، لئلا يشغل القارئ له ، والناظر فيه ، عن الغرض المقصود . فأجبتك إلى ملتمسك، توخياً لموافقتك . . . » فلم يستطع الخطيب التبريزىّ الذى تُوفى فى أوائل القرن السادس الهجرىّ أن يشرح الشعر جملة، وإن كان قد استطاع إلى حد أن يقتصد من مسائل النحو واللغة والأخبار ، التى طبعت شروحنا الأدبية المتقدمة بطابعها ، ويظهر هذا فى شرحه على الحماسة والمفضليات ، كما يظهر فى شرحه على ديوان أبى تمام هذا .

هذه نظرة عامة فى ظهور دواوين الشعراء وجمعها وشرحها ، أردنا أن نقدم بها لهذا الديوان . وهكذا قدر للشعر العربى أن يتولى جمعه وشرحه ، حين ظهرت الحاجة لجمعه وشرحه ، جماعة من النحاة وأصحاب اللغة ، ربما خلا بعضهم أو كثير منهم من ملكة الذوق الأدبى ، التى تلزم لمن ينظر فى الشعر بنقد أو شرح ، حتى قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعىّ فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فسألت الأخفش فلم يعرف إلا إعرابه ، فسألت أبا عبيدة فرأيته لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار ، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب ، كالحسن بن وهب وغيره .

أثر مذهب أبى تمام فى رواية شعره وشرحه :

كان لهذا الاتجاه القديم أثره الظاهر فى كثرة ما امتلأت به شروحنا الأدبية من الروايات المختلفة ، والتكلف لتخريج أوجه المعانى المتباينة نتيجة استخدام الشعر فى هذه العلوم التى أشرنا إليها . وكانت اللغة لهؤلاء النحاة وأصحاب اللغة ينبوعاً لا ينضُب معينه ، وكذلك ساعدت الحروف العربية النساخ على الوقوع فى أخطاء كثيرة ، نتيجة تشابه كثير من حروفها ، ولا نعرض لهذا الآن ، فهو أشهر من أن يذكر ، وإنما الذى نريد أن نذكره هنا هو أن مذهب أبى تمام فى الشعر كان هو الآخر معيناً للشراح والنساخ على تحريف شعره وتصحيفه ، لأن شعر هذا الشاعر جاء على غير ما ألف القوم ، جاء بعيد المعانى ، غريب

الاستعارات ، مليئاً بالطباق والجناس ، فتعثرت به الأفهام والأقلام ، وكثر فيه التأويل ، وزاد فيه التصحيف والتحريف ؛ فقد اجتمع إذن على هذا الشعر تلك الآفات العامة التى أشرنا إليها ، وآفات خاصة من هذا الشعر نفسه ساعدت عليها ؛ وقد أشار التبريزى فى مقدمته لهذا ، فجاء ديوانه مليئاً بالشروح والروايات ، أبعد هذا الشاعر فى معانيه ، فأبعد شرّاحه فى تأويلاتهم وتخريجاتهم ، وتشابه كثير من ألفاظه لكثرة جناسه ، فتشابه كثير من رواياته ، وكان رأساً لمذهب جديد فى الشعر العربى ، فاختلف فيه الأدباء بين متعصب عليه ومتعصب له ؛ وكان لهذه الخصومة أثرها فى تناول شعره والنظر إليه ، وكان لهذه الضجة التى أحدثها هذا الشعر أثرها أيضاً فى كثرة ما طرأ عليه من تصحيف وتحريف . وقد كنت أحب أن أورد بعض الأمثلة على ما أصاب شعر أبى تمام من تصحيف وتحريف ، نتيجة استغلاق هذا الشعر على كثير من الناس ، ونتيجة عصبية القوم له أو عليه ، ونتيجة استخدامه لجناسه ، حتّى تشابه كثير من ألفاظه ، لولا أن المقام لا يسمح لنا بذلك ، ولعل النظر فى هذا الديوان وهوامشه يغنينا عن ذكر بعض الأمثلة .

أثر آخر لمذهب أبى تمام :

ومع ذلك فقد أحدثت هذه الضجة الأدبية التى قامت حول هذا المذهب صدى آخر ؛ إذ خلّف من ورائه ثروة أدبية قيّمة ، خلّف هـــذه الشروح الكثيرة لشعره ، كما خلف هذه الكتب النفيسة فى نقده .

فقد جمع شعره ورتبه على الحروف وشرحه أبو بكر الصولى (ت ٣٣٥ هـ) ، كما جمعه على بن حمزة الأصفهانى ورتبه على الأنواع ، لا على الحروف ، وشرحه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، وحسين بن محمد الرافعى المعروف بالخالع (ت ٣٨٠ هـ) ، وأبو الريحانى محمد بن أحمد الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ) ، وشرح جزءاً منه أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى (ت ٤٢١ هـ) ، وشرحه أيضاً أبو حامد أحمد بن الخارَزَنجىّ ، وأبو العلاء المعرىّ ، والخطيب التبريزىّ ، وكذلك شرحه فصيح الدين الحَيدرىّ البغدادىّ ، والمبارك بن

أحمد الإربلىّ ، المعروف بابن المستوفى[١] . هذا عدا ما خلّف غير هؤلاء من أقوال منثورة فى ثنايا الكتب ، وعدا ما ضاع من شروحه ونقده . والذى عثرنا عليه من هذه الشروح عدا شرح التبريزىّ هذا ، شرح الصولىّ ، وكتاب للمرزوقىّ باسم « شرح مشكل أبياته » ، ونقولٌ من كتاب المرزوقى المسمَّى « بالانتصار » ، وكتاب ابن المستوفى المسمى « بالنظام ، فى شرح شعر المتنبي وأبى تمام » ، وهو ناقص من آخره ، وسنخص بعض هؤلاء الشراح بالحديث ، بعد أن نذكر كتب النقد التى خلّفها مذهب هذا الشاعر .

كتب ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) كتابه « البديع » الذى ذكر فيه أنواع هذا الفن الذى اختص به أبو تمام ، وهو مطبوع وليس بنا حاجة للتعريف به . وكتب ابن المعتز أيضًا كتابًا فى سرقات الشعراء ، تحامل فيه كثيرًا على أبى تمام ، وفى كتاب الآمدىّ « الموازنة » نقولٌ منه . قال ابن المعتز فى هذا الكتاب : « وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات ، متفرقة فى أشعار القدماء . كما عرّفتك ، لا تنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة فاحتذاها ، وأحب الإبداع والإغراق فى إيراد أمثالها ، واحتطب واستكثر منها[٢] . ويذكر المـَرْزُبانىّ فى كتابه « الموشَّح » أن لابن المعتز رسالة فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه[٣] .

وكتب أبو بكر الصولىّ كتابه « أخبار أبى تمام » ، وقد دافع فيه كثيرًا عن أبى تمام ، وردّ بعض أقوال خصومه فيه ، كما ذكر جملة من أخبار هذا الشاعر ؛ وهو مطبوع .

وكتب الآمدى (ت ٣٧١ هـ) كتابه « الموازنة » ، وهو غنى عن التعريف . وللآمدىّ كتاب آخر يذكره ابن المستوفى فى كتابه « النظام » باسم « الأبيات المفردة » . كما يذكر له كتابًا آخر باسم « معانى شعر أبى تمام » . وله أيضًا كتاب فى « الرد على ابن عمار ، فيما خطّأ فيه أبا تمام » ، ويذكر هذا فى « الموازنة » فيقول :

---

(١) راجع كشف الظنون لحاجى خليفة (جـ ١ نهر ٧٧٠ ، ٧٧١ طبعة إستامبول سنة ١٩٤١) فى ذكر من تعرض له بالشرح .

(٢) الموازنة : ص ١١١ .

(٣) الموشح : ص ٣٠٧ .

« وتجاوز ذلك بعضهم إلى القدح فى الجيّد من شعره ، وطعن فيما لا يطعن عليه ، واحتج بما لا تقوم حجّة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألّف فى ذلك كتاباً ، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمّار القُطْرُبُّلىّ المعروف بالفريد ، ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يقم على ذلك الحجة . ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه ، الأبياتَ التى تتضمن بُعْد الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بيّنت خطأه فيما أنكره من الصواب فى جزء مفرد ، إن أحبّ القارئ أن يجعله من جملة هذا الكتاب " الموازنة " ويصله بأجزائه ، فعل إن شاء الله[1] » .

وكتب المرزوقىّ كتابه « الانتصار » ، ولدينا فى كتاب ابن المستوفى وفى شرح التبريزىّ هذا نقول منه .

وكتب أحمد بن أبى طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ كتاباً فى سرقات أبى تمام من البحترىّ ، وقد أشار إليه الآمدىّ فى مواضع من كتابه[2] .

وكتب أبو الضياء بشر بن تميم كتاباً فى سرقات البحترىّ من أبى تمام ، وقد ذكره الآمدىّ كذلك فى كتابه . قال : قال صاحب البحترىّ : ولكن ليس كما ادّعيتم وادّعى أبو الضياء بشر بن تميم ، وحشا كتابه به[3] .

وقال الآمدى أيضاً : وقد استقصى فى هذا الكتاب سرقات البحترىّ استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق[4] ..

وكتاب « أخبار أبى تمام والمختار من شعره » لأبى الحسن على بن محمد العدوىّ السُّمَيساطىّ البغدادىّ المتوفى سنة ٣٨٠ هـ[5] .

---

(١) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ ، وانظر الفهرست ص ١٥٥ ، وفى ص ١٠٥ من كتاب الفهرست ذكر ابن النديم أن للآمدى كتاباً فى أخطاء أبى تمام .

(٢) الموازنة : ص ٤٧ وفى فهرست ابن النديم ص ١٤٦ بعد أن ذكر مصنفاته ذكر ضمنها كتاب سرقات النحويين من أبى تمام . ومعجم (الأدباء ١ : ١٥٥) .

(٣) الموازنة : ص ٢٢ ، ص ٢٣ .

(٤) الموازنة ص ١٢٩ .

(٥) الفهرست : ص ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٤١ ، وقد ذكر ياقوت أن له كتاباً آخر فى تفضيل أبى نواس على أبى تمام .

وكذلك كتاب « أخبار أبي تمام ومحاسن شعره » لأبي عثمان الخالدي سعيد بن هاشم بن وَعْلة العلويّ الموصليّ المتوفى سنة ٤٠٠ هـ[١] .

وكتاب أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح الذي ذكر فيه أخبار أبي تمام مع غيره من الشعراء[٢] .

وكتاب أخبار أبي تمام ومحاسن شعره ، عمله الخالديان[٣] .

وكتاب « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبي تمام » للشيخ يوسف البديعيّ الموصليّ المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ ، وهو مطبوع .

وربما ألّف غير هؤلاء كتبًا في نقد أبي تمام ، ولكنها لم تذكر ، وهذا القدر نفسه يرينا أن شعر هذا الشاعر كان باعثًا على ظهور النقد العربيّ وبعثه ، غير أنه لم يبق لنا من هذا الكتب إلا « البديع » و« الموازنة » و « أخبار أبي تمام » و « هبة الأيام » .

بعض شُرّاحه :

أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) ويرمز إليه التبريزي بالحرف (ص) . والصولي أشهر من أن نعرف به هنا ، فكثير من كتب الأدب – ومنها الأغاني – مدين له برواياته . وله تآليف كثيرة طبع منها كتاب : « أدب الكتاب » ، و « الأوراق » و « أخبار أبي تمام[٤] » وقد جمع الصوليّ دواوين عدة شعراء كان السابق فيها على هذا الترتيب المعروف ، أعني ترتيبها على الحروف[٥] .

وهو أقرب الشراح – الذين وصلت إلينا شروحهم – عهدًا بأبي تمام ، وقد كان كما ذكرنا ، أول من عمل شعر هذا الشاعر ، وألف في أخباره . وقد أخذ رواية هذا الديوان عن أبي مالك عوْن بن محمد الكِنْدِيّ الذي عاصر أبا تمام ، واتصل

---

(١) ذيل كشف الظنون (٢) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ (٣) الفهرست : ص ١٦٩ .

(٤) له كتاب الوزراء ، وكتاب الورقة ، وكتاب الأنواع ، وأخبار القرامطة ، وكتاب الغرر ، وأخبار أبي عمرو بن العلاء ، وكتاب العبادة ، وأخبار ابن هرمة ، وأخبار السيد الحميري ، وأخبار إسحق بن إبراهيم ، وكتاب رمضان ، وكتاب الشامل في علم القرآن ، وكتاب مناقب علي بن الفرات ، وكتاب أخبار الجبائي أبي سعيد (ابن خلكان ١ : ٦٤٣ بولاق والفهرست ص ١٥٠) .

(٥) جمع ديوان أبي تمام ، وابن الرومي ، وأبي نواس ، والبحتري ، والعباس بن الأحنف ، وعلي بن الجهم ، وابن طباطبا ، وإبراهيم بن العباس ، وابن عيينة ، وابن شراعة .

به وروى عنه[1] . واتصاله بهذا الرجل كان له أثر ملحوظ فى تحقيق روايته وشرح شعره . وكثيراً ما نقرأ له هذه العبارة : « وسألت أبا مالك » . ويقول فى موضع من كتابه الأخبار : حدثنى أبو مالك عون بن محمد الكندىّ كاتب حُجْر بن أحمد ، وما رأيت أعلم بشعر أبى تمام منه ، وكان قد قرأ على أبى تمام عشرين قصيدة من شعره ، وقرأتها عليه سنة خمس وثمانين ومائتين[2] .

وهو يرى نفسه أقدر الناس على النهوض بشعر أبى تمام وتفسيره ، حتى ليقول لصاحبه الذى قدم له الديوان : « ولو أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا ، علم أن أحداً لم يستقل بمثله ، ولا علم حقيقة الكلام كما علمناه ، إلاّ أن يتعلمه من هذه الجهة متعلم ذكى فيبلغ فيه[3] » . كما يقول له فى موضع آخر : « وإنما حدانى عليه ، وجذبنى إليه ، علمك بأن كل متسع يضيق عنه ، وكل كثير يقلّ دونه ، وكل كبير يصغر عنده (يريد أبا تمام) ، فوهبت أخذ ما لا يستحقه ولا تقر لى بالفائدة فيه لك — أعزك الله — لمن يشكرنى عليه ، ويقرّ لى بالفضل فيه ، ويعلم أن أحداً ما تضمن القيام بقصائد منه ، فضلا عن جميعه ، ونعوذ بالله من العُجْب بما نعلمه ، والادّعاء لما لا نحسنه ، وإياه نسأل ألا يؤاخذنا بما نشغل به الفكرة ، ونصرف إليه الهمة ، ونقف عليه الخاطر » . ثم يقول فى موضع آخر ، وكأنه عرف أن قوماً سيدّعون شرحه لأنفسهم : « وكأنى — أعزك الله — بأشد الناس حاجة إلى ما أؤلفه مما تقدمت فيه ، وأجهلهم به ، قد ادّعاه بعد إملائى له ، وأجاب فيه بعد شرحى لمعانيه ، لا ينسب ذلك إلىّ ، ولا يعترف به لى ، ولست أبالى ذلك فى سبيل رضاك ، ولا أحفل به مع بلوغ مرادك ، وعلمك بعجز المدعين عما كلفتنيه ، وأن أحداً منهم لم يجسر على أن يُنشد قصيدة واحدة من شعر هذا الرجل ، ضامناً القيام بما فيها ، فضلا عن إيراد أخباره والاحتجاج لما عيب عليه ، والتضمن لجميع شعره ، والنضح عنه ، والذب عن حريمه ، والتنبيه على جيده ، ليعلم علوه فى الشعر ، وتقدمه فى الفهم[4] » .

---

(١) لأبى مالك عون بن محمد الكندى هذا كتاب « التشبيهات المشرقية » مخطوط بمكتبة تيمور بدار الكتب المصرية .

(٢) الأخبار ص ٣١ وشرح الديوان المخطوط ورقة ٣ .

(٣) الأخبار ص ٢١٨ وشرح الديوان المخطوط ورقة ١١ .

(٤) الأخبار : ص ١١ ، ١٢ .

ولا شك أن أبا بكر الصولى كان له الفضل ؛ لأنه أول من عمل شعر أبى تمام ، وألّف فى أخباره ؛ وروايته لهذا الديوان عن أبى مالك عون هذا تجعل لروايته قيمة ؛ وغير خاف أن أبا بكر الصولى من أئمة الأدب ، وقد رأينا مدى اعتزازه بمنزلته . وقد كان شرحه لشعر أبى تمام حلقة أولى فى سلسلة طويلة من الشروح ، ولا شك أن كثيرين قد اعتمدوا على أقواله . لكن الصولى مع هذا كله لم يخل من نقد وتجريح . وكما طعن الصولى فى كتابه على الذين يدعون علم الشعر لأنفسهم وهم ليسوا من أهله ، واتهمهم بالعجز ، وأظهر نفسه بمظهر العالم الذى يجب أن يقر له بالتقدم والفضل ، نجد أن غيره من العلماء قد حقّره هو الآخر وغض منه ، وعاب بعض تفاسيره لشعر أبى تمام . والآمدى فى « الموازنة » والمرزوقى فى كتابه « الانتصار » كثيراً ما نعيا عليه ما ادّعاه لنفسه ، وكثيراً ما سلقاه بألسنة حداد ، يشير إليه الآمدىّ فيقول : وبعد ، فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة دواوين وأنت ربما قلّبت ذلك أو صحفته[1] ؟! وكذلك كثيراً ما نقده المرزوقىّ وطعن عليه .

والصولى متعصب لأبى تمام ، وكتابه « الأخبار » فى الدفاع عنه ، وفى شروحه ، نراه دائماً يحاول ألا يغض له من معنى . وهذه العلاقة بين الشارح والشاعر لها — كما نعلم — أثر فى توجيه شرح الشعر ونقده . ولسنا الآن فى صدد هذا الخلاف القوىّ الذى قام بين علماء الشعر فى تفضيل أبى تمام على البحترىّ أو العكس ، ولكن الظاهر أن الصولى والآمدىّ كانا فى هذا على طرفى نقيض ، الصولى مناصر لأبى تمام مبغض للبحترىّ ، والآمدىّ على خلاف ذلك ، وإن دارى تعصبه بطرق خفيّة .

وشرح الصولى شرح مختصر يكاد يكون خالياً من مسائل النحو واللغة ، وإنما يقتصر على معانى الشعر ، فإن كان هناك خبر يتصل بالشعر ذكره مفصّلا ، لعلمه بأخبار هذا الشاعر كما قال . ويكاد يكون شرحه منقسماً قسمين ، الأول منهما ملىء بالشرح ، والنصف الثانى من الديوان يكاد يكون خلواً من الشرح ، كأنما بدأ شرح الديوان ليكون القسم الذى شرحه معيناً يهدى لسائر ما فيه كما يقول .

---

(١) الموازنة : ص ١٦٩ .

هذا هو الشارح الأول من شراح أبى تمام ، وأحد الذين اعتمد عليهم الخطيب التبريزىّ فى شرحه ، ولنذكر الآن شارحاً آخر لم يكثر التبريزىّ الأخذ عنه ، ولكنه مع ذلك يحتلّ مكانة أدبية رفيعة ، وأقواله فى أبى تمام لا يزال يتأثر بها المتأدبون ، ذلك هو الآمدىّ صاحب كتاب « الموازنة » .

الآمدى (ت ٣٧٠ هـ) :

وهو متهم بالتعصب على أبى تمام ، وكتابه « الموازنة » قد يشهد بذلك ، وقد لاحظ عليه بعض المتقدمين هذه العصبية ، قال ياقوت فى معجم الأدباء : « وله كتاب " الموازنة " فى عشرة أجزاء ، وهو كتاب حسن وإن كان قد عيب عليه فى مواضع منه ، ونسب إلى الميل إلى البحترىّ فيما أورده ، والتعصب على أبى تمام فيما ذكره ، والناس فيه بعدُ على فريقين ، فرقة قالت برأيه حسب رأيهم فى البحترىّ وغلبة حبهم لشعره ، وطائفة أسرفت فى التقبيح لتعصبه ، فإنه جدّ واجتهد فى طمس محاسن أبى تمام ، وتزيين مرذول البحترىّ ، ولعمرى إن الأمر كذلك ، وحسبك أنه بلغ فى كتابه إلى قول أبى تمام :

* أصم بك النّاعى وإن كان أسمعا *

وشرع فى إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مرذول ، إلى غير ذلك من تعصباته ، ولو أنصف وقال فى كل واحد بقدر فضائله ، لكان فى محاسن البحترىّ كفاية عن التعصب بالوضع من أبى تمام[1] » .

وعلى حين نجد الصولىّ يجعل صاحبه أبا تمام رأساً فى هذا المذهب البديع فيقول : « ولو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الحذاق ، من القدماء والمحدثين ، لكثر حتى يقل عندهم ما عابوه على أبى تمام ، إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه . ومنزلة عائب أبى تمام — وهو رأس فى الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه ، حتى قيل : مذهب الطائى ، وكل حاذق بعده ينسب إليه : ويقفّى أثره — منزلة حقيرة يُصان عن ذكرها الذم ، ويرتفع عنها

(١) معجم الأدباء لياقوت (٨ : ٨٧ — ٨٨ دار المأمون) .

الوهد ، وقد كان الشعراء قبل أبى تمام يبدعون فى البيت والبيتين من القصيدة ، فيعتدّ بذلك لهم من أجلّ الإحسان؛ وأبو تمام أخذ نفسه ، وسام طبعه ، أن يبدع فى أكثر شعره ، فلعمرى لقد فعل وأحسن ، ولو قصّر فى قليل — وما قصّر — لغرق ذلك فى بحور إحسانه ، ومَن الكامل فى شىء حتى لا يجوز عليه خطأ إلا ما يتوهمه من لا عقل له ؟ . . . »[1] على حين يقول الصولىّ هذا ، نجد الآمدىّ يقول ردًّا عليه : « ولا هو بأول فيه — يريد أبا تمام — ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيل مسلم ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف ، وزال عن النهج المعروف ، والسنَن المألوف ؛ وعلى أنّ مسلمًا أيضًا غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أولٌ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسم البديع ، وهو الاستعارة والطباق والتجنيس ، منثورة متفرقة فى أشعار المتقدمين ، فقصدها وأكثر منها »[2] .

وقد كان الآمدىّ تلميذًا لأبى موسى الحامض الذى كان يكره الصولىّ ، ويكثر من التشنيع عليه ، وربما كان لهذه التلمذة أثر فيما كان بين هذين الرجلين : الصولىّ والآمدىّ ، من عداوة ، حتى لكأنما اتخذا من أبى تمام ميدانًا للجدال والمخاصمة .

يقول الصولىّ لصاحبه فى مقدمة كتابه الأخبار : « وأنت — أعزك الله — تشهد لى من بين الناس أن أبا موسى الحامض كان يَثْلِبنى عندك وتنهاه ، ويكثر من عيبى ، والطعن على سائر ما أمليته ، وأنه لا فائدة فى شىء منه ؛ فلما تُوُفِّى وحملت كتبه إليك ، وجدت أكثر ما أمليته من كتاب " الشامل فى علم القرآن " ، وكتاب " الشبان والنوادر " ، وما مر من شعر أبى نواس ، قد كتبه كله بخطه ، واتخذه أصولا ينفق منه تفاريق على من كان يقصده ، ويطلب فائدته ، فأكبرت ذلك ، وكثر منه عجَبك »[3] .

ومهما يكن الرأى فى موقف الآمدىّ من أبى تمام . وموقفه من أبى بكر الصولىّ ، فإن الذى لا شك فيه ، هو أن العلاقة بين الشارح أو الناقد ، وبين شارح آخر

(١) الأخبار : ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) الموازنة : ص ٦ .
(٣) الأخبار : ص ١٠ ، ١١

أو ناقد ، وبينهما معاً وبين الشاعر ، لها أثر فى توجيه معانى الشعر والحكم على الشاعر ، بل لها أثر فى رواية شعره ، وقد رأينا بعض أصدقاء أبى تمام يغيرون رواية بعض شعره ، ليقوموه له حسب رأيهم ، كما رأينا بعض المتعصبين عليه يغير من الرواية ، قصد النكاية به ، والتشنيع عليه، ومن هؤلاء الآمدىّ نفسه ، ولعل بعض ما ذكرناه فى الهوامش يغنينا عن الأمثلة .

والآمدىّ رجل جدلىّ ، كثيرًا ما يقيس الشعر على أقيسة من المنطق ، حتى يذهب لدرجة التعسف ، وأحيانًا نراه يدعى الرجوع إلى النسخ القديمة لديوان أبى تمام ، كنسخة أبى سعيد السكرى وغيره ، ويقول إن هذه النسخ القديمة التى يرجع إليها لم تقع فى يد الصولىّ وأضرابه[١]، ولكن رجلا كابن المستوفى يذهب إلى أن هذا محض اختلاق من الآمدىّ ، وأنه يغير رواية الشعر عمدًا ، ليحدث ثغرة فى شعر أبى تمام .

ولنمض الآن إلى المرزوقى صاحب كتاب « الانتصار » ، وأحد الذين اعتمد عليهم التبريزىّ فى شرحه مشيرًا إليه بالحرف (ق) .

المرزوقى (ت ٤٢١ هـ) :

قال ياقوت : « قال الصاحب بن عبّاد : فاز بالعلم من إصبهان ثلاثة : حائك ، وحلاّج ، وإسكاف . فالحائك : هو المرزوقى ؛ والحلاج : أبو منصور ابن باشده ؛ والإسكاف : أبو عبد الله الخطيب صاحب التصانيف فى اللغة »[٢] .

والمرزوقى صاحب شروح كثيرة ؛ شَرَح « الحماسة » ، و « المفضّليات » ، و « أشعار هُذَيل » ، و « الفصيح » لثعلب . وله كتاب « الأزمنة والأمكنة » المطبوع . وليس لدينا مخطوطة من كتابه « الانتصار » ، وربما ضاع هذا الكتاب فيما ضاع من تراثنا الأدبى القديم ، لكن لدينا نقولٌ كثيرة منه ، تعطينا صورة عنه ، نقولٌ أوردها ابن المستوفى فى كتابه « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » . وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيرًا منها ، أما ما نقله التبريزىّ عنه فليس كما جاء فى مقدمته من أنه نقل من كتاب « الانتصار » ، لأن معظم ما ذكره التبريزىّ فى كتابه عنه ،

---

(١) انظر الموازنة : ص ٨٩ ، ٩٤ ، ١٦٥ .

(٢) المعجم (٥ : ٣٥ دار المأمون) .

أخذه من كتاب المرزوقى « المشكل من أبياته المفردة » ؛ وسنتحدث عن هذا الكتاب فيما سنتحدث عنه من شروحه . وإنما يهمنا من المرزوقى فى هذه العُجالة لون شرحه ، والصفة الغالبة عليه — كما لاحظنا — محاولته الدائبة ليستقل برأيه ، فى رواية الشعر وفى شرحه ، لذلك كثيراً ما نراه يخالف شراح أبى تمام المتقدمين ، وخاصة أبا بكر الصولىّ ، وكثيراً ما عرّض به هو الآخر ، ونعى عليه بعض تفاسيره ، وله عليه مآخذ كثيرة ، فحين يقول المرزوقى : « وذكر هذا الإنسان » نعلم أنه إنما يريد الصولىّ .

والمرزوقىّ موفق فى أغلب شرحه ، إلا أنه هو الآخر يسرف ، فيظهر فى أقواله العَنَت ، وأحياناً الخطأ . وشرحه يمتاز بأسلوب قوىّ رصين ، ولعله أكثر شراح أبى تمام عناية بأسلوبه ، وهو متعصب لأبى تمام ، كما يظهر من كتابه « الانتصار » وحين تشتبه الرواية نرى المرزوقىّ لا يعمد إلى النسخ القديمة ، ولكنا نراه يقيم الحجة على روايته من مذهب الشاعر نفسه ، أو طريقته فى أدائه ، وأحياناً نراه يقوّم الرواية قياساً على معانى الشعر ومذاهب الشعراء .

ولنمض الآن إلى رجل آخر لم يذكره التبريزىّ فى مقدمته ، ولكنه ذكره فى آخر كتابه ضمن من أخذ عنهم ، ونعنى به الإمام الخارَزَنجىّ .

الخارزنجى (٣٤٨ هـ) :

وقد رمز إليه التبريزىّ بالحرف (خ) وربما لاحظ القارئ كثرة ترداد اسم الخارزنجى فى هوامشنا ، وإنما نقلنا أقواله التى أثبتناها من كتاب ابن المستوفى . وأهميته أنه يعتبر من شراح أبى تمام المتقدمين ، وهو فوق ذلك عالم فاضل ، مشهود له بالعلم والدراية ، ترجم له صاحب البغية ، فقال : أحمد بن محمد البستى ، يعرف بالخارزنجىّ . قال ابن السمعانىّ : إمام أهل الأدب بخراسان بلا مدافعة ، يشهد له أبو عُمَر الزاهد ومشايخ الطرق بالتقدم ، ودخل بغداد ، فعجب أهلها من تقدمه فى معرفة اللغة . سمع الحديث من أبى عبد الله البُوشَنْجِىّ ، وعنه أخذ أبو عبد الله الحاكم . وصنف كتاب « تكملة العين » . وشرح أبيات « أدب الكاتب » ، وله كتاب التفضلة[1] .

---

(١) بغية الوعاة ص ١٧٠ .

وليس للخارزنجي لون خاص يميزه كثيرًا ، وإن كانت اللغة غالبة عليه ، وحين كنا نراه يتفرد بشرح أو رواية ، كنا نثبت كلامه فى هوامشنا ، لمكانته وتقدمه أولا ؛ ولما أخذنا أنفسنا به من جعل هوامشنا مكملة لمتن الكتاب أحيانًا ، أو مبينة لوجه مخالف من الرواية والشرح أحيانًا أخرى .

أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) :

وهو أستاذ الخطيب التبريزىّ ، ويرمز إليه الخطيب بالحرف (ع) ، وهو أكثر الرموز ذكرًا فى هذا الديوان ، حتى يكاد يطالعنا فى كل صفحة . ونسأل ما لون أسلوب أبى العلاء فى شرحه على أبى تمام ؟

الظاهرة الغالبة التى لا تحتاج فى تجليتها إلى كبير عناء ، والتى تسترعى انتباه كل من نظر فى هذا الشرح ، هى اللغة . نعم ، فلقد صبغت أقوال أبى العلاء فى أبى تمام بصبغة لغوية قوية ، حتى لينسى المعرىّ فى كثير من الأحيان تفسير البيت ، وتلخيص معناه ، لما هو مأخوذ به من اللغة .

والصفة الثانية التى يمكن أن يتسم بها شرحه كثرة رواياته ، فأبو العلاء أكثر الشراح ذكرًا لرواية أخرى ، وأكثرهم كذلك احتيالاً على وجه آخر فى تخريج المعنى ، حتى لكأنما كان قصده من هذا الشرح إظهار قدرته اللغوية فى تجويز ما لم يستطع غيره تجويزه . وكثيرًا ما رأيناه يفعل ذلك بعد أن يذكر رواية الشاعر الصحيحة المعروفة ، يقول بعدها : فإن رويت كذا فالمعنى كذا ، وإن رويت كذا فالمعنى كذا . وكان لأبى العلاء لا شك مندوحة عن هذا الاتجاه لولا أنه جعل من اللغة مظهرًا لفلسفته .

وأبو العلاء يميل إلى أبى تمام كثيرًا ، فما لم يصحّ عنده على السماع ، فهو يصح على القياس ، وما لم يصحّ على القياس نره يقول فيه : ولا يجوز هذا على الطائى ، فلا بدّ أن يكون سمعها فى شعر قديم ، لأنه كان متبحرًا فى الرواية . وهكذا لا يخطئه فى شىء .

فأما كتابه « ذكرى حبيب » فليس إلا أبياتًا اختارها من شعر أبى تمام ، وفسرها على طريقته[1] . وكتابه « عبث الوليد » كان سبب إنشائه فيما يقال أن بعض

---

(١) معجم الأدباء (٣ : ١٥٦ دار المأمون) .

الرؤساء أنفذ إليه نسخة من شعر البحتريّ ليقابل له بها ، فأثبت ما جرى من الغلط فيها .

ولقد كان فى معانى أبى تمام مَراد خصب لفلسفة أبى العلاء ، ولو أنه خاض فى معانى الشعر كما خاض فى اللغة ، إذن لظفرنا فى هذا الشرح بأقوال كانت جديرة بنقل شروحنا الأدبية من طابعها اللغوى المألوف ، إلى المعانى العقلية البحتة ، وإلى هذا الأفق الذى يظهرنا على روح الشاعر وفلسفته .

ولم تخل أقوال أبى العلاء من مآخذ أخذها عليه غيره ، وهوامشنا فيها أمثلة على ذلك .

التبريزى (ت ٥١٢ هـ) :

وهو صاحب هذا الشرح وصاحب شروح كثيرة ، فقد شرح « الحماسة » ، و « المفضليات » ، و « سَقْط الزَّند » .

والسِّمة التى يصح أن تتسم بها شروحه هى النقل من غيره . فطريقته أن يذكر البيت، ويذكر ما قال فيه بعض المتقدمين، ثم يكمل الشرح من عنده أحيانًا ، أو يقتصر على ما قال غيره أحيانًا أخرى . وشرحه على « سقط الزند » إنما نقله عن أستاذه أبى العلاء ، ومع ذلك فقد وقع فيه تقصير ، إذ أهمل الخطيب أكثر المشكلات كما يقول صاحب « التنوير » : « فجاء الشرح لُمَعًا من مواضع شتى ، لم يشف به الغليل » . وكذلك شرحه على « الحماسة » المطبوع ، إذا قابلناه على شرح المرزوقى المخطوط [1]، نرى الشرحين متشابهين بأكثر ألفاظهما فى كثير من المواضع ، وقد يكون التبريزىّ نقل من كلام المرزوقى كثيرًا من مادة شرحه ، مع رمزه إلى مصدره . ثم سقط ذلك الرمز من النسخة ؛ وقد يكون تصرف فى النقل عنه ، من غير رمز إليه .

فأما فى شرحه هذا على أبى تمام فقد اعتمد على من ذكرهم فى مقدمته ، فأتى بأقوالهم ، لكنا نلاحظ أن أقواله فى بعض المواضع التى لم يعيِّن فيها تتضمن من أقوال هؤلاء أشياء ربما كانت بأكثر لفظها ومعظم معناها ، دون أن يشير إلى ذلك،

---

(١) منه صورة بمكتبة جامعة القاهرة .

وفى بعض هوامشنا أمثلة على ذلك . وقد ذكر التبريزىّ فى آخر شرحه هذا من اعتمد عليهم ، فقال :

« هذا آخر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وجمْع ما اتفق إثباته من التفاسير والإعراب ، مما ذكره أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخىّ المعرىّ فى كتابه الموسوم بـ " ذكرى حبيب " ؛ ومما ذكره أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقىّ فى تفاسيره وفى كتابه الموسوم بـ " الانتصار من ظلمة أبى تمام " فى الرد على من رد على أبى تمام ، وعابه فى مواضع من شعره ؛ ومما ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب صاحب كتاب " مبادئ اللغة " ؛ ومن كلام الصولىّ وغيره . وعلامة أبى العلاء (ع) فى بعض المواضع ، وعلامة المرزوقى (ق) ، وعلامة الخطيب (الشيخ) اتباعـًا للنسخة المقروءة عليه ، فإن وُجد فيما كتبته سهو أو تحريف ، وظهر فيه وجه الصواب أُصلح ، لأن القليل إلى جنب الكثير معفوّ عنه ، والكتب القديمة عن الأئمة الذين يُقْتَدى بهم قلما تخلو من ذلك ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين » .

وللخطيب شرح مختصر على ديوان أبى تمام، نقل فيه كثيرًا من شرح الصولى حتى أوقع النُّسَّاخ فى خطأ ، إذ ظنوا مختصره هذا شرح الصولىّ ، فنقلوا مقدمة الصولىّ إليه . قال صاحب كشف الظنون : وللخطيب التبريزىّ مختصر على أبى تمام، أوله « الحمد لله الذى جعل معرفة العارفين التقصير عن شكره ... » إلخ [1] . وهى نفس مقدمة الصولىّ التى يذكر فيها أنه وفى بما وعد تلميذه به من عمل « أخبار أبى تمام » ، ثم يقول الصولىّ بعد ذلك فيها : وبقى شعره الذى سألتنى عمله ... إلخ .

ومهما يكن الرأى فى الخطيب التبريزىّ ، فإنه بهذا الشرح قد قدم للمتأدبين عملا جليلا خالدًا ؛ إذ جمع شعر أبى تمام من أوله إلى آخره . ثم نظر فى شروح شراحه ، ثم اختار من هذه الشروح وضمنها كتابه ، ناسبـًا كل قول لقائله غالبـًا ، فجاء شرحه حاويـًا لآراء هؤلاء الشراح جميعـًا ، ولا شك أن الاختيار والتضمين عمل شاقّ فى نفسه ، فضلا عن جهده هو فى شرحه الكثير من شعر هذا الشاعر . وقد قرأ هذا الديوان ، كما قال فى مقدمته ، على الشيخ أبى القاسم الفضل بن محمد

---

(١) كشف الظنون (١ : نهر ٧٧١) . طبع الآستانة سنة ١٩٤١ .

القَصَباني ، الذي قرأه على عبد الكريم السكري ، عن الآمديّ ، عن السجستانيّ ، عن أبي سعيد السكريّ ، عن أبي تمام . فروايته إذن تنتهي إلى أبي سعيد السكريّ عن أبي تمام . وهذه أسانيد كلها موثوق به .

ولا يتسع المقام في هذه المقدمة لذكر أكثر من هذا الذي ذكرناه ، وإنما أردنا أن نأتي بطرف من ذكر هؤلاء الشراح الذين تضمنهم شرح التبريزيّ هذا ، على ما نظنهم عليه في شروحهم لأبي تمام . وبقي أن نذكر شيئًا عن تحقيق هذا الديوان ، وعن النسخ التي اعتمدنا عليها في ذلك .

تحقيق هذا الديوان :

اعتمدت في تحقيق هذا الديوان على :

١ — النسخ المخطوطة التي حصلت عليها من شرح التبريزيّ على ديوان أبي تمام.

٢ — النسخ المخطوطة من شرح الصولي لتحقيق أقواله التي أوردها التبريزيّ .

٣ — كتاب المرزوقيّ « المشكل من أبياته المفردة » .

٤ — كتاب ابن المستوفي المسمى بـ « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » ، الذي جمع فيه أقوال شراح أبي تمام وفيهم التبريزيّ .

٥ — النسخ المخطوطة من ديوان الشاعر لتحقيق رواية التبريزيّ وإثبات الاختلافات في الهوامش .

هذه أهم الأصول التي اعتمدت عليها ، ولنخص الآن بعضها بالذكر .

١ — نسخ التبريزي :

لدينا من هذا الشرح مخطوطات ، بعضها قديم ، وبعضها الآخر حديث ، بعضها ملىء بالخطأ ، وبعضها الآخر صحيح في معظمه مستقيم .

وأول ما يجب على ناشر الكتب القديمة الجمع والانتقاء ، وذلك بمعارضة ما يجتمع إليه من النسخ المخطوطة للكتاب الذي ينشره ، حتى يبين له التابع منها من المتبوع ، فإذا عرف الأصل الذي يجب أن يجعله عمدته واطمأن إليه . نظر بعد

ذلك فيما يمكن أن يستفيد منه مما اجتمع لديه من الأصول ، وذلك بمعرفة علاقات بعضها ببعض .

ولقد جمعت من مخطوطات هذا الشرح ما أمكننى جمعه ، وفاضلت بينها ، فوجدت أنها لا تكاد تختلف اختلافاً له شأن يذكر ، فى رواية الشعر أو فى مادة الشرح ، عدا نسختى (ب ، ن) اللتين يصح أن نقول إنهما من أسرة واحدة ، على حين أن بقية الأصول من أسرة أخرى ، ولكنها مع ذلك من صلب هذه الأسرة الأولى .

وجعلت النسخة التى رمزت إليها بالحرف (ش) الأصل الأول ، ولم أحد عنها إلا فى مواضع قليلة جداً لسبب من الأسباب ، وهى أم هذه الأسرة من النسخ الكثيرة العدد . ولا بد لنا هنا أن نخصها بشىء من الذكر .

نسخة ش :

وهى مصورة عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة شهيد على باشا بإستامبول . نسخة تامة فى مجلدين ، الأول منهما فى ٢٤٨ ورقة ، والثانى فى ٢٢٩ من القطع المتوسط[١]. على الورقة الأولى منها ختم مكتبة شهيد على باشا ، وشرط صاحب النسخة ونصه : « . . . . (كلمة بمعنى وقف) هذا الكتاب لله ، أبو عبد الله ، ولىّ الدين جار الله ، بشرط ألا يخرج من خزانة . . . جامع القسطنطينية (ثم تاريخ غير ظاهر) .

وعلى هذه الورقة الأولى تمليك بتاريخ سنة ٩٨١ هـ ونصه : « الحمد لله ، ملك العبد الفقير إلى مولاه الغنى القدير ، أحمد بن حسن الحقير ، عفا عنهما اللطيف الخبير ، بحرمة البشير النذير ، فى شهر ذى القعدة الحرام ، المنخرط فى سلك سنة إحدى وثمانين وتسعمائة » . . . سنة ٩٨١ هـ .

وهى مكتوبة بخط النسخ ، ومشكولة نصف شكل وعدد سطورها ١٩ سطراً ، ولم يتغير خطها إلا فى موضع نبهنا عليه (من ص ١٤٠ إلى ص ١٥١) من المجلد الأول . وليس على هوامشها تعليقات أو تصحيحات ، وهى نسخة تدل على أن

---

(١) مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٦٠ .

كاتبها كان قليل السهو أو الإهمال ، وهي فوق ذلك قليلة التصحيف والتحريف ، جيدة النقط والإعجام ، صحيحة النص بالقياس إلى غيرها .

ومن تاريخها القديم ومن المقابلة ، ظهر لنا أنها نسخة أصلية ، لهذا جعلناها أصلاً ثابتاً لنا ؛ فمثلا حين كنا نقابل ما نقله التبريزيّ عن الصوليّ فيها ، بما جاء في كتاب الصوليّ ، أو ما نقله عن المرزوقيّ ، بما جاء في كتاب المرزوقيّ ، أو ما نقله من الخارزنجيّ ، بما نقله ابن المستوفى عن الخارزنجيّ ، أو غير هؤلاء من الشراح — حين كنا نقابل أقوالهم بما ورد في نسخة ش منها ، كنا نجدها مطابقة كل المطابقة لها لا تكاد تختلف إلا اختلافاً ليس ذا شأن .

فهذا إذن أصل يدعو إلى الطمأنينة ، وما جاء على هوامش النسخ الأخرى من تصحيحات يدل على صحتها وعتقها ، لأن هذه التصحيحات ترجع إلى ما جاء في متنها .

نسختا (ن ، ب) :

كثيراً ما ذكرنا في هوامشنا نسختي (ن ، ب) لأنهما كما قلنا من أسرة أخرى ، وإن كانتا ترجعان في أصلهما إلى الجدّ الأوّل الذى انحدرت منه نسخة ش . فأما نسخة (ن) فهي جزء واحد من الديوان في مجلد واحد ، مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة يني جامع بإستامبول[1] ، عدد لوحاتها ٢٤٥ لوحة ، وتنتهي عند قافية الفاء ، عند القصيدة التي يمدح بها أبو تمام الوزير ابن الزيات ، ومطلعها :

دِنفٌ بكى آياتِ ربعٍ مُدْنَفِ   لولا نسيمُ ترابهـا لم يُعرَفِ

وهو ما يقابل الورقة ١٦ من المجلد الثاني من نسخة ش .

وليس عليها تاريخ نسخ ، أو اسم لناسخ ، وعلى الصفحة الأولى تمليك يرجع تاريخه لسنة ١١٣١ هـ ، وعلى الورقة الثانية دعاء للسلطان عثمان خان وخاتم المكتبة . وهي بخط فارسيّ صغير ، ومسطرتها ٢١ سطراً ، غير مشكولة ، وكثير من ترقيمها مضطرب أو ساقط ، وعلى هوامشها تفسيرات من اللغة ، معظمها من صحاح

(١) وهي مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٧ .

الجوهرى ، كما أن عليها تصحيحات وتعقيبات ، وكثير من هذه التفسيرات المكتوبة بهوامشها منقول من متن التبريزىّ بحرفه ، وبنفس الخط ، كأنما أراد كاتبها أن يجمع بعض المفردات اللغوية ومسائل فى الصرف مما جاء فى شرح الديوان ، فنجد قبالة بيت أبى تمام مثلاً :

عَوْد تساجله أيّامه فيهـــا من مسّه وبه من مَسّها جُلَبُ

بالهامش : « العَوْد » : المسنّ من الإبل ، ويقال للسؤدد القديم عَوْد ، على الاستعارة ، ويقال طريق عَوْد أى قديم . وكل هذا جاء فى شرح التبريزىّ على هذا البيت .

على أن هذه النسخة قد عورضت فيما يظهر بنسخة أخرى يرمز إليها الكاتب بالحرف « س » ويثبت على الهامش روايات (س) المغايرة ، فى هذه القصيدة عند البيت :

« يعشو إليك وضوء الرأى قائده »

نجد على الهامش : س : « عشا » كما نجد : وفى بعض النسخ « يعشى » ، والوجه « يعشو » ، وهذا يدل على أنها عورضت بنسخ أخرى غير نسخة س .

فأما نسخة (ب) فهى عن الأصل الموجود بمكتبة بروصه بقرب إستامبول وهى شقيقة نسخة (ن) وتنتهى نفس الانتهاء ، وما فى هوامش (ن) منقول عنها بزيادات فى اللغة أو الصرف ، وعدد لوحاتها ٢٨٠ لوحة ، فى جزء واحد ، كتبت بخط النسخ ، ومشكولة شكلاً تامًّا ، وعدد سطورها ١٩ سطرًا ، جاء على الورقة الأولى منها : « الجزء الأول من كتاب الإيضاح فى فَسْر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، مما جمعه الشيخ أبو زكريا يحيى بن على الملقّب بالخطيب التبريزىّ رحمه الله » . وبهامش هذه الورقة الأولى بخط مخالف يظهر عليه القدم بعض الشىء : « يعتمد على الله تعالى على بن عيسى بن أبى الفتح ، فى رجب المبارك برسم جمال الدين بن بقىّ بن الحاج محمد بن عمر الواسطى ، عفا الله عنه . . . (كلام مقطع مطموس) ، ثم تاريخ سنة ٥٤٠ هـ .

وفى صلب هذه الورقة من أسفل تمليك بخط فارسىّ حديث ، نصه : « من

مستوعبات الدهر لدى الفقير إلى من لا إله سواه ، شيخ محمد بن شيخ لطف الله ، عفى عنهما » .

فإذا صح تاريخ هذه النسخة أى سنة ٥٤٠ هـ ، فهى إذن أقدم أصول التبريزىّ التى بين أيدينا لولا أنها جزء واحد ، وخطها يرجّح قدمها .

وقد جعلناها هى ونسخة (ن) أصلين لنسخ أخرى تبعتهما ، وأثبتنا فى هوامشنا رواياتهما المخالفة لنسخة (ش) .

ولا يتسع المقام هنا لذكر سائر النسخ من شرح التبريزىّ ، فهى فى مجموعها يصح أن تنقسم إلى أصلين : أصل (ش) وأصل (ب ، ن) ، والنسخ جميعاً فيها نقص مشترك ، وهو سقوط الرموز التى وضعها التبريزىّ (ص) للصولىّ و (ع) لأبى العلاء و (ق) للمرزوقىّ ، وهكذا ، فمعظم هذه الرموز ساقط من النسخ جميعاً ، وقد كلفنى هذا عناء يعلم الله كم آدنى ، إذ كنت أقرأ شرح البيت ، فأحسب الكلام للتبريزىّ ، فأرجع إلى كتاب الصولىّ ، وكتاب المرزوقىّ ، أو كتاب ابن المستوفى ، فأجد أن بعض هذا الكلام للصولىّ مثلا ، فأضع من عندى حرف [ص] بين قوسين مربعين ، لأفرق بهذا بين هذا الرمز والرمز الذى لم يسقط من النسخ ، والذى جعلناه بين قوسين معقوفين ، وهكذا دواليك فى غيره من الشراح الذين أوردهم التبريزىّ .

٢ — شرح الصولى :

ولدينا بعد أصول التبريزىّ ، أصول أخرى يصح أن نطلق عليها الأصول المساعدة ، وهى أقوال هؤلاء الشراح فى كتبهم ، وفيما نقله غير التبريزىّ عنهم ، للتثبت من النص بهذه الطريقة ، وأولها شرح الصولى الذى نقل عنه التبريزىّ ولدينا مخطوطات منه .

وقد حققت ما نقله التبريزىّ عن الصولىّ على أصلين من أصول شرح الصولىّ ، هما ما أشرت إليه بالحرفين (م) ، (ل) أى نسخة المدينة ونسخة ليدن . وبين أيدينا أصول أخرى من شرح الصولىّ ، منها نسخة أخرى من ليدن ، ونسخة عن الأصل الموجود بدار الكتب المصرية ، كانت ملكاً للمرحوم محمود سامى

البارودى ، ولكنها الجزء الثالث من الديوان فقط ، وتبتدئ بقافية الفاء ، ولا نطيل الوقوف عند هذه الأصول المساعدة ، لأن وظيفتها إنما كانت إعانتنا على تحقيق نص التبريزىّ ، وإثبات ما ضاع من الرموز التى أشار بها إلى أصحابها ، وإثبات بعض الاختلاف الذى يستحق الذكر فى رواية الشعر أو شرحه ، وربما قصّر التبريزىّ فى شرح بيت من الأبيات ، أو جاء تفسيره ناقصاً ، فأثبتنا فى هوامشنا شرحاً آخر له ، وهكذا كانت أصول الصولىّ تحقق نص التبريزىّ ، كما كانت أصول التبريزىّ تحقق نصّ الصولىّ .

٣ ـ كتاب المرزوقى :

ذكر التبريزىّ فى آخر شرحه أنه أورد فى كتابه ما اتفق إثباته من كلام الصولىّ وغيره ، ومما ذكره المرزوقىّ فى تفاسيره ، وفى كتابه « الانتصار » : فكان علينا أن نقابل ما نقله التبريزىّ من كلام المرزوقىّ فى كتب المرزوقىّ إن وجدت : كتباً أو نقولاً نقلها عنه غير التبريزىّ .

وقد عثرنا على كتاب المرزوقىّ « المشكل من أبياته المفردة » مصوراً من إحدى مكتبات إستامبول فى ١٠٥ ورقة . وهو الذى يشير إليه التبريزىّ بقوله « تفاسيره » ، كما عثرنا على نقول كثيرة من كتاب « الانتصار » ، نقلها ابن المستوفى عنه ، فاستطعنا بذلك أن نقابل ما نقله التبريزىّ عن المرزوقىّ على هذين الأصلين .

فأما كتاب « المشكل من أبياته المفردة » فهو عبارة عن بعض أبيات من شعر أبى تمام ، اختارها المرزوقى ليشرحها على طريقته ، غير متبع فى اختياره قاعدة بعينها ، فليس هذا الكتاب ـ كما يفهم من عنوانه ـ بعض عَويصات أبى تمام ، ولا هو بعض أبياته المشهورة بمعانيها الحسان ، ولكنه اختار من بعض القصائد بعض الأبيات ، يختار من القصيدة البيتين أو الثلاثة أو فوق ذلك بقليل ، ثم يشرحها ، ليجعل ذلك كما يقول ، معيناً يهدى لسائر ما فى شعر أبى تمام . يقول فى مقدمته :

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله أجمعين ، جاريتنى ـ أيدك الله ـ أمْر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وما فيه من عويصات

الأبيات ، وبديع المعانى والألفاظ ، إلى غير ذلك مما يستبد به فنه ولا يُساهَم ، ويختص به نهجه فلا يُقاسَم ، ثم سألت أن أتتبع مشاهير كلماته ، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها ما يحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص ، بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط ، لتجعل ذلك دليلا يهدى إلى الأغمض من باقيه ، ومعينًا يُعدى على ألطف ما فيه . وقد نظرت فى عظم ديوانه ، وجمعت منه جُلّ ما يلتى فى المجالس من أبياته ، ثم تحريت فى شرحها مساركَ ، وتوخَّيْت فيما سهل منه أو توعّر تحصيل مرادك ، غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيما يعرض من تعب ، حتى حصل على حدّ يملك الناظر فيه مع أدنى تأمل ، عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر المذاكر بعد أيسر تمرس به ، غرض هذا الشاعر وسهامه ، فتى جارى فيه سبق ، وإذا ناضل له قَرْطَس ، والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد وأستعين ، وهو حسبى ونعم الوكيل » .

وقد كان هذا الكتاب نافعًا كل النفع فى المقابلة وفى إثبات الرمز (ق) الساقط من النسخ . فأما ما نقله التبريزىّ من كتاب « الانتصار » فقد قابلته بما نقله ابن المستوفى عنه ، والحق أن كتاب ابن المستوفى هذا ، كان أكبر معين لى على تحقيق نص التبريزىّ نفسه ، ونص ما نقل عنهم من شراح أبى تمام ، وسنخصه بالذكر هنا ، لأنه ملأ هوامش كتابنا .

٤ – كتاب ابن المستوفى المسمى بالنظام ، فى شرح المتنبى وأبى تمام (١) :

هذا الكتاب يجمع شعر المتنبى وأبى تمام وشروح الشرّاح عليهما ، كتبه المبارك بن أحمد الإربلىّ المعروف بابن المستوفى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ . ترجم له ابن خلكان فقال : كان رئيسًا جليل القدر ، ماهرًا فى فنون الأدب ، عارفًا بعدة علوم أخرى ، كالحديث وأسماء رجاله ، وكان بارعًا فى النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها وأمثالها ، وكان ذا خبرة فى علم الديوان

(١) هكذا ذكره ابن خلكان فى الوفيات والذى على الورقة الأولى من نسخة إستامبول : « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام » .

وحسابه ، وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم . . . وله عدة تآليف منها تاريخ إربل[1] . . . وكتاب النظام هذا الذى جمع فيه كل ما وصل إليه من أقوال الشُّرّاح فى هذين الشاعرين .

وقد وصل إلى أيدينا منه جزءان من نسختين مختلفتين :

الأول : مصور فى ثلاثة مجلدات ، عن نسخة مصورة فى مجلدين محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٦٤٠ ز ، وأصلها المخطوط بمكتبة سوهاج ، برقم ١٣٥ أدب ، وهو مما كانت احتوته مكتبة آل رفاعة الطحطاوىّ ، ثم أهدى أخيراً إلى تلك المكتبة .

وهذا الجزء فى ٧٧٢ صفحة ، فى كل منها ٢٩ سطراً ، مكتوب بقلم تعليق (فارسىّ) جميل ، من القرن الحادى عشر تقريباً . وينتهى بآخر شرح قصيدة أبى الطيب المتنبى ، التى قالها فى صباه ، ومطلعها :

كمْ قتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ ببياض الطُّلَى وورد الخدودِ

وفى آخر هذا الجزء ما نصه :

تم الجزء الأول ، والحمد لله رب العالمين ؛ يتلوه فى الجزء الثانى : وقال أبو الطيب يمدح على بن إبراهيم التنوخى ، ولم يذكر الشعر الذى فى أول الجزء التالى ؛ وقد بينه الكاتب على الهامش بقوله : ويتلوه فى المجلد الثانى :

* أحَادٌ أمْ سُدَاسٌ فى أحادِ *

والثانى : من نسخة أخرى فى مجلدين ، صورت عن النسخة التى صورتها بعثة الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، إلى إستامبول عام ١٩٤٩ من الأصل المحفوظ بمكتبة ينى جامع برقم ١٠١٥ .

وهذا الجزء فى ٥٤٤ صفحة ، بكل صفحة ٢٧ سطراً . وهو يبتدئُ بقوله : قال أبو الطيب يمدح علىّ بن إبرهيم التنوخى :

أحَادٌ أم سُدَاسٌ فى أحادِ لُيَيْلَتنا المنوطة بالتَّنادى

وينتهى بشرح القصيدة اللامية التى قالها أبو تمام فى ابن الزّيات ، ومطلعها :

---

(١) ابن خلكان ١ : ٥٦٠ طبع بولاق .

مـَتى أنتَ عن ذُهليـَّة ِ الحى ذاهلُ   وقلبك منهـــا مدة الدهرِ آهـِلُ

وفى آخره ما نصه : « تم الجزء الثانى ، ويتلوه فى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى : وقال أبو تمام يمدح المعتصم ، ويمدح فتح الخرمية » . وهو بخط نسخى جميل مشكول [كتبه محمد بن إسماعيل بن حسن بن أبى الحسين بن على الهـِرَقْلىّ] ، عفا الله عنه وعن جميع المسلمين . ووافق الفراغ من كتابته ضاحى نهار الأحد حادى عشر شهر شعبان من سنة ثمان وسبعين وستمائة الهلالية » .

ومن جميل الاتفاق أن الجزء الثانى وإن كان من نسخة أخرى ، فهو يتمم الجزء الأول بلا فاصل بينهما ، ولم نعثر إلى الآن على الجزء الثالث الذى يتم به الكتاب ، فلعل من يعثر عليه من العلماء يتفضل مشكوراً بإرشادنا إليه حتى يخرج جميع الديوان كامل الشروح التى التزمناها فى هذا المجلد .

ويهمنا هنا بيان أهمية هذا الكتاب فى تحقيق شرح التبريزىّ على أبى تمام .

أول ما يمتاز به كتاب النظام هذا أنه جامع لأقوال كل شراح أبى تمام منذ بدأ الصولىّ شرحه إلى ابن المستوفى فى القرن السابع الهجرىّ ، وكذلك فعل فى المتنبى .

ثم إن ابن المستوفى عالم محقق ، ينسب كل قول إلى قائله ، بحيث إذا رجعنا مثلا إلى قول التبريزىّ فى كتابه وجدناه مطابقاً له ، أو إذا رجعنا لما ينسبه إلى المرزوقى فى كتابه ، وجدناه مطابقاً كذلك ، وهكذا .

ولقد بهرنا هذا الرجل حقًّا وملأنا إعجاباً ، لدقته وأمانته العلمية ، وكذلك لنقده الصائب فى أكثر الأحيان ، وتعقيباته على بعض من يورد لهم فى كتابه ، وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً من هذه التعقيبات . ولننظر كيف قدم لكتابه ، لنرى منهجه فيه . قال فى المقدمة : . . . وإنما اعتمدت فى شرح ديوان أبى تمام الطائىّ على كتاب أبى بكر محمد بن يحيى الصولىّ ، وعلى « ذكرى حبيب » كتاب أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرىّ ، وعلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وعلى كتابَىْ أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته ، وعلى قطعة من كلام أبى حامد أحمد بن محمد الخارزنجى ، ومعه من غير كلامه ، ووقع إلى كلام أبى تمام ، وعلى حواشيه جملة من تفسير ، وفى أوله فوق البسملة : « قال الصاحب الأجل ،

عين الكُفاة ، تاج الوزراء ، صدر الإسلام والمسلمين ، ناصح الملوك ، وليّ النعم ، أبو القاسم عبد الحميد بن أكفى الكفاة رحمه الله ، سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، قال : قرأت على أبي الحسين بن أحمد النوزازي ، قال قرأت على أبي محمد الحسن ابن محمد صاحب المرزبان ، قال قرأت على أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبان ، قال قرأت على أبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ ، وذكر الخطبة . . . » ، ثم جاء بعقب ذلك : وهذه النسخة من نسخ العجم ، وربما وقع في حواشيها شرح يسير بالعجمية ، فإذا عينت : « وفي النسخة العجمية » أو : في طرة النسخة العجمية ، أيًّا ما ذكرت فإنما أعني إياها ، وإذا كانت رواية مجهول نسبها ذكرتُها على ما وجدتُها .

ووقع إليّ نسخة لديوان شعر أبي تمام شرح الصوليّ ، وعلى أول طرة منها ما حكايته : هذه النسخة صحّحها إبراهيم بن أحمد بن الليث ، نسخة كانت لأحمد بن بكر العبديّ ، وكان كتب على حاشية الورقة الأولى : « يقول محمد بن جعفر التيميّ : قرأ على هذا الديوان الشيخ أبو طالب أحمد بن بكر العبديّ ، أيده الله ، ورويته له عن أبي بكر الصوليّ ، وعن أبي مالك صاحب أبي تمام » . قال إبراهيم بن الليث : العبارات المنقولة إلى الحواشي هي منقولة عن هذه النسخة على اختلالها وتقارب ألفاظها ، وإن كانت المعاني صحيحة .

كانت مصادر ابن المستوفي كتاب الصوليّ ، وذكرى حبيب ، لأبي العلاء ، وأقوال الآمديّ ، وكتابي المرزوقي ، وقطعة من كلام الخارزنجيّ ، وشرح التبريزيّ ، وهذه النسخ التي أشار إليها ، والنسخة العجمية ونسخة العبديّ . وقد كان يشير في كتابه إلى هذه المصادر بدقة وأمانة . يقول ابن المستوفي : « ألزمت نفسي أن أورد في هذا الكتاب كل ما وقع ، من بيان مشكل ، أو تقييد مهمل ، وألاّ أتجاوز شيئًا منه ، ولا أضرب صفحًا عنه ، فربما توافق القولان أو أكثر في معنى ، وإن اتسع الزمان ، وساعد الإمكان ، عدت على ما فيه من التطويل فاقتصرته ، ورجعت إلى ما فيه من إسهاب فاختصرته » . وكثيرًا ما نبه ابن المستوفي في كتابه على تداخل أقوال شراح أبي تمام بعضها في بعض ، فهو في موضع مثلا يورد كلام أبي زكريا التبريزيّ ويقول بعقبه : (الذي ذكره أبو زكريا كلام المرزوقي ووضع

موضع « قلبه » « نفسه » ، فغيّره بما لو نقله على وجهه كان أجود) . وفى موضع آخر بعد أن يذكر شروح الشرّاح وينقل كلاماً سمعه أو قرأه ولكنه لا يدرى قائله نراه يقول : (وأظن هذا القول من كلام الآمدىّ ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد) ولقد بلغ من دقته العلمية أنه كان أحياناً ينقل بعض الهوامش الغامضة ، يوردها كما وجدها ، وينبه على أنه لم يفهمها . وينقل شرحاً للصولىّ مثلا ، ثم يعقّب عليه بقوله : « الذى ذكره الصولىّ يحتاج إلى إيضاح » ، أو يقول : وفى النسخة العجمية كذا ولا أعلم صحته . وأكثر من ذلك نراه عند ما يشرح بيتاً من الأبيات . ويجد أن غيره قد تقدمه بمثل ما قال ، لا يتأخر أن يعلن هذا فى صراحة علمية محببة ، فيقول : « كتبته ولم أنظر — علم الله تعالى — ما ذكره أبو العلاء إلا بعد فراغى منه » .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا هنا ما أخذنا من كتاب ابن المستوفى هذا ، ويكفى أنه كان مفتاح هذه الرموز التى سقطت من نسخ التبريزى ، وما أثبتناه فى هوامشنا من كتابه من تعقيبات وروايات ؛ يعطينا فكرة عن قيمة هذا الكتاب .

٥ — متن الديوان :

بقى أن نتحدث عن بعض نسخ ديوان أبى تمام التى بين أيدينا ، فقد كان متن الديوان نفسه يساعدنا على تقويم الشعر ، كما كان نافعاً فى إثبات بعض الروايات المختلفة فى هوامشنا . وأهم أصل يصح أن نخصه بالذكر هنا ، هو نسخة الإسكوريال ، التى أشرنا إليها فى الهوامش بالحرف (س) . فأما نسخة (د) التى يرد ذكرها معها ، فهى آخذة عن أصل (س) هذا ومن أحفادها ، لذلك آثرنا إثبات رواياتها معها ، وهى نسخة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية .

فأما نسخة (س) فتعتبر مصدراً ممتازاً لديوان أبى تمام ، لأنها نسخة قديمة ، وهى منقولة عن القراطيس التى كتبها أبو تمام بخطه . كما ذكر ذلك أبو علىّ القالىّ ، وكانت معه فى رحلته إلى بلاد الأندلس ، وقد صورت عن الأصل الموجود بالإسكوريال (١) مخطوطة بخط كوفى دقيق جداً . حتى ليصعب قراءته ، ومرقمة

---

(١) الصورة مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٣٠٤٣ .

ترقيماً قديماً ، وهى تامة غير ناقصة ، تشتمل على ديوان أبى تمام جميعه ، عدد أوراقها ١٣٦ ورقة ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، وعلى هوامشها تعليقات وروايات . وجاء فى آخرها ما نصه : (كمل جميع شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائىّ ، رواية أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، وذلك فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وصلى الله على محمد نبيه وسلم تسليماً » .

ثم جاء بعقب ذلك : « كتبه لنفسه بخط يده على بن محمد بن عيسى القسىّ نفعه الله به ، انتسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبى القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا الزّبيرى المعروف بابن الإفليلى، المكتوب بخط يده ، المنقول من القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغداذىّ ، وذكر أنها بخط أبى تمام حبيب بن أوس الطائى » .

ثم جاء أيضاً : « وألفيت فى آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبى القاسم المذكور رحمه الله : كمل فى هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغداذى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائىّ ، وذكر أبو على أنها بخط يد أبى تمام ، واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبى القاسم بن سيد ، وصارت إلىّ من جهته ، وبذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علىّ من شعر أبى تمام فى سفر الكاغد ، الذى قرأ فيه على أبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، وأقرأه ذلك روايةً عن على بن مهدىّ الكسروىّ ، عن أبى تمام حبيب بن أوس ، واستقر السفر الكاغد عند الحاجب جعفر بن عثمان ، وصار من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبى جعفر بن مَضاء ، واستعرته وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً فى الكتب التى استقرت بخط أبى علىّ وروايته فى خزانة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، وأخرج إلىّ الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم » .

ثم جاء أخيراً قوله : « وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما لقيته زائداً فى رواية محمد بن يحيى الصولى ، مما أشبه ما تقدم فى حسن الصناعة ،

واختيار الألفاظ ، والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً ، كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وسلم » .

ثم عقب الناسخ بقوله : « نقلته كما ألفيته فى الأصل المذكور حرفاً بحرف » .

فهذه إذن نسخة حسيبة نسيبة من ديوان أبي تمام ، فإذا صح ما قاله أبو علي القالي ، وهو ثقة ، تكون هذه النسخة إذن أول مصدر وآخره لشعر أبي تمام ، لأنها منقولة عن القراطيس التي كتبها هذا الشاعر بخط يده ، والأيدى التي تداولتها جميعاً لأصحابها مكانتهم العلمية .

ونجد على رأس معظم القصائد هذه العبارة « صحت من خطه » ، أى خط أبي تمام ، أو « صحت من خط القرطاس » ، وليس لها ترتيب متبع ، فلا هي على الحروف ، ولا هي على أبواب الشعر المعروفة ، مما يدل على أنها نقلت حقاً من القراطيس كما وجدت . وفى هوامشها روايات الصولي التي قيدها عليها صاحبها ابن الإفليلي ، فهي إذن تجمع طريقين من طرق رواية هذا الشاعر ، لعالمين كبيرين : القالي والصولي ؛ ونجد فيها من حين لآخر لحقاً يشير إلى تصحيح ، فهي إذن نسخة مُقابَلَة .

وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً مما جاء فى هذا المصدر ، ليكون شرح التبريزى جامعاً فى هوامشه فوائد أخرى ، لأن نشر الديوان عن طريق واحد من طرق الرواية قد يكون فيه بعض الافتئات على الشاعر .

وبعد ، فهذه بعض الأصول التي اعتمدت عليها فى نشر شرح الخطيب التبريزى على ديوان أبي تمام ، ذكرتها مجملا ، لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك ، ولكن قبل أن أختم حديثي يلزمني أن أقول : إنني فى بعض المواضع اضطررت أن أضع الرمز فاصلا بين أجزاء الكلام ، وذلك لأن كثيراً من أقوال هؤلاء الشراح قد تداخل بعضها فى بعض . فكنت أضع الرمز أمام قول الواحد منهم إذا ما وجدت القول له ، ثم إذا رأيت التبريزى وصل ما نقله عنه بكلام آخر من عنده ، أو من عند غيره ، وضعت نجماً ، إشارة إلى انتهاء قول الأول .

وأخيراً ، فإني أكتب هذه المقدمة وأنا بلندن بعيداً عن كثير من المصادر التي

كنت أحب أن أكون قريباً منها ، وربما أجملت مواضع يخل بها الإجمال ، ولكني مع ذلك أشعر بسعادة حين أرى المجلد الأول من هذا الكتاب قد مثل للظهور ، سعادة تحفزني على استئناف السير ومتابعة الرحلة ، مهما بعدت المسافة وشق الطريق .

والحمد لله الذى وفقنى لكى أوفى بعض ما على لهذا الشاعر الكبير .

لندن فى ٢٦ من مارس سنة ١٩٥١ .

محمد عبده عزام

رموز شرح التبريزى

(ع) — أبو العلاء .

(ص) — الصولى ّ .

(ق) — المرزوقى ّ .

(خ) — الخارزنجى .

« الشيخ » : أبو عبد الله الخطيب صاحب مبادئ اللغة .

رموز النسخ

ش — نسخة شهيد على باشا من شرح التبريزى ّ .

ن — « نور عثمانية « « «

ب — « بروصه « « «

م — « المدينة من شرح الصولى .

ل — « ليدن « « «

س — « الإسكوريال من متن الديوان .

د — « دار الكتب المصرية .

ق — « دار الكتب المصرية .

ظ — « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام .

مقدمة الشارح

قال الشيخ الأجلّ الإمام أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى :

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمد النبى وآله الطاهرين . وبعد :

فإنى نظرت فى شعر أبى تمّام حبيب بن أوس الطائى ، وفيما ذُكر فيه من التفاسير ، فرأيتُ بعضَهم يَنحى عليه ، ويُهجّن معانيَه ، ويُزيّف استعاراتِه ، وبعضَهم يتعصّب له ، ويقول مَن جَهِل شيئًا عابه ، كما أنّ من اعتسف طريقًا ضلّ فيه ؛ وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرّى فى كتابه المعروف بذِكرَى حبيب[1] : « إنّما أغلَقَ شِعْرَ الطائى أنّه لم يُؤثر عنه ، فتناقلتْه الضَّعَفةُ من الرّواة ، والجهَلة من الناسخين ، فبدّلوا الحركةَ بالحركة ، فأوقعوا الناظِرَ بما جنَوْه فى أمّ أدراصٍ وتُغلّسَ[2] ، وغيّروا بعضَ الأحرف بسُوءِ التصحيف ، فغادروا الفَهِمَ خابِطًا فى عَشْواء ؛ لأنّ تَغييرَ الضمّة إلى الفتحة والكسرةِ يُنشِب الفَطِنَ فى الحِبالة[3] ، فأمّا نقلُ الحاءِ إلى الخاء ، والدّالِ إلى الذّال ، فيَحدُثعنه إلباسٌ ، تُقرَن به بَلادةٌ وانتكاس » . وهو كما ذَكرَه أبو العلاء[4] ، لأنّ فى شِعره صنعةً لا يكاد يخلو منها ، ومواضعَ مشكلةً تَصعُب على كثيرٍ من الناس ، لا سيّما على مَن لا يَستأنِس بطريقته ، فيقع لذلك فيه خلَل ،

---

(١) مر التعريف فى المقدمة بهذا الكتاب وبالكتب التى ذكرها الشارح .

(٢) « وقع فى أم أدراص وتغلس » أى فى داهية — اللسان مادة غلس ودرص ، مجمع الأمثال ١ : ٢٢٣ ، ٢ : ٢١٧ ، أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ — ٢ : ١٦٩ ، قال : ووقعوا فى أم أدراص أى فى مهلكة ، وأصله جحرة الفأر ، قال طفيل :

وما أم أدراص بأرض مضلةٍ بأغدرَ من قيسٍ إذا الليل أظلما

(٣) الحبالة ، ككتابة : المصيدة .

(٤) من قوله « وهو كما ذكره أبو العلاء » إلى قوله « لم يطل فيمل » لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .

لأنَّ شعرَ غيرِه يَقرُب مُتناوَلُه ، ويَسهُل على القارئ التوصّل إلى معرفة معانيه وأغراضِه .

وإنما حثّنى على الاشتغال به ، وتَمييز ما ذكرَه العلماء فيه ، من معنًى أو إعراب ، واختلفوا فيه ، ميلُ المولى أبى نصر محمد بن عماد الدين – مولى أمير المؤمنين – إلى شِعره ، ورغبتُه فيه دون سائرِ دواوين المُحدَثين . فلمّا رأيت كَثْرةَ مَيْلِه إليه ، وصِدْقَ رغبتهِ فيه ، استعنتُ الله تعالى على شرحِه ، وذِكْرِ الغريبِ والمعانى والإعراب فيه ، وترجيحِ بعضِ أقوالِ العُلماء فيه على بعض ، لأنَّ منهم مَن أنصفَه ، ومنهم مَن أنحَى عليه . وربما احتملَ البيتُ معنَيَيْن ويكون أحد المعنَيَيْن أقوَى من الآخر ، فلا يُميِّز بينهما إلاَّ مَن حَسُنَ فهمُه ، وصفا ذِهنُه ، لأنَّ نَقدَ الشعرِ أصعبُ مِن نظمِه ؛ فأوضحت ذلك بإيرادِ ما لا مَحيدَ عنه للقارئ منه ، والناظرِ فيه ، بلفظ مُوجَز ، قليلُه يَدُلّ على الكثير ، وقَصيرُه يُغنى عن التطويل ، فخيرُ الشروحِ ما قَلَّ ودَلَّ ، ولم يَطُلْ فيُمَلّ .

وذكر أبو العلاء فى هذا الكتاب الأبياتَ المشكلةَ من شعر أبى تمّام متفرقةً ، وأنا إن شاءَ الله أكتبُ شعرَه من أوّلِه إلى آخرِه ، وأذكرُ من غَريبه وإعرابِه ، ومعانيه وأخبارِه ، ما لا بُدَّ منه . وأشيرُ إلى ما ذكرَه أبو العلاء من الأبيات المُشكلَة فى مواضعها ، وإلى ما ذكره أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقىّ فى كتابه المعروف بالانتصار من ظَلَمة أبى تمّام ، وإلى ما ذكره أبو القاسم الحسنُ بن بِشْر الآمدى فى معانى شعره ، وما ذكره أبو بكر محمد بن يحيى الصّولى ، وما وقَعَ إلىَّ مما رُوِىَ عن أبى على المعروف بالقالى وغيرِه من شُيوخ المغرب ، وأجتهد فى التلخيص والاختصار من غير إخلالٍ بالغرَض إن شاء الله ، وبه أستعين وعليه أتوكل .

٣

وكنتُ قرأت من شعر أبي تمّام سنةَ أربعٍ وخمسينَ وأربعمائة بالبَصْرة على الشيخ أبي القاسم الفضل بن محمد بن عليّ بن الفضل القَصَباني النحويّ البصريّ ، ورَوى لنا هذا الديوانَ عن أبي على عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السُّكريّ النحويّ اللغويّ ، عن أبي القاسم الحسن بن بِشْر الآمِدى ، عن أبي على محمد بن العلاء السجستاني ، عن أبي سعيد السُّكرى ، عن أبي تمّام ؛ بعضُه قراءةً عليه ، وبعضُه سماعًا منه وبعضه إجازة ، ولله المنّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

باب المديح

١

قال أبو تـمـّام يـمدح خالدَ بن يزيد الشيباني (١) :

١ يا مُوضِعَ الشَّدَنيَّةِ الوَجْناءِ[٢] ومُصارِعَ[٣] الإدلاجِ والإسْراءِ[٤]

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : الوَضْع ضرب من السير ، يقال وَضَع البعيرُ يَضَع وضْعاً إذا سار ذلك الضربَ من ضُروب السير ، وأوضعَه صاحبُه إذا حمَلَه على الوضْع ، ثم استغنوا عن المفعول فقالوا أخبَّ فلان وأوضَعَ إذا حملَ مطيّته على الخبَب والوَضْع . فأمّا الرجز الذى يُروى عن دُريد بن الصِّمّة :

يا ليتنى فيهـا جـذَعْ
أخُبُّ فيهـا وأضَعْ (٥)

---

(١) جاء فى نسختى م ، د على رأس هذه القصيدة : « يمدح خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر منع الخليفة إياه من الحج » . وجاء فى نسخة س : « وكان وجدَ عليه المعتصم وأراد نفيه ، فرغب خالد أن يكون خروجه إلى مكة ، فأجيب إلى ذلك ، ثم شفع فيه ابن أبى دواد فشفعه المعتصم ، وأعفى خالد من الخروج واستقر على حاله » . وقال أبو العلاء فى شرح البيت الثالث : « وكان المعتصم ولاّه الحرمين ثم عُزل » .

(٢) س : « الخرقاء » .

(٣) ظ : قال أبو العلاء : ومَن روى « ومصارعَ الإدلاج » فهو مصحَّف ، لأن المضارعةَ مقاربة الشيء وموافقته ، وإن ساغ ذلك على معنى فلا وجه له . وقال ابن المستوفى تعقيباً عليه : هذا كلامه إذ جعله سائغاً على معنى فقد وُجد له وجه وإن كان ضعيفاً ، على أن الرواية قد جاءت به .

(٤) س : «والإمساء» .

(٥) قاله يوم حنين حين رأى نفسه عاجزاً عن القتال وقد خرج مع قومه مظاهراً ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه معهم تيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فقتل فيمن قتل من المشركين فى هذا اليوم . قال :

يا ليتنى فيهـا جـذَعْ
أخُبُّ فيهـا وأضَـعْ
أقـودُ وطفاء الزَّمَـعْ
كأنهـا شاةٌ صَـدَعْ

والجذع : الصغير السن ، والخبب والوضع : ضربان من السير معروفان ، وقوله : « أقود وطفاء الزمع » كناية عن فرس طويلة شعر الرسغ كأنها شاة قوية فتية .

الأغانى (دار الكتب) ١٠ : ٣١ ، شعراء النصرانية ٥ : ٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٢٦ واللسان مادة وضع .

فإنه يحتمل وجهين : أحَدهما أن يكون لمّا شبّهَ نفسه بالجَذَع من الخيل استعار لها الخبَبَ والوَضْعَ ، والآخر أنه أراد بـ « أضع » معنى أُوضِـعُ ، ويكون من نحو قولهم قَتَل الأميرُ الجانى إذا أمرَ بقتله ولم يل ذلك بيده . ولهم ضربٌ من السير يُسمونَه الرّفعَ ، فكأنه والوَضْعَ نقيضان . فأمّا قولهم ضَعْ فى زَجْر البعير فليس من السير ، وإنما المعنى ضَعْ يا بعيرُ عُنقَكَ ليركبَ الرّاكبُ ، قال الشاعر :

فلمّا استقلّ الحىُّ جاءَتْ سريعةً إلى جَمَلٍ وَهْمٍ فقَالتْ له : ضَعِ

ويقولون : اتّضعَ الرجل واتّضعَت المرأةُ إذا قالا للبعير ضَعْ ، قال الشاعر :

فُلْنَ : اتّضِعت ، فقالتْ : لا ، فقلنَ لها : فكيف تَقْوَيْن يَاسَلْمَى على الجمل ؟!

والشّدنية ناقة منسوبة إلى شَدَن ، وقيل إنه رجل أو موضع (١) . وقال ابن فارس فى المُجمل : يقال إنّ الشدنيةَ من النوق منسوبةٌ إلى موضع باليمن . وقال غيره : شَدَنيّة منسوبة إلى فحلٍ معروف (٢) . والوَجْناء فيها قولان : أحدهما أنها الغليظة التى تُشبّهُ بالوجين من الأرض وهو غليظ منقاد ، والآخر أنها يُراد بها عِظَمُ الوَجنة وهى عَظْمُ الخدّ . [ع] و « مُصَارع الإدلاج والإسراء » من المستعار ، لأن الإدلاجَ والإسراءَ لا يُصارَعان فى الحقيقة ، وإنما الصراعُ لذوات الشخوص ، وكأنه أراد بالمصارع المقاسيَ والمحاولَ بجهد . [ص] والمعنى : أنه لا يَفْتُر من الإدلاج والإسراء فهو مواصل لهما * والإدلاج سير الليل كله ، والإسراء نحوٌ منه إلا أنه كرّر لاختلاف اللفظين . وقيل الإدلاج سير الليل كلّه ، والإسراءُ يكون فى جميعه وفى بعضه ، وسرَى وأسرَى بمعنًى واحد .

٢ أَقْرِى السلامَ مُعَرَّفاً وَمُحصَّباً (٣) مِنْ خالدِ المَعْرُوفِ والهَيْجاءِ (٤)

(ع) : هذا البيت يُروى على وجوه ، أجودُها وأليقها باللفظ أن يُقال : « أقرِى السلامَ مُعرّفًا ومُحَصّبًا » ، ويكون من قرأتُ على فلان السلامَ وأقرأتهُ غيرى ، وتُخفّفُ الهمزة ، فإن خُفّفتْ للضرورة أثبتَ الياء فى الخط ، كأنّ

(١) انظر مادة « شدن » فى اللسان ومعجم البلدان ففيهما الوجهان .

(٢) قاله الصولى فى شرحه .

(٣) م ، ل ، س : « أقر » .

(٤) هـ م : وفى نسخة « بالهيجاء » .

القائلَ أرادَ أن يقول : أقرئْ السلام ، فخفّفَ وبَقيتِ الياء . وإن كانت الهمزة خُفّفتْ قبل أن يُرامَ نظمُ الكلمة فلا ضرورةَ فيها ، وينبغي أن يكتبَ « أقرِ » بغير ياء لأنها فى لغة مَن يقول قَرَى فى وزن سَقَى . و« مُعرّف » فى هذين الوجهين منصوب بوقوع الفعل عليه . والمعرّفُ الموضع الذى يقف فيه الناسُ يومَ عَرَفةَ . والمُحصَّبُ الموضع الذى تُرمى فيه الجمارُ ، ولو أنه بالألف واللام كان أوجبَ لأنه كذلك يُستعمل فيقال المعرّف والمُحصَّب ، وإنما هما بمكة دون غيرها من البلاد ؛ قال الشاعر :

عَفَا بَطِحَانٌ مِن قريشٍ فيثربُ ... فبطنُ الجمارِ من مِنًى فالمُحصَّبُ[١]

وقال الهذلىّ :

أظنكم مِن أسرةٍ قَمَعيّةٍ ... إذا نَسكوا لا يَشْهدُون المُعرَّفا[٢]

فليس حذف الألف واللام من « المعرّف » كحذفهما من العباس والضّحاك ؛ لأن العرَبَ تستعمل بعض الأسماء مرةً بالألف واللام ، ومرةً بغير ألف ولام ، ولم يجئْ فى أشعارهم مثل هذا مُنكّرًا إلاّ أن يكون شاذًّا ، وليس امتناعُه من المجىء أنه غير جائز ، ولكنه اتفاق يقع فى اللفظ . ومَن أنشد « أقرِ السلامَ مُعرِّفًا ومُحَصِّبًا » بكسر الرّاء والصاد فالمعنى أقرِ أيها الرجل السلامَ فى حال تعريفك وتحصيبك ، والمقروءُ عليه السلامُ محذوف من اللفظ لعلم السامع ، وذلك مثل قولهم إذا بلغتَ حلبَ فأقرئْ السلام ، فيحتمل اللفظُ المذكورُ عمومًا وخصوصًا ، ويحتمل أن يكون « مُعرَّفًا » منصوبًا بوقوع الفعل عليه ، يُراد به مَن حَضرَ عَرَفة . ومَن أنشد « إقرا السلامَ » وجب أن يكسر الراء فى « مُعرِّفًا » والصاد فى « محَصِّبًا » لأنّ المرادَ هو الإنسانُ القارئْ فنصبَ الكلمتين على الحال .

---

(١) البيت لابن مقبل فى رثاء الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وفى معجم البلدان : بُطْحان بالضم ثم السكون كذا يقوله المحدثون أجمعون ، وحكى أهل اللغة بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وكذلك قيده أبو على القالى . وفى معجم ما استعجم للبكرى بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه و بالحاء المهملة على وزن فعلان لا يجوز غيره .

(٢) قاله المعطل أحمد بن رهم بن سعد بن هذيل لعامر بن سدوس الخناعى وكان يعزى . قال أبوسعيد السكرى : قمَعة بن جندب من خزاعة إذا نسكوا للحج لا يشهدون المعرّف يعنى عرفة . انظر مجموع أشعار الهذليين ص ١١٠ (مصورة بدار الكتب) .

ولو رويتَ « اِقرا السلامَ معرَّفًا ومحصَّبًا » لجاز ذلك على بُعد ، ويكون النصب على الظرف ، كما يُقال فرّقَ المالَ يمينًا وشمالاً . [ع] والكلام فى إثبات الألف فى « اقرا » مثله فى إثبات الياءِ فى « أقرى » ، إن كان خفّفَ بعد النظم وجبَ أن يثبتَ ، وإن كان التخفيفُ والكلمة منثورةٌ حُذفتِ الألفُ كما تُحذف من قولك « اخشَ » . وقوله : «مِنْ خالدِ المعروف» أضافَه إلى ما جرَتْ عادته بفعله ، كما قالوا : عُروةُ الصعاليك ، لأنه كان يُكرمهم ويألفهم ، وكذلك قولهم : فلان مأوَى الصعاليك ، ومِن ذلك قولهم : زيدُ الخيل ، وزيدُ الفوارس ، وعمرو القنا . والهيجاء اسم مُشتقٌ من الهَيْج ، ويُمدُّ ويُقصَر(١) .

٣ سَيْلٌ طَمَا لَوْلَمْ يَذُدْهُ ذَائِدٌ(٢) لَتَبَطَّحَتْ أُولاَهُ بِالْبَطْحَاءِ

(ع) : يعنى به معروفَ خالد ، ولا يمتنع أن يعنى به خالدًا نفسَه . أى هذا المذكور سيلٌ طما – أى ارتفع – لو لم يَعُقْهُ عائق . وكان المعتصم ولاّه الحرمين ثم عزَل . يقول : لولا حادث العزلِ لامتلأتْ بهباته وجُوده بطحاءُ مكة .

(١) استشهد الصولى برجز لبيد فى قوله :

يا ربَّ هيْجا هى خيرٌ من دعَهْ
أكلَّ يومٍ هامتى مفـزَّعهْ
نحنُ بنو أمِّ البنينَ الأربعـهْ
ومن خيـار عامر بن صَعْصَعهْ

فجاء بها مقصورة ، وفى الممدودة ذكر قول الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيفٌ مهنـد

انظر الأغانى ١٤ : ٩٢–١٦ : ٢٣ (ط الساسى) الميدانى ٢ : ٢٣ ، أمالى المرتضى ١ : ١٣٦ ، المقصور والممدود : ١١٧ ، وابن يعيش : ٢٢٥ ، دون عزو فيهما . وأورد القالى فى الأمالى ٢ : ٢٦٢ « إذا كانت الهيجاء » البيت ولم يعزه ، وفى الذيل : ١٤٠ نسبه لجرير ، وقال البكرى فى شرحه على الذيل ٣ : ٦٥ وبيت جرير لم يعزه له أحد ولا وجد فى شعره ، وإنما هو من عابر الشعر ، وأخاف أن أبا على وهم فيه هنا . وأورده صاحب اللسان فى مادة « هيج » ولم ينسبه .

(٢) م ، ل : « حادث » . وقال ابن المستوفى : قال الصولى : ويروى « لو لم يذدْه خالد » و « حادث » ، ولا أرى لرواية « خالد » معنى مثل معنى قوله « ذائد » و « حادث » ، لأن خالداً لم يذد السيل على ما قالوا إنه عزل ، إنما ذادَه ذائدٌ من غيره وحادث عرضَ له ، إذْ لا حكمَ لخالد فى ذلك ، سواء جعل السيلَ جودَ خالدٍ أو معروفه ، أو جعل نفسَ خالد . وكلام الصولى هذا لم يرد فيما لدىّ من نسخ شرحه .

والبطحاءُ بطن الوادى إذا كان فيه رمل ، وقالوا فى المثل : خُذْ ما قطعَ البطحاء[1]. ويُسمّى بَطنُ مكةَ بطحاءَها ، ويقال للساكنين بها قريش البطحاء وقريش الأبطح . وقوله : « لَتَبَطَّحتْ » أى لانبسَطتْ ، وإنما جاء بهذه اللفظة لمجانستها البطحاء . ويحتمل أن يكون قولُه تَبطّحتْ أى حلّتْ بالأبطح ، كما يقال تَبصَّر إذا أتى البصرةَ أو أقام بها أو انتسبَ إلى أهلها . وأصلُ البطحِ فى بنى آدم أن يُلقَى الرجل على وجهه ، يقال بُطِحَ القتيلُ .

٤ وغَدَتْ بُطونُ مِنىً مُنًى مِنْ سَيْبِهِ وغَدَتْ حَرًى مِنهُ ظُهورُ حِرَاءِ

(ع) : إن ضممتَ الميمَ من « مُنًى » فهو جمع مُنية والمعنى يصحّ على ذلك ، وإن رويتَه « مَنًى » فهو حسَن ، من قولهم أصابه مَنًى أى مقدار ، أى غدتْ بطون مِنًى مُقدَّرَةً لسَيْبِهِ أىْ عطائه . ويُحتمل أن يكون من قولهم : دارى بِمَنَى داره أى بحِذائها ، كأنّ المعنى بالموضع الذى قُدِّر لها أن يَقرُبَ إليها . و « حَرًى منه ظهورُ حِراء » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قولهم هو حَرًى بكذا أى خَليق ، والآخر أن يكون من قولهم هو بِحَرَا الدارِ أى بِفنائها ، ويقال لأدْحِيّ النعامة حَرًا لأنه كالفِناء لها ، قال الشاعر :

بَيضَةٌ ذادَ هَيْقُها عن حَرَاها كلّ طارٍ عليه أنْ يَطراها[2]

ويكون معنى حَرًا أى أفنية مسكونة . يقول : غَدتْ ظهورُ حِراء — وهو جبل بمكة — على أنها غير مسكونة مسكونةً من تأميل الناس له .

٥ وتَعَرَّفَتْ عَرَفَاتُ زَاخِرَهُ ولَمْ يُخْصَصْ كَدَاءُ مِنْهُ بالإكْدَاءِ

« تَعرّفتْ » أىْ تَحقّقتْ عرفاتُ عِظَم زاخرِه . وزاخرُه كثيره وجائشه ، من قولهم زَخَرَتِ القِدْرُ إذا غَلَتْ وجاشَتْ . [ص] و « كداء » جبل يُدخَل منه إلى مكة ومنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح * قيلَ يُمدّ إذا فُتحت الكاف ، ويُقصَر إذا ضمّت كأنه جمعُ كُدْية . (ع) كداءٌ موضع بمكة

---

(١) المثل فى الميدانى ١ : ١٥٦ : « خذ منها ما قطع البطحاء » أى من الإبل ، أى خذ منها ما كان قوياً ، ويضرب فى الاستعانة بأولى القوة .

(٢) فى الأصول « أو بيضة » والتصحيح عن اللسان مادة حرا .

وثنيّة كَدَاءَ هنالك ، والغالبُ على كَدَاء التأنيث ، قال ابن قيس الرقيات :

أقفرتْ بعدَ عبد شمسٍ كداءُ فكُدَىٌّ فالرّكن فالبطحاءُ(١)

والإكداءُ مصدر أكدَى إذا قلّ خيره ، وأكدَى المكانُ إذا جَحِدَ نَباتُه ، يقال كَدَأَ النبتُ إذا وَقَفَ ضَعْفاً فلم يَطُلْ لأنّ عِرقَه يَبلغُ إلى كُدْيَةٍ صُلبة . و « عرَفات » تُصرف ولا تُصرَف .

٦ ولَطَابَ مُرْتَبَعٌ بِطَيْبَةَ واكْتَسَتْ بُرْدَيْنِ بُرْدَ ثَرًى(٢) وبُرْدَ ثَرَاءِ

يقول : لو أقرّ على نظره لطابَ العيشُ بطَيْبَةَ وهى المدينة ، واسمُ الأرض يثرِب . (ع) : « المرْتَبَع » منزل القوم فى الربيع ، وطَيْبَة اسم لمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه اسم حَدَثَ فى الإسلام ، وفى كلام لبعضهم « فأتينا طَيْبَةَ ونحن نَشْرٌ » . وكان بعض أهل اللغة يزعم أن الاختيار فيها طَيِّبة بالتشديد ، ولا ريبَ أنّ ذاك هو الأصل ، وطَيْبةُ اسم من أسماء النساء أيضًا مُخفّف من طَيِّبة . فأمّا قولُ العامة : الطِّيبة فى مصدر الشىء الطيِّب ، فأهلُ اللغة ينكرون ذلك ويختارون حذفَ الهاء فيقولون : هذا شىءٌ طَيِّبٌ بَيِّنُ الطِّيب . و« الثَّرَى » يُعنَى به التراب النَّدِىّ ، و « الثَّراءُ » كثرة المال . ويُروَى « بُرْدَ نَدًى وبُرْدَ ثَرَاءِ » أى لاكتستْ أرضُها نباتَ النَّدَى دُونَ المطرِ على المبالغة . أى لو سارَ خالدٌ إلى هذه المواضع لأخصبتْ .

٧ لا يُحْرَمِ الحَرَمَانِ خَيْرًا إنَّهُمْ حُرِمُوا بِهِ نَوْءًا مِنَ الأَنْوَاءِ

دعا لأهل الحرميْن ، أى لا يُحرَم أهلُ الحرمين ، وهذا كما يقال هَلَكت اليمامةُ يُراد أهلُ اليمامة . وإنما دعا لهم تَرثِّيًا ورحمةً لما حُرِموه من جُوده . و « الأنواء » معروفة ، والذى يُراد بالنَّوْء هنا المطرُ الذى يجىء عند سُقوط النجم ، والنوءُ يُستعمل فى السقوط والطلوع . و « الحَرَمان » يُراد بهما مكةُ والمدينة .

٨ يا سَائِلِى عَنْ خالِدٍ وفَعَالِهِ رِدْ فَاغْتَرِفْ عِلْماً بغيْرِ رِشاءِ

(١) الديوان ١٧٠ .

(٢) م ، ل ، س : « برد ندى » .

جَعل العِلْمَ به كالعيْنِ الغزيرةِ القريبةِ مَثلاً . أى أصْغِ إلىّ سمعَك ، وخُذْ علمَ ما أردتَ سهلاً بغير مشقَّة ، كمن ورَدَ ماءً فَغرَفَ منه بيديه دونَ رِشاءٍ ولا دَلْو .

٩ أَنْظرْ وإِيَّاكَ الهوَى لا تُمْكِنَنْ سُلْطَانَهُ[1] مِنْ مُقْلَةٍ شَوْسَاءِ

يقول : انظرْ نَظراً قاصداً إلى الحق ، ولا يَستمِلْك شيطانُ الهوَى .

(ع) : كان النحويون المتقدّمون يرَوْن أنّ « إيّاك » ينبغى أن تُستعمل مع الواو مثلَ قولهم إيّاكَ وزيداً ، وينكرون مجيئها على غيرَ ذلك إلاّ أن تُستعمل بـ «أن» كقولك إيّاك أن تقومَ ، وإيّاك أن تذهبَ، والواو عندهم مُرَادة ، كأنه قال إيّاك وأنْ تذهب ، ولكن الواو حُذفت كحذف الباء مع « أنْ » فى مواضع كثيرة ، وكذلك تُحذف معها حروف الخفض ، يُقال نَهيتُكَ أن تفعل أى عن أن تفعل ، وأمرتُك أن تفعل ، والمراد بأن تفعلَ ، فإذا عُدِمتْ قَبُحَ عندهم الحذفُ إلاّ فى ضرورة الشعر كقوله :

إيّاكَ إيّاكَ المِراءَ فإنّه إلى الشرّ دَعّاءٌ وللشرّ جالبُ[2]

وأصحاب هذا القول يرونَ أنّ الحذفَ جازَ مع المِراءِ لأنه مصدرٌ لماريتُ فهو مؤدٍّ معنَى أن تُمارى ، وكذلك الهوَى مُؤدٍّ معنى أن تهوَى . وقيل نُصب المِراءُ بفعل مُضمر سوَى الذى يَنتصب به إياك . وأمّا غيرُ هؤلاء فلا يرون بحذف الواو بأساً مع « أنْ » وغيرها ، لأنهم يتأوّلون المعنى إذا قالوا إياك أن تقومَ على تقدير قولك أُحذّرك أن تقومَ . فلما جاء الضمير المنفصل استغْنى عن المتصل ونابَ ظهوره عن ظُهورِ الفعل . و « السلطان » المعروف فيه التذكير ، وقد حُكى تأنيثُه . و « شَوْساء » من قولهم : رجل أشْوَس إذا نَظَرَ فى شِقٍّ من الغَضَب ، وقيل هو أن يجمع أجفانَه ويُضيّقَ نَظرَه .

---

(١) س ، د : « شيطانه » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ من غير عزو . وفى خزانة الأدب ١ : ٤٦٥ ينسب للفضل بن عبد الرحمن القرشى يقوله لابنه القاسم بن الفضل .

١٠ تَعْلَمْ كَمِ افْتَرَعَتْ صُدورُ رِمَاحِهِ وسُيُوفِهِ (١) مِنْ بَلْدَةٍ عَذْرَاءِ

« افترعَتْ » من قولهم افترعَ الرجل البِكْرَ إذا افتضَّها . و « العَذْراء » التى لم تُفتَضّ . يقول : كم افتتحَتْ من بلدةٍ عذراءَ لم تُفتَتح قبلَه ، فكانت كجاريةٍ بكرٍ افترعَها [ص] وأصل الافتراع إخراج الدَّمِ ، ومنه الحديث : « لا فَرَعَةَ ولا عَتِيرَة » فالفَرَعَة ذَبيحةٌ كانوا يذبحونها لآلهتهم نَذْرًا عليهم ، أوَّلَ بطنٍ تَلِد الناقة ، ومنه قول الراجز يُخاطب الضَّبُعَ وقد أخذتْ شاةً من غَنَمه :

أفْرَعتِ فى قَرارِى
كأنَّمــا ضِرارى
أردْتِ يا جَعَارِ (٢)

قَراره غَنَمه ، قال علقمة :

والمالُ صُوفُ قَرارٍ يلعبونَ بــه على نِقَادَتِه وافٍ ومَجْلُومُ (٣)

وفرعتُ دمَه صببْتُه . قيل والعذراء أخذتْ من الضّيق والمَنَعَة ، ومنه تَعذّرت حاجتُه : ضاقت وامتنعت ، وقيل افتَرَعها علاها .

١١ ودَعَا فأَسْمَعَ بالأَسِنَّةِ واللُّهَى (٤) صُمَّ العِدَى (٥) فى صَخْرَةٍ صَمَّاءِ (٦)

صُمّ العِدَى هم العُتاة الذين لا يُجيبون إلى صلحٍ ولا غيره . وأرادَ

(١) فى الأصول « وسيوفه » بالرفع ، وقال ابن المستوفى : والجر أجود معنى ، لأنه لما جعل للرماح صدوراً صار الأولى أن يكون للسيوف صدور ، لأن استعمال الصدور للسيوف أكثر من استعمالها للرماح ، وكلا روايتى الرفع والجر فى قوله « وسيوفه » جائز حسن ، والجر أحسن لما ذكرته .

(٢) هذا الرجز فى اللسان مادة (قرر) غير معزو ، وهو مما أنشده ابن الأعرابى ، وروايته فيه « أسرعتِ فى قرارى » وقال القرار النَّقد — وهو جنس من الغنم — وجعارِ كقطام الضبع . وفى مادة (فرع) رواه صاحب اللسان أيضاً عن ثعلب ، وروايته هذه المرة «أفرعتِ فى فُرارى» ، وقال الفرار بالفاء الضأن.

(٣) البيت فى شرح الشعراء الستة : ٦٤ ، المفضليات ٢ : ٢٠١ ، السمط ٩٣٧ واللسان مادة (قرر) ، وفسره بقوله : أى يقل « المال » عند ذا ويكثر عند ذا . ونِقادةٌ ونِقادٌ ونَقَدَ جمع نقدة : الصغيرة من الغنم ، وجلمَ الصوف جزه .

(٤) فى ه س : « والقنا » رواية أخرى .

(٥) ق : روى بعضهم « صمّ الصدى » أى أسمع حيث يتعذر الإسماع .

(٦) س : « فى الصخرة الصماء » — د : « من صخرة » .

بالصخرة الصَّمَّاء المنيعة. واللُّهَى جمع لُهْوة وهى العطيَّة . والمعنى : أنَّ عِداهُ يَدِلُّون له إمَّا بحرب وإمَّا بجُود وعطاء . وضَربَ صمَّ العِدَى مثلاً للحيَّة التى لا تَسمعُ رُقْيَةً[1] .

١٢ بمجامع الثَّغرين ما ينفكُّ من[2] جيش أزبَّ وغارةٍ شعواء

(ع) : شبّه الجيش بالأزبِّ وهو الكثيرُ الشعر ، وإنما يريد كثرة الرماح ، وهذا مأخوذ من قول الأول :

فلو أنَّا شهدناكم نَصرْنا بذى لَجَبٍ أزبَّ من العوالى

وقد شرحَ أبو الطيب هذا المعنى فى قوله :

صَدَمْتَهم بخميسٍ أنتَ غُرَّتُه وسمهريَّتُه فى وجهه غممُ

و « غارة شعواء » أى متفرّقة ، وقلَّما يصرفون منه الفعل ، ولا يقولون للذكر أشْعَى ، وأراد بالثغريْن حيثُ تلتقى ثغورُ المسلمين وثغورُ المشركين .

١٣ من كلِّ فرْجٍ للعدوّ[4] كأنَّه فَرْجُ حِمًى إلاَّ من الأكْفاء

(ع) الفرْجُ موْضع المخافة ، كأنّهم يريدون أن المكان قد حُفظ إلا ذلك الموضع ، وهو مأخوذ من فرْج الدُّرَّاعة والقميص. وقال غيره : الفرْج الثغر ، شبّهه بفرج لمرأة يُحمى إلاّ من كفء لها فى النكاح . [ص] : يقول إنه فتحَ هذه المواضع التى كانت مُمتنعةً على غيره حتّى كان كفؤًا لفتحها كالفرْجِ الذى يُمنع إلا من الأكفاء * .

١٤ قد كان خَطْبٌ[5] عاثرٌ فأقالَه رأْىُ الخليفةِ كوْكبُ الخُلَفاء

[ص] : ويُروى « عاير » . يقول للممدوح : كان هذا الخطبُ عثَر بك

(١) قال ابن المستوفى : وليس فى قول أبى تمام ما يدعو إلى أن يشبهوا بالحيّة الصماء .

(٢) م ، ل ، ب ، ن ، د : فى .

(٣) من قصيدته لسيف الدولة التى مطلعها « عقبى اليمين على عُقْبى الوغى ندم » .

(٤) د : « العداة » .

(٥) ظ : وفى الطرة يروى « خطو » وفيها « عاثر » ، يريد « قد كان خطو عاثر » ، وهذه الرواية مع قوله « فأقاله » حسنة مستعمل مثلها فى كلامهم ، ورواية « عاثر » مع قوله « قد كان خطب » من قولهم عَارَ الفرس إذا أخذ فى غير جهة لنشاطه . يصف شدة الخطب وأنه غير واقف عند حد .

ورواية د : « خطباً عاثراً » .

حتى أقالك الخليفة . ومن خبره أنه رَفع بعضُ العُمَّال إلى المعتصم أنَّ خالدَ بن يزيد اقتطعَ الأموالَ فاحتجزَ بعضَها وفرّق بعضَها ، فغضب المعتصمُ وحلَفَ ليقتلنَّ خالدًا أو ليأخذنَّ مالَه أو لينفينَّه ، فلجأ إلى ابن أبي دُوَاد ، فاحتالَ حتى جمع بين خالدٍ وبين خَصْمه ، فلم تَقُم على خالدٍ حُجَّةٌ ، وأحضرَه المعتصم للعقوبة ، وقد كان ابن أبي دُوَاد عرّفَ المعتصمَ خبرَه وبُطلانَ ما رُفع إليه وشَفَعَ فيه فلم يشفّعه ، فلما أحضر المعتصم خالدًا حضرَ ابنُ أبي دُوَاد ، فجلسَ دونَ مجلسِه ، فقال له المعتصم : إلى مكانك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ما أستحقّ إلاّ دونَ هذا المجلس . فقال : وكَيفَ ذاك ؟ فقال : لأنّ الناسَ يزعمون أنه ليس محلّي محلَّ مَن يُشَفَّعُ في رجل . قال : فارتفِعْ إلى موضعك . قال : مُشَفَّعًا أو غيرَ مُشفَّع ؟ فقال : بل مُشفَّعًا ، قد وهبتُ خالدًا لك ، ورضيتُ عنه لكلامك . قال : إنّ الناس لا يعلمون برضاك عنه بعد غضبك إلاّ بعد أن تخلع عليه . قال : اخلعوا عليه . قال : وقد استحقَّ هو وأصحابُه أرزاقَ ستةِ أشهرٍ سيقبضونها ، فإن أمرتَ لهم بها في هذا الوقت قامَتْ مقامَ الصِّلة . قال : ليُحمَلْ معه ما يستحقّه هو وأصحابُه . فخرج خالد وعليه الخِلَعُ وبين يديه المال ، وإن الناسَ لَينتظرون الإيقاعَ به ، فصاحَ به رجلٌ : يا سيّدَ العرب ! فقال له : كذبتَ واللهِ ، سيّدُ العربِ ابنُ أبي دُوَاد *

١٥ فَخَرَجْتَ مِنْهُ[1] كالشِّهابِ ولم تَزَلْ مُذْ كُنْتَ خَرَّاجًا مِنَ الْغَمَّاءِ

أي خرجتَ من الخَطْب الذي أغضبَ الخليفةَ كما يخرج الشهابُ مُضيئًا صافيًا من العَيْب ، والشِّهابُ النجم ، والغَمَّاء الشدّة المظلمة .

١٦ مَا سَرَّني بِخِدَاجِهَا مِنْ حُجَّةٍ[2] ما بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إلى صَنْعَاءِ

[ص] يقول : ما سرّني بنُقصان حُجَّة خَصمك أنّ لك[3] ما ذكرته .
(ع) والخِداجُ النُّقصان ، وأصله في الولد أن يخرجَ ناقصًا ، يقال أخدجت الناقةُ إذا ألقتْ ولدَها ناقصَ الخَلْق وإن كانت شهورُها تامّة ، وخَدَجتْ

---

(١) م ، س : « منها » .
(٢) س : « حجة » بفتح الحاء ، وقال ابن المستوفي : وفي حاشية النسخة التي ذكرتها : الصواب « من حَجة » وهو مما صحّف فيه الصولي . (٣) في ل ، ظ « أنّ لي » .

إذا ألقَتْه لغير تَمَام. وقال قوم خَدَجَتْ وأخدَجتْ سواء ، وهذا القول أشبه بكلامهم لأنّ « فَعَل » وأفعلَ يشتركان كثيرًا . « وأندلُس » كلمة غير مستعملة فى القديم وإنما عرفتها العربُ فى الإسلام ، وقد جرَت العادةُ بأن تَلزَمَ الألفَ واللّام ، وقد استُعمِل حَذْفُها فى شعرٍ يُنسَب إلى بعض العرب وهو قوله :

سألتُ القومَ عن أنَسٍ فقالوا : بأندُلسٍ ، وأندُلُسٌ بَعِيدُ

والأندَلس بِناء مُستَنكر إن فُتحتِ الدالُ وإن ضُمَّت. وإذا حُملتْ على قياس التصريف وأجريتْ مجرَى غيرها من العربىّ فوزنها فَعْلَلُلُ وهذا بناء مُستَنكر ، ليس فى كلامِهم مثلُ « سَفَرْجَلٍ » ولا « سَفَرْجُلٍ » . فإن ادّعَى مُدّعٍ أنها « فَنَعْلَل » فقد خرجَ من حُكْم التصريف ، لأنّ الهمزة إذا كان بعدها ثلاثةُ أحرفٍ من الأصول لم تكن إلاّ زائدة . وعند سيبويه أنها إذا كانَ بعدَها أربعة أحرفٍ فهى من الأصل ، كهمزة إصطَبْل ، ولو كانت عربيةً لجاز أن يُدّعى لها أنّ وزنَها أنْفَعُلُ وأنها من الدَّلْس والتَّدليس ، وأنّ الهمزةَ والنونَ زائدتان كما زيدتا فى « إنْقَحْل » وهو الشيخ الكبير ، ذكرَه سيبويه فزعمَ أنّ الهمزة والنون زائدتان وأنه لا يُعرف مثلُه فى الكلام[1]. ومَن روى : « ماسرّنى بخِداجها من حَجَّةٍ » : أراد أنه لمّا فاته الحجّ فى تلك السنة ماسرّه عِوَضًا منها ما بين أندلسَ إلى صنعاء مِلْكًا ، كما يُقال : ماسرّنى به حُمْرُ النَّعَم .

١٧ أَجْرٌ ولكنْ قَدْنَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَجْرًا يَفِى بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ [2]

---

(١) فى اللسان (مادة دلس) : وأندُلُس جزيرة معروفة وزنها « أنفُعُل » وإن كان هذا ممالانظير له ، وذلك أن النون لا محالة زائدة ، لأنه ليس فى ذوات الخمسة شىء على « فعلُلُ » فتكون النون فيه أصلا لوقوعها مع العين ، وإذا ثبت أن النون زائدة فقد وَرَدَ فى أندلس ثلاثة أحرف أصول وهى الدال واللام والسين وفى أول الكلام همزة ، ومتى وقع ذلك حكمت بكون الهمزة زائدة ولا تكون النون أصلا والهمزة زائدة لأن ذوات الأربع لا تلحقها الزوائد من أوائلها إلا فى الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج وبابه ، فقد وجب إذن أن الهمزة والنون زائدتان وأن الكلمة بها على وزن أنفعُل وإن كان هذا مثالاً لا نظير له .

(٢) هذا البيت لم يرد فى ش ، س . وشرحه ابن المستوفى قال : « أجر » أى الحج أجر . وقوله « ولم أجد أجراً يفى بشماتة الأعداء » قالوا أراد : النار ولا العار . قال : قد أجرتَ لأنك نويت الحج ولكن هذا الأجر لا يفى بعزلك الذى شمتَ به أعداؤك .

١٨ لَوْ سِرْتَ لَالْتَقَتِ الضُّلُوعُ عَلَى أَسًى
كَلِفٍ قَلِيلِ السِّلْمِ لِلْأَحْشَاءِ[١]

١٨ : [ص] كنَى بالسَّيْر عن الموت[٢]، وقد يُقال : أرقلَ إلى الموت ، وسارَ إلى الموت ، وأسرعَ إليه ، وقالوا : الإنسان سائر بعمله إلى أجله ، قال :

وإنّ امرءًا قد سارَ خمسينَ حِجَّةً إلى مَنْهلٍ مِن وِرْدِهِ لَقَريبُ[٣]

وقيل أراد لو سرت إلى البلد الذى أرادوا نفيَك إليه لاشتملتْ ضُلوعى على حزُنٍ كَلِفٍ بها مُلازمٍ لها ، قليلِ المسالمةِ للأحشاء . والأوّلُ أجودُ للبيت الذى بعده وهو :

١٩ وَلَجَفَّ نُوَّارُ الْكَلَامِ[٤] وَقَلَّمَا يُلْفَى[٥] بَقَاءُ الْغَرْسِ بَعْدَ الْمَاءِ

ويُروى « بَهاءُ الغرس » . النُّوَّار والنَّوْر زَهْر النبات ، وضَرَبه مثلاً لبلاغتِه وحُسنِ منطقه واقتداره على المعانى . ويُروى « ولَجَفّ نُوَّار النَّوال » يقول : لزالَ حُسْنُ الشّعرِ وذهبَ رونقُه لذهابِك كما يَذهبُ بَهاءُ الغرسِ بعد الماء ، لأنك تُحيي الشّعرَ بجودِك .

---

(١) نقل ابن المستوفى فى هذا البيت بعض روايات عن النسخة العجمية التى يشير إليها فى كتابه فذكر رواية « لو تم » وقال : وفيها « على جوًى أسفٍ » . وقال : وفى نسخة أخرى : « أسًى كلبٍ » . وفى ه ب ، ه ن : ويروى « لانطوت الضلوع » .

(٢) قال ابن المستوفى فى الرد على الصولى : الكناية بالسير عن الموت بعيدة ، وإنما يريد لو رحلتَ لكان الأمر كما ذكر .

(٣) فى الأغانى ١٨ : ١١٩ (ط الساسى) قال أبو الفرج قال أخبرنى جحظة قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : إنى قد نظرت فى سنى فإذا أنا ابن ثلاثٍ وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدَةَ عام ، وإن امرءاً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريبٌ أن يَرِدَه والسلام . فسمع هذا أبو محمد التيمى فقال :

إذا ذهب القرنُ الذى أنت فيهم وخُلِّفتَ فى قرنٍ فأنت غريب
وإن امرءاً قد سار خمسين حجةً إلى منهلٍ من وِرْده لقريب

وانظر شرح ذيل الأمالى ص ٣ .

(٤) د : « نوار القريض » .

(٥) س ، ل ، ظ : « يبقى بهاء الغرس » وجاءت هذه الرواية أيضاً فى ه ن ، ه ب

٢٠ فالْجَوُّ جَوِّى إنْ أَقَمْتَ [1] بِغِبْطَةٍ   والْأَرْضُ أَرْضِى والسَّماءُ سَمائى

(ع) الجوّ ما بين السَّماءِ والأرض . والمعنى أنك لمّا أقمتَ صرتُ كأنني أملكُ السماءَ والأرضَ والجوَّ ، لأنى أعِزُّ بلك ويَنفُذُ ما آمرُ به . ويُروى « ما أقمتَ بغبطةٍ » [2].

(١) س ، ن ، ب ، ظ : « إذ أقمت » .
(٢) وهى فى ه ب .

٢

وقال يمدح محمدَ بن حسّان الضبيّ وكان مدح بهذه القصيدة يحيى بن ثابت :

١ قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ[(١)] فى الغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِى ؟!

الثانى من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : « قَدْكَ » فى معنى حَسْبُك ، وهى كلمة تُستعمل مع المضمرات كثيراً ولا يُعرف استعمالها مع الظاهر ، وإذا جاءت مع المضمر فإنما يُخاطب بها المواجَه ويَعنى بها المتكلمُ نفسَه ، فيقال قدْكَ يا رجل وقدْنى . قال زَيْد الخيل :

ولوْلا قولُه يا زيدُ قَدْنِى إذاً قامتْ نُوَيْرةُ بالمآلِ

وعند النحويين أنّ النون دخلتْ هاهنا لتبقى الدالُ على سكونها ، وربما قالوا قَدِى ، والفرّاء يجيز ذلك فى غير الضرورة ، وسيبويه يجعله من الضرورات ، وعلى ذلك تأوّلَ قولَ الراجز :

قَدْنِىَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِى
ليس الإمامُ بالشحيح المُلْحِدِ[(٢)]

فياء « قَدْنى » عنده مثل ياء « قدى » ، وحُذفت النون لإقامة الوزن ، كأنّ المعنى حسْبى حَسْبى . وقال غيره : الياء فى آخر البيت للإطلاق كأنّه قال حَسْبُ ، ولا يُعرف فى كلام فصيح قَدْهُ ولا قَدْهَا ولا قَدْ زيد . وقد زعم قومٌ أنها إذا استُعْملت مع الظاهر خفَضَتْه ، وقيل يجوز خفْضُهُ ونَصْبُه .

---

(١) س : « أسرفت » .

(٢) الرجز لحميد الأرقط ، وأراد بالخبيبين عبد الله بن الزبير وأخاه مصعباً ، وقيل عبد الله وابنه خبيب بن عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله يكنى بأبى خبيب ، قال الراعى :

ما إن أتيتُ أبا خُبيبٍ وافداً يوماً أريد لبيعتى تبـديلا

ومن روى الخبيبينَ على الجمع يريد ثلاثتهم ، وقال ابن السكيت : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه (اللسان مادة خبب) .

والصحيحُ أنها تُستعمل مع الكاف والنون والياء ، بهذه الأحرف جاء السماعُ من العرب .

ومعنى « اتئبْ » استحى ، وهى مأخوذة من الإبـَة أى الحيـاء ، وأصل الإبـَة وِئْبـَةٌ مثل وِجْهـَة فحذفت الواو كما حُذفتْ من عِدَة ، قال ذو الرِّمة :

إذا ما المرءُ [1] شبَّ له بَنَاتٌ   عَقَدْنَ برأسِهِ إبـَةً وعَارَا

وقال ضَمْرَةُ بن ضَمْرَة النَّهْشَلىّ :

أأصُرُّها وبُنَىُّ عَمِّى ساغِبٌ   وكفَاكَ من إبـَةٍ بذاكَ[2] وعَابِ!

وأمّا قولهم أوْأبـَهُ إذا أغضبـَه فالمعنى فعل به فعلاً يُستحيا من مِثْله ، قال الراجز :

لمَّا أتـَاهُ خاطِبـًا فى أرْبَعَهْ
أوْأبَهُ وسَبَّ مَنْ جاءَ مَعَهْ

و « الغُلَوَاء » فُعَلاء من غلا يغلو إذا زاد فى القول والفعل ، ومنه الغَلْوة بالسهم وهو أن يُرمَى به إلى غير غرَض لِيُنظرَ كَم مقدارُ ذَهَابه فى الأرض ، ويُقال فلان فى غُلَوَاءِ شبابه أى فى سَوْرته ونَمائه ، قال ابن قيس الرُّقَيَّات :

لم تَلْتَفِتْ لِلِدَاتِهـا   ومَضَتْ علـى غُلَوَائِها[3]

يريد أنها شبـَّت شبابـًا سريعـًا سَبقتْ فيه أترابـَها ،وكذلك يقال الغُصن فى غُلـَوائه أى فى أوّل زمانه وارتفاعه ، قال الشاعر :

إلاّ كناشِرَةَ الذى ضيَّعْتُم   كالغُصْنِ فى غُلَوائهِ المُتَنَبِّتِ[4]

---

(١) ب ، ن : « إذا المرَئى » بفتح الراء وهى رواية اللسان (مادة وأب نسبة إلى امرئْ ، وفيه قال ابن برّى : المرئى منسوب إلى امرئْ القيس ، رجل كان يعادى ذا الرمة ، على غير قياس ، وكان قياسه مرئى بسكون الراء على وزن مَرْعى. وقال فى مادة (مرأ) : وهو من القسم الذى وقعت فيه الإضافة إلى الأول دون الثانى لأن امرءاً لم يضف إلى اسم علم فى كلامهم إلاق قولهم امرؤ القيس، وأما الذين قالوا مَرَئى فكأنهم أضافوا إلى مَرْء فكان قياسه على ذلك مرئى ، ولكنه نادر معدول النسب .

(٢) ب ، ن : « علّ » . والوأب بالفتح الاستحياء والانقباض، وأب يَئب إبةً ، وأتأب استحيا .

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، والرواية فيه « على غلوائها » واللسان مادة « غلا » .

(٤) البيت فى اللسان مادة « نبت » قال : وقيل المتنبت هنا المتأصل ، وقوله « إلا كناشرة » أراد إلا ناشرة فزاد الكاف .

وقال : « كم تعذلون » فخرج من خطاب الواحد إلى خطاب الجميع ، ومثْله كثير فى القرآنِ والكلام القديم ، ومنه قوله تعالى : « يا أيُّها النبيُّ إذا طلَّقتم النِّساء » ، وقال جرير :

ياطيبَ هل مِنْ مَتاعٍ تُمتِعين به ضَيْفاً لكم راحلاً ياطيبَ عَجْلانا[(١)] ؟!

و « سُجَرائى » أى أصدقائى واحدهم سَجِير ، ويُحتمل أن يكون مأخوذاً من السَّجْر الذى هو حنين الإبل ، يقال سَجَرت الناقة سَجْراً إذا مدَّتْ صوتَها بالحنين ، كأنَّ كل واحدٍ منهما يُساجِر الآخر ، فصار المُفاعل فَعيلاً كما يُقال نادَمَه فهو مُنادِم ونَدِيم ، وقد يمكن أن يكون السَّجير من السَّجْرِ الذى هو المَلْء . كأنَّ كلَّ واحد منهما يُفضى إلى صاحبه بسِرّه وما يكتُمه عن غيره فيملأ به سوادَ قلبه ، ولا يمتنع أن يُؤخذ من السجْر الذى هو تفريغ الشىءِ كأنَّ كلَّ واحد منهما فرَّغ صدرَه لودِّ صاحبه . وجمع سَجِير سُجَراء .

ومعنى البيت أنه يقول له : [ص] حسبُكَ اسْتحى كم تعذلون وأنتم تحبون كما أُحب . وقوله : « قَدْكَ اتئبْ » كلام مختلف المعنى ، يريد ارفُقْ استحى ، والعرب ربما كرَّرت الشىءَ تريد التوكيدَ والمعنى واحد ، وهذا كقولهم عجِّلْ أسرِع ، ولا يكون هذا عندهم عيباً ، فكيف يعاب أبو تمام وقد جمع بهذا الكلام بين معنيين مختلفين *[(٢)].

٢ لا تَسْقِنِى ماءَ الملامِ فإنَّنِى صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِى

أى لا تلُمْنى فإنى عاشقٌ قد ألفتُ البكاءَ واستعذبتُه فلا أكاد أقلع عنه

---

(١) ديوانه : ٥٩٤ ، والرواية فيه « ضيفاً لكم باكراً » .

(٢) أتى الصولى فى شرحه بشاهد لم يذكره التبريزى وهو قول الراجز :

* مهلا رويداً قد ملأتَ بطنى *

وقال ابن المستوفى : هذا البيت من ردىء شعر أبى تمام ، إلا أن قوله : « قدك اتئب أربيتَ » كلام منتظم غير محتاج أن يقال فيه إنه مكرَّر للتوكيد ، ومعناه مختلف لأن أبا تمام ركبه تركيباً صحيحاً فقال حسبك ، استحى منى ، زدتَ فى ملامى . وقول الصولى « كم تعذلون وأنتم تحبون كما أحب » غير مستقيم ، وإنما أراد كم تعذلوننى وأنتم أصحابى وخلطائى وتعلمون ما بى . ثم قال : وفى حاشية الكتاب المذكور ط : إنما قال أبو تمام لواحد من أصحابه قدك ، وللثانى اتئب ، وللثالث أربيت ، يدل عليه قوله : « كم تعذلون » والأصحاب لا تكون أقل من ثلاثة . وهذا الذى ذكره بعيد متعسف ، وذلك لأن العرب تنصرف من خطاب الواحد إلى الجماعة وتفعل ذلك فى عكسه ، ولو استقام له ذلك لم يرجع أبو تمام إلى خطاب الواحد فيقول : « لا تسقنى ماء الملام » .

للوْمك إيَّاى ، فكُفَّ عنى [ص] وكما قال فى آخر البيت : « ماءَ بكائى » قال فى أوله : « لا تسقنى ماء الملام » وأقحم اللفظ على اللفظ إذْ كان من سببه ، كقول الله تعالى : « وجزاء سيِّئَة سيِّئَةٌ مثلُها » . فالثانية جزاءٌ وليست بسيئة ، فجاء باللفظ إذْ كان من سببه ، لأن الله تعالى يقول : « ولَمَنِ انتَصَر بعد ظُلْمه فأولئك ما عليهم من سبيل » ، وقال : « فبشرْهم بعذاب أليم » والبشارةُ إنما تكون فى الخير لا فى الشر [ع] : جعل للملام ماءً مستعاراً ، وإذا كان مما يَقع عليه التشبيه فهو أقرب وأيسر كقول الطِّرِمّاح :

فقلت لها يا أمَّ حسَّانَ إنَّه هُرِيقَ شَبَابِى واستَشَنَّ أدِيمى [1]

جعل الشبابَ يُهرَاق لأنه قد يُشبَّه الشباب بالغصن الذى يُعتَصر منه الماء .

وقول ذى الرّمة [2] :

أأنْ تَرسَّمْتَ من خرْقاءَ منْزِلَةً ماءُ الصَّبابَةِ من عَيْنَيْكَ مَسْجومُ ؟ !

غير مستعارٍ لأن ثَمَّ ماءً وهو الدمع ، والمعنى الماء الذى يحدث عن الصَّبابة [3] .

٣ ومُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفِقُ بَيْنَهُ[4] رَايَاتُ كلِّ دُجُنَّةٍ وَطْفَاءِ[5]

(ع) : أصل التَّعْرِيس النزول فى آخر الليل ، وقيل بل أصل التَّعريس من عَرِسَ بالشىء إذا لَزِمه ، ومن ذلك قولهم عِرِّيسُ الأسَد وعرِّيسته للموضع الذى يألَفه ، ومن أمثالهم :

* كمُبْتَغى الصَّيدِ فى عرِّيسةِ الأسَدِ [6] *

---

(١) فى الأصول « واستسر » والتصحيح عن ظ ، واستشن السقاء أخلق ، والشن القربة الخلق . ولم نجد البيت فى ديوانه .

(٢) الديوان : ٥٦٧ ، والرواية فيه « أعن ترسمت » الخزانة ١ : ٣٧٩ ، أخبار أبى تمام ٣٤ .

(٣) تحدث الصولى فى كتابه أخبار أبى تمام حديثاً مستفيضاً عن هذه الاستعارة حين أنكرها بعضهم ، وكذلك الآمدى فى كتابه الموازنة (ط إسطنبول ص ١١٢) ولم يعبه بل دافع عن البيت ودلل على صحة الاستعارة .

(٤) س : « للبين » وبهامشها رواية الأصل – ظ : « للركب » .

(٥) فى ش ، د ، ل « فوقه » ، غير أن قول التبريزى فى شرح هذا البيت : « وقوله بينه . . إلخ » يدل على أن الرواية عنده « بينه » . وفى ق : « وسطه » .

(٦) مجمع الأمثال ٢ : ٦٩ ، والمثل فيه « كبتغى الصيد فى عرينة الأسد » يضرب مثلا لمن طلب محالا .

وخصّوا النزولَ بالليل فى أكثر كلامهم ، ويُنْشد :

فلوْ كنتِ ماءً كنتِ مـاءَ غَمامةٍ ولوكنتِ نَوْمًا كنت تعْريسةَ الفَجْرِ

أى النومُ الذى يكون عند التّعريسة . وقد يمكن أن يُسمَّى كلُّ مُقَامٍ مُعَرَّسًا ، قال أبو وَجْزَة :

تَجَلّلَنَها عالٍ عتيقٌ وزانَها مُعَرَّسُ مُهْرِىٍّ به الذَّيْلُ يَلْمَعُ

جعلَ موضعَ الجنين فى رَحِم الناقة مُعَرَّسًا له . وهذا فى بيت الطائى من المستعار ؛ لأن التّعريسَ إنما يُعرف لذوى الشُّخوص من الحيوان . و « الرايات » يعنى بها البروقَ لأنها تُشبَّه بذلك . و « الدُّجُنَّة » ليلة ذات دَجْنٍ ، وكأنه عَنَى السحابةَ فى هذا البيت . و « الوطْفَاء » من صِفة السحابة يُراد بها المتدلية الهيْدب ، أُخِذتْ من الجَفْن الأوطف وهو الكثير الشعرِ الطويل الهُدْب ، وكذلك الحاجب ، يُقال سحابة وَطْفَاء ، ولا يمتنع أن تُوصفَ الليلةُ بهذه الصفة إذا كانت فيها سحابةٌ ذاتُ وَطَفٍ ، ويكون هذا الصِّنْف مثلَ قولهم نامَ الليلُ وإنما يُنام فيه . وقوله : « تخفق بينَه » أى تضطرب كما تَخفِق الرايةُ إذا هبَّتْ بها الريح ، وإنما أراد البرقَ لأنه يُشبَّه بالرايات .

٤ نَشَرَتْ[1] حَدَائِقَهُ فَصِرْنَ مَآلِفاً لِطَرَائِفِ الْأَنْوَاءِ والْأَنْدَاءِ

(ع) : المعروف فى الحدائق أن تُستعمل فى النخل والكرْم ، والواحدة حديقة ، وإنما قيل لها ذلك لأنه يُبنَى حولها شىء يُحدِق بها يمنعها من دخول وحشٍ أو سارق ، فيجوز أن يكون استعار هذا اللفظَ لما يُنبته السحاب ، ولا يمتنع أن يعنى بالحدائق التى هى معروفة عند العامّة ثم أضافها إلى الغيث لأنه أمطرها وأرواها . فأمّا الحدائق فى الكتاب العزيز فمخصوصٌ بها النخل لقوله تعالى: « وحدائقَ غُلْبًا » وقالت امرأة من العرب :

أعْطيت فيها طائعًا أو كارها
حديقةً غلْبَاءَ فى جِـدارها

(١) ظ : ويروى « نُشرت » بالبناء للمجهول، وقال الآمدى : « نشرت حدائقه » أى حييت ، من قولهم أنشر الله الموتى فنشروا أى حيوا ، وأراد أن هذه الحدائق حييت بالغيث الذى ذكره .

فقولها « فى جدارها » يدلُّ على أنها سُمِّيَتْ حديقةً لأجل ما يُبْنَى حولها ، وكانوا يُسمُّون البستانَ الحائطَ لأنه يُبْنى حوله . فيكون معنى البيت على الوجه الأول : [ص] أنّ هذه السحابةَ نَشَرَتْ حدائقَ هذا المُعَرَّس ، أى نَبَّتَتْه ، فصارت الحدائقُ مآلِفَ لطرائفِ هذه الأمطار من كثرة تَرَدُّدِها عليه[1] .

٥ فَسَقَاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كافُورُ الصَّبَا[2] وانْحَلَّ[3] فيهِ خَيْطُ كُلِّ سَماءِ

(ع) : فى هذا البيت ثلاثة أشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط . والطَّلُّ أضعف المطر ، وإنما خَصَّه بالمسك لأن المطرَ الضعيف إذا أصاب الترابَ فاحت له رائحةٌ طيبة فكيف به إذا أصاب الرَّوض ؟ وجعل الكافورَ مستعاراً للصَّبَا لأنه أراد بَرْدَها ، وجعلها سبباً لمجىء هذا الطَّلّ ، فجمع بين شيئين متضادَّيْن من الطِّيب وهما الكافور والمسك لأن أحدَهما باردٌ والآخرَ حارّ. وقوله : « وانحلَّ فيه خيطُ كلِّ سماءِ » أراد بالسماء المطرَ ، وكَنَى بانحلال الخيطِ عن وقوع الغيث لأنّ الشيءَ إذا كان مشدوداً بخيط فانحلَّ أدَّى ذلك إلى سقوطه وتَبَدُّدِه ، وأصلُه فى القربة والمزادة ، وهذا كقولهم ألْقَى أرواقَه بمكان كذا وألقى الغيثُ بَعَاعَه أى ثِقْلَه[4] .

٦ عُنِىَ الرَّبيعُ بِرَوْضِهِ فَكأَنَّمَا أَهْدَى إِلَيْهِ الوَشْىَ مِنْ صَنْعَاءِ

شبَّه ألوانَ الزَّهَر بوَشْى صَنْعاء فكأنّ الرَّبيع تأنَّقَ فى تربيته ، وكانت صنعاءُ معروفةً بعمل الوَشْى ، وهو كلّ ما نُقِش من الثياب وحُسِّنَ ، ومنه

---

(١) ن ، ب : عليها .

(٢) ظ ، د : « كافور الندى » .

(٣) ﻫ س : ويروى « وانحط فيه » .

(٤) قال الصولى فى شرحه : « طيب الصبا يجمع الغيم و يجلب طيب الطل ، فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما فى شدة الحرارة ، ولا أعرف فى وصف كثرة المطر أحسن من قوله وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض وهو قوله : « وانحل فيه خيط كل سماء » ، وقال ابن المستوفى فى الرد عليه : لا معنى لقول الصولى وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض ، و إنما أراد أبو تمام حسن الاستعارة فجعل لكل مطر خيطاً معقوداً ثم جعله منحلا فيه ، يعنى سقاه كل مطر ، كما يقال حل السحاب عزاليه ، والعزلاء فم المزادة السفلى و إنما تكون مشدودة بخيط .

اشتقاق الواشى من الناس لأنه يُزيِّن القطيعة للأصدقاء ، ويُقال للذى ينقش الدِّينارَ واشٍ ، وكذلك لكلِّ ناقشٍ شيئًا ، قال الشاعر :

فما هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنانيرِ أَيْلَةٍ   بأَيْدِى الوشاةِ بارزًا يتأَكَّلُ(١)

[ع] وصنعاء اسم قديم ولم يستعملوه إلاَّ فى هذا البلد ، ولم يقولوا امرأة صَنْعاء ولا غيرَ ذلك ، فيجوز أن تكون كلمةٌ موضوعة لم يُستعمل منها مذكَّر ، ويحتمل أن يكون أصلُها أن تجرى على « أفْعَل » وتُرِكَ استعمالُه كما قالوا دِرْعٌ حَصْداء ولم يقولوا حديدٌ أحْصَد ، ولا ريب أنها سُمِّيت بذلك لما يُصنع فيها من البُرُود وغيرِها ، وهى ممدودةٌ ولا تجىء مقصورة إلاَّ فى الضرورة ، قال الشاعر :

خليلىَّ مِنْ عُلْيا هلالِ بن عامرٍ   بصَنْعاءَ عُوجا اليومَ وانتظرانى

وقال الراجز فى القَصْر :

* لا بُدَّ من صَنْعا وإنْ طالَ السَّفَرْ *

٧ صبَّحتُه بِسُلافَةٍ صَبحتُها   بِسُلافَةِ الْخُلَطاءِ والنُّدَمَاءِ

(ع) : « السلافة » الأولى مُرادٌ بها الخمر ، واشتقاقُها من قولهم سلَفَ أى تَقدَّمَ ، ويُقال إنَّ ذلك مَعْنىٌّ به أول ما يَسيل منها إذا اعتُصِرتْ ، ويقال هو ما بدَرَ منها من غير عَصْر ، ثُم كثُر ذلك حتى سَمَّوُا الخمر سُلافة ، وقالوا سُلاف الحديد يُريدون خالصَهُ ومُتقدِّمَه . و « السُّلافة » الثانية على معنى الاستعارة ، جعل الذين صبّح بهم هذه السُّلافةَ سُلافةَ مَنْ خالطَ ونادمَ ، أى أفضلَهم(٢)، وهذا من قول أبى نواس :

الرَّاحُ طيِّبَةٌ وليس تَمامُها   إلاَّ بطيبِ خَلائقِ الجُلاَّسِ(٣)

---

(١) البيت فى اللسان (مادة هبرز) لرجل يرثى ابناً له . رواه ابن الأعرابى وقال : الهبرزى الدينار الجديد أو هو الذهب الخالص كالإبرزى وهو الإبريز . وأيلة مدينة على شاطئ البحر فى منتصف ما بين مصر ومكة (معجم ما استعجم ١ : ٢١٧) وأنشد ابن الأعرابى (مادة أيل) .

فإنكم والملكَ يا أهل أيلةٍ   لكالمتأبى وهو ليس له أبُ

والوشاة ضرابو الدنانير . ويتأكل يأكل بعضه بعضاً من حسنه .

(٢) قال المرزوقى : يجوز أن يكون أراد: صبحتُ الخمرة بأخلاق لهم خالصة كريمة طيبة كالسلافة ، ويجوز صبحتها بخلصان الإخوان .   (٣) الديوان ص ٢٩٥ .

٨ بمُدَامَةٍ تَغْدُو المُنَى لِكُؤُوسِهَا خَوَلاً عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ

[ص] يقول : تساعد المُنَى الكئوسَ على السَّراءِ بالزيادة فيها ، وعلى الضرّاءِ بإزالتها حتى تُزيلَها(١) (ع) : المُدامة الخمر ، وقوله « بمُدامة » بدل من قوله فى البيت الأول « بسُلافة » لأنَّ البدلَ قد يُرَدُّ معه العاملُ ، فيقال مررت بأخيك بالرجلِ الصالح . والمُدامة قيل هى مِن أُديمَتْ فى الدَّنّ أى تركتْ فهذا من دام يدُوم ، وقيل سُمِّيتْ مُداماً ومدامةً لأنه يدام بها على الشُّرْب أى يُدَارُ ، ومنه اشتقاق الدُّوَّامة لدورانها ، وكلُّ شىءٍ استَثْبَتَّه فقد استدمْتَه ، ويقال استدام القومُ إذا استداروا ، قال الشاعر :

إذا فَزِعُوا لِصَاعِقَةٍ أَتَتْهُمْ رَأَوْا أُخرَى تُحرِّقُ فاستَدامُوا(٢)

والخَوَلُ أصلُه ما يَملكه الرجلُ مما خوَّله الله ، وأصل ذلك فى العَبيد والإماء والإبل ، ثم استُعير ذلك فى جميع الأشياء . وهو فى البيت مُستعار(٣) .

٩ رَاحٌ إذَامَا الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا كانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فى الأَحْشَاءِ

« الراح » الأولَى الخمر ، وهى من ذَوَات الياء لقولهم رِيَاح فى معنى رَاح ، ومنها اشتقاق الأرْيحىّ والأريحيّة ، وبعض الناس ينشد قول امرئِ القيس :

كأنَّ مَكاكِيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ رَحيقاً من رِيَاحٍ مُفَلْفَلِ(٤)

وكأنهم إذا استعملوا الشىء بالواو والياء فرقوا بإبدال إحداهما من الأخرى ليكون ذلك أقلَّ لِلَّبْس ، لأنهم لو قالوا رجل أرْوَحِيٌّ لالتبسَ بالنَّسَب إلى

---

(١) وهذا لفظ المرزوقى كما فى ظ .

(٢) البيت لجرير (ديوانه ٥١٣) وروايته فيه : « إذا أوقعتُ صاعقة عليهم » . وكذلك هو فى اللسان (مادة دوم) .

(٣) قال المرزوقى فى ق : والخول جمع خائل وأصله الراعى ، يقال : هو يخول على أهله ، وهو قول الفراء . كما فى ظ ، وفيها كلام المرزوقى هذا ، وقال : وقال غيره هو من التخول أى التمليك . فعلى الوجه الأول كما يقول ابن المستوفى أراد تغدو المنى وقد غضبت لأصحاب كؤوسها كيف يتصرف فيهم غيرها من نحو الفكر والهم . وعلى الوجه الثانى أن المنى تصير مملوكة لهم يتصرفون فيها فى حالتى سرائهم وضرائهم فيتمنون ضروب الأمانى وهذا يحكيه معظم من يشرب الخمر .

وقال أيضاً : وفى نسخة : أى تصير الأمانى خولا لكؤوسها فيظن شاربها أنه أغنى الأنام وأنه خول كل شىء كما قال : وإذا شربت فإننى رب الخورنق والسدير

(٤) رواية البيت المشهورة فى معلقة امرئ القيس : « صبحن سلافاً » .

أروَح ، إذا قلتَ هذا أروح مِن هذا ، وهذا ظَلِيمٌ أروَح ، فيؤثِرونَ الفرقَ فى كثير من الكلام إذا وَجدوا سبيلاً إليه . و « الرَّاح » الثانية جمع رَاحة الكفِّ ، فأمَّا الراحة من التَّعب فقد جاءتْ بالهاء وبغير الهاء ، وهذا البيت أنشدَه الفرّاء على الوجهين :

ما لَكَ لا تَنْحِمُ(١) يا فَلاَحَهْ
إنَّ النَّحِيمَ للسُّقاة رَاحَهْ ؟

وبَعضُهم يُنشِد : « يا فَلاحُ » ، « إنَّ النَّحِيمَ للسُّقَاة راحُ » فأمَّا قول الآخر :

ولقيتُ ما لقيتْ مَعَدٌّ كلُّها ونسيتُ(٢) رَاحي فى الشباب وخالى

فيُقَال إنه أرادَ بالرَّاحِ الأريحيَّةَ وبالخالِ الخُيَلاء . وقوله « كُنَّ » رَدّه على جمع الرَّاحة ، وإذا جاءَ الجمع ليسَ بينه وبين واحدِه إلاّ الهاء جازَ فيه التأنيث والتَّذكير ، فيقال على هذا : الرَّاح مُلىءَ مِن عطائك ، ويَجوز مُلِئتْ ، على قول مَنْ قال النساء قامتْ ، ومَن قال النساء قُمنَ قال الرَّاح مُلِئْنَ . « والمَطِيّ » جمع مَطِيَّة ، وقِيلَ إنها سُمِّيت بذلك لأن مَطاها يُركَب أى ظهرُها ، وقيل سُمِّيتْ بذلك لأنَّها يُمطَى بها السير أى يُمَدّ ، ويقال للذَّكرِ والأنثى مَطِيَّة(٣) .

---

(١) فى الأساس نحم الفهد نحيماً صوّت ، والجمال ينحم ويستعين بنحيمه على حمله ، وكذلك نازع الدلو . ثم ذكر البيت وقال : ورجل نحّام : بخيل ، إذا سئل نحم .

وفى اللسان ذكر البيت ، أنشده ابن برى على الرواية الثانية ، وأنشده أبو عمرو على الرواية الأولى ، وقال : فلاحة اسم رجل .

(٢) البيت للجميح بن الطماح الأسدى كما جاء فى اللسان مادة « روح » وروايته فيه « وفقدت راحى » وهى أيضاً رواية نسختى ن ، ب . وقال : الراح الارتياح ، والخال الاختيال والخيلاء ، فقوله « وخالى » أى اختيالى .

(٣) قال الصولى فى شرح البيت : يعنى أن شاربها يرتاح ويشتاق أحبابه ، فكأن الكؤوس كانت مطايا لهذا الشوق حملته حتى أدته . والراح الخمر لارتياح شاربها . وفى ظ : قال ابن المستوفى وفى نسخة : « كانت مطايا الشوق فى الأحشاء » يعنى أنها حملته بعد أن كان ساكناً فحركته وبعثته إلى الشائق ، وهذا مثل قوله : « ماء الملام » « وماء بكائى » لما جعل الأكف مطايا الراح جعل الراح مطايا الشوق . ويجوز أن يكون حملته لترحله عن الأحشاء بمعنى أنها تنسيه .

وقال ابن المستوفى فى آخر كلامه : وقلما تقع استعارته مستهجنة رديئة ، وقد وقع منها فى هذه القصيدة جملة .

١٠ عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبكَتْ لها ذَهَبَ المَعَانِى صَاغَةُ الشُّعَرَاءِ

أىْ عِنَبِيَّةُ الأصلِ ذَهَبِيَّةُ اللَّوْن . يقول : هذه الخمرُ ممَّا اعتُصرتْ مِن العِنَب ولونُها لون الذَّهب ، وقد بالَغَت الشعراء فى وَصْفها حتَّى اختاروا لها معانِىَ وألفاظًا كأنَّها سبائك الذهب ، و « سَبَكتْ » أذابت .

١١ أَكَلَ الزَّمَانُ لطُولِ مُكْثِ بَقَائِها مَا كانَ خامَرَهَا مِنَ الأَقْذَاءِ[١]

١٢ صَعُبَتْ ورَاضَ المَزْجُ[٢] سَيِّئَ خُلْقِهَا فتعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاءِ

١٢ — [ص] يقول : هى شَدِيدةٌ قَوِيّة والماء لَيِّن ، فإذا مُزِجَتْ به أخذَتْ من لِينه[٣] فسَهُل شُرْبُها .

١٣ خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقولِ حَبَابُهَا كَتَلَعُّبِ[٤] الأَفْعَالِ بِالأَسْمَاءِ

[ع] « الخَرْقَاء » التى لا تُحسِن العملَ مِن النِّساء ، فاستعارَ هذه الكلمةَ للرّاح ، ولعلَّها ما وصِفَتْ بالخُرْقِ مِن قِبَلِ الطائى ، ثُمَّ ذَكَرَ مع ذلك أنها تُحسِن اللَّعِبَ بعقُولِ الشَّرْب كتَلَعُّب الأفعالِ بالأسماءِ ، يُرِيد أنَّها تغيِّرها من حال إلى حال فترفعها تارةً وتَنصِبُها أخرَى » . [ص] و « الحَبَاب » طرائِق الماءِ فيها إذا مُزِجَتْ .

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ش ، ل ، د ، ظ . وجاء فى نسختى ب ، ن من التبريزى وفى م من الصولى ، وروايته فيها « بطول مكث بقائها » .

(٢) فى ظ : قال الصولى : ويروى « وراض الماء » ، ولم أجد هذه الرواية فيما بين يدى من نسخ الصولى .

(٣) قال ابن المستوفى أخذه من قول أبى نواس :

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تُهينها

(٤) س ، د : « كتلاعب » .

١٤ وضَعيفةٌ فإذا أصابتْ فُرْصَةً(١) قَتَلَتْ، كذلِكَ قُدْرَةُ الضُّعفاءِ

[ص] يقول: الخمرُ على شدّتها ضَعيفةٌ ليسَ لها بَطْشٌ، فإذا أُكْثِرَ منها قَتَلَتْ. وقوله: «كذلكَ قدْرةُ الضعفَاء» يعني أنّ الضعيفَ يَعمل الشيءَ بفَرَق فهو لا يُبْقي مخافة أن يُعطَفَ عليه فلا يكون فيه فَضْلٌ للمقاومة(٢)* و «الفُرصة» الخُلْسَة، وقد ألمّ بقول الشاعر:

ضَعَائفُ يقتُلْنَ الرّجَالَ بِلاَ دَمٍ فيا عَجَبًا للقاتلاتِ الضّعائفِ(٣)!

١٥ جَهْمِيَّةُ الأَوْصافِ إلّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الأَشْيَاءِ

[ع] ويروى «جَهْمِيّة الوصّافِ(٤)» وهو أجود من «الأوصاف» لِقَوْلهِ «لقّبُوها» فأعادَ الضميرَ إلى المذكورين، فهو أحسن من الرّواية الأخرى.

وهذا البيت مبنيٌّ على ما قبلَه، وهو نحو من قوله: «خَرْقاءُ يَلعَبُ بالعُقُولِ حَبَابُها» لأنه أخبر عنها بالشيءِ وخلافه.

والجهميّة طائفةٌ من المتكلّمين يُنسَبون إلى رجل يُقال له جَهْمٌ، ومِن اعتقادهم أنّ الإنسانَ لا يستطيع أن يفعلَ شيئًا ويُلزمونَه العقوبةَ على ما يفعل فتقَعُ بذلك المناقضة.

والطائيُّ مِن وصّاف الخَمْر، فكأنّه قد ذهَبَ مَذْهبَ جَهْم لأنه يجعل الخمرَ لا فِعْلَ لها، ثم يَزعُم أنّها أسْكَرتْه وشوّقته، فيختَلفُ خَبَراه عنها في الحال الواحدة. وقوله «جَوْهر الأشياءِ» هذا ضَرْب من صِناعة الشعر يسمّيه

---

(١) ل: «قوة» — ظ، ه س: «قدرة» — وجاء في ظ أيضاً: ويروى «غفلة»، وفي د «فرصة الضعفاء».

(٢) وقال الصولي في شرحه: وقد ألمّ في هذا بقول جرير في النساء فصيره في الخمر:

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

(٣) نسب ابن المستوفي هذا البيت إلى عمارة بن عقيل وقال: وإلمام أبي تمام ببيت عمارة أوضح من إلمامه ببيت جرير.

بعد قوله «ضعائف» البيت يبدأ خرم كبير في نسخة ن وسننبه إلى انتهائه.

(٤) كذا رواها المرزوقي في كتابه، وكذلك جاءت هذه الرواية في ه س.

أصحاب النقد التَّورية ، وذلك أنه ذَكَرَ هذه الطائفةَ مِن المتكلمين — ومن شأنهم أن يتكلموا فى الجوهر والعَرَض — فأوهمَ السامعَ أنه يُريد الجوهرَ الذى يستعمله أصحاب الكلام ، وإنما يُريد الجوهرَ الذى هو رَوْنَق الشىءِ وصَفاؤه ، مِن قولك ظَهرَ جَوْهر الشىءِ ، أى أنَّ الأشياءَ لَيسَ لها حُسْنٌ إلاَّ بالخمر . وأصحاب المنطِق يجعلون الجوهر الذى يُسمِّيه غيرهم الجِسْم ، فالأرض عندهم جَوْهَر ، وكذلك الإنسانُ والفَرَس . والمتكلِّمون المُحْدَثُون يقولون الجوهر الجزء الذى لا يَتَجَزَّأ ، وهذا الفن من صِناعة النظم مثل قول البحترى :

* بَيْضاءُ تَمْلُح فى القُلوبِ وتَعْذُبُ[1] *

فظاهر اللفظ يَدل على أنَّ « تَملُح » مِن المُلُوحة وهو ضد « تَعْذُب » ، وإنما أراد « تَمْلُح » مِن المَلاحة فاتَّفَقَتْ له التَّورِيَة . * (المرزوقى) يقول : كان جَهْمُ بنُ صَفْوانَ يَمتنع من أن يُسَمَّى اللهَ تعالى شيئًا ، ويعتقد أنَّ هذه اللفظةَ إنما تطلَق على المُحْدَثات : الجَواهِر والأعراض ، فيقول : رَقَّتْ هذه الخمرة حتّى كادَتْ تَخرج مِن أن تكون عَرَضًا أوجوهرًا ، وأنْ تُسَمَّى شيئًا ، إلاَّ أنها لفخامة شأنِها لُقِّبَتْ جَوْهرَ الأشياء . ويجوز أن تكونَ لِعِتْقها وقِدَمِها سُمِّيتْ أصْلَ الأشياءِ وأوّلَ الأشياء[2] .

---

(١) ديوان البحترى (ط إستامبول) ٢ : ١٨٨ والبيت فيه :

ووراء تسدية الوشاة ملية ... بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

(٢) كثر الكلام والخلاف فى هذا البيت وتفسير مذهب جهم بن صفوان . فقال الصولى : مذهب جهم الجحد وقلة التحصيل ، فيقول : من رقتها تكاد لا تُتحصل إلا أنهم على حال قد جعلوها جوهراً أى أصلا للأشياء ، يريد قدمها .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للمرزوقى يرد به على الصولى قال : والذى نسبه إلى جهم من الجحد وقلة التحصيل ليس بمذهب جهم ، والحق فى هذا هو أن من مذهب جهم بن صفوان أن يمتنع من أن يسمى الله تعالى شيئاً . . . فيقول أبو تمام : هذه الخمر لرقتها لا يسمونها شيئاً لكنهم لعتقها وقدمها جعلوها أصل الأشياء وجوهرها . وهذا هو الذى لا يجوز غيره ، وقد بسطناه بأتم من هذا فى تفسير المشكلات .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للآمدى فى هذا البيت يقول : قد أكثر الناس فى تعاطى تفسير « جهمية الوصاف » وأقرب ما سمعت فيه أن جهماً كان يقول إنه ليس شىء على الحقيقة إلا الله تعالى ، إذ كل شىء يبطل ويتلاشى غيره ، والأشياء كلها أعراض ألفها وخلقها ، وأظن أن أبا تمام أراد أن الراح لرقتها عرض لا جسم ، وهذا مذهب قريب . وقوله : « قد لقبوها جوهر الأشياء » وهو الذى لم أرهم يصححون له تفسيراً إلا على الظن ، لأنهم ما رأوا أحداً لقبها هذا اللقب ، وقد سمعت من يقول إنما أراد قدمها فإن من=

١٦ وَكأَنَّ بَهْجَتَها وبَهْجَةَ[(١)] كأْسِها نَارٌ ونُورٌ قُيِّدَا بِوِعَاءِ

[ص] شَبَّهَ الخمرَ بالنَّار والزُّجاجَةَ بالنُّور قد اجتمعا .

١٧ أَوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبَلًا[(٢)] عَلَى يَاقُوتةٍ حَمْرَاءِ

(ط)[(٣)] يُروَى « أُطبِقَتْ » و « أَطبَقَتْ » . وانتصاب « حَبَلاً » على الأوّل على المصدر ، وعلى الثانى على أنه مفعولٌ به ، أى وضَعتِ الحَبَلَ على ياقوتة حَمْراء .

(ص) شَبَّهَ الكأسَ بِدُرَّة بِكْرٍ لم تُثْقَبْ ، والخمرَ بياقوتةٍ حَمْراء ،

=أسمائها الخندريس، والخندريس القديمة، ولعمرى إنها قديمة ولكن ليست جوهراً للأشياء ولا هى أول لها . وما زلت أسمع الشيوخ يقولون هذا البيت من وسأوسه وتخليطه ، لأن الشعر إنما يستحسن إذا فهم ، وهذه الأشياء التى يأتى بها منغلقة ليست على منهب الأولين والمتأخرين .

وفى قول الآمدى : « لأنهم ما رأوا أحداً لقبها هذا اللقب » يقول ابن المستوفى : ما أظن أبا تمام أراد به مواضعة الناس على هذا البيت لها ولا اصطلاحهم عليه ، وإنما أراد أن أصحاب جهم بن صفوان لقبوها بذلك ، كما أخبر أن أوصافها جهمية أخبر أنهم وصفوها بذلك ، ولهذا قالوا إن رواية «جهمية الوصّاف» أولى لإعادة ضمير « لقبوها » إليهم .

وقال ابن المستوفى : وفى حاشية الكتاب الذى نقلته فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية بخط يحيى بن محمد ابن عبد الله الأرزنى : الذى يؤثر من منهب جهم فيما سمعته من جماعة من المتكلمين أنه يزعم أن الأفعال كلها لله عز وجل ، وأنه لا فعل لأحد سواه ، فإن كان أبو تمام ذهب إلى هذا فلعله أراد أن الخمر قد جمعت المحاسن ، وأن الأفعال الحسنة كلها مضافة إليها ، وأن ذلك مسلم لها على ما يذهب إليه جهم من التسليم وإضافة الأفعال كلها لله عز وجل .

وأخيراً قال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى والمرزوق والآمدى وأبى العلاء المعرى وغيرهم : فسر كل عالم هذا البيت على ما أداه رأيه إليه ، والصحيح ما قال الآمدى من قوله : « وهذا البيت مما عهدتهم يفيضون فيه وفى تفسيره فلا يصح إلا بالحدس والظن » .

(١) ظ : ويروى « وزهرة كأسها » . وفيها قال الآمدى : شبه الخمر بالنار والزجاج بالنور ، وإنما قال : « قيدا بوعاء » لأن النار والنور لا يقومان بأنفسهما وكأنهما جميعاً جمعا فى إناء يمسكهما ، وهذا معنى جيد ، وهو مسبوق إليه . وذكر ابن المستوفى قول البحترى :

يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

وقال أبو نواس :

فكأنها خمر ولا قـدح وكأنه قـدح ولا خمـر

(٢) قال الصولى : ويروى « حملا » .

(٣) لم تتقدم الإشارة إلى هذا الرمز ، والكلام فى ظ منسوب إلى الخطيب التبريزى .

فكأنَّها حَمْلٌ فى جَوْفها وهى حُبْلَى بها . (ع) : يُقال دُرَّةٌ بِكْر ودرةٌ عَذْراء أى لم يُوصَلْ إليها ولم تخرجْ مِن صَدَفتها ، شُبِّهتْ بالبِكْر العَذْراء . وقال قومٌ إنما قِيلَ لها عَذْراء لأنّ الصَّدَفَةَ إذا فُضَّتْ عنها وُجِدَ فيها ماءٌ قَليل فشُبِّه ذلك بالدَّم الذى يَكون عند افتضاض العَذْراء . والفائدة فى هذا البيتِ أنَّه جعَلها عذراءَ وادَّعَى لها الحَبَل وأعْرَفُ ما يكون الحبل فى النِّساء، وجَمْعُه أحْبَال ، قال الشاعر :

وداهيةٍ جَرَّها جَارِمٌ تُبِيلُ الحواضِنَ أحبالَها

وقد استُعيرَ الحَبَلُ للناقةِ وغيرِها .

١٨ ومَسَافَةٍ كَمسَافةِ الهَجْرِ ارْتَقَى[١] فى صَدْرِ بَاقِى الحُبِّ[٢] والبُرَحَاءِ

« المسافةُ » الأرضُ البعيدةُ ، ويُقال إنَّها مأخوذةٌ من سَوْفِ الدّليل التّرابَ ، وهذا اشتقاقٌ صَحيحٌ ، لأنَّه يَفعل ذلك فَيستدِلُّ به على الأرَضين إذْ كان قد مَيَّز تُرابَها من قَبْل لطول ما سَلَك فى المَفاوِز . وقد يَحسنُ أن تكونَ « المسافة » من السَّوَاف وهو الهَلاك . وقوله « كمسافةِ الهَجْرِ » أى أنه تَطُول مُدّتُه وإن كانت قصيرةً . وبُرَحاءُ الشوقِ والوَجْدِ مُعْظَمُه . كأنّ هذه المسافةَ لبُعْدِها لا يُرجَى بُلوغُ آخرِها . وشَبَّه بُعْدَ طريقهِ ببُعْد المَهجورِ لأن المهجورَ بَعيدٌ وإن قربَ حَبيبُه منه .

١٩ بِيدٌ لِنَسْلِ العِيدِ[٣] فى أُمْلُودِها[٤] ما ارْتِيدَ[٥] مِنْ عِيدٍ[٦] ومِنْ عُدَوَاءِ[٧]

« بيدٌ » جمع بَيْداء وهى الأرضُ المُقفِرة ، ولم يقولوا قَفْرٌ أبْيَدَ ، أُخذَ من بادَ يَبيدُ إذا هَلَكَ، كأنها تُبِيدالحيوان . و « العيدُ » قِيلَ فحْلٌ تُنسَبُ إليه

(١) س : « التقت » ورواية الأصل بهامشها .

(٢) س : « الحزن » ورواية الأصل بهامشها .

(٣) س : « لنسل الريح » — هـ ب : « لسير العيد » — ظ : ويروى « لسير العيد فى إمليسها » .

(٤) س ، ظ ، هـ ب : « إمليدها » — د : « فى أبرادها » .

(٥) س ، م : « ما شئت » .

(٦) م ، د ، ظ ، هـ ب : « من هيد » .

(٧) ظ : ويروى « ومن عرواء » وهى الرعدة — د : « ومن علواء » .

الإبل ، وإليه ذهب أبو تمام ، وأصحابُ النسب يزعُمون أنّ العيدَ قبيلةٌ من مَهْرَة بن حَيْدان تُنسَب إليهم الإبلُ النجائب . وقوله : « لِنَسْلِ العيدِ » يُرادُ به النَّسْلُ الذى يُنسَب إلى العيد لأنّ الإضافةَ تتَّسع ، فأمَّا قولُ ذى الرُّمَّة :

* مِنَ العيدِىِّ قَدْ ضَمرَتْ كلالا[1] *

فيريدُ من النِّتَاج العيدِىّ أو من الفَحْل العيدىّ . « فى أملُودها » : أى فى الأملَسِ منها . « ما ارْتيدَ » ما افتُعلَ ، من رَادَ الأرضَ يَرُودُها إذا نَظَر ما فيها من المَرْعى .

[ع] وقوله « من عيدِ » العيدُ ها هنا يَحتمل أن يكون من عيد الأيّام : أى أنّ هذه المفَازَةَ تُؤدّى هذه الإبلَ ورُكْبانَها إلى خير يَفرحُون به ويَحسُن فيه حالُها . ويَجُوز أن يُريدَ بـ « العيدِ » ها هنا ما يَعتادُها من الأنْضاء ، وهم الرُّكْبانُ ، لأنَّهم يُسَمُّون ما يَعتاد الإنسانُ عيداً * ، وعلى ذلك حَملوا قولَ تأبَّط شرّاً :

* يا عيدُ مالكَ مِن شَوْق وإيراقِ[2] *

أى يا مُعْتَادُ . ويَجُوزُ أنّ تُسمّى المَطيَّةُ الرّديّةُ عيداً لأنّ الوحشَ تَعْتَادُها و « العُدَوَاء » البُعْدُ[3] .

٢٠ مَزَّقْتُ ثَوْبَ عُكُوبِهَا بِرُكُوبِهَا والنَّارُ تَنْبُعُ[4] مِنْ حَصَى المَعْزَاءِ

[ع] « العكُوب » يُروَى بضمّ العَيْن وفَتْحها ، فإذا ضُمَّتْ فكأنه

---

(١) البيت : على خوصاء تذرف مـآقيها من العيدى قد لقيت كلالا
(ديوان ذى الرمة ص ٤٤٠)

(٢) البيت : يا عيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق
(المفضليات ١ : ٢٥)

(٣) قال ابن المستوفى : وحمله على الاشتقاق الثانى أولى لصحة المعنى به وفساد المعنى بالأول معه . وقال : قال الأصمعى : « العدواء » على وزن الغلواء المكان الذى لا يطمئن من قعد عليه ، وهذا مع رواية « هيد » أولى . وقوله « ما ارتيد » و « ما شئت » ونحوها يقال فى الأمور السارة لا الشاقة ، نحو قوله تعالى « وفيها ما تشتهى الأنفس » .

(٤) ظ : ويروى « والنار تلفح » .

فى الأصلِ مَصدرُ عَكَبَ ، وإذا فُتِحتْ فكأنَّه وَصْفٌ سُمِّيَ به الغُبَار ، عَكَبَ فهو عَكُوب مثل ضَرَبَ فهو ضَرُوب ، ومن هذا اللفظِ اشتقاقُ عُكابَةَ بن صَعْب بن علىّ بن بكرِ بن وائل ، وعِكَبٌ حىٌّ من العرَب فى بنى تغلب ، وقد سَمَّوْا دُخانَ النارِ عَكُوبًا تَشبيهًا بالغُبار ، والأشبهُ بمذهبِ الطائى ضَمُّ العينِ فى « عُكُوب » ليكونَ مشاكلاً لضمة الرّاءِ فى « رُكُوب » . و « المَعْزاء » أرضٌ غليظةٌ فيها حَصًى ، والمكانُ أمْعَزُ والجَمْع أماعِز ، جَمَعُوه جَمْعَ الأسماءِ لأنّ الوصفَ فى هذا الموضع يَنبغى أن يُجمَع على فُعْل ، وقد قالوا مُعْز فى جمع مَعْزَاء وهو قليل . وقوله : « والنَّارُ تَنْبعُ من حَصَى المَعْزاءِ » نحوٌ من قَوْل ذِى الرّمة(١) :

يَرُحْنَ بنا والمَرْوُ خَـامٍ كأنّما ... يَطأْنَ بنا منه على عَجَلٍ جَمْرًا *

٢١ وإلى ابنِ حَسَّانَ اعتدَتْ(٢) بِى هِمَّةٌ
وقَفَتْ عَلَيْهِ خُلَّتى(٣) وإخَائِى

٢٢ لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَذَوْتَ مَوَدَّتى(٤)
بالبِشْرِ واسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِى

٢٢ — [ص] صيَّر البِشْرَ غذاءً للمودّة لأنّه يُرَبِّيها * .

٢٣ أَنْبَطْتُ فِى(٥) قَلْبِى لِوَأْيِكَ مَشْرَعاً
ظَلَّتْ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِى

يُقال أنْبَطَ الحافرُ الماءَ إذا استخرَجَه ، وقال بعضُ الناس إنما سُمِّى النَّبيطُ نَبيطاً . لأنَّهم يَستنبطُونَ أى يَستخرِجُونَ الماءَ بالعَمَلِ فى الأرض ،

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ١٧٣ ، وروايته فيه : « وتهجيرنا والمرو حام . . . » .
(٢) ه‍ س : ويروى : « ارتقت بى همة » وفى ظ ويروى : « اعتلت » .
(٣) ب : « مودتى » — ظ : وفى النسخة العجمية « إخوتى وصفائى » وهى فى ه‍ م .
(٤) ه‍ س : « محبتى » . (٥) فى ظ : ويروى « من قلبى » .

وقد يجوز أن يُسَمَّى الحرْثُ إنْباطًا واستنباطًا لأنه يَسْتخرج ما عند الأرض . و « الوَأْىُ » الوَعْد، وقيل هو ضَمان العِدَة . و « المَشْرَع » الموضِعُ الذى يُشرَع فيه للورُود ، والشُّروع أول الشُّرْب ، شَرَع فى الماء إذا ابتدأ فى الجرْع . يقول : لمَّا رأيتُك قد غَدَوْتَ مَوَدَّتى بِبِشْرك ، واستحسنتَ شعْرى وثَنائى عليك ، استخرجتُ فى قلبى لعدتك وضمانك مَشْرَعًا من الرجاء ظَلَّتْ تَحومُ عليه طيرُه تُرِيد أن تَرِدَه .

٢٤ فثَوَيْتُ جارًا لِلحَضِيضِ وهِمَّتِى
قَدْ طُوِّقَتْ[(١)] بكَواكِبِ[(٢)] الجَوْزَاءِ

« الحَضيضُ » مُنقطَعُ الجبلِ فى أسفله . يقول : أنا فى الأرضِ وهِمَّتى فى سُمُوِّها كأنَّها مُعلَّقةٌ بالسماء . وقيل معناه : [ص] أنا بالحضيضِ لسُوءِ حالى ولوَعْدِه ما قد علَتْ همتى * وكأنَّ البيتَ ، الذى بعده يَدُلُّ على هذا وهو قولُه :

٢٥ إيهِ فَدَتكَ مَغَارِسِى ومَنَابِتِى اِطرَحْ غَنَاءَكَ فى بُحُورِ[(٣)] عَنَائِى

« إيهِ » أى زِدْ وهاتِ[(٤)] يقول: زِدْنى على حُسْن تَقْرِيبك وإكرامك

(١) ل : « قد طوفت » — ظ : « مقرونة » .
(٢) ب : « بمناكب » .
(٣) م ، ل : « نحور » — قال الصولى : والذى قرأته على أبى مالك « اطرح غناءك فى بحور عنائى » وهو جيد ولذلك وجه قوى . وقال : ويروى « اقذف غناءك فى نحور عنائى » وهذه الرواية الثانية هى رواية ابن المستوفى ، وقال فى شرحها : أى اطرح جودك فى نحور عدمى حتى يغلبه فأستريح من الحاجة والعدم .
(٤) قال الصولى : إيه أى زدنا من الحديث وهات ، فقيل كان يجب أن يقول إيهٍ منونة وقد عيب على ذى الرمة قوله :

وقفنا فقلنا إيهِ عن أم سالم وما بال تكليم الديار البلاقع

وقال من يحتج له : أراد إيهٍ فأقام الإعراب مقام التنوين : ثم قال الصولى : وويهاً للزجر ، وإيهاً كف عنَّا ، وواهاً إذا تعجبت منه ، وهذا كله عن أبى العباس ثعلب .

بالغَنَاء والاستغناء عن سواك . وجَعَل لعَنَائه وتَعَبه بُحوراً تعظيماً لها وتأكيداً لالتزام حرُمتها .

٢٦ يَسِرٌّ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ إِنَّهُ يَنْوِى افتِضَاضَ صَنِيعَةٍ عَذْرَاءِ

[ص] يقول : أتْبِع القولَ بفعلكَ كما تُتْبَعُ الخِطْبَةُ بمهر ، إنَّه يَنوى أنْ يَبتدِئَ عندى صَنيعةً عذراءَ لم يَصْنَعْها أحدٌ قبلك إلىَّ * .

وكان قد عملَ هذه القصيدةَ فى يحيى بن ثابت ، وكان من أهل الكلام والشعر ، وفيها * :

٢٧ وإلى مُحَمَّدٍ ابْتَعَثْتُ قَصَائِدِى ورَفَعْتُ لِلْمُسْتَنْشِدِينَ لِوَائِى[(١)]

هذا البيتُ يَقَعُ بعد قوله « يَسِرٌّ لقَولكَ مَهْرَ فِعلكَ » فى بعض النُّسخ .

---

(١) يقع هذا البيت فى بعض الأصول بعد البيت (٢٩) يا غاية . . . وإنما قدمناه هنا لأنه هكذا فى بعض الأصول ، ولأن القصيدة استقرت فى محمد بن حسان فكأن هذا البيت آخر أبياتها ، فأما الأبيات الثلاثة الأخيرة ، (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) فقد أثبتناها لورودها فى النسخ على أنها كانت ضمن القصيدة حين كانت فى يحيى بن ثابت .

وفى أصل س ، د زيادات وتقديم وتأخير لبعض الأبيات نثبتها هنا كما جاءت فى س :

يا غاية الأدباء والظرفاء بل يا سيد الشعراء والخطباء
عرفت بك الآداب جملةً كما عرفت قريش الله بالبطحاء
ساويتهم أدباً وجودك شاهد بل حالف أن لستم بسواء
بخلائق أسكنتها خلد الندى فجهدت منها جهد كل بلاء
لم يبق ذو غدر لريب ملمةٍ إلا وقد ألجمته بوفاء
وإذا تشاجرت الخطوب فريتها رأياً يفل مضارب الأعداء
رأياً لو استسقيت ماء نصيحةٍ لجعلته أرياً من الأراء
لما رأيتك قد غذوت مودتى بالبشر واستحسنت وجه ثنائى
أنبطت فى قلبى لوائك مشرعاً ظلت تحوم عليه طير رجائى
فثويت جاراً للحضيض وهمتى قد طوقت بكواكب الجوزاء
إيه فدتك مغارسى ومنابتى اطرح غناءك فى بحور عنائى
يسر لقولك مهر فعلك إنه ينوى افتضاض صنيعة عذراء

والبيت « عرفت بك الآداب » ، والأبيات الثلاثة التالية له فى ظ .

٢٨ وإذَا تَشَاجَرتِ الخُطُوبُ قَرَيْتَهـا
جَدَلًا يَفُلُّ[١] مَضَاربَ الأَعْدَاءِ

« تشاجرت الخُطوب » أى لَقِيَ بعضُها بعضًا وتشابكتْ ، ومن ذلك تَشاجرت الرِّماحُ إذا دَخل بعضُها فى بعض عند الطِّعان ، ومنه اشتقاق الشَّجَر لاشتباكِ الأغصان ، ثم كَثُر ذلك حتى قيلَ شَجَرَهُ بالرُّمح إذا طَعَنَه به ، و« قَرَيْتَها جَدَلًا » من قِرَى الضَّيْف ، وهذا على منهاجِ قولهم : قَرَيْتُ الهَمَّ الرَّحيلَ ، أى لمَّا ضافنى الهمُّ جعلتُ الرحلةَ له قِرًى . ومَن رَوَى « فَرَيتَها » جعَلَها من الفَرْى وهو القَطْعُ .

٢٩ يا غَايَةَ الأُدَباءِ والظُّرَفَاءِ بَلْ يا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ والخُطَباءِ[٢]

أُخذ « الأديبُ » من الأدْب وهو العَجَبُ ، وقيل الأدَبُ الدَّاهية ، فكأنَّه صارَ يُعْجَبُ منه ، أو صارَ يُتَّقَى شَرّه ، كما يُقال رَجُل داهيةٌ إذا وُصِفَ بالعَقْل والمَكْر . ويَجُوز أنْ يكونَ اشتقاقُه من الأدْب وهو الدّعاءُ إلى الطعام ، كأنَّه أمرٌ أجْمعَ عليه وعلى استحسانه . و« الظُّرفاء » جَمْعُ ظَرِيف وهو المُبالِغُ فى الأشياء، ويُسمُّون الفصيحَ اللسانِ ظريفًا ، وحَكَى النحويُّون قَوْمٌ ظُرُوف فى جَمْع ظَرِيف ، وهو من شَوَاذّ الجمع ، وقيلَ بل هو اسمٌ له ، وقلما جاءَ فَعيل مجموعًا على فُعُول ، وقد حُكِىَ فى عَسِيب النخلة عُسُوب ، وأَتِيّ السَّيْلِ أُتِىّ ، ورَوَى السُّكَّرى بيتَ أبى ذؤيب :

وإنَّ غُلامًا نِيلَ فى عهدِ كاهلٍ لَطَرْفٌ كنَصْل المَشْرَفِىّ صَرِيحُ

ــ والروايةُ المَشْهورةُ : « لَطِرْفٌ »[٣]ــ ، وإنْ صَحّتِ الروايةُ التى ذَكَر فقولُهم ظُرُوف فى الجمع إنما هو جمع ظَرْف ، كما تَقول جَمَلٌ قَرْمٌ

(١) ب : « يكف » .
(٢) د : « والحكماء » .
(٣) كما فى ديوان الهذليين : ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

وجمال قُرُوم ، والنحويُّون لم يذكروا ظُروفًا على أنه يُقال رجل ظَرْف ، فلذلك أشذَّه .

٣٠ يَحْيى بن ثَابِتٍ الَّذِى سَنَّ النَّدَى وحَوَى المكَارِمَ مِنْ حَياً[1] وحَياء

ثمَّ تَرَك هذا كلَّه ، واستَقرَّت القصيدةُ على ما كَتَبَ فى مُحمَّد بن حسَّان .

(١) قال الصولى : حياء الوجه وحيا الجود .

٣

قافية الباء

وقال يمدح المعتصمَ بالله أبا إسحقَ محمدَ بنَ هارونَ الرّشيد (ويذكر حريقَ عَمّوريّةَ وفتحها)(١) :

١ — السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِى حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

كان المنجمون قد حكموا أنّ المعتصمَ لا يفتح عمّوريّةَ ، وراسلته الرّومُ بأنّا نجدُ فى كتبنا أنه لا تُفتَح مدينتُنا إلاّ فى وقت إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقت شهورٌ يمنعك من المُقام بها البردُ والثلج ، فأبى أن ينصرفَ وأكبّ عليها ففتحها فأبطل ما قالوا . [ع] وقوله : « أصدقُ أنباءً » كلام قد دخله ترجيح ، وهو من مواطن التمييز ، وإذا كان المميِّزُ ليس من نفس المميَّز جاز أن يقعَ واحداً وجمعاً مثل قوله : « أصدقُ أنباءً » ولو كان فى غير الشعر لجاز أن يقال نبأً ، وكذلك أخوك أخدمُ الناس عبداً ، ألا ترى أنّ العبدَ غيرُ الأخ ؟ فإن قلتَ أخوك أعظمُ الناس رأساً امتنع أن يكون الجمعُ فى موضع المميِّز الواحد(٢) . وقوله : « فى حدّه الحدّ » الحدّ الأوّل للسيف ، والحدّ الثانى الذى يفصل بين الشيئين ، كالدار والدار ، والقَراح والقراح . أى أنّ السيفَ إذا استُعمِل فقد برئ الأمرُ من الهزل * .

٢ — بيضُ الصَّفائِحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ فى ... مُتونِهنَّ جِلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

« الصحيفة » الكتاب ، اسمٌ شائع ، فيقال للكتاب الذى يُكتَب فى الحاجة

---

(١) ما بين القوسين زيادة من أصول الصولى ومن س .
وقال أبو بكر الصولى : وقرأتها على أبى مالك قال قرأتها على أبى تمام .

(٢) قال ابن المستوفى فى ذلك : إنما امتنع لأنه ليس له إلا رأس واحد .

صحيفة ، وللدفتر صحيفة ، وكذلك المصحف . وإذا قلتَ صحائف فالهمزُ واجب ، ويجوز أن تجعل الهمزةَ بين بين ، والذى دلّ عليه كلامُ سيبويه أنه لا يجوز أن تجعلها ياءً خالصة ، وقد حكى غير ذلك[1] أبو عمر الجرمى ، فزعم أنهم يقولون عجايز بياء خالصة ، وكذلك الحُكم فى كل ما كان على فعائل . و « الصفائح » جمع صفيحة وهى الحديدة العريضة ، ويُقال للسيف العريض كذلك . والذين يتكلمون فى نقد الشعر يسمون مجىءَ الصحائف مع الصفائح تجنيسَ القلب لأنّ الهجاءَ متساو ، وإنما قُدّمت الفاء « والجِلاءُ » ممدود : كَشْفُ الأمر ورفعُ الغطاء عنه حتى يظهرَ الكامنُ المستترُ فيه ، و « الشّكّ » و « الرّيْبُ » واحد ، فكرّر لاختلاف اللفظين . والمعنى : أنّ السيوفَ تفصل بين الحقّ والباطل حتى تَتبيّنَه . ولم يقل جِلاءُ الحقِ والرّيب لأنّ الحقّ معروفٌ واضحٌ جلىّ ، وإنما يُتبيّن ما يُشكّ فيه [ق] . ويحتمل أن يكون « فى متونهن » خبر المبتدأ و « لا سُودُ » معطوف عليه ، ويحتمل أن يكون « لا سُودُ » هو الخبر ، ويكون المعنى : أنّ السيوفَ غيرُ الكتب ، كما تقول زيدٌ غيرُ عمرو ، أى شأنه غيرُ شأنه ، ثمّ بيّن فقال : فى متونهن كذا *[2].

٣ والعِلْمُ فِى شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً
بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فى السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

يَردّ على المنجّمين ما حكموا به لأنّ الظّفَر كان قبلَ حُكمهم ، ويعنى بـ « شُهُب الأرماح » أسنتَها ، وقد استَعملت الشعراءُ ذلك قديمًا ، قال الأفوَهُ :

جَحفَلٌ أوْرَقُ فيه هَبْوَةٌ ونُجــومٌ تَتلظّى وشَرَارُ[3]

ويعنى بـ « السّبعة الشُّهُب » الطوالعَ التى أرفَعُها زُحَل وأدناها القمرُ وبعضُها

(١) فى الأصول « نحو ذلك » والسياق يقتضى ما أثبتناه (انظر سيبويه ٢ : ٣٧٨) .

(٢) ذكر ابن المستوفى فى كتابه زيادة للتبريزى يرد بها على كلام الموزوقى ، ولم أجدها فى النسخ التى بين يدى من شرحه . قال أبو زكريا : القول هو الأول ، وإذا جعل بيض الصفائح غير سود الصحائف على ما ادعاه جاز أن يكون قوله « فى متونهن » مع ما بعده حالا من الصفائح ، ونصب « بيض » و « سود » على ما ذكره أولى من رفعهما .

(٣) ديوان الأفوه الأودى ص ١٣ — والأورق الذى لونه بين السواد والغبرة .

الشمس[١] [ع] . ولا يُعرف أنّ الشمسَ جُعلتْ شِهابًا فى كلامٍ قديم ، ولكنّها لمّا جاءتْ مع الستة التى تُسمَّى كلُّها شهابًا جُعلتْ مثلَهن ، وكذلك القمرُ لِغَلَبَةِ ما كثُرَ على ما قلّ ، وهذا أسهلُ من قولهم القَمَران يُريدون الشمسَ والقمر ، ويُشبهه فى بعض الوجُوه ما جاء فى التنزيل من قوله تعالى : « فمنهم مَن يمشى على بطنه » لمّا خَلَط الإنسَ بغيرهم جازَ أن يُوقع « مَنْ » على مالا يَعقل. وقوله : « لامعةً » نَصْبٌ على الحال من شُهُب الأرماح ، وهى الروايةُ الصحيحة . ومنهم من يقول : « لامعهُ » فيُضيف « لامعًا » إلى الهاء وذلك ردىء ، والوجه الأول هو الصواب[٢] * . و « الخميسان » الجيشان ، ويُقال إنّ الجيشَ سُمّى خميسًا فى زمانٍ كانت الملوكُ إذا غزَتْ أخذتْ خُمُسَ الغنيمةِ لأنفسها ، فالخميسُ إذًا فى معنى المخموس ، من قولهم خَمَسْتُ القومَ إذا أخذتَ خُمْسَ أموالهم .

٤ أَيْنَ الرِّوايَةُ أَمْ[٣] أَيْنَ النُّجومُ وما صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيها ومِنْ كَذِبِ

أصل « الزُّخرف » ما يُعجبك من متَاع الدنيا ، وربما خُصّ به الذهب ، ويقال للقول المُحسَّن المكذوب زُخرُف لأنه حُسِّن ليَغُرَّ .

٥ تَخَرُّصاً وأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ

« التَّخرُّص » التكذّب وافتراءُ القَوْل ، « ومُلفَّقة » أى ضُمَّ بعضُها إلى بعض ولَيسَتْ من شَكْلٍ واحد . و « النَّبْعُ » شجر صُلْب ينبت فى رُؤوس الجبال وتُتَّخذ منه القسِىّ ، وإذا وُصف الرجلُ بالجَلادة والصبرِ شُبِّه بالنَّبْع أى أنه صُلْب لا يُقدَرُ على كَسْره ، ومن أمثالهم « النَّبْع يَقرعُ بعضُه بعضًا »[٤]

---

(١) فى الصولى : يريد بالسبعة الشهب زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .

(٢) ذكر الصولى هذا الوجه فى شرحه وقال يعنى العلم ، يقول صحيح العلم فى الحرب لا ما استدللتم عليه بالنجوم ، ثم ذكر الوجه الأول وقال : كأن العلم فى شهب الأرماح فى حال لمعانها .

(٣) م ، د : بل .

(٤) مجمع الأمثال ٢ : ١٩٧ .

يُضرب مثلاً للقوم الأشدّاء يُبْلَوْن بمثلهم فى الشدّة . و « الغَرَب » شجرٌ ينبت على الأنهار ليست له قُوّة .

[ع] يقول : هذه الأحاديثُ ليسَتْ بقوية ولا ضعيفة ، أى هى غيرُ شىء ، كما يُقال ما هو بخَلّ ولا خمر ، أى هو كالمعدوم ليس عنده خير ولا شرّ(١) .

٦ عَجَائِباً(٢) زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً(٣) عَنْهُنَّ فى صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

[ع] أكثرُ ما يُستعمل « زَعَم » مع « أنّ » كما قال الحارثُ اليَشْكُرى :

زَعموا أنّ كلّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوالٍ لنا وأنّا الولاءُ(٤)

وإذا حذفوا « أنّ » نصبوا ما بعد « زَعَم » و « زَعمتُ » وما كان منهما ، يُقال زعمتُ أخاكَ أميرًا ، وزعَم القومُ العراقَ مُخْصِبًا ، ويَدُلُّك على وقوع المفعول بعدها قولُ أبى ذؤيب :

فإنْ تَزعُميني كنتُ أجْهَلُ فيكمُ فإنى شَرَيْتُ الحِلْمَ بَعدكِ بالجهْلِ(٥)

ويَقبُح : زعمتُ زيدٌ مُنطلق ، إلاّ أن تجعلَ « زعمتُ » فى معنى قلتُ ، وذلك قليلٌ فى الكلام المسموع . فأمّا « الأيام » فى بيت الطائى فيجوز رفعُها على أن يُلغَى « زعموا » كأنّه قال : عجائبُ الأيامُ مُجْفِلةٌ عنها زعموا ، ويُجعل اعتمادُ الكلام على « عجائب » ، ويُحمل اللفظُ على التقديم والتأخير ، وهذا كقولك : الشامُ كثيرُ الخيرِ زعموا ، وأبوك واسعُ العطاءِ بلغنى ، تريد بلغنى ذلك ، فتأتى بالكلام الثانى بعد الأول . ويُروى « مُجفِلةً » و « مُجلِيَةً » والأصلان مختلفان ولكنّ المعنَيَيْن يتقاربان ، تقول أجفلتِ الحُمُرُ والنَّعامُ إذا

---

(١) قال المرزوقى : وقد استعمل أبو تمام هذا المثل فى بيت آخر معناه الذى يقصد به إليه أبين وهو :

هيهات أبدى اليقين صفحته وبان نبع الفخار من غَرَبه

(٢) س : « غرائب » ورواية الأصل بهامشها هـ ب ، هـ ش : « عجائب ».

(٣) فى س بين السطور رواية أخرى هى « مكشفة » .

(٤) البيت فى معلقته المشهورة التى مطلعها :

آذنتنا ببينهـا أسمـاء رب ثاوٍ يمل منه الثـواء

(٥) ديوان الهذليين ١ : ٣٦.

أحسّتْ بأمرٍ يذعرها فهربتْ منه بعجلةٍ ورُعْب ، ويُقال أجلَى القومُ عن القتيل إذا انكشفوا عنه ، والنّعامُ إذا أجفلَ فقد انكشفَ الموضعُ الذى كان فيه . وقوله : « صَفَرَ الأصفار » عظّمَ شأنَه لأنه يُنتظر فيه أمرٌ شاقٌ ، كما يُقال فلانٌ فارسُ الفرسان ، أى أشدّهم بأساً ، وعلى هذا قولهم مَلِكُ الملوك وهِنْدُ الهُنود . أى أخبروا أن أموراً تظهر فى صفرٍ أو رَجَب ، وأنّ الأيامَ تُسرع فى إظهارها .

٧ وخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ (١)

إِذَا بَدَا الكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ (٢) ذُو الذَّنَبِ

« دَهْياء » أى داهية ، يُقال داهية دَهْياء ودَهْواء . وكانوا قد حكموا أنّ طلوعَ ذلك الكوكب الموصوف يكون فتنةً عظيمة وتغيُّرَ أمرٍ فى الولايات ، فأنكر الطائىّ ذلك من أحكامهم .

٨ وصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتَّبَةً (٣)

مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ

(ع) الوجه أن يُروى « مُرَتِّبَةً » بكسر التاء ، ويكون قوله « ما كان مُنقلباً » فى موضع بدل من مُرتِّبة ، أى صيَّروا التدبيرَ للنجوم . ويعنى بـ « الأبرج » بروجَ السماءِ التى أوّلُها الحَمَلُ وآخرُها الحُوت . والمنجّمون يزعمون أنها على ثلاثة أقسام ، أربعةٌ منقلبة ، وهى : الحَمَلُ والسَّرَطانُ والميزانُ والجَدْى ، وأربعة ثابتة ، وهى : الثورُ والأسدُ والعَقْربُ والدَّلْو ، وأربعةٌ ذَواتُ جسَدين ، وهى : الجَوْزاء والسُّنْبُلَة والقَوْس والحُوت . فإن رُويتْ « مُرتَّبة » بفتح التاء فهو وجهٌ ضعيف . ولا يَحْسُن إذا كُسِرت التاءُ أن يُجعل قوله « ما كان » فى موضع نَصْبٍ على المفعول ، لأن المعنى الأول أشبهُ

---

(١) س : « دهياء داهية » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) فى ظ رواية « الدرى » منسوبة لأبى العلاء .

(٣) هـ س : « مدبرة » — وفى ظ رواها الخارزنجى « مرتّبة » ، بفتح التاء ، وقال : رتبوها فقالوا إذا قابل نجم كذا نجم كذا فى برج كذا وقع أمر حادث .

بهذا الموضع ، إذْ كان المنجمون يجعلون فى البروج مُنقلباً وثابتاً[1] . [ص] أى كانوا يحكمون فى أخبارهم بهذه البروج إذا ورد عليهم خبر فى وقت الطالع فيه بُرج ثابت حقَّقُوه ، وإن كان الطالعُ بُرجاً مُنقلباً لم يحقِّقُوه .

٩ يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْها وهِيَ غافِلَةٌ ما دارَ فى فَلَكٍ مِنْها وفى قُطُبِ

كلّ مستديرٍ فَلَكٌ حتى يُقالَ للقطعة المستديرة من الأرض فَلَكٌ أيضاً ، والفَلَكُ مَدارُ النجوم الذى يَضمُّها ، والقُطْب كلّ ما ثَبتَ فدارَ عليه شىء ، وفى السماء قُطْب الجنوب وقُطب الشمال . يقول : يحكمون عليها بأحكام مختلفة وهى لا تعرف شيئاً من ذلك ، وما يحكمون به لم يَدُرْ فى فلكٍ منها ولا قُطْب .

١٠ لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوقِعِهِ
لَمْ تُخْفِ[2] مَا حَلَّ بِالأَوْثانِ والصُّلُبِ

[ص] يقول : لو بانَ بهذه البروجِ أمرٌ قبلَ موقعِه لبانَ أمرُ هذا الفتح الذى لم يكنْ فتحٌ أجلَّ منه .

١١ فَتْحَ الفُتُوحِ تَعَالَى[3] أَنْ يُحِيطَ بِهِ
نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

« أن يحيط به » أى من أن يحيط به . [ع] والأَبْيَنُ فى غرض الشاعر أن

---

(١) أورد ابن المستوفى كلام أبى العلاء هذا ورد عليه بقوله : وفى إبدال أبى العلاء « ما كان منقلباً » من قوله « مرتبةً » بعدٌ يبين لمتأمله ، وإذا روى « مرتَّبة » بكسر التاء كان موضع « ما » نصباً على المفعول به ، أى جعلوها ترتب هذين الجنسين منها كأنها ترتب أنفسها فى المنازل ، ويجوز أن يكون « ما » بدلا من الأبرج العليا ، ويجوز أن يكون صفة لها .

(٢) م ، س : « لم يخف » .

(٣) م ، ل ، د « المعلى » وهى أيضاً فى هـ س ، هـ ب ، هـ ظ . وقال ابن المستوفى : وموضع « تعالى » حال ، وأنا أكره رواية « تعالى » وما بعدها لأن مثله يقع فى الثناء على الله عز وجل .

يكونَ « فتحَ الفتوح » منصوبًا مُبيِّنًا لقوله ما حلّ بالأوثان ، ولا يمتنع رفعُه على كلام مُستأنَف .

١٢ فتحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لَهُ وتَبْرُزُ الأرْضُ في أَثْوابِها[1] القُشُبِ

و « تفتَّحُ أبوابُ السّماءِ له » أي بالغيْثِ والرحمة ، وقيلَ لأنه من معالم الإسلام وليسَ كل الفتوح كذلك . و « تبرز الأرض » مثَل لتعظيم الفتح ومَسرَّة أهلِ الإسلام . و « القُشُب » جمعُ قَشيب وهو الجديد ، وقد يكون الخَلَقَ في غير هذا الموْضع .

١٣ يا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ
مِنْكَ[2] المُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ

[ع] أصلُ النداءِ أن يكون لمن تُخاطبه ويُراجع القول ، ثم اتسعوا فيه حتى خاطبوا الديارَ وغيرَها من الجوامد ، فكأنه خاطب يومَ وقعةِ عموريّةَ لجلالهِ عنده . و « عَمُّوريّة » اسم أعجميّ ، واستعمله في هذا البيت بتشديد الميم والياء ، وقد رُوي عنه في قصيدة أخرى بتخفيف الحرفين ، والشعراءُ يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية أكثرَ من اجترائهم على تغيير الأسماء العربية[3] . و « حُفَّل » جمعُ حافل وهي التي حفَل ضَرْعُها باللبن ، يُقال ناقةٌ حافل وشاةٌ حافل ، وهو ها هنا مُستعار للمُنَى . و « المَعْسولة » التي فيها العَسَل ، يُقال عَسلتُ الطعامَ فهو معسول وعَسَّلتُه فهو مُعَسَّل . و « الحَلَب » ها هنا ما حُلِب من اللبن وهو مستعار ، ويكون الحَلَبُ مَصْدر حَلَبتُ حَلَبًا والمعنى الأول أجود * .

---

(١) ب ، ظ ، هـ س : « في أبرادها » ، وجاء في ظ : ويروى « في أثوابها » .

(٢) م ، ل : « عنك » .

(٣) في ظ : ذكر محمد بن عبد الملك الزيات عمورية مخففة الياء في قوله :

أقام الأنام منار الهدى وأخرس ناقوس عموريهْ
قد أصبح الدين مستوسقاً وأضحت زناد الهدى مُوريهْ



١٤ أَبقَيْتَ جَدَّ بَنِى الإِسلامِ فى صعَدٍ
والمشركين وَدارَ الشِّرْكِ [1] فى صَبَبِ

[ع] « الجَدُّ » ها هنا الحظ ، و « بنو الإسلام » الذين يَدخلون فيه ويُنسبون إليه ، ومن كلامهم إذا أكثر الرجلُ من الشىء وألِفَه أن يقولوا هو أبو كذا وأمُّهُ وابنُه (٢) . و « الصَّعَدُ » المكانُ الذى يُصعَد فيه ، « والصَّبَبُ » المكان الذى يُنْصَبّ فيه أى يُنْحدَر ، ويُقال لهما الصَّعُود والصَّبُوب * .

١٥ أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدَى جَعَلُوا
فِدَاءَها [3] كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ [4] وَأَبِ

« الأمّ » أصلُ الشىء ومعدِنُه [ص] يقول : هذه البلدة أمُّهم تجمعهم وتضمهم كما تَضمّ الأمّ ولدَها ، فلو استطاعوا لافتدوا خرابَها بكلِّ أمّ لهم ولدتهم وأب (٥) * .

١٦ وبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُها
كِسْرَى وصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِى كَرِبِ

يُقال امرأةٌ بَرْزَةٌ إذا كانت تُخاطِب الرّجالَ ولا تَستَّرُ منهم . وزَعَم قومٌ أنه يُقال للحَيِيَّة بَرْزة . واشتقاقُه مِن بَرَزَتْ أى ظهرتْ ، يقالُ لقيتُ

(١) س : « وجد الشرك » – هـ ظ : « ودار الكفر » .

(٢) فى ظ زيادة من كلام أبى العلاء هى : كما يقال هو أبو الأضياف وأم العيال وابن الهيجاء وأخو رغائب .

(٣) هـ ب : ويروى « فدًى لها » .

(٤) ل ، س ، د ، هـ ب : « كل أم برة » وفى هـ س رواية الأصل .

(٥) هذا كلام الصولى بحرفه كما فى نسختى م ، ل ونسبه ابن المستوفى إلى أبى زكريا التبريزى .

فلاناً بَرْزَيْن أى بَرزَ كلٌّ واحدٍ منا لصاحبه . يقول . هى مع بُروزها للنظرِ قد أعيَتْ كِسرَى إذْ كان لا يَقْدِر عليها ، وقيل كان كِسرى قد فتحَها ، بعثَ إليها الإصْبَهْبَذَ ففتحها ثم استَعْصى عليه وصارَ مع ملك الرّوم . وأبو كَرِب كُنية أحدِ التبابِعة وهو الذى عناه القائل فى قوله :

لَيتَ حظى مِنْ أبى كَرِبٍ أن يَسُدَّ خيرُه خَبَلَهْ

أى فسادَه .

ومَن ذَهَب إلى أنّ البَرْزة الحَيِيَّة فهو يحتمل هذا المعنى ، أى أنّ هذه البلدةَ كانت كالمرأةِ المُستخفِرَة التى لا ينظُر أحدٌ إليها .

١٧ بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كفُّ حَادِثَةٍ
ولا تَرَقَّتْ إلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ (١)

[ع] « افترعَها » إذا افتضّها ، أى أنّ هذه المدينةَ لم تُفتَح قبلَ هذا الفتْح (٢) .

١٨ مِنْ عَهْدِ إسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ (٣) ذَلِكَ قَدْ
شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى (٤) وهْىَ لَمْ تَشِبِ

[ع] المُتعارفُ بين الناسِ « الإسكندر » بالألفِ واللام فحذَفهما منه ، وقد فَعَل ذلك فى غير موضع كقوله : « ما بين أندلسٍ إلى صنعاءَ » وقولِه : « وَجَدَ فرزدقٍ بِنَوارِ » . ولم تَجرِ العادةُ أن يُستَعمل « الفرزدقُ » ولا « الأندلسُ » إلاّ بالألف واللام ، وبعضُ الناسِ يُنشِد « مِن عَهْدِ إسكندرا » فيُثبت فى آخره ألفاً ، وذلك من كلام النبط ، لأنهم يزيدون الألفَ إذا نقلوا الاسم

---

(١) جاء ترتيب هذا البيت فى س بعد البيت التالى له .

(٢) قال ابن المستوفى : هذا ينقض قوله إن الإصبهبذ فتحها ثم استعصى عليه . .

(٣) د ، ه س : « أوقبل ذاك فقد » .

(٤) ظ : « قرون الليالى » .

من كلام غيرهم ، فيقولون خَمْرًا يريدون الخمر ، وعَمْرا يُريدون تسميةَ عمرو . وكأنَّ الذى روَى هذه الروايةَ فرّ من حذفِ الألف واللام ، إذْ كان المعروفُ بين الناس الإسكندر ، وإذا استعملته النَّبطُ بالألفِ حذَفتْ علامةَ التعريفِ وأخرَجتْه إلى حال إبرهيم وإسحق . « والإسكندر » اسم ليس بعربى ، ولو وافقَ ألفاظَ العَرب لَوجَب أن يكونَ اشتقاقُه من سينٍ وكافٍ ودالٍ وراء ، وتكون الهمزةُ فى أوّله والنونُ زائدتين ، ويُجعل من بابِ احْرَنْجَمَ على المُقارَبة ، فهو أقربُ إليه من إبرهيم إلى الاحرنجام ، ولو حُمِل على ما يقوله النحويُّون فى الترخيم مِنْ نَقْلِ الاسم إلى مثال تكونِ العربُ قد استَعملتْه لَوجَبَأن تُكسَرَ الهمزةُ ، فيقال الإسكندرُ ليكون على مِثالِ احرنجم ، ولو سمّيتَ رجلاً باحرنجم لقطعتَ همزةَ الوصل فى رأى البصريين ، وكان الفرّاءُ يُجيز الوجهَيْن *

١٩ حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللهُ السِّنِين لَهَا
مَخْضَ البَخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ

[ع] هذه استعارةٌ لم تُستَعمل قبلَ الطائى . وأصلُ « المَخْضِ » فى اللّبن ، يُقال مَخَضْتُ الوَطْبَ مَخْضًا إذا حركتَه لِتُخرِجَ زُبْدَه . وجَعله مخضَ البخيلةِ لأنَّها أشدّ اجتهادًا من السَّمْحة ، فهى تُطيل مدّةَ المخض . ومَن رَوى : « مخضَ الحليبةِ[1] » أرادَ ما حُلِب من اللبن ، والروايةُ الأولى أجْوَد . يقول : جَمَع خيْراتِها كما يُجمَع خير ما فى اللبنِ بالمَخْض . ومَن رَوى « مَخْضَ الثَّمِيلة » ، وهو ماء الكَرِش – أراد : حتَّى إذا جمع الله خيراتِ السنينَ وأظهرَها كما يَظهر اللبنُ من الثَّمِيلة ، كما قال تعالى : « مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خالِصًا » – فصارَتْ هذه البلدة زُبْدَةَ السِّنينَ أتتْهم الكُرْبة . « والحِقَب » جمع حِقْبة وهى السَّنَة ، وقيل الحِقْبةُ من الدهر : بُرْهَةٌ غير مَحدودة إلاّ أنها زمانٌ يطول * .

---

(١) هى رواية م ، ل ، س ، ظ – وقال الصولى فى شرحه : ويروى « مخض البخيلة » وهى فى ه س – وفيها أيضاً « مخض الثميلة » – وفى د « مخض الحليب فمادت . . . » .

ومعنى البيت [ص] أنَّ هذه المدينةَ لمَّا أغفلَتْها السِّنون حتَّى زادتْ وحَسُنَتْ فصارتْ زُبدةً أتاهم المعتصم ففتَحها *

٢٠ أَتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً (١)
مِنْها وكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ

[ع] مِن كلامهم أنْ يَصِفُوا الخَطْبَ الشديدَ بالسَّواد تَشبيهاً بالليل المظلم ، ومن ذلك الحديث المأثور : « أتتكم الفِتَنُ كأنَّها قِطَعُ الليلِ المظلمِ » ويقولون اسودَّ نهاره ، إذا جاءَه أمرٌ يَحزُنه فصار نَهارُه كالليل . و « سادِرَةً » من سَدَرِ العَيْن ، يُقال سَدِرَتْ عينُه إذا أظلمَتْ ، ويَجُوز أنْ يكونَ من قولهم جاءَ فلانٌ سادِرًا إذا جاء لا يَهْتَمُّ للشيء ، وهو يَحتمِل وَجهين : أحدهما أنْ يكونَ من سَدَرِ البصرِ ، والآخرُ أنْ يكونَ من قولهم سَدَرَ ثَوْبَه مثل سدَلَه (٢) . والهاء فى منها راجعةٌ على عمورية .

٢١ جَرَى لَهَا الفَألُ بَرْحاً يَوْمَ أَنقِرَةٍ
إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرِّحَبِ

[ع] « الفأل » قد استعملَه مُذكَّرًا ، وقد ادَّعى بعضُ الناسِ أنَّه مؤنَّث ، والتذكيرُ أشهر . وأكثرُ ما يَجيء الفأل فى معنى الخير كأنه عندهم ضدُّ الطِّيَرَة . ويجوز أن يَقَعَ الفأل على ما كان من خير وشَرّ ، وهو فى بيت الطائى على معنى الشرّ * و « بَرْحًا » مصدر بَرَحَ يَبْرَحُ من البارِح وهو ضدُّ السانح ، والعَرَبُ تختلف فيهما : فيقولون السانح ما ولاَّك مَياسِرَه ، والبارِح ما ولاَّكَ مَيامِنَه ، وبعضهم يعكس ذلك ، ومنهم مَن يَتيمَّن بالبارحِ ويَتشاءَمُ بالسنيح ، ومنهم مَن يَأخُذ بِضدّ ذلك . وربما وُجِد فى شعر الرجل الواحد ما يَدلّ على أنَّه يَتيمَّن بالسنيح مرةً ويتشاءم به أخرى ، وقد أنشدوا بيتَ أبى ذُؤيب :

---

(١) فى ظ : ويروى « كاربة منها » ، وفسرها بقوله أى دانية ، ويقال كرب أى دنا .
(٢) فسر الصولى « السادرة » هنا بالمتحيرة .

زَجرتَ لها طيرَ السَّنيحِ فإنْ تكنْ هواكَ الذى تهوَى يُصبْكَ اجتنابُها (١)

ويُروى « طيرَ الشَّمال » ، فهذا على سبيل التَّطيُّر ، وقال فى الأخرى :

* أزجِّى لِحُبِّ الإيابِ السَّنيحا (٢) *

فهذا ضِدُّ السَّنيح فى البيت الأول . وقد يجوز أن يُحمَل على المبالغة كأنَّه أراد : أنِّى من حبِّ الإياب أرجو الخيرَ أن يجيئنى من غير وجهه . و « أنقِرَة » موضع فى بلاد الروم وبه قبرُ امرئِ القيس ، يُروَى بضم القاف وكسرِها وفتحِها (٣). و « وحْشَة » أى مُوحِشَةُ الساحات ، وقيل أراد وَحِشَة فسكَّنَ الحاء . وسمعتُ بعضَ مَن كان يُتقن هذا الديوان من رُؤساء الكتَّاب يُنشِد « وَخْشَة الساحات » بالخاء ، ويذهب إلى معنى الخرابِ ووقوع بعضِها على بعض ، من قولهم : أوخشُوا الشىءَ أى خلطوه ، قال :

فألقيتُ سَهْمى وسْطَهم حين أوخشُوا فما طارَ لى فى القَسْمِ إلاَّ ثَمينُها (٤)

ومنه الوَخْشُ الدنىّ من الرجال والأخلاطُ ، الواحدُ والجميع . [ع]

و « الرَّحَب » جمع رَحْبَة ورَحَبَة ، والأصلُ أنْ يُقال رِحاب بالألف فحذِفتْ لأنها حرفُ لين ، كما قالوا ثلَل فى جمع ثُلَّة والأصل ثِلال *

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧٠ — اللسان مادة « طير » .

(٢) فى الأصول : « أرجى » ، والبيت فى ديوان الهذليين ١ : ١٣٦ :

أربت لإربته فانطلقـ ت أزجى لحب الإياب السنيحا

(٣) أورد الصولى فى شرحه هنا قول امرئ القيس فى منصرفه من عند ملك الروم بأنقره :

رب قصيدة محبَّره
وطعنة مثعنجره
وخطبةٍ مسحنفره
تبقى غداً بأنقره

(٤) عجز هذا البيت ساقط فى ش وأثبتناه من نسخة ب . وقوله « فما طار لى فى القسم » معناه فما حصل نصيبى ، ومنه حديث أم العلاء الأنصارية « اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون ، أى حصل نصيبنا منهم عثمان » (اللسان مادة طير) . وفى مادة « وخش » والأغانى ٨ : ١٧٧ روايته « فما صار لى » بالصاد . والبيت ليزيد بن الطثرية ، وكان يتحدث إلى امرأة ويعجب بها ، فبينما هو عندها إذ حدث له شاب سواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن ، فقال :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينةٌ يستدينها
فألقيت سهمى وسطهم حين أوخشوا فما صار لى من ذاك إلا ثمينها

٢٢ لمَّا رَأَتْ أُخْتَها بالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِن الجَرَبِ

الهاءُ فى « أختها » راجعةٌ على عَمُّورية ، ويُريد بأختها أنقِرة ، أى أنها لمّا خَرِبَتْ وهى أختُ عموريّة أعدَتْها بالجَرَب ، والجَرَبُ يُوصَف بالعَدْوَى .

٢٣ كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
قَانِى الذَوَائِبِ مِنْ آنِى[(١)] دَمٍ سَرِبِ

« قانى النوائبِ » مُحمرُّها ، وأصلُها الهَمْز . و « الآنى » الحار ، وأصلُه فى الماءِ الحارِّ المُغْلَى ، واستعارَه ها هنا للدّم ، و « سَرِب » أى سائل .

٢٤ بِسُنَّةِ السَّيْفِ والحِنَّاءُ[(٢)] مِنْ دَمِهِ
لا سُنَّةِ الدِّينِ والإِسْلامِ مُخْتَضِبِ

[ع] أى خُضِبَ شَعْرُه بِسُنَّةِ السيفِ أى بما سنَّه وحكَم به ، لا بسنّةِ الإسلام ، لأنَّ الصحابةَ والتابعينَ كانوا يرَوْن من السنة أن يخضِبُوا شعورَهم بالحِنَّاء والكَتَم وما يجرى مجراهما من نَبات الأرض ، ويكرهون الخضابَ بالسواد ويُؤْثِرون الحُمْرة ، وفى الحديث أنّ أبا بكر رضى الله عنه اطّلَع[(٣)] إلى أصحابه فى مرضه وأسماءُ بنتُ عُمَيس تُمسِكه وكأنّ لحيتَه ضِرامُ[(٤)] عَرْفَجٍ . والمعنى الذى بناه عليه الطائى بيِّنٌ واضح ، وقد يجوز أن يقولَ القائِلُ إنّ خِضابَ هذا الكافرِ بهذا الدّمِ من سُنَّةِ الدين والإسلام ، إذْ كان الجهادُ مُفترَضًا على

---

(١) س ، د : « من قانى » ، ورواية الأصل بهامش س .

(٢) م ، د ، هـ ، ل : « والخطى » .

(٣) كذا فى الأصول ، ولم نجد « اطلع إلى » بمعنى خرج ، والحديث « كان يخرج إلينا وكأن لحيته ضرام عرفج » (النهاية فى غريب الحديث ، واللسان مادة « ضرم ») .

(٤) الضرام : لهيب النار ، والعرفج : نبت طيّب الريح ، عيدانه دقاق ، ولهبه شديد الحمرة ، وهو سريع الاشتعال بالنار . شبهت لحيته بضرام العرفج لأنه كان يخضبها بالحناء .

المسلمين . وبعضُهم يُنشِد : « بسُنَّةِ السيفِ والخطىّ مِن دَمِه » : وهو أجودُ في صحةِ المقابلة ، لأنه يقابل الدينَ والإسلامَ بشيئين ليسا في الحقيقة مختلفين ، إذ كانا من آلة الحرب ، وهو في الرواية الأخرى يقابل الدينَ والإسلامَ بالسيفِ والحِنَّاء ، وليس الحناءُ من جنس السيف * ويَجوز رفعُ « الحناءِ » وخفضُه ، فإذا خُفِض كان قوله « مِن دَمِه » في موضع الحال .

٢٥ لَقَدْ تَركْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِها
لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ

[ع] نَصَبَ « يومًا » على أنه مفعولٌ صحيح ، ولا يحتمل أن يكون ظرفًا ، والمعنى يومًا ذليلاً صخرُه وخَشَبُه . والغرضُ أنها أحرقتْ فذلّ صَخرُها وخَشَبُها للنار * .

٢٦ غَادَرْتَ فيها[1] بَهِيمَ اللَّيْلِ وهُوَ ضُحًى
يَشُلُّهُ[2] وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

« غادرتَ » أي تركتَ . و « البهيم » أراد به الليلَ الذى لاضوءَ فيه ، و « يَشُله » أي يَطرده . يقول كانَ ضوء النار يطرُد الليلَ وهو كالإصباح لتوقُّدِه وتلهُّبه ، وجمع بين التَّرك والطَّرْد ، وبينَ ظُلمةِ الليلِ والصُّبح ، فطابَق في موضعين ، إلاّ أنّ حقيقةَ المطابقةِ أن يقول : الليلِ والنهارِ والصبح والمساء ، والأوّلُ أيضًا جائز[3] .

٢٧ حَتَّى كَأَنَّ جَلابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
عَنْ لَوْنِها وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

« جَلابيبَ الدّجَى » يُريد جمعَ جِلْباب ، وهو القميص أو الرّداء ، واستعاره ها هنا للدُّجى وهو جمع دُجْيَة ، والدّجيَة الظُّلْمة ، وقال قومٌ

(١) س ، م : « غادرت فيهم » — و رواية الأصل فى س بين السطور .
(٢) فى أصل م « يشبُّه » وشرحه يدل على أنه رواها « يشله » .
(٣) هذا من الصولى بمعظم لفظه .

لا يُقال دُجْيَة إلاّ لليلٍ مع غَيْم، فأمّا المُحدَثون فيعبِّرون بالدّجى عن الليل، ولا يَفرِقون بين المُقمِر وغيره. وأصل الدّجيَة أن يكون بالواو، لأنه مِن دَجا يَدْجو ولكنهم آثروا الياء لِخفتها. [ع] وبعض المُولَّدِين يَظن «الدّجَى» واحدًا مثلَ هُدًى، وإنما هو مثل زُبْيَةٍ وزبًى.

٢٨ ضَوْءٌ[١] مِنَ النَّار والظَّلْماءُ عَاكِفَةٌ
وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَان فى ضُحًى شَحِبِ

[ص] يقول: ضَوء النارِ يُصيِّر الليلَ نهارًا، وظُلْمة الدخانِ تُصيِّر الضّحى شَحِبًا. [ع] وذكّر «الضّحَى» والغالب عليها التأنيث. وتذكيرُ ما لا يَعْقِل من هذا النوع كثير. وأصحاب النقل يَروْن أنّ تصغيرَ الضّحَى ضُحَىّ، فإذا قِيلَ لهم: لِم لَمْ تُظهروا الهاءَ فى مُصغّر الثلاثى كما قالوا رُحَيَّة وقُدَيْمَة؟ قالوا: أرادوا أن يَفرقوا بين تَصغير ضُحًى وتصغير ضَحْوَة، وقد يجوز مثل ذلك، والذى يُوجبه القياس أنّ قولَهم ضُحَىّ يجوز أن يكونَ تصغير ضُحًى، ويجوز أن يكونَ تصغير ضَحْوٍ، لأنهم قالوا جِئْتُك ضَحْوًا أى والنهار مُضْحٍ، قال الشاعر:

طَرِبْتَ وهَاجَتْكَ الحمَامُ السَّواجع تَميل بها ضَحْوًا غُصونٌ نَوائعُ[٢]

— «نَوائع» جمع نائع، من قولهم ناعَ الغُصْنُ إذا تمايل — [ع] و«شَحِبٌ» كلمةٌ قليلة، وإنما الكلامُ شاحب أى متَغيِّر. والواو فى قوله: «والظلماء عاكِفَةٌ» واو الحال.

٢٩ فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقَدْ أَفَلَتْ
والشَّمْسُ وَاجبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ

«من ذا» الأوّل يعنى به لهيبَ النار، و«ذا» الثانى يُريد به الدّخانَ.

(١) قال الصولى فى كتابه الأخبار (ص ١١١): كذا قال أبو مالك والرواية «صُبح».
(٢) البيت فى اللسان من غير عزو (مادة ضحو).

و « أفلَتْ » غابَتْ ، ومن ذلك قولُهم أفلَتِ المُرضع إذا قلّ لحمُها ولبَنُها . قال أبو زُبَيْد يَصِف الأسدَ واللبؤةَ والشِّبْلين :

أبُوشَتيمَيْن من حَصَّاءَ قد أفِلَتْ كأنَّ أطْباءَها فى رُفْغِها رقَع [1]

ووجَبَتِ الشمس إذا سَقطتْ فى المغرب [2] .

٣٠ تَصَرَّحَ [3] الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَها
عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُب

« تَصَرَّحَ » تَفعَّلَ من الصَّريح وهو الخالص . أي تَكشَّفَ الدهر كما يتكشَّف الغمام عن السَّماء . [ع] ويعنى بـ « طاهر جُنُب » أنَّ هذا اليومَ كان ما فُعل فيه حلالاً لأنَّ الغزوَ مندوبٌ إليه فهو طاهرٌ من هذا الوجه ، وجُنُب لأنهم أخذوا السَّبْيَ فوطئوه فاحتاجوا إلى الغُسْل [4] * .

٣١ لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ [5] يَوْمَ ذَاكَ على
بانٍ بِأَهْلٍ ولَم تَغْرُبْ على عَزَبِ

(ع) : أهل اللغةِ يَختارون بَنَى فلانٌ على أهله ، ويكرهونَ بَنَى

(١) « الشتيم » الأسد العابس . وحصأ الصبى ، كجعل وسمع : رضع حتى امتلأ بطنه . و « الحصّاء » التى انحص وبرها . الطبى (بالضم والكسر) حلمات الضرع التى من خفّ وحافر وسبع ، جمعه أطباء . و « الرُّفغ » بالضم أصل الفخذ . والبيت فى اللسان (مادة أفل) ، وهو من قصيدته التى مطلعها :

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيِّق ولِـع

(الأغانى ط الساسى ١١ : ٢٣) .

(٢) فى ظ : أى الشمس طالعة من اللهب وهى غاربة آفلة ، وغاربة من الدخان وهى طالعة ، ألم فيه بقول النابغة :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلامُ إظلامُ

(٣) قال الصولى : ويروى « تكشف » وهى رواية المرزوقى ، وكذلك هى فى هـ س ، هـ ب .

(٤) وقال الصولى : نسب جنباً إلى اليوم كما قالوا ليل نائم لیل ینام فيه ، ويوم عاصف لأن الريح عصفت فيه . وقال المرزوقى : أى تكشف الدهر وبرز لها كما تصرح الغمام عن يوم طاهر على المسلمين الظافرين ، جنب على المظفور بهم المغار عليهم . ونقل ابن المستوفى عن الشرح المفرد لهذه القصيدة : « طاهر » أى طاهر فى نفسه ، و « جنب » أى الناس جنب فيه .

(٥) ب : « منه » — ظ : « فيهم » .

بها ، وأصل ذلك أنهم كانوا إذا أعرسوا بنوا القِبابَ على العرائس ، والمتعارف في كلامهم بَنَى على المرأة القُبَّة . ولا يَمتنع القياس دخولَ الباءِ في هذا الموضع ، ويكون المعنى : بنى بأهله أي من أجلهم ، كما يُقال للرجل خُذْ هذا بما فعلتَ في الدهرِ الأوّل أي من أجله[1] * . ويُقال رَجُل عَزَبٌ وامرأةٌ عَزَبة ، وقال بعض العلماء باللغة يُقال للرجل عَزَب وللمرأة عَزَب ، ولا تدخُل الهاء في المؤنَّث ، وأنشد :

يا مَنْ يَدُلّ عَزَبًا على عَــزَبْ
على ابنةِ الحُمارس الشيخِ الأَزَبّ[2]

[ص] ومعنى البيت : لم يُتْرَكْ منهم مَن كان بَنَى بأهلِه لأنه قُتل ، ولم يَبْقَ في هؤلاءِ عَزَبٌ لأنهم وَطئوا السَّبْيَ * .

٣٢ مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُوراً[3] يُطِيفُ بِهِ
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الخَرِبِ

[ص] يقول : ما رَبْعُ ميَّةَ المعمور الذي أكثرَ وصفَ حُسْنه ذو الرّمَّة بأحسنَ رُبًى من هذا الرَّبْع الخَرِب في عين مَنْ فتحها * .

(ع) : غَيْلان بن عُقْبة هو ذو الرّمة ، واشتقاق غيلان يجوز أن يكون من الغَيْل ، وهو الساعد الرّيان الممتلئ ، والماء الذي يجري على وجه الأرض ، وأن يكون من الغيل وهو الشجر الملتف ، فأمّا إذا أُخذ من الغَيْل فهو فَعْلان ، وإن أُخذ من الغِيل جاز أن يكون من ذوات الواو ، لأن الغِيلَ إذا أريد به الشجر الملتفّ فالغالب عليه أن يكون من غال يَغول إذا أهلَك ، وذلك لأن الأُسْدَ تَسكُنه فتغول ما يقع فيه من الحيوان ، فيكون غَيْلان على هذا من الغَوْل كما أن الرَّيْحان من الرَّوْح ، ويُحمَل على أنّ أصلَه التّشديد فخُفِّف كأنه

---

(١) قال ابن المستوفي في الرد على أبي العلاء : واللغة إنما يوقف عليها مع السماع ، والأول الصحيح .

(٢) الرجز في اللسان (مادة عزب) ، وقال : « الأزبُّ » الكريه الذي لا يدنى من حرمته ، و « الحمارس » الشديد الجريء الشجاع .

(٣) هـ س : ويروى : « معهوداً » .

رَيْحان وغيلان ، ففُعِلَ به ما فُعِل بسيِّد وميِّت . ونَصَب « معموراً » على الحال ، والعامل فى « معمور » فعل مُضْمَر وهو الذى أضمر فى قول الأول :

لَعَمرُكَ إنى وارِداً بعد سَبْعةٍ لأعْشَى وإنِّى صادِراً لَبَصِير

والنحويُّون يجعلون المُضْمرَ فى نحو هذا « كان » التى فى معنى وقَعَ ليخلصَ لهم معنى الحال ، وإذا كان الأمرُ على ذلك جاز أن يُضمَر كلّ ما هو فى معنى الوقُوع . فإن زَعَم زاعمٌ أنّ العاملَ فى « مَعْمور » قولُه « يُطيف » فلا يمتنع ذلك ، ولكن الوجه الأوّل أجود لما وَقَع فى الوجه الثانى من التقديم والتأخير . ويقال طافَ القوم حَوَالَى البيتِ إذا داروا به ، وأطافوا إذا أحدقوا به ، ويستعملون أطافَ فى معنى الإلمام ، وفى بيت الطائى حذفٌ يَدلّ عليه المعنى ، وذلك أنه ذكَر رَبْعَ مَيّة وليس له بَهاءٌ إلاّ عند غَيْلان لمكانِ لَهجِه بها ، فكأنّ المعنى ما رَبْعُ ميّةَ فى نفس غَيْلان أبْهَى من هذا الربعِ الخَرِب فى أعيُن المسلمين . « والرُّبَى » جمع رَبْوَة وهو المُرتَفع من الأرض .

٣٣ ولا الْخدُودُ وقدْ أُدْمِينَ[(١)] مِنْ خجَلٍ
أَشهى إلى ناظِرٍ مِنْ خدِّها التَّرِبِ

[ع] لمّا شبَّهها بالمرأةِ وجَعَلها بكرًا فى بعض الأبيات حَسُنَ أن يستعيرَ لها خدًّا و « التَرِب » الذى قد لَصِقَ بالتراب * .

٣٤ سَماجَةً غنِيَتْ مِنَّا[(٢)] العُيون بِها
عَنْ كلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ

« سَماجَةٌ » قُبْح . يقول : خرابُ عمورية سماجةٌ عند أهلها ، وقد استغنَتْ عُيونُنا عن كلِّ حُسْنٍ بها لأنها تَفُوق كلَّ حُسْنٍ فى عُيون المسلمين الظافرين .

---

(١) م ، ل : « ولو ادمين » — س ، ظ ، د : « وإن أدمين » وفى د . « إلى ناظرى » .
(٢) م : « منها » — ورواية د « سماجة غيبت فيها العيون بها » .

٣٥ وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ

ويروى « تَبقى عَواقبُه »[(١)] يريد : حُسْنُ المُنْقَلَب كان للمسلمين ، وسُوء المنقلب كان للكُفَّار .

٣٦ لَوْ يَعْلَمُ[(٢)] الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ[(٣)]
لَهُ العَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ والقُضُبِ

أى كانوا فى تلك الأعصرِ غافلين عما حَلَّ بهم من القتلِ والتَّخريب .

٣٧ تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَقِبٍ[(٤)] فى اللهِ مُرْتَغِبِ

« المُرتَقب » الذى يَجعل ما يَرقُبه بين عينيه كأنَّه يَنظُر إليه . و« مُرْتَغب » أى يرغب فيما يُقرِّبه إلى الله تعالى .

٣٨ ومُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ
يَوْماً ولَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

« مُطْعَم النَّصْر » يعنى الممدوح ، وأصل هذه الكلمة فى الصَّيْد ، يُقال فلانٌ مُطعم من الصَّيْد إذا كان مَرزُوقًا منه أى يكون له طَعامًا ، ويُقال قوْسٌ مُطْعَمة إذا تعوَّد راميها أن يصيبَ سهمُها الوَحْشَ الواردةَ فيَشُوبُ منها طَعام . جَعَل الممدوحَ مُتعوِّدًا للنَّصرِ كما يتعوَّد القانِص أن يطْعَم من لحم[(٥)]

(١) وهى رواية م ، ل ، س ، ظ .
(٢) م ، ل ، س : « لم يعلم » ورواية الأصل بهامش س .
(٣) ل ، ظ ، هس ، هم : « خبأت » .
(٤) م : « لله مقترب فى الله مرتقب » .
(٥) قال الصولى أول من قال بهذا علقمة بن عَبَدة فقال :
ومطعم النصر يوم النصر مطعمه أنَّى توجه والمحروم محروم
وله رواية أخرى فى ل : « ومطعم الغنم يوم الغنم » .

الصَّيْد [ع] وقوله : « لم تَكْهَم » أي لم تَنْبُ ، وأصل الكَهَام في السَّيفِ وقد استُعير لغيره[١] * .

٣٩ لَمْ يَغْزُ[٢] قَوْماً ولَمْ يَنْهَدْ[٣] إلَى بَلَدٍ
إلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ[٤] مِنَ الرُّعُبِ

« لم يَنْهَد » أي لم يَنْهَض إليه ، ومنه قولُهم نَهَد ثَدْىُ الجارية ، وتَناهَد القوم في السَّفَر إذا تخارَجُوا النَّفقَة بينهم ، وهو راجعٌ إلى هذا ، ومنه تَنَهَّد الحَزِين كأنَّه يُنهِض النَّفَسَ .

٤٠ لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا
مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فى جَحْفَلٍ لَجِبِ

« الجَحْفَل » الجَيْشُ العظيم ، وقال قومٌ إنما قيل له جَحْفَل لأنه يَكْثُر فيه ذَوَاتُ الجَحافِل وهى للخيلِ مثل الشِّفَاه ، وتُستَعمل فى البغال والحَمِير ، ويُقال رَجلٌ جَحْفَلٌ إذا كان ضَخْمَ الأمر سيِّداً ، يُرِيدون أنه وحدَه كأنَّه جيشٌ لعظَمِ شأنه . و « اللَّجِبُ » الصَّخِبُ الكثيرُ الأصوات . و « الوَغَى » الحَرْبُ ، وأصْلُه الصَّوتُ ، ثم سُمِّيَتِ الحربُ به .

٤١ رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ[٥]

أي كان قتالُك فى الله مُستَنصراً لدينه ، ولو كان قتالُك لغيرِ دينِ اللهِ لم تُنصَرْ عليهم ولم تُصِبْهم .

---

(١) قال ابن المستوفى: قال الجوهرى : سيف كهام أى كليل ، ولسان كهام أى عَيِىٌّ ، وفرس كهام أى بطىء ، ورجل كهام أى مُسن، فإذا جاز أن يقال لكل ذلك « كهام » فلم يمتنع أن يقال ذلك فى السنان ؟ (٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « لم يرم » .

(٣) ل ، د : « لم ينهض » . (٤) ل ، هـ س : « جند » .

(٥) س : « لم تصب » .

٤٢ مِنْ بَعْدِ ما أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا
وَاللهُ مِفْتَاحُ[١] بَابِ المَعْقِلِ الأَشِبِ

« أشَّبوها » صعّبوا أمرَها ، وحقيقتُه لفّفُوا حولَها الجُنْد ، من قولهم تأشّبتِ الغَيضةُ التفّتْ : أى منعُوها بالرّماح فصارَتْ كالشّجرِ الملتفِّ بالجمع الكثير . ويُروى « آمنينَ بها » قد وثقوا بمنَعَتها . ويُروَى « المُقْفَلِ الأشبِ »[٢].

٤٣ وقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
لِلسَّارِحِينَ ولَيْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

ويُروَى « أمَمٌ » موْضع « صَدَد » « وذُو أمرِهم» رئيسُهم الذى يأتَمرون له ، قال لهم : لا تخافوا هؤلاء فإنّهم لا يَجدون مَرْتعًا ولا مَسْرحًا لدوابّهم ، ولا ماء بالقُرْب يرِدُونه ، فإذا ضاقَ بهم الأمرُ انصرفوا عنكم . و « المَرْتَع » الموضعُ الذى تَرتع فيه الرّاعية . و « أمَمٌ » : ما بينَ القريب والبعيد ، وربّما قالوا « أمَمٌ » قَريب ، وصَدَدٌ مثلُه : و « الكَثَب » القُرْبُ[٣].

٤٤ أَمَانِياً[٤] سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِها
ظُبَى السُّيوفِ وأَطْرَافُ القَنَا السُّلُبِ

يقول : كان ذلك التقديرُ أمانيًا سَلَبَتْهم تصديقَها ظُبَى السيوفِ أى حدُّها. وأكثرُ ما تُستَعمل « الأمانى » مُشدّدة . و « الهاجس » ما يَهجُس فى الصَّدرِ من فكْر . [ع] و « القَنَا السُّلُب » يَحتَمِلُ وجهين : أحدهما أن

---

(١) فى ظ : ويروى « والله فتاح » .
(٢) رواها الصولى فى شرحه . وشرح التبريزى هنا من الصولى بأكثر لفظه .
(٣) قال الصولى : فن رواه « صدد » فهذه مماثلة لأنه جاء بلفظين بمعنى واحد .
(٤) فى ظ : ويروى « أمنيّة » .

يكونَ جَمْعَ سَلُوب ، كأنَّه يَسلبُ الناسَ أموالَهم ، والآخر أن يكونَ جمعَ سَلَبٍ وهو الطويلُ ، يُقالُ رُمْحٌ سَلَب * .

٤٥ إنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ ومِن سُمُرٍ
دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِن مَاءٍ ومن عُشُبِ

[ص] يقول : لا تُنال لذَّةُ الأكل والشُّرب إلاّ بالرّماح والسُّيوف ، وضَرَبَ لهذا مثلاً فقال : هُما دَلْوَا الحَيَاتَيْن ، يعنى أنّ الحِمامَيْن بالبيض والسُّمر دَلْوَا الحياتين : الحياةِ بالماءِ والحياةِ بالنبات ، إذْ كان لا بُدَّ منهما أو ممّا يُحيا بهما ، فكأنَّهما يَستقيانِ هاتين كما يَستقى الدلوانِ الماء * والأكثرُ فى « السُّمر » تَسكينُ الميم ، وقلَّما يستعملون تحريكَها فى غير الجمع إذا كان لـ « أفعَلَ » و « فَعْلاء » مثلَ أحْمَرَ وحَمْراء ، يقولون حُمْرٌ فى المذكّر والمؤنث فيَلزمون الإسكان ، إلاّ أن يُضطرّ شاعرٌ فيقول السُّمُر فى جمع أسْمَر ، والوُرُق فى جمع أوْرَق ، والشُّقُر فى جمع أشْقَر ، فأمّا العُشْب والعُشُب فإنهم يجترئون فى مثْل هذا على الحركةِ والسُّكون .

٤٦ لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الكَرَى (١) ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

« زِبَطْرِىّ » مَنسوبٌ إلى زِبَطْرَةَ ، وهى بلد فَتَحه الرّوم ، فَبلَغ المعتصم فيما قيل أنّ امرأةً قالت فى ذلك اليوم وهى مَسْبيّة : وامُعْتَصِماه ! فَنُقلَ إليه ذلك الحديثُ وفى يَدِه قَدَحٌ يُريد أن يَشربَ ما فيه ، فوَضَعه وأمَر

---

(١) قال الصولى : والسُّلب الأسنة الطوال واحدها سلوب، والصحيح أنها الرماح لا الأسنة ، كما استدرك عليه ابن المستوفى.

(٢) قال المرزوقى : وقوله « هرقت له كأس الكرى » مثل قول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

وقال ياقوت : « زبطرة » بالكسر ثم بالفتح وسكون الطاء المهملة وراء مدينة بين ملطية وسميساط والحدب فى طريق بلد الروم .

بأن يُحفَظ، فلمّا رَجَع من فَتْح عمورِيّة شَرِب[١]. والعامّةُ يقولون زَبَطْرة بفتح الزّاى، وليس فى كلام العرب مِثْلُ «دَمَقْس» فى الرّباعى، وهو اسمٌ أعجمىّ، والقياسُ إذا نَطَقَتْ به العرَبُ أن يُكسرَ أوّلُه ليُخرجوه إلى بناء هو لهم، مثلَ قولهم أرضٌ دِمَشْرَة أى سَهْلة، وناقةٌ دِرَفْسَة أى ضَخْمةٌ شَدِيدة. ولا يَمتنعُ أن تُتْرك الكلمةُ الأعجميّةُ على حالها من فتح أو غيره، لأنّ تَرْكَهم أن يَبْنوا مِثْلَ «دِمَقْس» إنما هو اتّفاقٌ وَقَع فى اللغة، لا أنّ اجتنابَهم ذلك لعِلّة، كما أنهم لم يُهمِلوا «المِدَعَ» لعِلّة فى اللفظ، وإنما هو لأنه لم يستعملها مُستعمِلٌ، وإن كانوا قد استعملوا ما هو أثقلُ منها. و«هَرَقْتَ» تستعمل فى المياه وما جَرَى مجراها فى السَّيَلان، والأصلُ «أرقْتَ» فأبدِلت الهاءُ من الهمزة، إلا أنّ الذى يقول «هَرَقْتُ» يقول فى اسم الفاعل والمفعول «مُهَرِيق» و«مُهَرَاق»، واستثقلوا الهمزةَ أن تُثْبَتَ فى «مُرِيق» ومُرَاق، فلم يقولوا «مُؤَرِيق» ولا «مُؤراق» لِثقل الهمزة، وأثْبَتوا الهاءَ لخفتها. فأمّا الذين قالوا «مُهْرِيق» بسكون الهاءِ فَلُغَتُهم أن يقولوا فى الماضى «أهْرَقْتُ» فيجمعون بين العِوَض والمُعَوَّضِ منه. وقيل إنّ الهاءَ دخلَت فى «أهْرَقْتُ» عِوَضًا من عِلّة الفعل، وهذا أصحّ من القوْل الأوّل. و«الخُرَّد» الحييَّات، وإنما قالوا فى الواحدة خَرِيدة وخَرِيد، وخُرَّد جمعُ فاعلة وفاعل، ولم يقولوا فيما ظهر امرأةٌ خارِدٌ ولا خارِدَةٌ، ولكنهم أجْرَوه على ذلك، لأنه يجوز أن يُقال، كما قالوا فى جمع حُرَّة حَرائر لأنه يمكن أن يقال حَرِيرةٌ فى معناها. و«العُرُب» جمع عَرُوب وهى المُتَحبِّبة إلى زَوْجِها.

٤٧ عَداكَ[٢] حَرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ
بَرْدِ الثُّغُور وعَنْ سَلْسَالِها الحَصِبِ

«الثُّغور» الأول جمعُ ثَغْر العدو، وهو الموضعُ الذى يُخاف أن يأتىَ منه،

(١) فى ظ: قال الخازرنجى: إنما أراد بذلك قول امرأة من زبطرة كتبت إلى المعتصم حين دخلها الروم:

يا ابن الخلائف من ذؤابة هاشم ... ذهبت زبطرةُ منك إن لم تأتها

(٢) ظ: «حماك».

و « الثغور » الثانية مِن ثَغْرِ الإنسان . وأصلُ « السَّلْسَال » الماءُ الصافى السهلُ الدخولِ فى الحَلْقِ ، ويجب أن يكونَ أصله من الماءِ الذى يجرى مُستطيلاً على وجه الأرض ، كأنَّه مأخوذٌ من سِلْسلة البَرْق وسلسلة الحديد ، لأنَّ الماءَ الجارِىَ أخفُّ من الماء الرَّاكِد . و « الحَصِبُ » الذى فيه الحَصْباءُ وهو صغارُ الحَصَى ، وإنما أراد بالسَّلسالِ الرِّيقَ ، وجَعَله حَصِباً لأنَّ فيه الأسنان . و « عَدَاكَ .. » أى صَرفك عن بَرْدِ هذا الرِّيق فى ثُغورِ الحِسان ما فى قَلْبك مِن أمْرِ الثُّغورِ التى أبِيحَتْ وتَمكَّنَ العَدوُّ منها . [ص] وفى هذا البيتِ مُطابَقَةٌ ومُجانَسة فالمطابقة بالحَرِّ والبَرْد ، والمُجانَسةُ بالثُّغُورِ والثُّغُور *

٤٨ أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً
ولَوْ أَجَبْتَ (١) بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ

ويُرْوَى « مُعْلَماً »(٢) وإنما يُعلِم مَن هو مَعرُوفٌ بالشجاعةِ فيَجعَلُ لنفسِه عَلامةً يُعرَفُ بها فى الحَرْب . ويُقال انصَلَتَ فى الأمرِ إذا مَضَى فيه ، والأجودُ أنْ يكونَ الانصلاتُ ها هنا للرجل ، ولا يَمتَنِعُ أنْ يكونَ للسيف ، والسيفُ الصَّلْتُ المُتجرِّد ، يُقال أصلتَه فهو مُصْلَت ، ولا يعرف(٣) صَلَتهُ فانصلتَ ، ولكنْ يَجُوز أن يُحمَل على غيره إذا أريد به المضاءُ ، كما قال الراجز فى صفة الإبل :

* فانصَلَتَتْ تَعجَبُ لانصلاتها *

وقوله : « لو أجبتَ بغير السيفِ لم تُجبِ » : أى مَن أجابَ إذا لم يُنْتفَعْ بجوابِه فكأنَّه ما أجاب .

---

(١) س ، ل : « ولو دعيت » .

(٢) وهى رواية م ، ل ، س ، ظ . –وفى ظ أيضاً : ويروى « معلناً » .

(٣) من قوله : « ولا يعرف صلته » إلى آخر شرح البيت من كلام أبى العلاء المعرى ، لأن ابن المستوفى نقل بعضه بلفظه متفرقاً ، ولهذا لم أرمز إليه .

٤٩ حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشِّرْكِ مُنْعَفِرًا
وَلَم تُعَرِّجْ عَلَى الأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ

ويُروَى « مُنقَعِرًا » من قوله تعالى : «كأنَّهم أعجازُ نخلٍ مُنقَعِر» . و « المُنعَفِر » المُلتصقُ بالتُّراب وهو العَفْر ، وكان البيتُ يُبْنَى على عَمَد وأوتادٍ وأطناب ، فالعَمودُ أرفعُها وأعظمُها .

[ع] يقول : عمدتَ لأعظمِ شأنِ الرّوم ولم تُعرّجْ على ما صَغُر من الأمور . والمعنى أنّه فتَح عمورية ولم يَقْتَنِعْ بالقُرى وسَبْيِ مَن فيها . ولا يُلتَفَتُ إلى قول مَن قال إنه أرادَ أنه سافر مُبارِزًا ولم يكنَّ بالخيَم[1]. قال المرزوقي : ما أظنّ صَحبه[2] التوفيق فى هذا التفسير ، ولا أدرى كيفَ استجازَ من طريق العُرْف والعادة أن يكونَ المعتصمُ مَضَى من مَقرّه غازيًا إلى عموريّة ولم يَكتَنّ بالخيم ؟ ومُرادُ أبي تَمّام فى هذا : أنك من بيتِ الشِّرك قصدتَ عمودَه ، وما كان قِوامُه به ، فزعزعْتَه ونزعْتَه ، ولم تعطِف على جوانبه ، أى قصدتَ قَصَبةَ الكُفْرِ دونَ القُرَى والرَّساتيق .

٥٠ لمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفَلِسٌ
وَالحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ

يُستَعمل « الحَرَب » فى معنى الغَضَب وفى معنى ذهابِ المال[3].

٥١ غَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوالِ جِرْيَتَهَا
فَعَزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيارِ والحَدَبِ

«الحَدَبُ» ارتفاعُ الماء تارةً وانخفاضُه أخرى. [ص] يقول : لمّا رأى توفلس

---

(١) هذا تعريض بالصولى لأن ما أورده هو شرحه بلفظه .
(٢) الضمير هنا عائد على الصولى .
(٣) قال الصولى هذا من قول النابغة الجعدى :
وتستلب الدهم التى كان ربُّها ضنيناً بها والحربُ فيها الحرائبُ

الحربِ تجرى إليه بالرّجال كما تجرى السيولُ بذَل للمعتصمِ أموالاً ليرجعَ عنه فعزّه أى غلبَه ، يُريد المعتصمَ وجيشَه * . و « التيّارُ » معظمُ الماء ، وربما قيلَ « التيارُ » الموْج وهو مأخوذٌ من أنه يجىء تارةً بعد تارة . [ص] ومَن روى « جِزيتها » بالزاى فقد صحّف[1] لأنه لو بذَل الجزيةَ لأُخذت منه ، وإنما بذل مالاً لا على سبيل الجزية — .

٥٢ — هَيْهاتَ ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بهِ
عَن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزْوِ مُكتَسِبِ

« هيهات » يُوقَف عليها بالهاء إذا فتحتَها ، وإذا كسرتَها يُوقف عليها بالتاء ، ويجوز « هيهاتًا » و « هيهات » وتُبدل الهمزةُ من الهاء فيقال « أيْهاتَ » ويقال « أيْها » أيضًا ، وأنشد الفرّاء[2] :

ومِن دُونِيَ الأعيارُ والقِنْعُ كلُّه وكُتْمانُ ، أيْها ما أشَتَّ وأبْعَدا !

— « الأعيارُ » مواضع ، و « القِنْع » أسفلُ الأرضِ وأعلاها ، و « كُتْمان » موضع — .

[ع] و « زُعْزِعَتْ » حُرِّكتْ حركةً عنيفة ، والهاء فى « به » راجعةٌ على تُوفلِس . يقول : زُعزعَت الأرضُ به عن غزْو هذا الملكِ الذى هو مُحتسِبٌ للأجر لا مُكتسِبٌ للمال ، فكأنّ زعزعة الأرضِ كان سَبَبُها غزوَ هذا السلطان ، كما يقال مرض فلانٌ عن أكل الرُّطب ، أى كان أكلُ الرّطبِ سببَ مرضِه . و « عن » فى هذا الموضع تؤدى معنى غيرها من حروف الخفض ، فلو قيل فى

(١) ه س : « جزيتها » بالزاى عن أبى على البغدادى ، وهى رواية د . وقال الصولى : وسمعت مرة من لا يفهم شيئاً ويدعى كل شىء ولا أسميه يقول « جزيتها » يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية ، وهذا تصحيف قبيح ، لأنه لو بذل الجزية لأخذت منه ، والبيت الذى بعده تصحيح ما فسرناه ، فأما الجزية لو بذلت وأخذت لكانت أجل من كل فتح ، وبذلك أرسل عمر بن الخطاب إلى ليون ملك الروم : « إما أن تسلم ، وإما أن تؤدى الجزية ، وإما الحرب » فبذلوا له ولجميع المسلمين مالا عظيما لينصرفوا فلم يقبله .

(٢) اللسان مادة « أيه » .

الكلام : زُعزِعت الأرضُ به من أجلِ الغزو أو للغزو أو بالغزو لاحتمل ذلك كلَّه . وما بعد هذا البيتِ بيانٌ له وشَرحٌ لمعناه »[1].

٥٣ لمْ يُنفِق الذهبَ المُرْبِى بكَثْرَتِهِ
على الحَصَى وبهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ

يُخاطِب تُوفَلس ، يقول : لم يُنفِق الذهبَ الكثيرَ الذى هو أكثرُ من الحصَى رغبةً فيما تَبذله مِن الذهب ، بل لِيَنتقمَ منك ، ويقابِلَك بِسُوء صَنيعك أو تُسْلِم و « المُرْبِى » الزائد ، فقال أربَىْ عليه إذا زاد عليه .

٥٤ إنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغِيلِ[2] هِمَّتُها
يَوْمَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلوبِ لا السَّلَبِ

جَعَل الممدوحَ غنيًّا غيرَ مُحتاج إلى المالِ فيُخدَعَ به لِيَكفَّ عن القتال. و « الكريهة » الشديدةُ من كل شىء ، والمُرَاد بها الحربُ هنا .

٥٥ وَلَّى وقَدْ أَلجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَهُ
بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا[3] الأَحْشَاءُ فى صخَبِ

« ولَّى » يعنى تُوفَلس ، و « الخَطِّى » الرّمح منسوبٌ إلى الخَطِّ وهو سيفُ عُمَان ، وقال قوم كلّ سيفِ بحر خَطّ . و « ألجمَه » أى كان له كاللجام ، وفى الحديث : « التَّقِىّ مُلْجَم » أى أنه يخاف الزّللَ من الكلامِ ، فكأنَّه ألجم باللِّجام . و « الصَّخَبُ » أصلُه كثرةُ الكلام فى الغضَب ، وكثر ذلك حتى قالوا حمارٌ صخبٌ ، أى كثير النُّهاق ، وأراد بالصَّخَب فى البيت وَجِيبَ

---

(١) جاء فى ظ : وقال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار فى ذكر أخطاء أبى تمام عقب قوله : « هيهات زعزعت الأرض الوقور به » : ومتى رأى خليفة قط وصف بأنه يغزو احتساباً بغير اكتساب ؟ إنما هذا يوصف به المطوعون من الغزاة ، ولا أعلم كيف قاده فهمه إلى هذا القول حتى قاله ؟ وعقب ابن المستوفى على هذا الكلام بقوله : وهو لا يكون مدحاً إلا على ما ذكره أبو تمام .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « أسود الغاب » .

(٣) ظ : « خلفها »

القَلْب من الفَزَع ، ولا يُلتفت إلى ما ذُكر فى معناه سوى هذا[١]. (ق) : رَأيتُ بعضَهم يقول ليسَ للسكتة تحت، يَعيبُه بقوله « تحتها الأحشاءُ » وهذا جهلٌ منه ، لأنّ الإشارةَ إلى آلة الكلام ، والسكوتُ والإلجامُ لا يَتأتى إلاّ فيها ، وإذا كان كذلك فذِكْرُ المنطق والسكوتِ يُشار به إلى الفم ، وكذلك الضميرُ المتصل بـ « تحت » يَرجعُ إليه فى الحقيقة . على أنّى ما أشبّه هذا إلاّ بما حُكى عن بعض أصحاب المعانى فى قول الفَرَزْدق :

والشَّيْبُ يَنهضُ فى الشبابِ كأنهُ ليلٌ يَصيحُ بجانبيْه نَهارُ

وذلك أنه جرى فى مجلس أبى عمرو هذا البيتُ فأثنى عليه هو وأصحابُه واستجادوه ، فقال بعضهم : « لَيْلٌ يَصيحُ بجانبيه نَهَارُ » ليسَ بحسَن . فحُكى أنّ أبا عمرو قال : لكل حسناءَ ذَامٌ . وما أظن هذا يَصحّ عن مثل أبى عمرو ، لأنّ الاستعاراتِ لا يُسلَك فيها هذا المسلك ولا يُؤْخَذ فيها بهذا الاعتبار ، ولا أدرى من أين أَنِسَ بنهوض الشيْبِ ونَفَرَ من صِياح الليلِ وهما من وادٍ واحدٍ ؟!

(١) يشير هنا إلى الصولى ، فقد قال فى شرحه : يقول من خوف الرماح لا يطيق الكلام ولكن أحشاءه تصطخب ، يريد أن الفزع ربما أحدث صاحبه ، فخرجت أرياح بطنه ، ويقال أيضاً هذا لمن به أدرة ، قال الشاعر فى رجل آدر :

ما زال منه الحمق واللجاجه
فى حـاجة منه وغير حاجه
حتى حسبنـاه على دجاجـه

وقال جرير :

لم أدر تصـوت فى خصاهم كتصويت الجلاجل فى القطار

وقد أورد ابن المستوفى كلام الصولى هذا وعقب عليه بقوله : لو قطع فسره عند قوله « تصطخب » أتى بالمعنى ، أما الباقى فزيادة قبيحة لم يردها أبو تمام ولا دل عليها شعره ، وما استشهد به مما هُجى به ذوو الأدر فليس ذلك من الخوف ، إنما هو شىء يعتريهم من رياح تعرض لهم ، وهذا أمر معروف يقع منهم فى الأمن لا فى الخوف . وقال بعد ذلك : ولما فرغت من نقل ذلك وقع إلى كتاب المرزوقى المسمى « كتاب الانتصار من ظلمة أبى تمام » فوجدته قال عقب بيت أبى تمام هذا : « ذكر بعضهم أنه ولى هذا المنهزم وهو من خوف الرماح لا يطيق الكلام [وأتى بما ذكره الصولى إلى آخر بيت جرير الذى استشهد به] ثم قال : هذا لفظه فى تفسير البيت ، ولو تأمل هذا المفسر أدنى تأمل لكفى مؤونة هذا الغوص البعيد ، والوجه أن يكون المعنى : ألجمه الخوف بلجام من السكوت، لكن قلبه يجب ، وأحشاءه تخفق ، حتى صار لها كالجلبة.

٥٦ أَحْذَى قَرَابينَه صَرْفَ الرَّدَى ومَضَى
يَحْتَثُّ أَنْجَى[١] مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ[٢]

« أحذَى » فى معنى أعطى ، وهو يتعدّى إلى مفعولين ، والمعنى : أعطى هذا المنهزمُ صَرْفَ الرّدَى قرابينه . و « القَرابين » جُلَسَاء الملك ، واحدهم قُربان . [ع] وقوله : « أنجى مَطاياهُ من الهرب » يريد أنّ الهربَ أنجَى مطاياه ، وهذا كما يقال لقد أخذتُ أكرمَ صاحبٍ من فلان ، أى هو الكريمُ المُفضَّل على غيره[٣] ، وبعضهم يروى : « إلى الهرب » والروايةُ الأولى أجود ، ومَن روى : « أزجى مطاياه » فقد صحّف[٤] * .

٥٧ مُوَكَّلاً بِيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُهُ[٥]
مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطرَبِ

ويُروى : « يَشْرُفُه » أى يعلوه ، و « يُشْرِفه » أى يُشْرِف عليه ، وهذا الفعل يُستَعمل تارةً بحرف الخفض وتارةً بغيره . وجعل « الطربَ » هنا الخفّة من الفرح خاصةً لمّا كَثُر استعمالُهم إيّاه فى ذلك ، وإن كان قد يُستعمل فى الحُزنِ والشوق المبرّح . والمعنى : أنّ هذا الرَّجلَ يَعلو ما ارتفعَ من الأرض لينظرَ إلى الطرق هل فيها مَن يتبعه[٦] .

---

(١) م ، س ، هـ ب : « أحفى » .

(٢) س : « من الرهب » وبهامشها رواية الأصل . وقال فى ظ : وبعضهم يروى « إلى الهرب » ، والرواية الأولى أجود ، ويروى « على الهرب » ، ويروى : « بحيث أخفى مطاياه من الهرب » .

(٣) فى ظ تكملة لكلام أبى العلاء هى : ومنه قول الباهلى :

أخو رغائب يعطيها ويمنعها ... يأبى الظلامة منه النوفل الزُّفر

(٤) فى ظ قال أبو العلاء : ومن روى « أزجى » فهو من أزجى الأمر إذا أنجزه ، ولا ينبغى أن يعدل عن « أنجى » لأن الزاى جديرة بأن تكون مصحفة .

(٥) ل ، س : « يفرعه » وذكرت ظ هذه الرواية .

(٦) قال فى ظ : هذا أكثر كلام أبى العلاء .

٥٨ إنْ يَعْدُ[1] مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعْتَ جاحِمهَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ

« الظَّلِيم » ذَكَرُ النَّعام ، وهم يَصفونه بالنِّفَارِ والسُّرعة، و « الجَحْمَةُ » معظمُ النارِ ، ومنه الجحيم . وهذا مَثَل ضَرَبه لشدة الحرب واضطرامها ، و « الجاحمُ » الذى يُسَعِّرها . يقول : خلَّفتَ بها جيشَك يقتلون مَن فيها ، فجعَلَهم حَطبًا لنيران الحرب[2] .

٥٩ تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
أَعْمارُهُمْ[3] قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ

هذا البيتُ قد تَكلَّم فيه الناس ، وذكَره الصولى رادًّا على مَن طَعَن فيه فقال[4] : إنْ كان هذا لأنَّ التينَ والعنبَ ليس مما يُذكَر فى الشعر وأنه مُستهجَن فقد قال عبدُ الله بن قَيْس الرّقيَّات :

سَقْيًا لِحُلوانَ ذِى الكروم وما صُنِّفَ من تينه ومن عنَبِهْ

وذكر أبياتاً غيرَها ، وقد عابهَ عليه مَن لم يَدْرِ قصْدَه . وكانوا يقولون : إنما يَفتَح مدينتَنا أولادُ الزّنا ، فإن أقام هؤلاء إلى زمانِ التين والعنب لم يُفلتْ منهم أحد ، فبلَغَ المعتصمَ قولُهم فقال : أرجو أنْ يكفينى اللهُ أمرَهم قبل نضْج التِّينِ والعنَب ، فأمَّا روايتهم أنَّه لا يَفْتح مدينتَهم إلاّ أولادُ الزّنا فما أريدُ أكثرَ ممَّن معى منهم ، يعنى الأتراكَ الذين كانوا فى جَيْشه . وقد بيَّن هذا فى قوله « السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُب » (ع) : ويقال إنَّ بعضَ

---

(١) ظ : « إن تعد » .

(٢) قال ابن المستوفى : ومثله قول الكلحبة العرُنى :

فإن تنج منها يا حزيم بن طارق فقد تركتْ ماخلف ظهرك بلقعا

قالوا : « منها » أى من فرس الكلحبة ، يقول : إن تنج من فرسى فقد تركت ما وراءك من الأرض المملوءة بمالك وجيشك خالياً ، أى استأصلته وغلبتك عليه .

(٣) س ، د ، هم : « جلودهم » — ورواية الأصل بهامش س .

(٤) راجع أخبار أبى تمام : ص ٣٠ .

مَن كان بعموريّة من الرّهبان قال إنّا نجدُ في كتُبنا أنّه لا يفتَح هذه البلدةَ إلاّ ملكٌ يَغرِسُ في ظاهرها شجرَ التّين والكَرْم ويُقيم حتّى يُثمرا ، فأمَرَ المعتصمُ بأن يُغتَرس التّينُ والكرمُ ، فكان الفتحُ قبل ذلك ، فاستعارَ النُّضجَ للأعمارِ لمّا قابله بنُضْجِ التين والعنَب .

٦٠ يا رُبَّ حَوْبَاءَ لمَّا اجْتُثَّ دابِرُهُمْ
طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ

« الحَوْباء » النفس ، ويُنشد :

وكأنّ آدمَ حينَ حانَ مماتُه … أوصاكَ وهو يَجُود بالحَوْباءِ
ببنيه أنْ تَرعاهُم فرعَيْتَهمْ … وكَفَيْتَ آدمَ عَيْلةَ الأبناءِ

[ع] و« اجتُثّ دابرُهم » أي قُطع أصلُهم ، وقيل استؤصِل آخرُهم ، والمعنيان مُتقارِبان. و« التضميخ » الاطِّلاء بالطيب ، قال الراجز :

يا ابنَ كُسَيْبٍ ما علينا مَبْذَخُ
قد غلَبَتْكَ كاعبٌ تَضَمَّخُ[١]

و« طابَتْ » : من الطِّيب الذى هو سُرورُ النفس ، لا من الطِّيب الذى هو أرَجُ الرائحة ، وكذلك قوله : « لم تطِب » في آخر البيتِ ، لأنّ النفسَ المهمومةَ وإن تضمَّخَتْ بالطِّيب ففاحَتْ رَيّاه غيرُ طيِّبةٍ لما تجدُ من الهمّ ، وهذا من قوله طاب نَفْسًا بكذا *

٦١ ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ

أى ورُبَّ مُغْضَبٍ على الكُفْر رَدّه الظَّفرُ بهم هكذا[٢]. [ص] وفى

---

(١) ذكر ابن المستوفى هذا الشرح بلفظه لأبي العلاء ولم يذكر الرجز .

(٢) فى ظ ذكر الخارزنجي وجهين لمعنى البيت : أحدهما موافق لشرح التبريزى ، والآخر هو : يقول ورب ملك عظيم منهم كان مغضباً مغتاظاً على المسلمين فأوقعت السيوف به ، فأحيت رضاه من إهلاكها إياه ، وأماتت غضبه .

البيتِ طباقان : الحيّ والميّت ، والرّضا والغَضَب *

٦٢ والحَرْبُ قائمَةٌ فى مأْزِقٍ لَجِجٍ
تَجْثُو القِيَامُ بهِ صُغْرًا(١) على الرُّكَبِ

« المأزقُ » أصلُه من الأَزْقِ وهو الضّيق ، ومأزق مَفْعِل من ذلك . « ولَجِج » من قولهم لَجِجَ فى الشىء إذا نَشِبَ فيه فلم يَتخلَّصْ ، وقد يقال مكانٌ لَجِجٌ أى ضيِّق . ويُروى « تجثو الكماةُ به » فى مكان « القيامُ » . و« الكُماة » جمع كَمِىّ ، وهو الذى قد كَمَى نفسَه بالسلاح ، وكأنَّه جَمْعُ كامٍ ، مثلما يُقال قاضٍ وقُضَاه ، ولكنهم يُعبِّرون عنه بأنه جمع كَمِىّ ، لاشتراكِ فاعل وفَعيل ، فى الواحد ، كما يقولون عُلماء جَمْعُ عالم ، وحقيقتُه أنه جمعُ عليم مثلُ كبير وكُبَرَاء . [ع] والمعنى : أنَّ القومَ يجثون على الرّكب لثقل ما حَمَلوه من أمرِ الحرب ، وهذا كما قال الثقفى :

إنْ حَمَلوا لم نَرِمْ مَوَاقِفَنَا وإن حَمَلْنا جَثَوْا على الرُّكَبِ *

٦٣ كَمْ نِيلَ تحت سَناهَا مِن سَنا قَمَرٍ
وتَحْتَ عارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

« تحتَ سناها » أى سَنَا الحرب ، وهو ضَوْؤها . « من سَنا قَمَر » أى من ضوء جارية كالقَمَر سُبِيَتْ . و« عارضها » أى عارضُ الحربِ التى تُمطر المَنايا . وقوله « من عارضٍ شَنَب » يعنى عارضَ الأسنان ، يُقال للنابِ والضّرس الذى يليه عارض ، والشَّنَبُ بَرْدُ الأسنان ، ويقال حِدَّةُ أطرافها .

٦٤ كَمْ كانَ فى قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقابِ بهَا
إلى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ(٢) مِنْ سَبَبِ

[ع] « الأسباب » الأشياء التى يُتوصَّل بها إلى غيرها ، ولذلك قيل للحبْل

(١) س ، د : « جثواً » ورواية الأصل بهامش س — ل ، ظ : « صعراً » (بعين مهملة) وفسرها فى ظ بقوله : أى متكبرين . وقال الصولى : ويروى « قسراً » ، ويروى « صغرا » وهو تصحيف

(٢) هم — « الحسناء » .

سَبَب ، و « أسبابُ الرِّقاب » يعني ما فيها من العُروق ، شَبَّهها بالحبال : و « المُخَدَّرة » ذات الخِدْر ، والأجودُ ها هنا أنْ يَعني بها المرأةَ ، وتكون شائعةً في الجِنْس ، ولا يمتنع أن يُعنى بها عَمُّورِيةَ ، لأنه قد شَبَّهها بالبِكْر في أول القصيدة * .

٦٥ كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
تَهْتَزُّ مِنْ[1] قُضُبٍ تَهْتَزُّ في كُثُبِ

[ع] يريد قُضُبَ الحديدِ الهندي أو قُضُباً الصَّنَعِ الهنديِّ أو نحوَ ذلك ، ويُقال للسيفِ الدقيق العَرْض قَضيب وهو ضِدّ الصفيحة . ويعني بـ « قُضُب » الثانيةَ قُدوداً تشبَّه بالقُضُب . و « كُثُب » جمعُ كَثيب من الرمل ، أي هذه القُضُب في أعجاز مثل الكُثُب * .

٦٦ بِيضٌ إذا انتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ
أَحَقَّ بالبِيض أَتْرَاباً[2] مِنَ الحُجُبِ

« انتُضِيَتْ » سُلَّتْ ، و « حُجْبها » أغمادُها ، و « الحُجُب » الثاني حِجَالُ النِّساء ، و « أتراب » جمع تِرْب . ويروى « أبدانًا » وهي من صفات نساء الروم . [ص] وفي البيت تجنيسٌ وتصدير ، فالتجنيس بِيضٌ وبِيض ، والتصدير رَدُّ العَجُز على الصدر ، قال في النصف الأول حُجْبها ثم قَفَّى بالحُجُب * .

٦٧ خَلِيفَةَ اللهِ جَازَى اللهُ سعْيَكَ عَنْ
جُرْثُومَةِ الدِّينِ[3] والإِسْلَامِ والحَسَبِ

ويُروَى « كافا اللهُ سَعْيَك »[4]. وجُرثومة الشيء أصلُه .

---

(١) م : « في » . (٢) م ، س ، د : « أبداناً » وهي في هامشي ب ، س — ل . « أقراناً » — وقال الصولي في شرحه ويروى « أحق بالبيض من خدر ومن حجب » .

(٣) ل ، ظ ، هـ س : « جرثومة الملك » — وفي ظ : قال أبو العلاء : ويروى « جرثومة الدين » .

(٤) وهي رواية ل ، د .

٦٨ بَصُرْتَ بالرّاحةِ الكُبْرى (١) فلَمْ ترَها
تُنَالُ إلاَّ على جِسْرٍ مِنَ التَّعبِ

[ص] مثْلُه قولُ الراجز :

جئتُ طَليحًا راكبًا طَليحا
تَعبتُ فى السَيرِ لأسْتريحا

٦٩ إن كان بَيْنَ صُرُوفِ (٢) الدَّهْرِ مِن رَحِمٍ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

٧٠ فبَيْنَ أَيَّامِكَ اللاَّتى نُصِرْتَ بِها
وبَيْنَ أَيَّامِ بَدْر أَقْرَبُ النَّسَبِ

٧١ أَبْقَتْ بَنى الأَصْفَرِ المِمْرَاضِ (٣) كاسِمِهِم
صُفْرَ الوجُوهِ وجَلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ

٧١ — [ع] الرّومُ يُقال لهم بَنُو الأصفَر ، وهم فيما يزعم أهلُ الكتاب من ولد العِيص بن إسحق بن إبراهيم ، وبعضُ الناس يقول : الروم جيلٌ قديم كان قبل إبراهيم . وقال « المِمْراض » لِيَدلّ على أن صُفْرتَه كانتْ من مرضٍ لا من خلْقة ، و « المِمْراض » الكثير المرض . وقال « كاسمهم » وهو يريد اسمَ أبيهم على المجاز ، لأنهم إذا ذُكروا قيل بنو الأصفر فعرِفوا بذلك فصار كالاسم

(١) س : « العيا » ورواية الأصل بهامشها — م : « العظمى » .

(٢) م ، ظ : « مرور الدهر » ، وقال ابن المستوفى : وفى نسخة « إن كان بين صروف الدهر » والذى أراه أن « مرور الدهر » أحسن لأن النصر فى بار وعمورية ليس من صروف الدهر بل من حسناته وفى سائر الأصول التى بين يدى « صروف الدهر » . وفى أصل الصولى « صروف » ولكن فى كتابه الأخبار ص ١١٣ « مرور الدهر » .

(٣) س : « الأصفر المصفر » : وبهامشها : ويروى « المعتل » ، ويروى « الممراض » أيضاً.

لهم ، وقد يجوز أن يُسمَّى نعتُ الرجل وكنيتُه ولَقبُه اسمًا له » ، قال الشاعر :

بنو الأصْفَرِ اختارتْ على العُرْبِ أسرةً بجفنــةَ فابتاعتْ حِماراً بأعوَجا

— هذا مَثَل ، أى اختارتِ الرومَ على العَرب ، يعنى دُخولَ جبَلَةَ بنِ الأيْهَم إلى بلاد الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ويُقال : إنما يقال لملوكِ الروم بنو الأصفر لأنّ حبَشياً كان غلَب على بلادهم فنَكَحَ فيهم ، فوُلد له أولادٌ يُخالِطُ بياضَهم صَفْرةٌ من سوادِه ، فازدادوا بذلك حُسْنًا .

٤

قال يمدح مالك بن طوق التغلبي [١] :

١ لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ
أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طُولُ عِتَابِ

الثانى من الكامل والقافية متواتر .

أى لو نَفَعَ لعَتَبْتُه . و « الشأوان » تثنية شَأْوٍ ، وهو الطَّلَق . (ع) واستعاره هاهنا للدهر ، وكأنَّه يذهب إلى فِعْله الشىءَ وضدَّه ، كالسُّرورِ والحُزْن ، والغِنَى والفقر [٢] ، ونحو ذلك * .

٢ لَعَذَلْتُهُ فِى دِمْنَتَيْنِ بِأَمْرَةٍ [٣] مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ

« الدِّمنة » أثَرُ القوم فى الدار ، وذلك ما يُرَى فيها من البَعَر ونحوه ، وهو الدِّمَن أيضًا [ع] وقوله : « بأَمْرَةٍ » : كأنَّه اسمُ مَوْضع ، ويُروَى « بِرامَةٍ » ورامَةُ أكثرُ تَرَدُّدًا فى الشِّعْر ، ومَن رَوَى « بأمرِهِ » فله مَعنى صحيح ، وتكون الهاءُ عائدةً على الدَّهر ، كأنَّه يجعل له أمرًا مقبولاً وهو أحسنُ من الوجه الأول ، وهذا كله مستعار * . وقال بَعضهم إنما هو « بمَرَّةٍ » وكأنَّه

---

(١) قال أبو بكر الصولى فى شرحه : أنشدنيها أحمد بن إبراهيم القيسى ، قال أنشدنى محمد بن روح الكلابى ، قال أنشدنى أبو تمام هذه القصيدة لنفسه .

(٢) استدرك ابن المستوفى على كلام أبى العلاء هذا فقال : وهذا الذى ذكره أبو العلاء لا يستقيم ، لأن العاقل لا يعتب الدهر على أن يكف شأوه فى السرور ولا فى الغنى ولا فى الشىء المحبوب ، وإنما يعتبه على أن يكف شأوه فى ضد ذلك ، وهذا معلوم معروف . والذى أراه أنه إنما ثنى « الشأوين » لتثنية « الدمنتين » وأراد بشأويه هنا فعله بهما ، والله أعلم .

وقال : وفى الحاشية : لم يستقم له الواحد فثنى ، والعرب تفعله تفخيماً ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ما حق امرئ مسلم له ما يوصى فيه يبيت ليلتين وليس وصيته عند رأسه » ، وقال الشماخ :

كلا يومى طوالة وصل أروى ظنون ، آن مُطَّرحُ الظنون !

(٣) د ، هم : فى نسخة « تقادما » — ظ : وروى « فى دمنتين تعفتا » .

قال : في د مَنتَيَيْن مَمْحوَّتين بِمرَّة . قال : وصَحَّف الصولي فقال بأمْرَة . ويقال مَحَوْتُ الكِتابَ إذا أزلتُ أثرَه ، ومنه مَحْوَةُ اسمٌ للشمال ، وقيل هي الدَّبُور لأنها تمحو الآثارَ ،وقيل تَمْحوالسَّحاب . و « زينب » من أسماء النِّساء، أُخذ من قولهم زَنَبْتُ الشيءَ إذا جَسَسْتَه ، وقيل إذا نَخَسْتَه . وقال قوم : الزَّنَبُ السِّمَن . و « الرَّباب » من أسماء النساء ، أُخِذَ من الرَّباب التي هي سَحَاب دون السَّحاب الأعْلى ، وقلما يستعملون الرَّبابَ بغير الألف واللام ، فأمَّا قول القائل :

ما بالُ أهلِك[١] يا رَبابُ خُزْرًا كأنَّهُمُ غِضَابُ ؟ !

فإنما حَذَفَ الألفَ واللّامَ لأجل حرفِ النداء كما يُجتَنَب أن يُقال يا العبَّاس . [ع] وهذه الأسماءُ المأخوذةُ من الأجناسِ أو من النُّعوت مِثْلُ النَّوارِ والرَّبابِ لا يَمتنع أن تُستَعمل بالوَجْهَين * .

٣ ثِنْتانِ[٢] كالقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا
بِكَوَاعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى[٣] أتْرَابِ

أفصَحُ اللُّغَتَيْن أن يقال اثنتان[٤] . [ع] ويعني بالقمرين الشمسَ والقمر ، وقد يجوز أن يعني بقوله : « كالقَمَرَيْن » أنَّ كلَّ واحدة منهما كالقَمَر لا أنه جعلِ الشمسَ تُسمَّى قَمرًا ، والأوّلُ أقربُ إلى أفهام الناس ، والثاني جَيِّد[٥] * .

٤ مِنْ كُلِّ رِيم لَمْ تَرُمْ سُوءًا ولَمْ
تَخلِطْ صِبَى أيَّامِها بِتَصَابي

« الرِّيم » الظبيُ الأبيضُ الخالِصُ البَيَاض ، وأصلُه الهَمْز ، ويَجوز أن

---

(١) ب : « قومك » .
(٢) ظ ، د : « بنتان » .
(٣) ظ : « المها » .
(٤) في ظ : وثنتان كثيرة في أشعار الفصحاء .
(٥) قال ابن المستوفي : وهذا القول بالعكس أولى ، لأن فهم القمرين بتثنية القمر أفهم ، ولأن تشبيه كل واحدة منهما بما تشبه به الأخرى أحسن من تفضيلها في التشبيه على صاحبتها ، وهذا ظاهر في الموضعين .

تُجْعَلَ الهمزةُ ياءً خالصةً فيقال ريم ، وقالوا فى الجمع أرآم بالهمز ، ولم يقولوا أريام ، وجاء به هنا على التذكير لأنه جعل المرأةَ ظبيًا ، وأصلُه أن يُقال فى التأنيث رِيمة كما يُقال عِلْج وعِلْجة ، قال الهلالى :

إنّ الحبالةَ ألهتْنى عِيادَتُها حتى أسوقَ إليها رِيمةً شَخَصَا[1]

— « الشَّخَصُ » القليلةُ اللبن والظبيةُ القليلةُ اللحْم — وتخفيفُ الرِّيم فى هذا الموضع أجودُ فى صناعةِ الشعر لأنه يَصير مُجانسًا لِـ « ترُمْ » من قِبَل أنك لو بَنيْتَ من رام يروم اسمًا على « فِعْل » لقُلْتَ رِيْم ، وإذا همزتَ « رِيمًا » بَعُدَ من مُشابَهة قوله « ترُمْ » .

٥ أَذْكَتْ عَلَيْهِ[2] شِهَابَ نَارٍ فى الحَشَا
بِالعَذْلِ وَهْناً أُخْتُ آلِ شِهَابِ

« أذكَتْ » من ذَكَت النّارُ إذا اشتَعلَتْ . و « الشِّهاب » الشُّعلة من النار ، وكأنّه يعنى بـ « آل شهاب » فى القافية بنى شهاب من بنى يَربُوع بن حَنْظَلةَ بنِ مالكِ بن زَيْد مَناة بن تَميم ، لأنّهم فى العرَب مشهورون ، ومنهم عُتَيْبة بنُ الحارث بن شِهاب أحدُ فُرْسانِ العرَب الثلاثة وهم : عُتَيْبةُ وبِسطامُ بنُ قَيْس البكرى ثم الشَّيْبانى ، وعامرُ بن الطفيل الكِلابى ثم الجَعْفرى وبنو شِهاب هؤلاء هم الذين عناهم لبيدُ فى قوله :

يَرْعَوْنَ مُنْخَرَقَ اللّديدِ كأنّهمْ فى العزّ أُسْرةُ حاجب وشِهاب[3]

(١) فى هـ ب شرح لهذا الشاهد قال : « الشخص » التى ليس لها ولد ، وأراد بالريمة امرأة حسنة تشبه الريمة ، يقول لصاحبيه شغلنى عنكما ختل هذه المرأة ، وضرب الحبالة مثلا لختله إياها .

(٢) م ، ل ، س ، د ، هـ ب « عليك » .

(٣) الديوان ص ١٤٦ . وفيه ويروى « يرعون منعرج المسيل » . وقال « منخرق اللديد » حيث انخرق فضى ، واللديد جانبا الوادى جميعاً و جمعها ألدة . حاجب هذا الدرامى من بنى يربوع فيهم العز ، فيقول كأنا مثلهم .

٦ عَذَلاً شَبِيهاً بالجنُون كأَنما
قَرَأَتْ بِهِ الوَرْهاءُ شَطْرَ[١] كِتَابِ

يقال عَذْل وعَذَل ، والتَّحريكُ ها هنا أمْثَلُ لِشَرَفه عند السَّمْع ، و « شَطْر كِتاب » نِصْفه ، والمعنى أنّ الكتابَ إذا قُطِع شَطرُه ثم قُرِئ لم يفد معنًى وكان لَفظُه كالهَذَيان و « الوَرْهَاء » الحَمْقاء[٢] .

٧ أَوَ مَا رَأَتْ بُرْدَىَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَى
ورَأَتْ خِضَابَ اللهِ وهو خِضَابِى ؟

[ق] يقول : ظَلَمَتْنِى إذْ عَذَلَتْنِى وأنا مُقْتَبِل الشَّباب[٣] . [ع] وأدخل همزةَ الاستفهام على الواو التى للعطف ، وكذلك يفعلون بالفاء فيقولون أوَلَمْ ، أفَلَمْ . وإنما حمَلوا الكلامَ على أنه مقطوع من شىء مُتَقدِّم ، كأنه أراد فى التقدير : ما عَرَفَتْ حقيقةَ الأمرِ ، وما رَأَتْ بُرْدَىَّ ، فحَذَف الكلامَ الأوّل ، وأدخل الهمزةَ على الواو فقَلَبَت المعنَى من النفى إلى حال التقرير ، أى قد رَأَتْ بُردىَّ من نَسْج الصِّبى ، كما تقول للرجلِ إذا سمعتَه يَشكو الفاقةَ : أوَ ما أعطاك فلانٌ مالاً ؟ أى قد أعطاك . وقوله : « خِضابَ الله » يَعْنِى سوادَ شَعَرِ الشَّباب ، لمّا كان الشائبُ يَخضِبُ شعرَه بالخِطْر[٤] وغيرِه جازَ أن يُجعَل سَوادُ الشبيبة خِضابًا .

٨ لا جُودَ فى الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَـلا
جُودًا حَلِيفاً فى بَنِى عَتَّابِ

« بنو عَتَّاب » من الأراقم ، وهم مِن بنى جُشَم بنِ بكر بنِ حبيبِ بنِ

---

(١) س ، ق : « نصف كتاب » — م ، ل : « سطر كتاب » ، وقال الصولى ويروى « شطر » .

(٢) قال المرزوقى : أراد أنها عذلته عذلا التبس عليه معناه ولم يفهم مغزاها منه ، فأشبه كلام المجانين وما تقرأه المرأة الحمقاء من شطر كتاب قطع نصفين .

(٣) وتتمة كلام المرزوقى كما فى كتابه : أخذه من قول الله تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » فقد فُسِّر فى بعض الأقوال أنه عز اسمه أراد بها الشباب .

(٤) الخِطر بالكسر نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به ، وهو شبيه بالكتم .

عمرو بن غَنْم بن تَغْلِبَ بن وائل بن قاسِط ، وإيّاهم عَنَى عمرو بن كلثوم بقوله :

وعَتَّــابًا وكلثــومًا جميعًــا بهم أحْمَى وأحْمِي المُجْحِرِينا[١]

و « الحليفُ » والمُحالِفُ سوَاء ، وأصلُ ذلك من حَلَف يمينًا ، كأنّ الحُلَفاءَ يَحلِفُ بَعضُهم لبعض أنه لا غَدْرَ به ، وكَثُرَ ذلك حتى قالوا فلانٌ حَلِيفٌ لكذا وكذا أي مُلازِمٌ له .

٩ مُتَدَفِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ[٢]
إِنَّ السَّمَاحَةَ صَيْقَلُ الأَحْسَابِ

١٠ قَوْمٌ إِذَا جَلَبُوا الجِيَادَ[٣] إِلَى الوَغَى
أَيقَنْتَ أَنَّ السُّوقَ سُوقُ ضِرَابِ

١١ يا مَالِكَ ابنَ المَالِكِينَ ولَمْ تَزَلْ
تُدْعَى لِيَوْمَيْ نائِلٍ وعِقَــابِ

١١ — [ع] ويُروَى : « ابنَ المالِكَيْن » على التَّثْنِية[٤] ، كأنه في نَسَبه رَجُلانِ يُعرفُ كلٌّ واحد منهما بمالك، وإذا رُوِي بالجمع احتَمَل وجْهَين :

---

(١) البيت من معلقته المشهورة ، وروايته في شرحي التبريزي والزوزني على المعلقات :
وعتاباً وكلثوماً جميعــاً بهم نلنــا تراث الأكرمينا

(٢) ظ ، هـ ، س : « أيامهم » .
وفي شرحه قال ابن المستوفي : قال الخارزنجي . المتدفق الفائض ، والمعنى : يقول : زينوا أحسابهم وأيامهم بالجود وصقلوها فحسّنوها ، ثم قال : وبالسماحة تصقل الأحساب . . . وكأنه من قول الفرزدق :
إن المهالبــة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوي المكروه
زانوا قديمــهم بحسن فعالهم وكريم أخــلاق بحسن وجوه

(٣) قال الصولي : ويروى « قوم إذا ضربوا » فإن كان كذلك ففي البيت تصدير — س : « جلبوا العتاد » وبهامشها « إذا جنبوا الجياد » .
وشرحه في ظ : الضراب يكون بالسيوف والطعان بالرماح ، أي تقارب بعضهم إلى بعض فتضاربوا بالسيوف .

(٤) وهي رواية س .

أحدهما أن يَجْعَل كل آبائه مِثْلَه في الفَضْل ، كما يُقال هو الكريمُ ابنُ الكُرَماء ، والآخر أن يَجْعل « المالِكِينَ » جمعَ مالك مِن مَلَكَ يَمْلِك كأنَّهم كانوا يَملكون الناس * .

١٢ لَمْ تَرْمِ ذا رَحِمٍ ببائقَةٍ ولاَ
كَلَّمْتَ قَوْمَكَ[١] مِن وَراءِ حِجَابِ[٢]

يقول : لم تُؤْذِ أحدًا من أقاربك وذَوِي رَحِمك . و« البائقة » الدَّاهِيَة ، يُقَال باقَتْهم تَبُوقهم ، وكأنه يُراد بها العُمُوم ، أُخِذَتْ مِن بَوْقَة المطر وهي الدُّفْعَة منه ، ومنه قيل للباطل بُوق ، ولعلَّ هذا البُوقَ الذي يُنفَخ فيه من هذا اشتقاقُه ، لأنَّه إنما يُضرَب به عند أمر يَقع ، وقد تَكلَّموا به قديمًا .

١٣ لِلجُودِ بابٌ في الأَنَامِ ولَمْ تَزَلْ
يُمْنَاكَ[٣] مِفْتاحاً لِذاكَ البَابِ

١٤ ورَأَيْتَ قَوْمَكَ والإِسَاءَةُ مِنهُمُ[٤]
جَرْحَى بِظُفْرِ لِلزَّمانِ[٥] ونَابِ

[خ] يقول : رأيتَ قومَك مُمْتَحَنِين قد شَمِلَتهم خطوبُ الدَّهْرِ بمَوْجِدِ تلك عليهم ، لِما كان منهم من الإساءة * .

١٥ هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ البرُوقَ صَواعِقاً
فِيهِمْ وذَاكَ العفوَ سَوْطَ عَذَابِ[٦]

أي هم الذين تَعرَّضوا لِغضَبك[٧] .

---

(١) م : « قوماً » . (٢) ظ : « ولم تنهد إليهم من وراء حجاب » .
(٣) م - « كفاك » . (٤) ظ : وفى نسخة « والإساءة فيهم » .
(٥) س ، ظ ، د : « الخطوب » .
(٦) هـ ب ، هـ ش : « عقاب » .
(٧) قال الصولى فى شرحه : يقول هم أذنبوا فا حتجت إلى أن تجعل لهم عقوبة ، وضرب به مثلا بالبرق للغيث والصاعقة .

١٦ فأَقِلْ أُسَامَةَ[1] جُرْمَها واصْفحْ لها
عنْهُ وهَب ما كانَ لِلْوَهَّابِ

[ص] « أسامَة » حيٌّ من العرب[2] قطعوا فى عمَلِه فطرَدَهُم فاعتذَرُوا وتابوا ، وشَفَعَ لهم أبو تمام فصَفَحَ عنهم * . [ع] وأسامة من الأراقم وهم من رَهْطِ الممدوح ، وإنما سُمُّوا بأسامَةَ الذى يُراد به الأسَد ، ولم يَحْكِ أحدٌ من الثِّقات أنَّ الاسمَ شىءٌ مُستَعمل ، ولكنه يُحمَل على أنَّ الهمزةَ فيه واو قلبَتْ لِضمَّتِها وكَوْنِها فى أوّل الاسم فكأنه وسامة ، وإذا قيل بذلك احتمل مذهبين : أحدهما أنه لا يَقبِض على شىء إلاّ جعَل فيه وَسْمًا أى أثرًا كالعَلامَة ، والآخر أن يكون من الوَسامِ الذى هو الحُسْن وحُمِلَ ذلك على العكس ، لأنَّ الليثَ يوصَف بقُبْح المَنْظر ، فيكون على قولهم لِلَّدِيغ سَليم وللمَهْلَكة مَفَازَة . وقوله « وهَبْ ما كانَ للوَهّابِ » : « الوهّاب » يَحْتمِل وجهين : أحدهما أن يُرادَ به اللهُ سبحانَه ، كما يُقَال للرجلِ اصفَحْ عن فُلانٍ لله ولِوَجْه الله ، وهذا أبلغُ فى صفةِ المَمْدوح ، والآخر فيه مَدْحٌ لأسامَةَ ، كما يُقَال أكرِمْ فلانًا فإنَّه كَرِيم[3] ، أىْ هبْ لهم فإنهم قد تَعَوَّدوا أن يهَبُوا ، ومنه قَوْلُهم فى المَثَل : اسْقِ رَقاشِ إنَّها سقَّايَة[4] * .

١٧ رَفَدُوكَ فى يَوْمِ الكُلاَبِ وشَقَّقُوا
فِيهِ المَزَادَ بِجَحْفَلٍ غَلاَّبِ

ويُرْوَى « كاللاَّبِ »[5] جمع لابَة ، شَبَّه الخَيْلَ فى كَثْرتها بها . « رَفَدُوكَ » أى أعانوك . [ع] و « يوم الكُلاب » يَوْمٌ كان بينَ الملكيْنْ

---

(١) ظ : ويروى « إساءة جرمها » (٢) الذى فى شرح الصولى : حى من بنى تغلب .

(٣) قال ابن المستوفى : والأول أجود ، لأن الثانى جعل أسامة فيه اسم القبيلة وأعاد عليها الضمير مؤنثاً فإذا وصفها بالوهاب يكون قد رجع عن القبيلة إلى اسم الواحد ، وفى هذا بعد .

(٤) قال فى مجمع الأمثال ١ : ٢٢٥ : رقاش مثل حذام مبنى على الكسر اسم امرأة ، يضرب فى الإحسان إلى المحسن .

(٥) هى رواية س ، ورواية الصولى « غلاب » كما جاء فى أصل التبريزى ، وفى شرحه قال : =

شُرَحْبِيل بن الحارث عمّ امرئ القَيْس وأخيه سَلَمة بن الحارث ، وقُتِل شُرَحْبِيل يومئذ ، قتله أبو حَنَش عُصْم بنُ النعمان التَّغْلِبي ، وكانت بنوتَغْلِب مع سَلَمة ، وكانت تميم مع شُرَحْبِيل ، وهذا الكُلابُ الأوّل وأمّا الكُلاب الثانى فكان بينَ بنى تميم والرّباب وبينَ بنى الحارث بن كَعْب وقوله : « شقّقوا فيه المزادَ » يُريد أنّهم أراقوا ما كان معهم من الماء وقالوا لا نَشْرَبُ إلاّ من الكُلاب وإلاّ مِتْنا عَطَشًا . وذلك عَنَى الأخْطَلُ بقوله :

وأخُوهُمَـــا السفّاح ظَمّأَ خيْلَه حتّى وردْنَ مِن الكُلابِ نِهالا[1]

١٨ وهُمُ بعَيْنِ أُبَاغَ رَاشُوا لِلوَغَى
سَهْمَيْكَ عِنْدَ الحارِثِ الحَرَّابِ

[ع] «أُباغ» بضم الهمزة وفتحها وكسرها ، والغينُ مفتوحة ، ورواية رابعة أباغِ ، مثلَ قَطَامِ وحَذَامِ . و « عين أُباغ » مَوْضع معروف كانت فيه وقائعُ فى الدهر الأوّل . و « الحارِث الحَرّاب » من ملوك العرب ، وربّما وصفوا كلّ

=ويروى « كلاّب » وهو جيد ، وفسره بقوله : والكلاّب الشديد الجرأة على أعدائه ، والكلْب الكلِب من هذا . وقال المرزوقى فى الرد عليه : وروى بعضهم « بجحفلِ كلاب » وليس بشىء ، وقال ابن المستوفى : إنه (أى الصولى) بدّل ثم أخطأ ، وإنما الرواية الصحيحة « كاللاب » وهو جمع لابة ، يقال لابة ولاب ، كما يقال حاجة وحاج وساحة وساح ، واللوب جمع لوبة ، يقال لوبة ولوب ، ولابة ولاب . وتشبيه العرب الجيش بالرعان والهضاب والجبال أشهر من أن يحتاج إلى شاهد ، فأما قوله « كلاّب شديد الجرأة » فهو ما لم يعه سمع عن فم ولا حكاه خلف عن سالف ، وأعجب منه اشتقاقه الكلب الكلب منه ، لأن الكلب داء يصيب الإنسان وغيره كالجنون ، قال آخر يشبه نشاط فرسه بالجنون :

كلِباً من حسن ماء مسّه وأفانين فؤاد مختبل

وقد اشتق من الكلْب – واحد الكلاب – ابنية كثيرة ، فقيل مكلّب وكلاب لصاحب الكلاب ، وقيل تكالب الرجلان إذا تشاتما وتواثبا ، والأصل تشابها بالكلاب ، وقيل كالب فلان فلاناً ، قال أبو تمام :

كان الزمان بكم كلباً فغادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحُرُم

ويقال كلِب الشتاء إذا اشتد برده . وممن شبه الجيش بالحرة الفرزدق فى قوله :

قِيدت له من قصور الشام ضُمّرها يطلبن شرقىّ أرض بعد تغريب
حتى أناخ مكان الصيف معتصباً بمكفهرين مثلى حرة اللوب

أراد بجيشين كثيفين كأنهما حرتان .

(١) الديوان ص ٤٥ . والرواية فيه : « جبى الكلاب » .

ملك يُقال له الحارثُ بالحرّاب . ويقال إن أول مَن وُصِفَ بذلك من مُلوكِ كِنْدَةَ ، ثم قيلَ ذلك للحارث الغسّانيّ ، وأنشد:

والحارثُ الحرّابُ حَلّ بعاقلٍ   جَدَثاً أقامَ به ولم يَتَحَوّلِ

وقال حاتم الطائى :

ليتَ شِعْرى متى أرَى قُبّةً ذا   تَ قِلاعٍ للحارثِ الحرّاب[1]!

وقوله : « راشُوا فى الوَغَى سِهْمِيكَ » أى أعانوك، لأنّ السهمَ لا يُنْتفَعُ به حتى يُراشَ ، ولذلك قالوا فلان يَريش قومَه أى يَنفعُهم ويُصلِحُ أمْرَهم ، وإذا قالوا يَريش ويَبرِى أرادوا أنه ينفع ويضر ، قال الشاعر :

فَرِشْنِى بخيرٍ طالما قد بَرَيتَنِى   وخيرُ المَوالى مَنْ يَريشُ ولا يَبْرى[2]

[ص] وكانت بنو تغلب مع النُّعمان يومَ جاءَ الحارثُ بن أبى شَمِرٍ إلى عَيْنِ أُباغَ لمحاربةِ النُّعمان فهزَموا الحارثَ الغسّانى .

١٩ وَلَيالِى الحَشّاكِ والثَّرْثارِ قَدْ   جَلَبُوا الجِيادَ[3] لَواحِقَ الأَقْرابِ

« الأقْراب » الخَواصِرُ . و« لَواحِق » ضَوامر . و« الحَشّاك » و« الثّرثار » مَوْضعان كانت بهما وقْعتان لبنى تَغْلِب مع قَيْس عَيْلان [ع] وقيل إنّ الحشّاك وادٍ ، وقيلَ بل نَهر ، ولا يَمْتنِع أن يكون أحدهما سُمّى باسم الآخر . فأمّا الثّرثار فَنَهرٌ معروف ، وقد يجوز أن يُسمّى البَلَدُ الذى هو فيه الثّرثار . ويقال قد لَحِق أيْطَلُ الفرَسِ وإطْله وقُرْبُه اذا ضمر فلَحِقَتْ خاصِرتُه بما يليها من بَطْنه ، ويقال له عند ذلك أقبّ البَطْن . [ق] وكان بين قَيْس وتَغْلِبَ عند الثّرثارِ وقْعتان فى يومَين : الأوّل منهما كان لِتَغلبَ فأكثَروا القَتْلَى من قَيْس ، وأدركوا دِماءَهم يومَ الخابُور ، وزادوا على ذلك أيضًا . وأما يوم الحشّاك فإن تغلبَ تُسمّيه يومَ الدّابِرَة وقَصْد أبى تمام أن يَعطِفَ

(١) الديوان ص ٣٦ .

(٢) البيت لعمير بن الحُباب . اللسان مادة « ريش » .

(٣) هس : ويروى « جنبوا الجياد » .

قلبَ مالكِ بن طوْق على بنى تغلب ، ومالك هو من بنى جُشَم بن بكر ، فذكره تعاونَهما على قَيْس فى الوَقْعات التى كانت بينهما وترافُدَهما ، وأنّ كلّ واحد منهما إنما دافع الأعداءَ وناهَضَهم بالآخر * [ص] وهذا يومٌ كان لِتغْلب على قيس ، قتلوا فيه عُمَيْرَ بن الحُبَابِ السُلَمىّ بالثّرثار على تلِّ الحشّاك ، وقد ذكر هذا اليومَ الأخطلُ فقال :

لعَمْرى لقد لاقتْ سُلَيمٌ وعامِرٌ على جانبِ الثّرثارِ راغية البَكْرِ[1] *

٢٠ فمَضَتْ كُهولُهُمْ ودَبَّرَ أَمْرَهُمْ
أَحْداثُهُمْ تَدْبِيرَ غَيْرِ صَوَابِ

يقول : إنّما حمَلَهم على خِلافِك غِرّتُهم وحَداثَتُهم .

٢١ لارِقَّةُ الحَضَرِ اللَّطِيفِ غَذَتْهُمُ
وتَباعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الأَعْرابِ[2]

وصفهم بقلّة الخبرة بالأمور . [ع] « الأعراب » جرَى الاصطلاحُ فى أوّلِ اللغة على أنّه يُقال للذين يَسكنون البَدْوَ أعراب ، ويُجْمَعون على أعاريب ، والعرَب اسمٌ جامِع ، يقال لكلِّ مَن انتَسَب إلى هُود وتَكلّم بهذا اللسان من سُكّان الأمصار وغيرهم ، ولا يقال لمن كان من وَلَد إسرائيل عربىّ ، وإنما يُقال ذلك لمن كان من وَلَدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيم أو مِن وَلَد يَعْرُبَ بنِ قَحْطان * .

٢٢ فإذَا كَشَفْتَهُمُ وجَدْتَ لَدَيْهِمُ
كَرَمَ النُّفُوسِ وقِلَّةَ الآدَابِ[3]

(١) الديوان ص ١٣٣ .
(٢) انتهى خرم ن الذى أشرنا إليه فى ص ٣٤ .
(٣) فى ظ : وروى الخارزنجى : « وكثرة الآداب » وقال : يقول تحت غرتهم وغفلتهم وحداثة سنهم كرم وأدب كثير .

٢٣ أَسْبِلْ عليهِمْ سِتْرَ عفوِكَ مُفْضِلًا
وانفَحْ لَهُمْ مِنْ نائل[1] بِذِنابِ

٢٣ — يُقَال نفح له بسَجْل وبِذَنُوب إذا أعطاه . [ع] و « الذِّناب » جَمْع ذَنُوب ، وأصل الذَّنوب الدَّلْو التى فيها ماء ، ثم استعمل ذلك فى الغَيْث فقيل سَقَتْه السماءُ بِذَنُوب ، وجمع ذَنُوب فى أدْنَى العَدَد أذْنِبَة ، على رأى مَنْ ذَكَّره ، وتَذْكيرُه أكثر ، وقد حُكى فيه التأنيث .

٢٤ لَكَ فى رَسُولِ اللهِ أعظَمُ أُسْوَةٍ
وأَجَلُّهـا[2] فى سُنَّةٍ وكِتابِ

لأنه كان كثيرَ العفو ، و « الأسوةُ » و « الإئتساء » الاقتداء .

٢٥ أَعْطَى المُؤَلَّفَةَ القُلُوبِ رِضَاهُمُ
كَمَلًا[3] ورَدَّ أَخايِذَ الأَحْزَابِ

[ع] « المؤلَّفة القُلُوب » هم الذين ذُكِروا فى آية الصَّدَقة[4] ، وهم قَوْمٌ دَخَلوا فى الإسلام رغبةً فى الغَنَائم والعَطَاء ، منهم جَماعَةٌ مِن قُرَيْش ، وجَماعَةٌ من غيرهم ، مِثْلُ أبى سُفيانَ بن حَرْب ، وأبى سُفيانَ بن الحارثِ ابن عبد المُطَّلب ، والنُّضَيْر بنُ الحارثِ أخو النَّضْر بن الحارث الذى قَتَلَه النبىّ صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ، وعُيَيْنَة بنُ حِصْن مِن غَيْر قُرَيْش ، والعَبَّاسُ بنُ مِرداس ، وهم كثير . و « القُلُوب » الأجْوَدُ فيها الخَفْضُ لأنَّها من بابِ الحَسَن الوَجْهِ ، ويجوز النَّصْبُ على التَّشْبيه بالمفعول به ، ويجوز الرفعُ وهو أضعفُ الوُجوه ، كأنَّه قال : المؤلَّفَةُ القلوبُ منهم ، ويجوز أن

---

(١) س : « من نعمة » .
(٢) ه ب : « وأحلها » .
(٣) د ، ظ ، ه م ، ه ب : « كرماً » .
(٤) سورة التوبة : آية ٦٠ .

تَجْعَل «القلوبَ» بَدَلاً من المُضْمَر فى «المؤلَّفة». و«الأحْزَاب» كلُّ مَن تَحزّب على الإسلام، وأعرفُ ذلك أن يَعنى الذين شَهِدوا غَزَاةَ الخَنْدق مِن المُشْركين واليهود، ولم يَرُدَّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله أخايذَ أولئك لأنه لم يأخذْ منهم غَنيمة، وإنّـما أراد أخايذَ أوطاسٍ وغيرها *

٢٦ والجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ ظُعْنُهُمْ[(١)]

عن قَوْمِهِمْ وهُمُ نُجُومُ كِلاَبِ

«الظُّعْن» الإبلُ بمن تَحمِل من النساء، ويقال للمرأةِ ظَعِينة، وكذلك للهَوْدج، ويقال لكلِّ مَن سار قد ظَعَن، ويقال للنَّعْش ظَعَن لأن الميِّتَ يَظْعن فيه، قال طُفَيل الغَنَوى :

حتّى يُقالَ وقد عُوليتُ فى ظَعَنٍ إنّ ابنَ أَرْوَى[(٢)] أبو قُرّانَ مَحْمولُ

والجَعْفَريُّون خَرَجوا على الجوّاب ونابذوه، فلمّا لم يَقْدِروا عليه وعلِموا خَطأهم رَجَعوا.

٢٧ حَتَّى إذَا أَخَذَ الفِرَاقُ بِقِسْطِهِ

مِنهمْ وشَطَّ بِهِمْ عَنِ الأَحبابِ

٢٨ ورَأَوْا بِلادَ اللهِ قَدْ لَفَظَتْهُمُ

أَكْنَافُهـا رَجَعُوا إلى جَوَّابِ

٢٨ — يعني بني جَعْفرِ بن كِلاب، كان قد وَقَع بينهم وبين قومهم، بسببِ أنّ غَنَيًّا قَتَلتْ رجلاً منهم، فقَعَد بنو أبي بَكْرِ بن كِلاب عن نُصرتهم، بل أعانوا عليهم. فيقول: لا تَفعلْ أنت بقومك ما فَعَله أولئك بهم، فارتحلوا عن بلادهم وجاوَرُوا فى بني الحارثِ بنِ كَعْب، فلم يَحْمَدوا

(١) د : «عيرهم».
(٢) ب : «ابن عوف»، ورواية الديوان ص ٣٢ :
حتى يُقال وقد عُوليت فى حَرَجٍ أين ابن عوف أبو قران محمول ؟

جوارَهم ، وتَهضّموهم فى بعض الأشياء، فظعَنَتْ عنهم وهم لا يَعلمون ، وسارَتْ بَنُو الحارثِ فى إثْرِهم فلحِقُوهم فى المَوْضع الذى يُقَال له فَيْفُ الرِّيح ، وهو اليومُ الذى فُقِئَتْ فيه عَيْنُ عامرِ بن الطُّفَيْل بن مالكِ بن جَعْفرِ ابن كِلاب ، فرجَعَتْ بَنُو جَعْفر إلى جَوَّاب الكِلابِيّ وكان أسْودَ — ويُقال إنّه قِيلَ له جَوَّاب لأنَّه كان لا يحفِر بِئْرًا إلاّ خَرَقَها عن الماءِ كأنَّه يَجُوبها عنه ، وإياه عَنَتْ القائلة :

لَحَا الإلهُ أبا سَلْمَى بِفرَّتِهِ يومَ النِّسارِ وقُنْبَ العَيْرِ جَوَّابَا

شبَّهتْه بِقُنْبِ العَيْرِ لسَوادِه — فلما رَجَعَتْ إليه بنو جَعْفر وجدوا عنده ما يُحِبُّون ، ولمّا حَكَّموه حَمَلَ الدّماء وأصْلَحَ بينهم . وفى ذلك يقول لبيد :

أبنِى كلاب كيفَ تُنْفَى جعفرٌ وبنو ضَبِينة حاضرو الأجباب

قتلوا ابنَ عُروةَ ثم لَطُّوا دونَه حتَّى نُحاكِمهم إلى جَوَّابِ[١]

٢٩ فَأَتَوْا كَرِيمَ الخِيمِ[٢] مِثْلَكَ صَافِحاً
عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وضِبَابِ

[ع] « الضّباب » جمع ضَبّ وهو الحِقْد ،وعَطَفَه على « الأحقاد » لاختلافِ اللفظ ، ويجب أن يكونَ الضّبّ أشدّ ثَباتًا فى القَلْب من الحِقْد ، لأنهم يصفون الضّبّ بالخَديعة ، وإنما شُبِّه بالضبّ الذى يحترش *

٣٠ لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فى قَوْمِهِ
لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِى

(١) لم يرد شعر لبيد هذا فى ش ، وأثبتناه من نسختى ب ، ن — وفى ظ : قال ابن المستوفى : وهذا مثل قول عروة السعدى فى سلم بن زياد وكان هجاه فصحب غيره فلم يحمده فقال :

عتبت على سلم فلما هجرته وعاشرت أقواماً رجعت إلى سلم

وقال فى الديوان (ص ١٤٦ ، ١٤٧) ضبينة قبيلة . جب وأجباب آبار . قال الأصمعى : بنو ضبينة حى الذين قتلوا عروة ، وقد كانوا قتلوا ابن أخ لجواب ، فقال جواب لا أديه لأنهم قتلوا ابن أخى فيكون فتيل بقتيل . « لطوا » ستروا ، وهو يلط دون قدره يستر .

(٢) ل : « النجر » .

٣١ قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ[1] النِّفَاقِ وأَخْفَتَتْ
بِيضُ السُّيوفِ زَئِيرَ أُسْدِ الغَابِ

٣٢ فاضْمُمْ أَقاصِيَهُمْ[2] إِلَيْكَ فإنَّهُ
لا يَزْخَرُ الوَادِي بِغَيرِ شِعَابِ

٣٢ — هذا مَثَل ضَرَبه للممدوح ولِبَنى عَمِّه ، يُقَال زَخَرَ الوَادى ، إذا جاء بسيل كثير فارتَفَع ماؤه كما يَزْخَر البحر ، و « الشِّعاب » جَمْعُ شِعْب وهو الطريقُ فى الجَبَل .

[ع] ويقال لمسيل الماءِ إلى الوادى شِعْبٌ وشُعْبَة ، لأنَّه إنما يَجىء من الجِبال . يقول : فأنتَ أيُّها الممدوحُ لا يَعْظُم شأنُك إلاّ بِقَوْمك وأقاربك ، كما أنّ الوادىَ لا يَعْظُم سَيْلُه حتّى تَدْفَع فيه الشِّعابُ التى حَوْلَه ، فتألَّفْهم واجمَعْهم ، فإنَّهم عَضُدُك وأعوانُك على ما يَكسِبُك مَحْمَدةً ، وبهم تَعِزّ .

٣٣ والسَّهْمُ بالرِّيشِ اللُّؤَامِ ولَنْ تَرَى
بَيْتاً بِلا عَمَدٍ ولا أَطْنَابِ

« اللُّؤام » هو الذى يُلائم بعضُه بعضًا ، وذلك أجودُ الريشِ عندهم ، وقيل هو أن يكون بَطْنُ الريشةِ إلى ظَهْرِ الأخْرَى ، ويقال سَهم لأْمٌ إذا كان رِيشُه كذلك ، وهو أحد القولين فى قولِ امرئ القَيْس :

نَطْعنُهمْ سُلْكَى ومَخْلوجَةً كرَّكَ لأمَيْن على نابلِ[3]

« والأطناب » الحبالُ الطويلة ، والقصيرة منها الأصُر ، الواحدُ إصار .

(ق) وإنّما أراد أن يَحُضّه بهذا المَثَلِ على طَلَبِ المُوافَقَة وتَركِ

---

(١) ا : م : « سلطان النفاق » وبهامشها رواية الأصل .
(٢) س ، م ، ل ، ق ، ب ، ن ، ظ : « قواصيهم » .
(٣) العقد الثمين ص ١٥١ .

المخالفة ، إذْ كانت المخالفةُ تُفضِي بالعَشِيرة إلى التفانى ، وإذْ كان سَيِّدُ القَوْمِ لا تَتِمّ سيادَتُه إلاّ بتأليفهِ لهم ، وصَبْرِه على مكروهِهم ، واحتماله أذاهُم ، وتحمُّلِ المشاقِّ دونَهم ، والصَّفْحِ عن جانيهم ، والتجنُّبِ مِنْ جَرِّ الجرائرِ عليهم ، قال : وكذلك البيتُ إنما يَستقيم بِعَمَدِه وأطنابِه ، بل متى نزِع بعضُ العمَدِ أو قُطِعَ شىءٌ من الطنب مال ولم يَسْتو . وهَجَمَ ولم يَثْبُتْ .

٣٤ مَهْلًا بَنِى غَنْمِ بنِ تَغْلِبَ إنَّكُمْ
لِلصِّيدِ مِنْ عَدْنَانَ والصُّيَّابِ

[ع] يقال فلانٌ لِفُلان أى من وَلَدِه * ، قال الشاعر :

فلستُ لِحَاصِنٍ إنْ لم تَرَوْنا
نُجالِدكم كأنَّا شَرْبُ خَمْرِ

يقول لستُ لأمٍّ حاصِنٍ ، « والحاصنُ » العفيفة . و « الصِّيدُ » جَمْع أصْيَد ، يقال رَجُل أصْيَد إذا وُصِفَ بالكِبْر ، وأصْلُ ذلك أن يُصيبَ البعيرَ دَاءٌ فى رأسهِ فيُميل عُنقَه ورأسَه ويَنْتَفِخ يا فوخُه ، وهو الصَّادُ أيضًا . ويُقال فلان من صُيَّابِ القَوْمِ وصُيَّابتهم أىْ مِن خِيارهم ، قال الراجز :

وقد وَسَطْتُ مالِكًا وحَنْظَلا
صُيَّابَها والعَدَدَ المُجَلْجِلا

٣٥ لَوْلَا بَنُو جُشَمِ بنِ بَكْرٍ فِيكُمُ
رُفِعَتْ خِيَامُكُمُ بِغَيْرِ قِبَابِ

[ق] يقول : لولا بنو جُشَم ما كان فيكم مُلُوك ، و « بنو جُشَم » رَهْطُ مالِك ، و « القِباب » إنما تكون للمُلُوك و « الخِيام » لأوْساطِ الناس ، فاستعارَهما للفَرِيقَيْن[1] * .

(١) فى ظ قال وأخذ قوله « رفعت خيامكم بغير قباب » من قول الفرزدق :

كسنب ابن المراغة حين ولّى
إلى شر القبائل والديار

إلى أهل المضايق من كليبٍ
كلابٍ تحت أخبيةٍ صغار

ألا لعن الإله بنى كليب
ذوى الحمرات والعمد القصار

٣٦ يا مَالِكَ استَوْدَعْتَنِى لَكَ مِنَّةً[١]
تَبْقَى ذَخَائِرُهَا على الأَحْقَابِ[٢]

٣٧ يا خَاطِباً مَدْحِى[٣] إِليهِ[٤] بِجُودِهِ
ولَقَدْ خَطبْتَ قَلِيلَةَ الخُطَّابِ

٣٧ — ذَمَّ أهلَ زمانِه لأنَّهم لا يرغبون فى مدحه[٥].

٣٨ خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فى الدُّجَى
واللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ[٦]

٣٩ بِكْرًا تُورَّثُ فى الحَيَاةِ وتَنْثَنِى[٧]
فى السِّلْمِ وهِىَ كَثِيرَةُ الأَسْلَابِ

٣٩ — [ع] « بِكر » يعنى القصيدة ، فكأنه جعلها بنتًا للشاعر ، فهى تُورِّثُه وهى حيَّةٌ لم تَمُتْ ، أىْ يأخذ الجائزةَ عليها ، والأجودُ كسْرُ الرّاء فى « تُورِّث » لأنّ معنى الميراث يَصِحّ على ذلك لأبيها ، وإن فُتحت الراءُ جُعِل الميراثُ لها ولا معنى لذلك ، لأنّه لم تجرِ العادةُ بأن يرثَ الإنسانُ إلاّ وهو حىّ . فإنْ جُعِلتْ بِنْتًا للممدوح لأنّها قِيلَتْ من أجلِه حَسُن أن

---

(١) هـ م : « ذمة » .

(٢) س ، د ، ظ : « جعلت إليها ساقة الأحقاب » وبهامش س « تبقى ذخائرها على الأعقاب » — وفى هـ ب ، هـ ن : ويروى « تبقى على الأيام والأحقاب » — وفى ظ : ويروى « حفلت إليها » وفسرها بقوله أى اجتمعت .

(٣) هـ ش ، هـ ب ، هـ ن . ظ : ويروى « مدَحى » .

(٤) س : « إلىّ » .

(٥) قال ابن المستوفى : وقيل جعلها قليلة الخطاب لغلاء مهرها ، وقيل لأنه لم يكن لها كفء سواك .

(٦) قال ابن المستوفى : عاب عليه قوم هذا البيت وقالوا قوله « فى الدجى » وقوله « والليل أسود رقعة الجلباب » شىء واحد .

(٧) فى ظ : ويروى « وتغتدى » .

يُروى بفتح الرّاء ، يُراد أنه يُجيزها وهو حَىّ فكأنّها قد وَرِثَتْه . وقوله : «تَنْثَنى فى السّلم وهى كثيرةُ الأسْلابِ» جرَت العادةُ بأنّ السلَبَ يكون فى الحرْب ، وهذه القصيدة تأخذ سَلَبَ الممدوحِ – أى ما يَخلَع ويَهَب – وهى فى حالِ السلم[1] * .

٤٠ ويَزيدُهَا مَرُّ اللَّيالى جِدَّةً
وتَقَادُمُ الأَيَّامِ حُسْنَ شَبابِ

(١) وقال المرزوقى فى ق : أى هى ترث أموال الناس فى حياتهم ، يعنى ما يعطون عليها وتنصرف بالغنائم فى حال الصلح ، لأنهم تطيب أنفسهم بالبذل فيها . فالرواية عنده إذن «تورّث» بفتح الراء

وفى ظ : قال الآمدى قوله «تورث فى الحياة» : أى تصير ميراثاً لولد الممدوح وأهله قبل وفاته ، لأن افتخارهم بما فيها من مناقب فى حياته كافتخارهم بها بعد وفاته . وقوله «وتنثنى فى السلم وهى كثيرة الأسلاب» أى تغتصب وتسلب معانيها كما يستلب المحارب وهو فى السلم لا فى الحرب .

وقال ابن المستوفى أيضاً : ويروى «بكر تؤرث فى الحروب» من أرثت النار أى تهيج وتثار .

ويروى «تهيّد فى الحياة» . قال الجوهرى : هدت الشىء أهيده حركته ، فكأنه أراد تسير فى البلاد

٥

وقال يَمدح عُمرَ بنَ طَوْق [بن مالك بن طوق التغلبي][(١)] :

١ أَحْسِنْ بِأَيَّامِ العَقِيقِ وأَطْيِبِ
والعَيْشِ فى أَظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ

الأول من الكامل والقافية متدارك .

« العَقيق » مَوْضع بعَيْنه ، وأصلُ العقيق الوادى ، فأمّا قولُ الفرزدق :

قفى ودّعينا يا هُنَيْدُ فإننى أرى الحىّ قد شاموا العقيق اليمانيا[(٢)]

فإنه يَعنى بالعَقيق البَرْقَ المُسْتَطيل ، وأجاز بعضُ أصحابِ المعانى أن يكون العقيقُ السّيوف . وقال : « أطْيِب » فَصحّح الياءَ لأنَّ التعجب شأنُه ذلك يَظهر فيه التضعيفُ ويَصحّ المُعتَلُّ إذا بَنيْتَه بناءَ الأمرِ ، فأما إذا بَنيْتَه على « ما أفْعَلَه » فإنّه يَصِحّ مُعتَلّه ولا يظْهرُ مُضعّفُه ، تقول : ما أقْولَه للحقِّ ، وما أعزّه ، وما أشدَّه ، فتُدْغم ، فإذا صِرْتَ إلى لفظ « أفْعِلْ به » قلتَ : أقوِلْ به وأعزِزْ ، ولم يقولوا أعزَّ بفلان ألبَتّة . [ع] وقوله : « فى أطرافهنَّ »[(٣)] ويُروَى « فى أفيائهنّ »[(٤)] و « فى أظلالهنّ » فإذا قيل « فى أطرافهنّ » أراد الغَدَوات والآصال والأسحار ، ومن روى « فى أفيائهنَّ » أراد جَمْعَ الفَيْء ، و « فى أظلالهنّ » أراد جَمْعَ الظلّ ومعناه معروف .

---

(١) عن ظ .

(٢) النقائض ص ١٦٨ .

(٣) وهى رواية س ، د ، ق ، ه ب .

(٤) نقل ابن المستوفى من كلام أبى العلاء زيادة على ما أورده التبريزى : وهذا كما قال الطائى فى موضع آخر .

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالى كلها أسحار

ثم قال : ورواية « أطرافهن » و « أفيائهن » أولى لأنه يأتى ذكر « أظلالهن » بعد . (انظر البيت ٤ من هذه القصيدة) .

٢ ومَصيفِهِنَّ المُسْتَظِل بظِلّهِ سِربُ المَهَا ورَبِيعِهنَّ الصَّيِّبِ

« المَصيف » يكون اسمًا للوقت، ويكون مصدرًا ، وبعضهم يجعل المَصيفَ في معنى المفعول مثل المَبيع والمَكيل، فإذا كان كذلك حُمل على أنّه من صِيفَ يُصاف إذا أصابه الصَّيِّفُ من المطر ، والصَّيِّفُ مَطر الصَّيْفُ و « السِّرْب » الجماعة من الظِّباء ، وبقر الوحش ، والقَطا ، والنِّساء . و « المها » ها هنا بقَرُ الوَحْش ، وأصل المَهاة البلّورَة ، وقيل للبقرة الوحشيّة مَهاة لبياض ظَهْرها ، ويُقال للأسنان مَهًا وللشمس مَهَاة . [ع] وقوله : « وربيعهن الصَّيِّب » يُريد المطرَ الذى يكون فى الربيع ، ويجوز أن يعنى بالربيع الوقتَ ، ويصفه بالصَّيِّب لأنّ المطر يَصُوب فيه ، فيكون على قوله لَيْلٌ نائمٌ أىْ يكون فيه النَّوْم .

٣ أُصُلٌ كبُرْدُ العَصْبِ نِيطَ إلى ضُحًى
عَبِقٍ بِرَيْحَانِ الرِّيَاض مُطَيَّبِ

[ع] « أُصُل » جاء به مُوَحّدًا ، وقيل أُصُل جمع أصيل مثل رَغيف ورُغُف[1] فمَن نطق به على التوحيد فلا كلامَ فيه ، ومن جعله جمعَ أصيلٍ أجراه مُجرى الجمُوع التى تُحمَل على الجنْس فتُوحّد ، كما قال :

هُمُ يَمنعونى إذْ زِيادُ كأنّما يَرَانِىَ أخْلاءَ بقُفٍّ مُوضَّعا[2]

فقال « أخلاءَ » فجمَع ، ثم قال « مُوَضَّعًا » فوَحّد، لأنه ذَهَب مذهبَ الجنْس كما قال الراجز :

بَالَ سُهَيْلٌ فى الفَضِيخ[3] ففَسَدْ
وطابَ ألبانُ اللِّقَاحِ وبَرَدْ

---

(١) قال ابن المستوفى يستدرك على أبى العلاء : « أصل » جمع أصيل وليس بمفرد .

(٢) « أخلاء » جمع خالى ، والخالى العزب الذى لا زوجة له وكذلك الأنثى بغير هاء ، أو هو جمع خلو وخلى . و « القف » واد من أودية المدينة . و « الموضع » المخنث .

(٣) « الفضيخ » عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار وهو المشدوخ .

وشرح الرجز كما جاء فى اللسان (مادة بول) : أى لما كان الفضيخ يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره عليه مفسداً له فكأنه بال فيه ، والمعنى أنه يسكر شاربه فيفضحه .

و « نِيطَ » عُلِّق ، وقوله : « كبُرْدِ العَصْبِ » أى هو حَسَن فيه نُقُوش ، وأصل العَصْب عندهم الغَزْل ، ثم قيل لضرب من البُرُد عَصْب لأنها من الغَزْل تكون ، والعَصْب عندهم من ملابس المُلُوك ، ويروى لِزُفَرَ بن الحارث :

أتجعلُ أجلافاً عليها عباؤها ككندةَ تمشى فى المطارف والعصْب ؟

وذكّر الضُّحَى والمعروفُ تأنيثُها .

٤ وظِلالِهِنَّ[١] المُشْرِقاتِ بِخُرَّدٍ
بِيضٍ كَوَاعِبَ غامِضاتِ الأَكْعُبِ

[ع] جَعَلَ الظِّلالَ مُشرقات ، وإنما الإشراقُ للشموس ، وهذا من صنعة الشعْر لأنه وَصَف الظلالَ بما تُوصف به الشموس[٢] .

وقوله : « غامِضاتِ الأكْعُب » يقول : هُنَّ مُنعَّماتٌ ليس لأكعُب أرجُلِهِنَّ حَدٌّ[٣] ، بل هُنَّ دُرْمُ[٤] الكُعُوب .

٥ وأَغَنَّ مِنْ دُعْجِ الظِّبَاءِ مُرَبَّبٍ
بُدِّلْنَ مِنْهُ أَغَنَّ غَيْرَ مُرَبَّبِ

« أغنّ » فى أوّل البيت يعنى به ظَبْيًا من الإنس ، يُقال ظَبْى أغَنّ إذا كانت فيه غُنَّة ، والغُنَّةُ تُستَحسن فى الصَّوْت .

وقوله : « من دُعْج الظِّباء » هو من قولهم طَرْفٌ أدْعَج أى أسْوَد ، ولَيْل أدْعَج إذا وصِفَ بشدَّة السَّواد ، والأصل أن يُقال أدْعَج العَيْن ، ولكن أوقعوا الصفة على كلّ الشىء كما تقع على بعضِه ، يقولون رجل أزرق وإنما الزّرقةُ للعَيْن .

---

(١) س : « وطاولهن » .

(٢) قال الصولى « ظلالهن » جمع ظُلة وهى البناء المشرف .

(٣) قوله : « هن منعمات ليس لأكعب أرجلهن حد » لم يرد فى نسختى ب ، ن .

(٤) « كعب أدرم » لا حجم له لغيبوبته فى اللحم .

وقوله فى عجز البيت : « أغنّ غيرَ مُربّب » يعنى وحْشيًّا لم يُربّبه الإنْس .

٦ لِلّهِ لَيْلَتُنَــا وكانَتْ لَيْلَةً
ذُخِرَتْ لَنا بَيْنَ اللِّوَى فَالشُّرْبُبِ

« اللِّوَى » أصْلُه مُستَرَقُّ الرّمل ، وقد يَجُوز أن يُسمّى اللِّوى موضِعًا بعينه . [ع] و « الشربُب » موضع[1] ، ويقال إنه نَبْت ، وإذا حُمل على ذلك فالمراد الموضعُ الذى يُنبت هذا النبت . ومَن روى « العُلَيْب »[2] فهى رواية رديئة ، لأنّ المعروفَ عُلَيْب بغير ألف ولام ، وهو اسم وادٍ . قال الشاعر :

فإمّا تَقِظْ سمْراءُ تَمنَعُ حاجرًا[3] موارِدَه بين الأحَصّ فعُلَيْبِ
فبشّرْ بنى حاجٍ بنَوْءٍ غزيرةٍ من النّجم أو نَوْءٍ يَنوءُ بعقْرَبِ

٧ قالَتْ وقَدْ أعْلَقْتُ كَفِّيَ كَفَّهَا :
حِــلاًّ وَمَا كُلُّ الحَلالِ بطَيِّبِ

أى قد جَمع هذا الذى أحلّتْ لى من نَفْسها أنّه حلالٌ ، وأنه طيّب مُسْتلَذ[4] .

٨ فنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إذَا حُجِبَتْ بَدَتْ
مِنْ نُورِهَــا فكأنَّها لم تُحْجَبِ

أى نَعمتُ من جاريةٍ كالشمس فى حُسْن وجهها ونُوره ، إلاّ أنّها إذا حُجبتْ خرَق نُورُ وجهها الحجابَ فبدَتْ ، والشمسُ بخلاف ذلك .

---

(١) الشربب جبل فى ديار بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناه بن تميم (معجم ما استعجم ص ٧٩٠) .
(٢) هى رواية م ، ل ، د . وجاء فى ظ : فى نسخة « العليب » وهو واد لهذيل . وقال ابن دريد فى الجمهرة : يقال فى العُليب علَيب ، وما جاء على وزن العليب مثله . وقال الصولى : ليس فى كلام العرب اسم على « فُعْيَل » إلا عُلَيْب وهو اسم واد (وانظر اللسان مادة علب ، معجم ما استعجم ص ٩٦٥) .
(٣) روايته فى ب ، ن : « تمنع زائداً » ، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادى ويحيط به .
(٤) قال ابن المستوفى : فأما إذا لم يقل حلا طيباً أوهم أن ما بذلته من الحلال غير طيب .

٩ وإذَا رَنتْ خِلْتَ الظِّبَاءَ ولَدْنَهَا
رِبْعِيَّةً واسْتُرْضِعَتْ فى الرَّبْرَبِ

أصلُ « الرُّنُوِّ » إدامةُ النَّظر فى سُكُون . و « الرِّبْعىّ » الذى يُولَد فى أوّل النِّتاج . والمعروف فى « الرَّبْرَب » أنه القطيعُ من بقر الوَحْش، وزعم بعض أهل اللغة أن الأراوىَّ وبقرَ الوحش يدخلن فى جنس الظباء . (ق) : ولا تكاد الظبيةُ تَرنُو إلاّ وقد نَصَّتْ جيدَها ونَصبتَه، فيقول : إذا رنَتْ هذه المرأةُ قدّرتَها غزالاً نُتجَ فى أوّل النِّتاج ، وذلك أقْوَى لها فى جيدِها وحُسْنِ عُنقها ، وخلتَها جُؤذَرًا فى حَوَرِها وعَيْنها[1] .

١٠ إنْسِيَّةٌ إنْ حُصِّلَتْ أَنسَابُهَا
جِنِّيَّةُ الأَبَوَيْنِ ما لَمْ تُنْسَبِ

(ع) : يقول : هذه المذكورةُ إذا نُسبَتْ علِم أنها إنسيَّة ، وإذا لم تُعرَفْ ظُنَّ أنها جنيّة لحُسْنها ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوْا شيئًا يرُوق فى الحُسْن نَسَبوه إلى الجن ، وكذلك إذا رأوْا بِناءً مُحْكمًا أو فارسًا شُجاعًا نَسبوه إلى الجن ، وإنما ذلك لعِظَم الجنّ فى نُفُوسهم ، والملائكةُ تُسمّيهم العربُ جنًّا ، وإذا وَصفُوا الرجلَ السيدَ قالوا هو ابن جنيَّة ، يُريدون أنّ أمّه كريمةٌ مُخالفةٌ لما عُهد من النِّساء[2] .

---

(١) ترك التبريزى شاهداً من كلام المرزوقى جاء فى كتابه ، فقد ذكر بعد قوله « ولا تكاد الظبية ترنو إلا وقد نصت جيدها ونصبته » قوله : « والربعية خير النتاج وأوله ، ولذلك قال من قال :

إن بنىَّ صبيةٌ صيفيونْ
أفلح من كان له ربعيونْ

والرجز جاء فى اللسان (مادة ربع) وفى نوادر أبى زيد ص ٨٧ ، وهو معزو فيهما لسعد بن مالك ابن ضبيعة .

(٢) نقل ابن المستوفى كلام أبى العلاء هذا ، وفيه بيت استشهد به أبو العلاء وتركه التبريزى هنا وهو قول حاتم :

بنو جنية ولدتْ سيوفاً صوارم كلها ذكرٌ صنيع

ثم ذكر ابن المستوفى بيتاً آخر لأبى دهبل وهب بن زمعة الجمحى :

جنيّة أو لها جنٌّ تعلمها رمى القلوب بسهم ما له وتر

١١ قَدْ قُلْتُ لِلزَّبَّاءِ لَمَّا أَصْبَحَتْ
فى حَدِّ نَابِ لِلزَّمَانِ ومِخْلَبِ

(٦) « الزَّبَّاء » ها هنا مدينة خَرِبةٌ على شَطِّ الفُرات ، والناسُ يُحدّثون أنها كانت للزّباء صاحبة جَذيمة ، وأنها سُمِّيتْ باسمها كما يُسَمَّى البلدُ باسم مَن بَناه . وقد قيل إنّ اليمامةَ سُمّيتْ بهذا الاسم لأجل امرأة كانت فيها ، ويُنشدون بيتًا يزعُمون أنه لحسّان الملك الذى قتَل أهل اليمامة :

فقلنــا فسمَّوْها اليَمامةَ باسمِها وسرْنا وقُلْنا لا نُريد إقامَهْ

وهذا حديثٌ قديمٌ لا يُعلَم كيفَ هو ، ويُقال إنّ عند الزّباء مدينةً أخرَى يُقال لها زَلبْيا ، وأنَّها كانتْ لأختٍ للزّباء ، تُعرَف بهذا الاسم ، فالناسُ يقولون إذا حدّثوا عن هذا الموضع : كنَّا بزبًا وزَلَبيا .

١٢ لِمَدِينَةٍ عَجْمَاءَ قَدْ أَمْسَى[1] البِلَى
فيها خَطِيباً بِاللِّسَانِ المُعْرِبِ

« عَجْماء » لا يَنطقُ فيها ناطق ، لكن البِلى والتَّغيُّر بيِّنٌ فيها مُعرِبٌ عن ذَهابها ، وطابَق بين العَجْماء والمُعْرِب .

١٣ فَكَأَنَّمَا سَكَنَ الفَنَاءُ عِرَاصَهَا
أَوْ صَالَ فِيهَا الدَّهْرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ[2]

١٤ لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وطَوْقٌ قَبْلَهُمْ
شَادُوا المَعَالِى بِالثَّنَاءِ[3] الأَغْلَبِ

١٤ – [ع] ذكَر هذا البيتَ بعد ذِكْرِه الزّباء ، لأنّ طَوْقًا أبا هذا

---

(١) م : « قد قام » .

(٢) قال ابن المستوفى : التشبيه ههنا لا حاجة إليه ، وهو المعنى الأول ، إلا أنه بغير لفظه ، وفيه زيادة مبالغة على فنائها .

(٣) س ، د : «بالبناء» ، وقال ابن المستوفى : ويروى «بالبناء الأغلب» وهى رواية أبى العلاء.

الممدوح ذُكِرَ أنَّه أحيَا الرَّحْبَةَ التى تُعرَف برحْبَةِ مالك بن طوق ، وكانت قد غَلَب عليها الماءُ والقَصَبُ فعَمَرَها فى زمان الرّشيد ، وكانت تُعرَف بفُرضة نُعْم ، ولم يُذْكَرْ أنه شَيَّدَ فيها بناءً ، فأراد تَشْييدَهم المكارمَ ، وأنها لا تخرَبُ كخرابِ المَدَر * . فكأنه خاطَب الرَّباءَ وقال لها : أنتِ خرابٌ مُتغيِّرة ، لكنْ بنو طوق وأبُوهم بنَوْا للمعالى بناء لا يَخْرب أبدًا وإن خربت الدّنيا ، والبيتُ الذى بعده يُوضّحه .

١٥ فَسَتَخْرَبُ الدُّنْيا وأَبْنِيَـةُ العُلَى
وقِبَابُها جُدُدٌ بِها[1] لَمْ تخْرَبِ

١٦ رُفِعَتْ بِأَيَّامِ الطِّعَانِ وغُشِّيَتْ
رَقْرَاقَ لَوْنٍ لِلسَّماحَةِ[2] مُذْهَبِ

١٦ — يقول : رُفعتْ أبنيةُ علاهم بحروبهم ، وغشيتْ من سماحتهم لوْناً مُذْهباً .

١٧ يا طالِباً مَسْعَاتَهُمْ لِيَنالَهَا[3]
هَيْهاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ المَوْكِبِ !

أصْلُ السَّعْى المَشْىُ فى الحاجة ، ثم اختُصَّتْ هذه الكلمةُ فجُعلت المسعاةُ المكرمةُ التى يُسعَى لها ، وأصل الكلمة أن تقَع على الصغير والكبير ،

---

(١) م ، س ، د : « جدد لهم » — ل ، م ، ه ب : « جدد بهم » .

(٢) م : « بالسماحة » .

(٣) م : « لتنالها » — ورواية البيت فى س ، د :

يا طالباً مسعاتهم لست الذى ينشقُّ عنه غبار ذاك الموكب

وهى رواية الخارزنجى كما جاء فى ظ . وقال فى شرحه : يا من يطلب مساعيهم فى الكرم وما سلف لهم من الأيام المشهورة المذكورة أقصر فإنك غير لاحقهم . هذا كلامه ثم قال ابن المستوفى : وبين الروايتين فرق لطيف المعنى : الأول منهما أبلغ من الثانى ، لأنه فى الأول أبعد عنه غبار موكبهم ، وفى الثانية جعله لا يدخل فى غباره فينشق عنه وقد يكون على ذلك قريباً من الغبار ، ثم أكد المعنى بما بعده .

فيقال لذهاب الرجل إلى المسجد مَسْعَاة، وإلى غيره، ولكن الكلمة غَلَبَ عليها إرادةُ المَدْح كما غَلَبَ على قَوْلهم الساعى أنّ المُرَاد به الذى يأخُذ الصّدَقَةَ من العرب .

١٨ أَنْتَ المُعَنَّى بالغَوانِى تَبْتَغِى
أَقْصَى مَوَدَّتِهَا بِرَأْسٍ أَشْيَبِ

يقول : مَن طَلَبَ مَسعاتَهم فقد طَلَبَ مالا يُدرِكه، وجارَى مالا يُشَقّ غُبارُه ، ومَنزِلَتُه منزلةُ رجل أَشْيَبَ مُعَنًّى بالغَوانى يطلب أقصى مَودّتهن وقد حال الشيبُ دون ذلك(١) .

١٩ وَطِئَ الخُطُوبَ(٢) وكَفَّ مِنْ غُلَوائِها
عُمَرُ بنُ طَوْق نَجْمُ أَهْلِ المَغْرِبِ

« الغُلَواء » الارتفاعُ والتجاوز .

٢٠ – مُلْتَفُّ أَعْرَاقِ الوَشِيجِ إِذَا انْتَمَى
يَوْمَ الفَخَارِ ثَرِىٌّ تُرْبِ المَنْصِبِ

[ع] : أصل « الوَشيج » كلّ ما وَشجَ بعضُه فى بعض ، أى اتصل ، وأكثرُ ما يُستعمل ذلك فى أصُول الرّماح ، ثم يُقال لكل ما اتصَل وَشيج . وقوله : « ثَرِىّ تُرْبِ المَنْصِب » ، يحتمل وجْهَين : أحدهما أن يُريد الكثْرَة فى العَدَد . والآخر أن يُرِيدَ أنّ مَنْصِبَه مُثْرٍ من الثَّرى الذى هو النَّدَى ، أى قَوْمه كرام . « والمَنْصِب » الأصل(٣) .

---

(١) قال ابن المستوفى : زاد أبو تمام زيادة حسنة بقوله « أقصى مودتها » فجعل ذلك مستحيلا لأن أدناها يتعذر عليه فكيف أقصاها ؟ .

(٢) فى ظ : وروى الخارزنجى « قصّر الخطوب » أى كفها إما بشجاعة أو بسخاء .

(٣) قال ابن المستوفى : الذى أراده أبو تمام الوجه الثانى لأن عادته فى الاستعارة معروفة .

٢١ فى معْدِنِ الشَّرَفِ الذى مِن حَلْيِهِ
سُبِكَتْ مَكارِمُ تَغْلِبَ ابنةِ تَغْلِبِ

[ع] يتّفِقُ فى كلامِ العرَبِ أشياءُ تُستعْمل فى موْضع دونَ موْضع ، من ذلك أنه يكثر فى كلامهم تغْلبُ ابنةُ وائل ، ولا يقولون نُمير ابنةُ عامر ، ولا كلابُ ابنةُ ربيعة ، ولو قيل ذلك لجاز ، وإنّما أنّثَ لأنه أريد القبيلةُ ، فقولُه : « تغْلبَ ابنة تغْلب » كأنَّه أراد « بتغلبَ » الأولى القبيلةَ التى من ولَد تغلب ، وأراد بـ « بتغلب » الثانى الأبَ ، وهذا كلامٌ يُحمل على المجاز * إذ كان يَسُوغ أنْ يُقال لمن هو موْجُود اليومَ من أبناءِ تغلب : قد جاءَتْ تغلب ، كما يُقال جاءَتْ عُقيل ، ورحلَتْ فزارةُ ، ونحو ذلك بنو الرجلِ القديم .

٢٢ قَدْ قُلْتُ فى غَلَسِ[١] الدُّجَى لِعِصَابَةٍ
طَلَبَتْ أَبا حفْص : مُنَاخَ الأَرْكُبِ

أى يُنزل عليه وتُناخ الرّكابُ بفنائه .

٢٣ الكوْكَبُ الجُشَمِىُّ نَصْبَ عُيُونِكُمْ
فاسْتَوْضِحُوا[٢] إيضَاءَ ذَاكَ الكَوْكَبِ

نَسَبه إلى جُشَم بن بكْر بن تغْلب ، وجُشَم اسمٌ معْدُول من قولك جَشِمْتُ الأمرَ ، ويُقال لصدرِ الفرَسِ جُشَم ، ويُقال للفرسِ إنّه لعظيم الجُشَم إذا كان نبيل المحزَم . قال :

من كلِّ هرّاج[٣] نبيلٍ محزَمُهْ
يدُقّ إبزيمَ الحزامِ جُشَمُهْ

---

(١) س ، م : « غسق .

(٢) د : « فاستصبحوا » وهى فى هـ ب ، هـ ش ، هـ ن ، وروتها ظ .

(٣) الرجز فى الأساس للعجاج ، وفى اللسان (مادة هرج) غير منسوب . قال : هرج الفرس يهرج هرجاً وهو مِهراج وهو مِهرج وهرّاج إذا اشتد عدوه .

٢٤ يُعْطِي عَطاءَ المُحْسِنِ الخَضِلِ النَّدَى
عَفْوًا ويَعْتَذِرُ اعْتِذَارَ المُذْنِبِ

٢٥ ومُرَحِّبٌ[(١)] بالزَّائرينَ وبِشْرُهُ
يُغْنيكَ عن أَهْلٍ لَدَيْهِ ومَرْحَبِ

٢٥ – « مُرَحِّب » من قولهم رَحَّب بهم إذا قال مَرْحَبًا . [ع] وقوله : « عن أهلٍ لَدَيْهِ ومَرْحَب » يَحتمِلُ وجهين : أحدهما أن يُرِيد أنَّ النازلَ به يَغْنَى عن أهله وبلاده الرَّحْبة ، والآخر أن يكون المعنى أنَّ بشْرَه الذى يظهر فى وجهه تَطِيب به نَفْسُ الزَّائرِ فيستغنى عن أن يقال له أهلاً ومَرْحَبًا .

٢٦ يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا ما حَطَّ فى
أَكْنَافِهِ[(٢)] رَحْلَ المُكِلِّ المُلْغِبِ[(٣)]

(المرزوقى) : انتصب « رَحْلَ المُكِلِّ » على الحال . « وحَطَّ فى أكنافه » كلامٌ تامٌّ ، ومعناه نَزَل بِفِنائه . يقول : راجى هذا الممدوح إذا حصل بجنابه يغدو وهو مَصَبٌّ للمسافر الذى كلَّتْ راحِلتُه ، ومَحُطٌّ لِرَحْله ، لأنَّه يُغْنِيه ويُعلِّمه الكرم . قال : وظَنَّ بعض الناس أنَّ قوله : « رَحْلَ المُكِلِّ » يَنْتَصِبُ بِـ « حَطَّ » ، وجعلَ البيتَ لايَتِمّ معناه إلاَّ بالذى بعده ، وليس فى البيت تَضمينٌ كما ظنَّه فيَعيبه .[(٤)] [ع] و « المُكِلّ » الذى كلَّتْ راحِلتُه و « المُلْغِب » الذى قد ألغبها بالسيْر ، واللغوب الإعياء .

---

(١) فى ظ : بالجر كأنه عطف على قوله « يضاء ذاك الكوكب » و بالرفع على الاستئناف .

(٢) س : « أفنائه » .

(٣) هـ ب ، هـ ن : « المتعَب » .

(٤) الذى نقله التبريزى هنا فى كلام المرزوقى موجود فى كتابه ، وكذلك هو موجود فى كتاب ابن المستوفى نقلا عنه . وأورد ابن المستوفى كلاماً من كتاب المرزوقى المسمى « بالانتصار » هذا نصه : وقال أبو على فى كتاب « الانتصار » : هذا مما يعيبه العلماء بالشعر أن لا يتم معنى البيت الأول إلا فى البيت الثانى ، وهذا البيت مكتف بنفسه ، وهذا المعنى مما تفرد به أبو تمام ، وقد كرره فى مواضع ، فمنها :

فكم لحظة أهديتَـها لابن نكبةٍ   فأصبح منها ذا عقابٍ ونائل =

٢٧ سَلِسَ اللُّبانَةِ والرَّجاءِ (١) بِبابِهِ
كَثَبَ المُنَى مُمْتَدَّ ظِلِّ المَطْلَبِ

أي سَهْلَ الحاجة مُتَيَسِّرَها ، وكأنَّ أصلَ « اللُّبانة » أن يطلُبَ الرجلُ من الآخرِ لَبَنًا ، ثم كَثُر ذلك حتى سُمِّيَتْ كلّ حاجة لُبانَة . وتقديره : يَغْدُو مُؤَمِّله سَلِسَ اللُّبانَةِ إذا ما حَطَّ في أكنافه .

٢٨ الجِدُّ (٢) شِيمَتُهُ وفيهِ فُكاهَةٌ
سُجُحٌ ولا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

« فُكاهَة » أي مُزَاح ، وجاء في الحديث عن زَيْد بن ثابت أنه كان من أفكه الناس مع أهله وأزْمَتِهم في المَجْلس . و « السُّجُحُ » اللَّيِّن ، يُقال مَشَى مِشْيَةً سُجُحًا . يقول : فيه مُزاحٌ ولَعِبٌ يَسْتَعِينُ به على الجِدِّ في الأمور .

٢٩ شَرِسٌ ويُتْبِعُ ذاكَ لِينَ خَليقَةٍ
لا خَيْرَ في الصَّهْباءِ ما لَمْ تُقْطَبِ

« الصَّهْباء » الخمر ، وقَطْبُها مَزْجُها . أي لا تَصْلُح الشَّراسةُ إلاّ

= ومنها :

إذا آمل ساماه فرّط في المنى مواهبه حتى يؤمل آمله

إلى نظائر له كثيرة يطول بذكرها هذا الفصل . وأظن أن هذا العائب جعل « رحل المكل » مفعول « حط » ، و جعل الثاني وأوله « سلس اللبانه » تمام قوله « يغدو مؤمله » ، والصواب ما ذكرت ، لأن حمل الكلام على وجه ينتفي العيب عنه أولى في اختيار كل مختار . ثم جعل قوله « سلس اللبانة » من صفة الممدوح ، لأن الأبيات التي بعده مقصورة عليها وناطقة بها .

وعقب ابن المستوفي على ذلك بقوله : وهذا هو المعنى الذي ذكره المرزوقي أولا ، إلا أنه بسطه هنا . ثم قال : وما تأوله المرزوقي فبعيد جداً ، وقد أعمل قوم « غدا » و « قعد » إعمال « كان » وأخواتها ، فإذا كان كذلك فانتصاب « سلس اللبانة » لأنه خبر يغدو ، وإن لم يعملوها انتصب على أنه حال ، وإن كان هذا وجهاً لا يخرجه من التضمين — على ما ذكره المرزوقي — لا بأس به ، لكن ما ذكره غيره أولى ، وإن كان فيه تضمين .

(١) س ، ظ ، ل : « والرجاء » بالرفع . (٢) م ، د : « المجد » ورواية الأصل بهامش م .

باللِّين ، كما أنَّ الخمر لا تَصلُح إلاَّ بالمَزْج .

٣٠ صُلْبٌ إِذَا اعْوَجَّ الزَّمَانُ ولَمْ يَكُنْ
لِيُلِينَ صُلْبَ الخَطْبِ مَنْ لَم يَصْلُبِ

ويُروَى : « ولم يَكُنْ ليَدُقَّ[1] صَدْرَ الخَطْبِ » .

٣١ الوُدُّ لِلْقُرْبَى ولَكِن عُرْفُـهُ
لِلأَبْعَدِ الأَوْطانِ دُونَ الأَقْرَبِ

أى يَخُصُّ قَرابتَه بالوُدِّ والمحبة دُونَ العطاء لأنهم غيرُ مُحتاجين ، وعُرْفُه لمَن لا نَسَب بينه وبينه .

٣٢ وكَذَاكَ عَتَّابُ بنُ سَعْدٍ أَصْبَحُوا
وهُمُ زِمَامُ زَمَانِنا المُتَقَلِّبِ

ويُروى : « وهمُ عقالُ[2] زمامنا » . و « عَتَّاب بن سَعْد » من تَغْلب ، جَعَله عقالاً للدَّهْرِ يَمنعه من التصرف بالمكروه .

٣٣ هُمْ[3] رَهْطُ مَن أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ
وبَنو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

(ق) : يقول : يَعتزّ بهؤلاءِ القَوْم الذليلُ الذى يَبْعُد ناصرُه منه إذا استجار بهم ، وهم إخوانُ مَن لا إخوانَ له ، يُواسونَه ويَتَحمَّلون المشاقَّ عنه .

---

(١) وهى رواية س .

(٢) وهى رواية س ، م د — و روتها ظ .

(٣) م : « رهط لمن أمسى » .

٣٤ ومُنَافِسٍ عُمَرَ بنَ طَوْقٍ مَا لَهُ
مِن ضِغْنِهِ[1] غَيْرُ الحَصَى والأَثْلَبِ

يقول : ليسَ لمُنافسه ذِى الضِّغْنِ من إدراكِ رَغْبته منه إلاَّ الخَيْبَة ، وكنَى عن ذلك بالحصَى والأثْلَب ، وهو الحصَى المخلوطُ بالتراب .

٣٥ تَعِبُ الخَلَائِق والنَّوَالِ ولَمْ يَكُنْ
بِالمُسْتَرِيحِ العِرْضِ مَنْ لَمْ يَتْعَبِ

يقول : أخلاقُه تَعبِةٌ ونُواله لكثرةِ تصريفهما ، وفى ذلك راحةُ عرْضه وصيانتُه ، وكذلك تفسيرُ البيت الذى بعده .

٣٦ بِشُحُوبِهِ فى المَجْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ[2]
لا يَسْتَنِيرُ فَعَالُ مَنْ لَمْ يَشْحُبِ

٣٧ بَحْرٌ يَطِمُّ على العُفَاةِ وإنْ تَهِجْ
رِيحُ السُّؤَّالِ بِمَوْجِهِ[3] يَغْلَوْلِبِ

« يَطِمّ » أى يزيد ، وأصل « يَطِمّ » للبحر ثم استُعيرَ لغيره ، وأكثرُ ما يُستعمل ذلك فى الشَّر ، حتى قيل للداهيةِ طَامَّة ، واستعمله ها هنا للخيرِ على معنى المستَعار .

[ع] وأصلُ « اغلولَب » فى غلَظ العُنُق ، ثم استُعملَ فى غيره . فقالوا نَخلٌ مُغْلَوْلِب أى غلاظ ، ونَبْتٌ مُغلَولِبٌ أى كثُرَ واتصل بعضُه ببعض ، وإن قيل إنَّه منْ غَلَب يَغْلبُ فغيرُ بعيد ، وأصلُ الغَلَب فى العُنُق من

(١) د ، ظ : « من صنعه » .
(٢) ظ : « لونه » .
(٣) س ، ظ ، هـ ب : « لموجه » .

الغَلَبة ، كأنَّه إذا كانت عُنقُه غَليظة حُكِمَ له بالقُوّة وأنه يَغْلِبُ مَن صارَعَه (١) .

٣٨ والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُها وتَجِفُّ دِرَّتُها إِذَا لَمْ تُحْلَبِ

« الشَّوْل » جمع ناقة شائلة ، وهي التي قد أتى لها بعد نَتاجِها سبعةُ أشهر أو ثمانية فقَلَّ لبَنُها . و « الرِّسْل » اللبن و « تَدَفَّقَ » أي جاء بكثرة . و « ما حُلِبَتْ » في مَوْضع نَصْب على الظرف ، أي مُدَّةَ حَلْبِها . يقول : هو للعفاة بَحْر ، وإن هِيجَ بالسؤال كثُرَ فَيْضُه ، ثم ضَرَب مثَلاً لكثرة عطائه وإن سُئِل شيئاً بعد شيء ، فقال إنَّ الناقةَ الشائلَ إذا حُلِبَتْ تدفَّق رِسْلُها ، وإنْ لم تُحْلَبْ جفَّتْ دِرَّتُها (٢) .

---

(١) من هنا خرم في نسخة ب ينتهي عند البيت الثالث من القصيدة التالية .

(٢) قال الصولي في شرحه : والشول التي قد أدبرت ألبانها ، والواحدة شائل ، وهي أيضاً التي ترى أنها لاقح ولم تلقح ، والجمع شول ، قال بشار :

تعطي الغريرة درَّها فإذا أبت كانت ملامتها على الحلاَّب

وعقب ابن المستوفي على كلامه بقوله : وهذا يوهم أنه إذا لم يسأل لا يعطي ، كالناقة الشائل إذا لم تُحلب جف لبنها ، وهذا قريب إلى الهجو . وقوله « الشول التي قد أدبرت ألبانها » صحيح ، فأما قوله الواحدة « شائل » بغير هاء فليس كذلك ، وقد تقدم قول الجوهري فيه . قال : هو جمع على غير قياس ، وقال فأما « الشائل » بلا هاء فهي الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا ، والجمع شول مثل راكع وركع ، وقال الآمدي : أراد أن هذا الممدوح يجود ويوسع ، فإن سئل أعطى وأكثر وزاد ، وذكر أن الشول ليست هذه حالها ، وأن ألبانها تتدفق إذا حلبت ، وتنقطع إذا لم تحلب . . . وإنما أخذ قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » من قول بشار : « والدَّرُّ يقطعه جفاء الحالب » أي يعطي ما استميح وسئل .

قال ابن المستوفي : وهذا التمثيل الذي ذكره أبو تمام إذا حمل على ظاهره لا يطابق الأول من كلا جانبيه ، لأن قوله « والشول ما حلبت تدفق رسلها » بإزاء قوله « وإن تهج ريح السؤال بموجبه يغلولب » فأما قوله « بحر يطم على العفاة » فليس بإزاء قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » ثم قال أخيراً : ولعلي أعثر على جواب ما ذكرته فآتي به ، والمعنى هو الذي ذكره الآمدي ، ولم يرد أبو تمام تشبيه الممدوح في أحواله بالشول ، إنما نفى عنه أن يكون في ابتدائه بالعطاء وسؤاله مثلها ، وعليه المعنى في كتاب أبي زكريا .

٣٩ يا عَقْبَ طَوْقٍ أَىُّ عَقْبِ عَشِيرَةٍ
أَنتُمْ ورُبَّتَ[١] مُعْقِب لَمْ يُعْقِبِ

يُقال لولدِ الرّجلِ عَقْبُه وعَقِبُه [ع] وقوله : « ورُبَّتَ مُعْقبٍ لم يعقب» أى أنك ربّما رأيت الرجل وقد خلّف أولاداً ليسوا نجباء فكأنه لم يُعْقب ، إذْ كان وَلدُه كالمعدومين ، وإنما يُحْمَد الولدُ إذا كان نائباً عن أبيه أو زائداً عليه ، فلذلك يقولون أحيا فلانٌ أباه[٢] * ، قالت نادبة النعمان ابنِ جساس :

أحيا جسَاساً فلمّا حانَ مَصْرَعُه خلّى جساساً لأقوام سيُحْيُونَه

٤٠ قَيَّدْتُ مِنْ عُمرَ بنِ طَوْقٍ هِمَّتى
بالحُوَّلِ الثَّبْتِ الجَنَانِ القُلَّبِ

« قيدتُ همّتى » أى وقفتُها عليه[٣]. ويُقال رَجُلٌ حُوَّلٌ قُلّبٌ إذا وُصف بالحزْم وجَوْدة الرأى ، كأنه يُقلّب الأمور ويحتال لها إذا وقع فيها. و « الجَنان » القلب .

٤١ نَفَقَ المَدِيحُ بِبَابِهِ فَكَسَوْتُهُ
عِقْدًا مِنَ الياقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبِ

« الياقُوت » كلمةٌ قد استَعملتْها العَربُ فى كلمة أعجمية فى الأصل ، وليس لها اشتقاقٌ فى كلامهم لأنهم لم يحكوا أليَقْتُ .

٤٢ أَوْلَى المَدِيحِ بِأَنْ يَكُونَ مُهَذَّباً
ما كانَ مِنْهُ فى أَغَرَّ مُهَذَّبِ

---

(١) ظ : « وكم من معقب » .

(٢) قال ابن المستوفى ألمّ بقول طفيل الغنوى :

كريمة حر الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكاً فى غد غير مُعْقب

(٣) قوله : « قيدت همّتى أى وقفتها عليه » لم يرد فى ش .

٤٣ غَرُبَتْ خَلائِقُهُ وأَغرَب شاعرٌ[١]
فيه فأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فى مُغْرِبِ

أى شاعرٌ يأتى بغرائبِ المعانى فى رجل غريب المكارم والأخلاق .

٤٤ لمَّا كَرُمْتَ[٢] نطَقْتُ فيكَ بِمَنْطِقٍ
حَقٍّ فلم آثمْ[٣] ولم أَتَحَوَّب

٤٤ — يقول : لمَّا عزَمْتُ على مدحك نطقتُ غيرَ كاذبٍ فى وصفك ، ولا آثمٍ مُتَحَوِّب . والحُوبُ الإثم .

٤٥ ومتى[٤] امتَدَحْتُ سِواك كنْتُ مَتَى يَضِقْ
عَنّى لَهُ صِدْقُ المقَالَةِ أَكْذِبِ

أى متى مدحتُ غيرَك فضاق علىّ وَصْفُه بالحق استعملتُ الكذبَ فى موضعه[٥] .

---

(١) س ، د : « واصف » .
(٢) س : « لما عزمت » .
(٣) ظ « فلم أظلم » .
(٤) س : « ولو امتدحت » .
(٥) ن : « فى وصفه » .

٦

وقال يمدح الحسَن بن وَهْب ، ويَذْكُر خِلْعَةً خلَعها عليه :

١ الحسنُ بنُ وَهْب كالغَيْثِ فى انسِكابِهْ[١]

٢ فى الشَّرْخِ من حِجَاهُ[٢] والشَّرْخِ مِنْ شَبابهْ

[ع] هذا الوَزْنُ لم يَذكره الخليلُ فيما ذكَر ، وإذا حُمِل على قياس ما قال فأشْبهُ الأشياءِ به أن يكونَ من المُنْسَرِح ، ويكونَ الضربَ الثالثَ الذى هو :

* وَيْلُمِّ سعْد سَعْدَا *

مشطور هذا الوَزْن ، وقد يجوز أن يُحمل على أنّه من الرَّجَز ومن السَّريع ، ولا يوجد مثلُه فى الشعر القديم ، وقد قالت مثله الشعراءُ فى زمان بنى العباس كقول القائل :

إبْريقُنا مُصَلِّ يركَعُ فى صَلاتِهْ

٣ والخِصْبِ مِنْ نَداهُ[٣] والخِصْبِ من جَنَابهْ

٤ ومَنْصِب نَماهُ ووَالِدٍ سَمَا بِهْ

٥ نُطْنِبُ كيْفَ شِينَا فيهِ ولم نُحَابِهْ

٦ وحُلَّةٍ كَسَاهَا[٤] كالحَلْى[٥] والتهابِهْ

٧ فاستَنْبطَتْ مَدِيحاً كالأَرْىِ فى لِصَابِهْ

٧ — « الأرى » العسل ، و « اللِّصاب » جمع لِصْب وهو شَقٌّ ضيّق فى الجبل .

٨ فرَاحَ فى ثَنائِى ورُحْتُ فى ثِيَابِهْ

---

(١) س : « كالمزن وانسكابه » — ل ، ن : « كالغيث وانسكابه » .

(٢) س : « من نداه » . (٣) س : « من حجاه » . (٤) هـ ب : « كسانى » .

(٥) س : « كالجمر والتهابه » — ل ، هـ ب : « فى التهابه » .

٧

وقال يمدح الحسنَ بنَ سَهْل[١] :

١ أَبْدَتْ أَسًى أَنْ رَأَتْنِى مُخْلِسَ القُصَبِ
وآلَ ما كانَ مِنْ عُجْبٍ إلى عَجَبِ

الأول من البسيط والقافيةُ مُتَراكب :

أى أظهرتْ حزْنًا لأن رأتْنى [مُخلسَ القُصَب][٢]. « والمُخلِس » من قولهم أخْلَسَ رأسُه إذا صار فيه بَياضٌ وسَوَاد ، والشَّعَرُ مُخلسٌ وخَلِيس . و « القُصَب » جمع قُصْبَة وهى خُصْلة من الشَّعَر تُجعَل كهيأةِ القَصَبَة الدَّقيقة ، وهى أقلُّ فَتْلا من الضفيرة . ومن روى « القُصُب » بضم الصاد فهو جمعُ قَصِيبةٍ مثل صَحيفة وصُحُف . يقال قَصْبَةٌ وقَصِيبَةٌ وقُصَّابة . و « العُجْب » من الإعجاب والحُسْن ، و « العَجَبُ » من التعجُّبِ والإنكار . يقول : حَزِنَتْ لشَيْبِ رأسى ، وصار عندها مُنْكَرًا بعد ما كان أسْوَدَ تُعْجَب به .

٢ سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونِى فَأَتْبَعُها
إلى المَشِيبِ ولم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ

يقول : تدعونى إلى المَشيبِ ستٌّ وعشرونَ سنةً فأجيبُها ، ولم تَدْعُنى إلى الشَّيْبِ فى غير وَقْته فتكونَ ظالمةً لى جائرةً علىَّ ، فإنى قاسيتُ من الدهر ما لو شبْتُ معه فى المَهْد لم ينكَر . و « الحُوبُ » الإثم .

---

(١) م ، ل : وقال يمدحه (أى الحسن بن وهب) ، وقيل هى فى الحسن بن سهل . س : وقال يمدح الحسن بن رجاء بن الضحاك .

(٢) ما بين المعقفين لم يرد فى نسخ التبريزى وأثبتناه من ظ فيما نقله ابن المستوفى عنه .

٣ يَوْمِى مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهِرٌ
عَزْماً[١] وحَزْما وَساعِى منه كالحِقَبِ

« سَاعى منه » أرادَ جَمْعَ ساعة كما قال القَطَامىّ :

وكُنّا كالحَرِيقِ أصابَ غابًا فيَخْبُو ساعةً ويَهُبّ ساعَا[٢]

وحَكَى بعضهم أسْوَعْنا بالمكان إذا أقمنا ساعةً . يقول : شَيْبى قد تأخَّر عن وقته لأنى قد جَرَّبتُ فى أقلِّ المُدَدِ ما كان يَوْمى فيه دَهرًا وساعتى فيه حقْبة .

٤ فأَصْغِرى أَنَّ شَيْباً لَاحَ بِى حَدَثاً
وأَكْبِرِى أَنَّنى فى المَهْدِ لم أَشِبِ

« فأصْغِرى » أمرٌ ، أىْ لِيَصْغُرْ عندكِ ، و « أكْبِرى » أى لِيَكْبُرْ . [ع] و « أنّ شَيْبًا » و « أنّى فى المَهْدِ » « أنَّ » وما بعْدها فى مَوْضع نَصْب بوقوع الفعْلِ عليه يقول : لا تَعجبى أنْ شبتُ حدَثًا فإنّ ذلك صغيرٌ من الأمور ، واستَعْظمى أنّى لم أشبْ فى المَهْدِ ، إذْ كانت شَدائدُ الزّمن توجب شَيْبَ الطفل ، لا سيّما إذا لَقىَ كما لَقيتُ ، ولا يجوز أن يُحمَل على قولهم أكْرِمْ بزيد ، لأنّ الناس مُجمِعون على أنّ اللفظ فى ذلك يُقَرّ على حال واحدة ولا يُغَيَّر فى تأنيث ولا تثنية ولا جمع ، ويزيده ضَعْفًا حذفُ الباء منه ، وذلك لا يُعرف فى مثل قوله تعالى : « أسْمِعْ بهم وأبْصِرْ » .

٥ ولا يُؤَرِّقْكِ[٣] إِيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ
فإِنَّ ذَاكِ ابتِسَامُ الرَّأْيِ والأَدَب

أى لا يمنَعنَّكِ النومَ لَمعانُ القَتير — وهو ابتداءُ الشَّيب برأسى — فإنه دَليلُ تَمام رأيى وأدَبى ، وضرب الابتسامَ مثلاً لشَبَه الشيبِ بكَشْفِ الثَّغرِ للتبسّم .

---

(١) س : « حزماً وعزماً » . (٢) الديوان ص ٣٩ . (٣) د : « يردّك » .

٦ رَأَتْ تَشَنُّنَهُ[١] فاهْتَاجَ هائِجُها
وقال لاعِجُها لِلعَبْرَةِ : انْسَكِبي

« تَشَنُّنَه » من قولهم تَشَنَّنَ الجلْدُ إذا خَلُق ، ويقال للقربة والمزادة وكلِّ شيء من الإدِيم يَخْلُق : شَنٌّ ، قال الراجز :

قالتْ لتَعْييرى بذاكَ مُعْلِنَهْ
بَرْذَنْتَ[٢] ياشَيْخُ وفَوْقَ البَرْذَنَهْ
لم يَبْقَ غيرُ جلدةٍ مُشَنَّنَهْ

أىْ أن جلْدَه قد صار كأنه شَنٌّ . و « لاعِجُها » ما يؤثِّرُ فى القلب من الحب والحزن .

٧ لا تُنْكِرِى مِنه تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ[٣]
فالسَّيْفُ لا يُزْدَرَى إنْ كانَ ذَا شُطَبِ

يقال « تَخدَّدَ » لَحْمُ الرجلِ إذا هُزِل فصارتْ فيه طرائقُ ، وأصل ذلك من الخَدِّ ، وهو حفرٌ مُسْتَطيلٌ فى الأرض ، ويقال « ازدَرَيْتُ » الرجل إذا احتقرتَه ، و « شُطُب » السيف وشُطَبُه الطرائقُ التى فيه .

٨ لا يَطْرُدُ الهَمَّ إلاَّ الهَمُّ[٤] من رَجُلٍ
مُقَلْقِلٍ لِبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُبِ[٥]

[ع] « الهمّ » الأوّل ما يَجِدُه الرجلُ فى صدره مما يوجب رحيلَه ، و « الهَمّ » الثانى الهِمَّةُ ، وأصلُهما واحد، إلاّ أنّهم استعملوا الأول فيما يُكْرَه ،

---

(١) س : « تشتته » — د ، هم : « تغيره » — وجاء فى ظ : فى نسخة إبراهيم بخطه : قرأت فى نسخة « رأت تبَسمه » و « رأت نشنه » ، والتشن بمعناه أشبه.

(٢) برْذن الرجل ثقل.

(٣) هـ م : « تخلله » — وهذا البيت مؤخر فى م ، ل ويقع بعد البيت : ماض إذا الهم . . .

(٤) د : « إلا العزم » .

(٥) هـ م : « النجب » .

واستعملوا الثانى فيما يُحمد ، فقالوا رجلٌ بَعيدُ الهمِّ أى الهِمَّة * ، من ذلك قالوا لِلمَلك هُمَام يصفونه بِبُعْد الهمَّة . و « مُقَلْقِل » من القَلْقَلة وهى الحركةُ العنيفة ، و « بَنَاتُ القَفْرَةِ » الإبل ، جعلها بَنَات لِلقَفْرة لأنَّها تُقطَع بها . و « النعُب » جمع نَعُوب ، والنَّعَبانُ تحريكُ النَّاقة رأسَها فى السَّيْرِ وذلك من النَّشاط .

٩ ماضٍ إذَا الهمَمُ[1] التَفَّتْ رَأَيْتَ لَهُ
بِوَخْدِهنَّ اسْتِطالاتٍ على النُّوَبِ

« الوَخْد » مِن سَيْرِ الإبِل ، وقلَّما يُستَعمل فى غيرها ، وقال بعضهم قد يستعمل فى الخَيْل . يقول : لا يَطْرُد الهَمَّ إلا ماض مِن الرِّجال نافذٌ ، إذا أحاطَتْ به النوائبُ استعمل الإبل فاستطال على النوَب بِوَخْدِهنّ ، وهو سَيْرٌ سريع .

١٠ سَتُصْبِحُ العِيسُ بى واللَّيْلُ عِنْدَ فَتًى
كثيرِ ذِكْرِ الرِّضا فى ساعةِ الغَضَبِ

« العيسُ » جمع أعْيَس وعَيْساء ، وهى الإبلُ التى يَعْلو بياضَها شُقْرَة ، وقلما يخرجونها إلى غير ذلك ، وقد جاء فى الشعر الفصيح ظَبْيَةٌ عَيْساء ، وقالوا فى صفة الشعر الشائب عيسٌ ، قال الراجز :

لمَّا رأيْنَ لِحْيَةً خَلِيسَا
رأيْنَ سُودًا ورأيْنَ عِيسَا

وقوله : « كَثير ذِكرِ الرِّضا » أى يَحلُم و يَرضَى عن المُسِيء فى ساعة يَغضَب فيها غيرُه .

---

(١) س ، د : « إذا الكربُ . . . . على الكربِ » .

١١ صَدَفْتُ عنهُ فلم تَصْدِفْ مَوَدَّتُهُ[١]
عنِّى وعَاوَدَهُ ظَنِّى فلم يَخِبِ

أى عَدَلتُ عنه راحلاً فلم تَعْدِل مودَّتُه عنى ، وتكرَّر عليه ظنِّى فلم يَخِبْ فى معروفه .

١٢ كالغَيْثِ إنْ جِئتَهُ وافَاكَ رَيِّقُهُ
وإنْ تَحَمَّلْتَ[٢] عنهُ كان[٣] فى الطَّلَبِ

« رَيِّقُه » أى أوَّله ، وهو « فَيْعَل » من رَاقَ يرُوق . يقول : هو جَوَادٌ كالغَيث ، إن قَصَدْتَ ناحيتَه وافاكَ أوَّلُ مائه ، وإنْ رحلتَ عنه تَبِعَكَ وجَدَّ فى طَلَبك ، أىْ يَجُود عليك حَيْثُ كنتَ .

١٣ خَلَائِقَ الحَسَنِ استَوْفى البَقَاءَ فَقَدْ
أصبَحْتِ قُرَّةَ عَيْنِ المَجْدِ[٤] والحَسَبِ

قولهم « قُرَّة العين » يَجْرِى مَجْرَى الأمثال التى لها أصولٌ تُنْقَل عنها إلى غيرها ، وقد اختُلِفَ فى أصل ذلك ، فقيل أصْلُه من القُرِّ وهو البَرْدُ ، لأنَّ الفَرَحَ يَحْدُثُ عنه دُموعٌ بارِدَةٌ ، وقد يجوز ألاَّ يُرادَ به دموع الفرح إذْ كان ليس كلّ مَن فَرِحَ بشىء تَدْمَعُ عينه ، ولكن لمَّا كان البُكاءُ يجىء بالدموع ولا تكون إلاّ حارَّةً قيل أقرَّ اللهُ عَيْنَه ، أى أذهب عنه ما يوجب بُكاءَه . وقيل معنى ذلك : أنْ يرزقه اللهُ رِزْقًا واسعًا فلا يَتشوَّف نَظَرُه إلى شىء ، كأنَّ عَيْنَه تَقَرّ . وقيل يُرادُ بـ « أقرَّ اللهُ عَيْنَه » أى أنامَها ، لأنَّ النوم قَرارٌ للعَيْن ، إذْ كان السَّهَرُ لا يكون إلاّ فى الأشياءِ المذمُومَة ، وإذا

(١) م : « مواهبه » ، وبهامشها رواية الأصل .
(٢) هـ م : « وإن ترحلت » .
(٣) هـ م : « لج » — هـ ب : « جد » .
(٤) هـ س : « العلم والأدب » .

وصَفُوا الإنسانَ أنه لا يَنامُ فإنما ذلك لخَطْب جليل . دَعَا لخلائقه أنْ تُعمَّرَ وتَستَوْفِى أقصَى البقاء لأنها قوامُ المَجْدِ والحَسَب .

١٤ كأنَّما هُو مِنْ[1] أَخْلاَقِهِ أَبَدًا وإنْ ثَوَى وَحْدَهُ فى جَحْفلٍ لَجِبِ

جَعَلَه من سَعَة خُلُقه وصَبْرِه على النوائب وتَحمُّله لها فى مثل العَسْكرِ اللَّجب وإنْ كان وحدَه .

١٥ صِيغَتْ لَهُ شِيمَةٌ غرّاءُ مِن ذَهَبٍ لكنَّها أَهْلَكُ الأَشياءِ للذَّهَبِ

يقول : شيمته لخلوصها من اللؤم ولكرمها كأنّها مَصُوغَةٌ من ذهب ، إلاّ أنها تُهْلِكُ الذهبَ بالبَذْلِ وتُفْنيه . [ع] وأصل همزة التعجب أن تدخلَ على الأفعال الثُلاثية التى لا زيادةَ فيها ، مثْل ضَرَبَ وعَلِمَ وكَرُمَ ، ودخولُها على ما فى أوّله الهمزة قليل ، إلاّ أنّه قد جاءَ وكَثُر ، وقد حكَى بعض أهل اللغة أنه يقال هَلَكْتُ الشىءَ وأهلكتُه بمعنًى ، فإنْ صَحَّ ذلك فقوله : « أهْلَكُ الأشياءِ » على هذا الوجه ، وإن أُخذَ بالقولِ الآخر فهو مثل قولهم ما أعْطاهُ للدّراهم ، وإنما يقولون أعْطَيتُه بالهمزة ولا يستعملون عَطَوْتُ إلاّ فى معنى تَناولتُ . و « أفْعَلَ » التى للتعجُّب تَجرى مَجْرَى « أفْعَلَ » التى للتّفضيل *

ومثل قوله : أهْلَكُ الأشياءِ » قول الآخر :

بأضْيَعَ منْ عينَيْكَ للدمع كلّما تَوهَّمْتَ رَسْمًا أو تذكَّرْتَ مَنْزِلا[2]

١٦ لمَّا رَأَى أَدَباً فى غَيْرِ ذى كَرَمٍ قَدْ ضَاعَ أَوْ كَرَماً فى غير ذِى أَدَبِ

---

(١) م : « فى أخلاقه » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) البيت لذى الرمة فيما نسب إليه من الأبيات المفردة (ملحق الديوان ص ٦٩) وروايته فيه :

بأنبع من عينيك للدمع كلما تعرفت داراً أو توهمت منزلا

١٧ سَمَا إلى السُّورَةِ العَلْيَاءِ فاجْتَمَعا
في فِعْلِهِ كاجْتِماعِ النَّوْرِ والعُشُبِ

١٦ و١٧ — [ع] « السُّورَة » المَنْزِلةُ الرّفيعة ، وإنما أخذت من قولهم سار يَسُور إذا وَثَب . وقد حُكي بفتح السين — وهذان البيتان يحتمل معناهما أن يكون للممدوح ، أنّه لمّا رأى الناس لا يَجْتمع فيهم الكرمُ والأدبُ جمَع بينهما فهو أديبٌ كَرِيم ، ويجوز أن يعني بذلك المادحُ نفسَه ، كأنّه قال : لمّا رآني هذا الممدوحُ أديبًا ولا مالَ لي أكونُ به كَرِيمًا أعطاني مالاً أتكرّم به ، فاجتمع الأمرانِ في فعله كما يجتمع النَّوْر — أي الزَّهَرُ — والعُشُب في الرّبيع فيَحْسُن كلٌّ واحد منهما مع الآخر [١] .

١٨ بَلَوْتُ مِنْكَ وأَيَّامِي [٢] مُذَمَّمَـــةٌ
مَوَدَّةً وُجِدَتْ أَحْلَى مِنَ [٣] النَّشَبِ

١٩ مِن غَيْرِ مَا سَبَبٍ مَاضٍ ، كَفَى سَبَباً
لِلحُرِّ أَنْ يَعْتَفِي حُرًّا بِلا سَبَبِ

١٩ — يُقال عَفَاه واعْتَفاه إذا طَلَب معروفَه ، وسكّن الياءَ في « يَعتَفي » للضرورة .

(١) قال ابن المستوفى : المعنى الأول لا يحتمل غير .
(٢) ظ : ويروى : « وأخلاقي مذممة » .
(٣) ظ : ويروى : « من الضرب » ، ويروى : « أدنى من النسب » . ورواية « الضرب » في هـ م .

٨

وقال يمدح سليمان بن وهب :

١ أيُّ مرعى عينٍ[١] ووادِي نسيبِ
لحبَتْهُ الأيَّامُ فى ملْحُوب ؟ !

الأوّلُ من الخفيف والقافيةُ متواتر .

ويُروى : « مِن ملْحُوب » ، وجعل نظرَها إلى الحسان رعيًا لها . [ع]
وقوله : « وادى نسيب » أى كان هذا الوادى فيه أهلٌ يستحقون أن يقال فيهم النسيبُ ، وهو مثلُ الغزال فى الشِّعْر . و « ملْحُوب » اسمُ موضعٍ ، وتردّده فى الشعر كثير . و « لحَّبتْه » مَنْ شدّد الحاءَ فهو من قولهم لحّبتُ القتيلَ إذا صرَعْتَه ، وقال قوم لحَّبه إذا قطعه بالسَّيْف ، وقيل معنى لحَّبه أى ألقاه على الطريق الواضِح وهو اللاحب . ومن روى « لحبَتْه » بالتخفيف فهو من القَشْر ، يقال لحَبَ اللحمَ إذا قشَره ، ومعنى « لحَّبَ » و « لحَبَ » يرجع إلى شيء واحد . ومن روى : « من ملْحُوبٍ » جعل ملْحُوبًا نفسَه مرْعى عيْنٍ ووادِىَ نسيب ، كما يقال أىّ رجلٍ نزلنا به من فُلان . ومن روى « فى ملْحُوب » جعل المرْعَى والوادىَ فيه .

٢ ملَّكَتْه[٢] الصِّبَا الوَلوع فأَلْ
فتْهُ[٣] قَعُودَ البِلَى وسُؤْرَ الخُطُوبِ

[ع] يُروى « مُلِّكَتْه الصَّبَا » على أنّ « الصِّبا » اسمُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه ،

---

(١) قال الصولى : ويرويه قوم « أى مرعى عِين » (بكسر العين) وهو تصحيف ، إنما يريد أى مرعى عين ، جعل نظرها إلى الحسان رعياً لها .
وفى ظ : فى بعض حواشيه « عين » جمع عيناء .
(٢) س : « ألفته الصبا . . . فأبقته » .
(٣) فى ظ : وروى « فأبقته » بالباء وهو أجود من قوله « فألفته » بالفاء .

ويروى « مَلَكَتْه » على أنها فاعلة ، والمعنى واحد وأصل « القَعُود » فى الفَتِىّ من الإبل، وأصله أن يكون قد صَلَح للركوب وأن يُقعَد على ظهره * وربما قالوا هو البَكْر أو الفصيلُ أو الحِق أو نحوُ ذلك ، وكلُّه راجعٌ إلى فَتاء السِّن . [ع] و « سُؤْر الخُطوب » بقيتُها ، ومن عرف مذهب الطائىّ لم يَعدِلْ عن هذه الرواية ، ومن روى « سُودَ الخُطوب » فله وجه ، إلا أنه جديرٌ بأن يكون تصحيفًا ، وإذا رُوى بالدال احتمل أن يخفض فيعطف على « البِلَى »، وأن يرفع فيعطف على « الصَّبَا » * .

يقول : مَلَكَتِ الأيامُ هذا المحلَّ رِيحَ الصَّبَا حتى عفتْه وتركتْه مركبًا للبلى * وقيل خَصَّ الصَّبَا لأنها تأتى بالمطر كثيرًا فتعفّى الآثار .

٣ نَدَّ عنْكَ[(١)] العَزَاءُ فيهِ وقادَ الـ
دَّمْعَ مِنْ مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الجَنِيبِ

[ع] استعار « نَدَّ » للعزاء ، وإنما هوَ للإبل ونحوِها ، يقال نَدَّ البعيرُ إذا ذَهَبَ على وجهه فى الأرض . وجاء بـ « الجَنيب » فى القافية لأن الذى يُقاد جنيبًا ضدُّ النادّ * و « العزاء » الصَّبر . والفعلُ فى « قادَ » للعزاء ، أى ذهب معه بالدَّمع من العَيْن .

٤ صَحِبَتْ وَجْدَكَ المَدَامِعُ فيه بِنَجِيعٍ بِعَبْرَةٍ مَصْحُوبِ

[ص] أى ساعدتِ المدامعُ وَجْدَكَ فَجَرَتْ بدمعٍ مُخالطه الدَّمُ * .

٥ بِمُلِثٍّ على الفِرَاقِ مُرِبٍّ ولِشَأْوِ الهَوَى البَعِيدِ طَلُوبِ

« المُلِثّ » و « المُرِبّ » اللازم للشىء ، يقال ألثَّ بالمكان وأرَبَّ ، ويقال كذلك فى المَطرِ إذا دام أيامًا . أى صحبتْه بدمعٍ مُلِثٍّ دائم على الفراق لا ينقطع ما دام الفراق ، ولا يزال طالبًا لشأوِ الهوَى جاريًا فى إثْرِه .

---

(١) قال ابن المستوفى : وروى الخارزنجى أيضاً « ند حسن العزاء » وقال : « ند » : غاب ، والمعنى يقول : غلب هذا المحل صبرك حتى جزعت وبكيت ، وامتاح دمع عينيك فانقاد له كما ينقاد الجنيب لمن يجنبه .

وقال : ويروى « فعاد » و « الدمع » مفعول العزاء .

٦ أَخْلَبَتْ بَعْدَهُ بُرُوقٌ مِنَ اللَّهـ
وِوجَفَّتْ غُدْرٌ مِنَ التَّشْبِيبِ

[ع] : ويروى « أخلفَتْ بعدهُ بُروقٌ »[1] جاء بها على ما يعرف من الاستعارة ، أى صارتْ إلى الخُلْف . ومن روى « أخلبَتْ » أى صارتْ إلى الخلاَبة وهى الخديعة * وأخلَبَ البرْقُ غيرُ مستعمل فى الكلام القديم .

يقول : لمَّا أقفَرَ هذا المنزلُ وخلا من الأحبَّة لم يكنْ لى لهوٌ صادِقُ البرقِ بعدَه ، ولا غزَلٌ إلى غير أهله .

٧ وبِمَا[2] قَدْ أَرَاهُ رَيَّانَ مَكْسُوَّ الـ مَغَانى مِنْ كلِّ حُسْنٍ وطِيبِ

(ع) « وبما قد أراه » هذا كلامٌ معروفٌ من كلام العرب . يقول : أقفرتِ الدارُ بما قد أراها وهى آنسة ، أى هذا بذاك ، كأنهم يذهبون إلى أن الدهر يومٌ ويوم . وقال قومٌ : البَاءُ ها هنا تُؤدِّى معنى « رُبَّ » ، وهذا القول ليس بشىء ، وإنما البَاء لمعْنَى الجزَاء والمكافأة ، كما تقول للرجلِ خُذْ هذا الدرهم بما خدَمْتنى ، أى من أجل خدْمتكَ إياى ، ومنه قول الشاعر يَصِف الدّار :

إنْ تكنْ نالتِ المواطنُ منها وعَرتْها نَوائبٌ وخُطوبُ
فبما قد يَحُلُّها الأنُفُ الشَّرْ بُ ويجرى عليه كأسٌ وكُوبُ

يقول : إن خلَتْ هذه الدّارُ فقد يكون بها شَرْبٌ ، فهذا بذاك .

٨ بِسَقِيمِ[3] الجُفُونِ غَيْرِ سَقِيمٍ ومُرِيبِ الأَلحَاظِ غَيْرِ مُرِيبِ

٩ فى أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ كريمٍ وزَمانٍ مِنَ الخَرِيفِ حَسِيبِ[4]

٩ — [ص] جعل الربيعَ كريمًا لأنه يُطْعِم الماشيةَ ، وفيه يَكثُر النَّبْتُ والزّهر ، وجعل الخَريفَ حَسيبًا لطيب أيامه * ، وقيل إنما قال « حَسيب »

(١) هى رواية س ، وقال الصولى : ويروى : « كذبت » وهذه الرواية فى ه س .

(٢) م : « ربما » وبهامشها رواية الأصل – وقال ابن المستوفى : وجدته (أبا العلاء) يروى « ربما قد أراه » بالراء ، وهو فى طرة كتاب الخارزنجى .

(٣) فى الأصول : « بسقيم الجفون » وانفردت نسخة ش برواية « بسقيم الألحاظ » .

(٤) قال الصولى : وروى قوم « خصيب » وليس بشىء .

لمُطابقة الكلام ، و « الحَسيبُ » بالخريف أشْبَه ، لأنه من « أحْسَب » ، فبه يتَم ما جاد به الرّبيع ويكفى ، فكان كمن طال عُمْرُه وكثُرتْ مآثرُه .

١٠ فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لَا أُشْرِكُ الأَطْ لالَ فى لَوْعَتِى ولا فى نَحِيبِى

« فعلَيه » أىْ على السَّقيم الجفُون . [ص] يقول : على السَّقيم الجفُونِ أبْكى لا على طَلَل[١] .

١١ فَسَواءٌ إجَابَتِى[٢] غيْرَ دَاعٍ ودُعَائِى بالقَفْرِ[٣] غَيْرَ مُجِيبِ

(ق) : يقول : لستُ ممن يقفُ على الأطلال يُخاطبها ويُباثُّها ويُشْرِكُها — فى زعمه — فى لَوْعته ، ويَسْتحملُها — على تقديره — بعضَ جزعه ، فسواءٌ عندى فى الاستحالة أن أجيبَ من غيرِ أن أدْعَى ، وأن أدعُوَ[٤] مالا يُجيب .

١٢ رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى وغَنَاءٍ

مِنْ عَنَاءٍ ونَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

أى رُبَّ دَعَةٍ تحتَ التّعَب . و « غَنَاءٍ » أى نَفْع . و « الشّحُوب » ضدّ النَّضْرة .

١٣ فاسْأَلِ[٥] العِيسَ ما لَدَيْها وأَلِّفْ

بَيْنَ أَشْخَاصِهَا وبَيْنَ السُّهُوبِ

ويروى : « بينَ أشباحها[٦] » . و « أشخاصٌ » جمع شَخْص ، وليس باب

---

(١) فى ظ : وفى الحاشية يقول : أخصه بسلامى دون الأطلال فلا أشركها فى وجدى وبكائى ونحيبى . والصحيح إعادة الهاء فى قوله « فعليه السلام » إلى الطلل الذى ذكره ، ويدل عليه قوله : « لا أشرك الأطلال فى لوعتى » أى لا أبكيه ولا أبكى غيره .

(٢) م « : أجابنى » . (٣) ق ، ل ، ظ ، هـ ب ، هـ ن : « بالقاع » .

(٤) فى ظ قال الآمدى : وقوله : « فسواء أجابنى غير داع » معنى لطيف قد ذكرته فى باب استعجام الديار عن الجواب ، وبيت البحترى الذى حذاه حذوه :

وسألت من لا يستجيب فكنت فى اسـ تخباره كمجيب من لا يسأل

وبيت أبى تمام أجود . (ولم أجده فى هذا الباب من كتابه الموازنة) .

(٥) س ، م ، ل : « فسل » ورويها ظ . (٦) وهى رواية س ، ورواها الصولى .

« فَعْل » أن يُجمع « أفعال » وربّما جاء كالنادر ، كما قالوا فرْخٌ وأفراخ ، وزَنْدٌ وأزناد ، و « السُّهوب » جمع سَهْب ، وهو الأرض الواسعة البعيدة . وقوله : « ما لَدَيْها » أي من السَّيْر .

١٤ لا تُذِيلَنْ[١] صَغِيرَ هَمِّكَ وانظُرْ
كَمْ بِذِى الأَثْلِ دَوْحةً مِن قَضِيبِ

[ع] « الهَمُّ » ها هنا يحتمل أن يكون الهِمَّة ، ويحتمل أن يكون واحدَ الهُمُوم التي هي أحزان ، و « الأثْل » شَجَرٌ معروف يعظُم ، ثم كثُر حتى سُمِّيتْ كلّ شجرة عظيمة أثْلة ، و « الدَّوْحة » الشَّجَرةُ العظيمة . والمعنى : لا تُذيلَنْ صَغيرَ همِّك ، أي لا تُهمِلْ نظركَ فيه ، فإن كان خيرًا فإنه يتَشمّر[٢] وتعظم المنفعةُ به ، وإن كان مما يُحذَر فإنه لا يؤمَن أن يغلبَ ويتفاقَم . وهذا المعنى قَصَده نَهْشَلُ ابنُ حَرِّيٍّ في قوله :

قال الأقاربُ لا يغرُرْك كَثْرتُنا ... وأغْنِ شأنَك عنّا أيُّها الرَّجلُ
عَلَّ بنيَّ يَشُدُّ اللهُ[٣] أزرهُم ... والنَّبْعُ يَنبُتُ قُضْبانًا ويكْتَهِلُ

فهذا مثلُ قوْله « كم بِذِي الأثْل دوْحَةً من قَضِيب »[٤] .

١٥ ما عَلَى الوُسَّجِ الرَّواتِكِ من عَتْ
بٍ إِذَا ما أَتَتْ أَبَا أَيُّوبِ

« الوُسَّج » جَمْعُ واسِج ، والوسيجُ ضَرْب من السَّيرِ يُستعمل للإبل والنَّعام[٥] . و « الرَّواتك » التي تسير الرَّتْكَ ، وهو أيضًا من سَيْر الإبل ،

---

(١) في ظ : ويروى « لا تنكر » .

(٢) في ظ : « يستمر » .

(٣) وروايته في ب ، ن : « يسد الله فقرهم » .

(٤) في ظ قال الخارزنجي : يقول لا تهن من همك فتنوطه بالصغير من الناس ، ولكن صنه حتى تصله بالكبير منهم ، وانظر كم تشبعت من دوحة واحدة من القضبان .

(٥) أتى الصولي بشاهد لذي الرمة وهو قوله :

والعيس من واسج أو عاسج خَبَبًا ... ينحرْن من جانبيها وهي تنسلبُ

وقال « ينحرن » أي يركلن بالأرجل .

يقال رَتْكٌ ورَتَكٌ ، ويقال إنّ أصلَه التسكين وحرّكه زُهيرٌ للضَّرورة فى قوله : « يُزجى أوائلها التَّبغيلُ والرَتَكُ » (١) .

١٦ حُوَّلٌ لا فَعَالُهُ مَرْتَعُ الذَّ مِّ ولا عِرْضُهُ مُرَاحُ العُيُوبِ (٢)

١٧ سُرُحٌ قَوْلُهُ إذا ما استَمَرَّتْ عُقْدَةُ العِيِّ فى لسانِ الخَطِيبِ

١٧ — « سُرُحٌ » أى سَهْل ، أى هو خَطِيبٌ بَسِيطُ اللسان ، ومنه ناقةٌ سُرُح أى سهلةُ السَّيْر .

١٨ ومُصِيبٌ شواكِلَ الأَمْرِ فيــهِ مُشْكِلاتٌ يَلُكْنَ (٣) لُبَّ لَبِيبِ (٤)

هذا مثل ، وأصله فى الرَّمْى ، يقال أصاب الرَّامى شاكِلةَ المَرْمِىّ إذا أصاب خاصرَته ، فكأنّه إذا فعل ذلك فقد ظفر وبلغ حاجتَه ، ثم نقلوا ذلك إلى غير الحيوان ، وهذا يجرى مجرى قولهم ، هو يأتيك بالأمر من فَصّه ، فى رأى مَن يأخُذه من الفصِّ الذى هو رأسُ المَفْصِلِ الذى يجتمع فيه العَظْمان . [ص] و « الشاكِلة » أيضًا الطَّرِيقة ، ومنه « كلٌّ يَعْمل على شاكِلته » .

١٩ لا مُعَنًّى بِكُلِّ شَىءٍ ولا كلُّ مِ عَجِيبٍ فى عَيْنِهِ بعَجِيبِ

أى يُعَنِّى غيرَه فيما يريد ولا يُعنِّى نفسه ، والعجيب فى أعيُن الناس لا يرَاه عجيبًا لأنه قد ذَلَّلَ الأمُورَ وعرَفها .

---

(١) الديوان : ص ١٦٨ ، والبيت :

هل تلحقنى وأصحابى بهم قُلُص يزجى أوائلها التبغيلُ والرتكُ

وقال فى شرحه : التبغيل حسن سير الدابة فى سرعة . وقال الأعلم : التبغيل ضرب من السير ، كأنه مشتق من مشى البغال .

(٢) ليس لهذا البيت شرح فى ش ، وفى ن شرحه بقوله : « أى حسن التصرف عالم بالأمور » وهذا الشرح بهامش ب .

(٣) فى ظ : وفى بعض النسخ « يلكن » (بضم أوله) أى يجعلنه ألكن . ويروى « يأكلن » — قال : « واللوك » مضغ الشىء اليابس .

(٤) س ، ب ، ن ، ل ، ظ : « لب اللبيب » .

٢٠ سَدِكُ الكفِّ بالنَّدَى عائرُ السَّمْـ
ـعِ إلى حَيْثُ صَرْخَةُ المَكْرُوبِ

يقول : كفُّه مُولعةٌ بالندَى ، وسمعُه مبعدٌ فى المَسْمَع مُتناه إلى موضع الصارخ المستغيث به ، وأصل « السَّدكِ » لزُوم الشىء . و « عائرُ السمْع » أخذه من عارَ الفرَس إذا ذهب فى الأرض ، وعار السهمُ إذا أبعد .

٢١ لَيْسَ يَعْرَى مِن حُلَّةٍ من طِرازِ الـ
ـمَدْحِ مِنْ تاجِرٍ بِها مُسْتَثِيب

أىْ ليسَ يخلو من مادحٍ طالبٍ ثوابَه ، وأراد بـ « تاجر » شاعرًا يقصِده .

٢٢ فإذا مَرَّ لابِسُ[1] الحَمْدِ قال الـ
ـقَوْمُ[2] : مَنْ صاحِبُ الرِّداءِ القَشِيبِ

٢٣ وإذا كَفُّ رَاغِب[3] سَلَبَتْهُ[4] راحَ طَلْقاً كالكَوْكَبِ المَشْبُوبِ

« طَلْقًا » أى مستبشرًا ، من قولهم فلانٌ طلْقُ الوجه وطليقُ الوجهِ إذا كان حسنَ اللِّقاء . و « المشبوب » المضىء المتَّقد .

٢٤ مامَهَاةُ الحِجَالِ مَسْلُوبَةٌ أَظْـ ـرَفَ[5] حُسْناً مِن مَاجِدٍ مَسْلُوبِ

« مَهَاةُ الحِجَال » يعنى امرأةً تكون مُخدَّرةً فى الحجال ، وهى جمع حَجَلة ، والحَجَلةُ بَيتٌ صغيرٌ يكون فى البيت الكبير من بيوت الأعراب ، وربما قالوا هو الخِدْرُ .

---

(١) س : « لابس » بفتح السين على أنها حال .
(٢) ب ، ن : « الناس » .
(٣) هـ س : « آمل » .
(٤) م : « سألته » .
(٥) س ، ل : « أطرف » .

٢٥ واجِدٌ بالخَلِيلِ مِن بُرَحَاءِ الشَّوْقِ وِجْدَانَ غَيْرِهِ بالحَبِيبِ

(ع) يجب أن يكون الطائى أراد هاهنا : « الخليل » الصديقَ ، وعَنَى بـ « الحبيب » المعشوقَ ، لأنه كان يَمُتّ إلى هذا الرجل بصداقة . وإنْ عَنَى بـ « الخليل » الفقيرَ فهو أبلغ فى المدح ، ولكنى أظنُّه أراد الأوَّل ، وكلا المعنيين حسن [١] .

٢٦ آمِنُ الجيْبِ والضُّلُوعِ إذَا مَا
أَصْبَحَ الغِشُّ وهْوَ دِرْعُ القُلُوبِ

أى هو مأمونُ الظاهر والباطن ، يقول : هو نقىُّ الصدر من الغشّ لا يحتمله بين أضلاعه كما يحتمله غيرهُ . وقال المرزوقى : « دِرْعُ القلوب » تصحيف ، والرواية « رَدْعُ القلوب » [٢] ، يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون « الرَّدْع » النُّكْس ، فيكون المعنى : أصبح الغشّ وهو داءُ القلوب ومَرَضُها ، وقيل شرّ الدَّاء الرُّداع وهو النُّكْس ، وهذا كما كُنِىَ بالمرض عن النِّفاق ، قال الله تعالى : « فى قُلوبهم مَرَض » ويُقال رُدِعَ الرجلُ فهو مَرْدُوع . والآخرُ « الرَّدْع » التَّلطُّخ بالزَّعْفرانِ والخَلُوق ، فيكون المعنى : أصبحَ الغشُّ وهو خَلُوقُ القُلوب وطيبُها ، و « آمن » أى ذو أمْن [٣] .

---

(١) ذكر المرزوقى فى كتابه الوجهين .

وقال ابن المستوفى : المعنى على الأول ، وذلك أنى وجدت فى حاشية ديوان من شعره « قال سليمان بن وهب : ما كان أحد أخص بأبى تمام منى ، ولا كان يأنس بأحد أنسه بى ، فعاتبته على كثرة ما أخذ من الأموال و إنفاقها حتى بقى محتاجاً ، فعرفنى من إجرائه على أُمَيِّل له بالشام ما لم أستحل معه لومه ، وشرح لى خبره ، ومدحنى بهذه القصيدة ، وذكر عتابى له ، فكتبت له إلى وكلاء . . .(كلمة غامضة فى الأصل) بقنسرين وذواحيها بثلاثة آلاف دينار فأخذها .

و روى الخارزنجى بعد هذا البيت بيتاً آخر له وهو :

فهو يؤوى خلانه فى حواشى خلق حين يجدبون خصيب

(٢) قال الصولى : و وى « رَدْع القلوب » وليس بشىء ، والأول أجود .

و جاءت هذه الرواية فى هـ ب ، هـ ن .

(٣) كلام المرزوقى هذا لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن – وذكر ابن المستوفى أنه من كتاب الانتصار .

٢٧ لا كَمُصْفِيهِمُ إذا حَضَرُوا الوُدَّ
م ولَاحٍ قُضْبَانَهمْ بِالمَغِيبِ

ويروى « ولاحِي قضبانِهم بالمَغيبِ » . وأصلُ اللَّحْيِ القَشْر ، لَحَوْتُ العُودَ ولَحَيْتُه ، ومنه أخذ لحيتُ الرجل إذا لُمْتَه ، كأنَّ اللَّوْمَ قَشْرٌ له ، وقيل لا يقال فى اللَّوْم إلاَّ لَحَيْتُ بالياء ، وقال آخرون بل يقال فيه كما يقال فى العُود والعصا لَحَوْتُ ولَحَيْتُ . يقول : ليس كمَنْ يُصْفِى إخوانَه الوُدَّ إذا حضروا ويَلْحَى عيدانَهم إذا غابوا .

٢٨ يَتغطَّى عنهمْ ولكنَّهُ تَنْ صُلُ أَخْلَاقُهُ نُصولَ المَشيبِ

يقول : هذا اللَّاحى لقُضْبانهم يتوارَى عنهم بفعله ، لكنه لا يَنكتِم ويظهر ظُهورَ الشَّيب بعد ذهاب الخضاب .

٢٩ كلُّ شِعْبٍ كنتُمْ بهِ آلَ وَهْبٍ فهوَ شِعْبِي وشِعْبُ كلِّ أَدِيبِ

يقول : كلُّ مَوْضع كنتم به من الأرض ومنزل فهو منزلى ومنزل كلِّ أديب .

٣٠ لمْ أَزَلْ بارِدَ الجوانح مُذْ خَضْ
خَضْتُ دَلْوِى فى ماءِ ذاكَ القَلِيبِ

« بارِدَ الجَوانح » أى ساكن العطَش. و « خَضْخَضْتُ » حرَّكتُ ، وجعل الدَّلْوَ مثلاً للرَّجاء ، وأراد : « ماء القليب » جود الممدوح .

٣١ بِنتُمُ(١) بالمكْرُوه دونى وأَصْبَحْ
تُ الشَّريكَ المُخْتَارَ فى المحْبُوبِ

أى احتملتم ما ينالكم من المكروه فلم تُحَمِّلُونى منه إشفاقًا ، وأشركتمونى فى المحبوب .

---

(١) هـ س : « بؤتم » .

٣٢ ثُم لَمْ أُدْعَ مِن بَعِيدٍ لدَى الإِذْ
نِ ولَمْ أُثْن عنكمُ مِن قَرِيبِ

أى كنتُ أوّلَ داخلٍ وأقربَهم . و « أُثْنَ » أصرَفْ وأحْجَبْ .

٣٣ كُلَّ يَوْمٍ تُزَخْرِفُونَ فِنَائى[(١)]
بِحِبَــاءٍ فَرْدٍ وبِرٍّ غَرِيبِ

« تُزَخْرِفون » تُجدِّدون وتزيِّنون .

٣٤ إنَّ قَلْبِى لكُمْ لكالكَبِدِ الحَرَّى وقَلْبِى لِغيْرِكُمْ كالقُلُوبِ

(خ) يقول : قلبى لكم لشدة محبتكم وشوقى إليكم ككبد العاشق ، و « الحرَّى » الصَّبَّة ، وقلبى لغيركم كقلوب سائر الناس .

٣٥ لَسْتُ أُدْلِى بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا
فى وِدَادٍ منكمْ ولا فى نَصِيبِ

« لستُ أدْلى » أى لستُ أتقرَّبُ ، من قولهم فلان يُدلى إلى فلان بكذا وكذا أى يَتوسَّلُ إليه ، وهو من إدلاءِ الدَّلْو[(٢)] .

٣٦ لا تُصِيبُ الصَّدِيقَ قارِعةُ التأْ
نِيبِ إلَّا مِنَ الصَّدِيقِ الرَّغِيبِ

[خ] « الرَّغيب » الكثيرُ الطَّمَع . يقول : لا يوبِّخُ الصديقَ على تقصير

---

(١) س : « ثنائى » .

(٢) فى ظ : قال الخارزنجى : ليس ثنائى عليكم ونشرى عنكم ما أوليتمونى طمعاً فى أن تزيدونى برًّا ووداداً ، فإنكم قد سبقتم إلى كل بر .

منه فى أمرٍ إلاَّ من كان كثيرَ الطَّمع لا يُصادِقُه لمودته* . [ص] يعذرُ نفسه فى سؤالهم وادِّكارِهم بأمره[1].

٣٧ غَيْرَ أَنَّ العَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمو
مٍ على شَرْحِ ما بهِ للطَّبيبِ

يقول : لم أذكُرْ ما أذكُره استزادةً لكم ، لكن أذكرُ معتقَدِى لكم ، توكيداً وزيادةَ بيان ، فلا لوْمَ علىَّ فى ذلك ، كما أن العليلَ لا يُلام على أنْ يَشرح للطبيب العالمِ بعلَّتهِ ما يجده لما فى ذلك من توكيد البيان .

٣٨ لو رَأَيْنا التَّوكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ
ما شَفَعْنَا الآذانَ بالتَّثْوِيبِ

[ع] « التَّثويب » الدّعاءُ الثانى ، من قولهم ثَوَّبَ الرَّجلُ بأصحابه إذا دَعاهم مرَّةً بعد مرَّة ، وأصلُه من ثابَ يَثُوب إذا رَجَع . وقال قومٌ أصلُ التَّثويب من الثَّوْب ، وذلك أنَّ الرَّجل كان إذا ألَمَّ به خَطبٌ أشار إلى أصحابه بثوْبِه يدعُوهم بذلك ، ثم كثُر حتى سُمِّى كلّ دعاء تَثْوِيباً .

(١) قال ابن المستوفى : هذا البيت يدل على ما قاله له سليمان بن وهب ولامه عليه ، لأن القارعة التى أصابته من صديقه سليمان هى من صديق مرغوب فيه وهو سليمان ، على أن يكون المعنى مخصوصاً بمعين ، فأما إذا كان من غير تعيين فإنه يريد أنه لا يعتب الصديق إلا صديق راغب فيه ، فيكون « فعيل » بمعنى « فاعل » ، كعليم بمعنى عالم ، وسليم بمعنى سالم ، ويريد أبو تمام بذلك نفسه أو سليمان بن وهب .

٩

وقال يمدح الحسن بن وهب ويذكر غلامًا أهداه له :

١ لَمَكاسِرُ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ
وأَمَرُّ فى حَنَكِ الحَسُودِ وأَعْذَبُ(١)

الأول من الكامل والقافية مُتدارِك .

« المكاسر » جمع مَكسِر وهو الأصل مثل العُنصر [ص] تقول العرب فلان طيِّبُ المَكْسِرِ إذا كان ليِّنَ الجانب حَسَنَ الخُلُق ، وخَبيثُ المكسر إذا كان سيِّىءَ الخُلُق ردىءَ النِّيَّة * وأصل ذلك فيما يُكسر من الأشياءِ التى ليست بالحيوان إذا كُسِرَتْ فوُجدتْ طَيِّبَةَ الرائحة وطيِّبَةَ الطَّعْم [ع] ويقولون هو هَشّ المكسِر إذا وَصفوا الرجل بأنه جَوَادٌ لا يُتعب السائل ، ويُقال ذلك أيضًا لمن هو ذميمٌ عندهم لا يَصْلُب فى أيدى الأعداء . * وقوله : « أعذَبُ » يحتملُ وَجهين : أحدهما أن يكون معطوفًا على « أطيب » كأنه قال أطيب وأعذب ، ويجوز أن يكون معطوفًا على « أمرّ » ، ولكن يكون « أعذب » من قولهم ماءٌ عَذَبٌ إذا وقَعتْ فيه الأقمشةُ والقَذَى(٢) ، فيكون كقولك أمَرّ وأبْشَع ، وهذا حسنٌ غير منكر .

٢ ولَهُ إذَا خَلُقَ التَّخَلُّقُ أَو نَبَا
خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أَوْ هُوَ أَخْصَبُ(٣)

« خَلُقَ » من الخُلوقة . [ع] و « الحَزْن » هاهنا مَوْضِعٌ بعينه فى

---

(١) هـ م : « وأصعب » .

(٢) فى ظ : قال الجوهرى : المعذبة القذاة ، وماء ذو عَذَب أى كثير القذى . وفى اللسان العذبة القذاة ، وماء ذو عَذَب كثير القذَى والطحلب .

(٣) س ، هـ ب : « أطيب » .

نواحى نجد(١) ، وقيل بل كلّ حَزْن كذلك ، لأن الرّوضة إذا كانت فى موضعٍ عالٍ كانت أحسن . وقيل إنما ذكرَ روض الحزْن لأنه أبعدُ من وطْءِ الرّاعية إذْ كان السّهْلُ أيسرَ عليها . قال كُثيّر :

فما رَوْضَةٌ بالحزْنِ طيّبةُ الثّرَى يَمُجّ النّدَى جَثجاثُها وعَرارُها(٢)

وقال القَطامى :

فما ريحُ رَوْضٍ ذِى أقاحٍ وحَنْوةٍ وذِى نَفَلٍ من قُلّةِ الحزْنِ عازبِ(٣)*

يقول : إذا بُليتْ أخلاقُ المتخلّقين بما ليس فى طَبعهم ، وتغيّرتْ ونَبَتْ — أى قَلّ خيرُها ، من قولهم نَبا السيفُ يَنبو إذا لم يقطع — فخلُقُه كروض الحزْنِ ، أو هو أطيبُ من روْض الحزْن .

٣ ضَرَبَتْ بهِ أُفُقَ(٤) الثّناءِ ضَرائِبُ
كالمِسْكِ يُفْتَقُ بالنّدَى ويُطَيّبُ

أى أوصلَتْه إلى غاية الثناء والمدح خلائقُه . « الضّرائبُ » جمع ضَريبة وهى الخَليقة والطبيعة . و « يُفْتَق » من قولهم فتَقْتُ المسْكَ بغيره ، وهو مأخوذٌ من فتْق الثّوب ، كأنه يراد أنّ رائحتَه وُسّعتْ بما فُعل بها ، وهى كلمة معروفة قديمة ، قال الرّاعى :

لها فأرَةٌ ذَفْراءُ كلّ عَشيّةٍ كما فتَقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقُهْ

---

(١) قال ابن المستوفى: قوله: « الحزن هنا موضع بعينه » لا معنى له ، إذ ليس روض هذا الموضع بعينه أحسن من روض غيره ، وإنما أراد بالحزن هنا ما غلظ من الأرض ، وروضه أحسن الرياض لقلة إمساكه الماء. وقوله: «إنما وصف روض الحزن لأنه أبعد من وطء الراعية إذ كان السهل أيسر عليها » ليس بمستقيم، إنما الروض إذا بعد عن الوطء كان أحسن سواءٌ كان فى حزن أو سهل . . .

(٢) الأغانى ١٤ : ٥٩ . والبيت التالى له المكمل لمعناه هو :

بأطيبَ من أردان عزة موْهناً وقد أوقِدتْ بالمندل الرطب نارها

(٣) الديوان ص ٥٠ . وقال « الحنوة » عشبة وضيئة صفراء الثمرة ، و « النفل » بقلة طيبة . والبيت التالى له المكمل لمعناه :

سقته سماء ذات طل فنقّعت نطافا ولما يأت سيل المذانب

(٤) قال الصولى : ويروى « ضربت به خيم الثناء » .

٤ يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها
أَرَجاً وتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ

[ص] هذا مثَل ، كما يقال فلانٌ يُشرَب مع الماء ، وكدتُ آكلُه شغَفًا به ، لمَن يُستحلَى خَلْقًا وخُلُقا وظَرْفًا . و«نَسِيمُها» أى نسيمُ هذه الضرائب يُحرِّك الرُّوحَ اللطيف . ويروى : « يَسْتَنبطُ الروحُ اللطيفُ نسيمَها[1] » .

٥ ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِه السَّماحَةُ فالتَوَتْ
فيه الظُّنُونُ : أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ

(ع) « ذهَبَتْ بمذْهَبه » يحتمل وجهين : فتح الميم وضمَّها ، فإذا فتحت فالمعنى : ذهَبتْ بمذهبه – أى طريقته – السماحةُ ، أى غلبتْ عليه ، كما يقال ذهَب فلانٌ بالمجد أى حازَه وصار له ، ومنه قول الأخطل :

ذهَبتْ قريشٌ بالسماحةِ والنَّدى والّلؤمُ تحتَ عمائم الأنصار[2]

وإذا ضُمَّت الميم فالمعنى : ذهبتْ بثيابه المُذْهبة . أى أنه يخلَعُها . وقد ادَّعى قومٌ أنَّ الذَّهَبَ يُسمَّى مُذْهَبًا ، وفَسَّروا على ذلك قول الأخطل :

لَبَّاسُ أرديةِ المُلوكِ كأنَّما عُلَّتْ ترائبُه بماءِ المُذْهَبِ[3]

قالوا أراد الذهب ، والقياس يوجب أنَّ المراد بماءِ الشيءِ المُذْهَب . وقوله « التَوتْ فيه الظنونُ » أى اختَلفتْ ولم تُحقِّق شيئًا واحدًا . وقوله « أمَذْهَبٌ أمْ مُذْهَبُ » يقول : أطريقةٌ هو وخُلق أمْ مُذْهَب ، من قول العامة بفلان مُذْهَبٌ إذا كان يَلَجُّ فى الشيءِ ويُغْرَى به . وأكثرُ ما يُستَعمل ذلك فى الطَّهارة ، يقال بفلان مُذْهَبٌ إذا كان يَتطهَّر ثم يَظُنُّ أن طهارته لم تكمُل فيُعيدها ، وذلك يَعرِض للقُرَّاء والمتنَسِّكين كثيرًا . ويجب أنْ تكون هذه الكلمةُ حَدَثَتْ فى الإسلام ، وذلك أنهم رَوَوْا حديثًا مرفوعًا فيه ذِكرُ أولادِ

---

(١) قوله « يستنبط الروح اللطيف نسيمها » لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
(٢) الديوان : ص ٣١٤ .
(٣) الديوان : ص ٢٧ .

سَبْعة ولَدَهم الشيطانُ : أحدُهم يُسمَّى المُذْهَب ، وهو الذى يَعرِض للمتَطهِّرين فيُوهِمُهم أنّ طهارتَهم فاسدةٌ فيُعيدونها . وفى بعض الأخبارِ التى تُذكَر على معنى التَّعَجُّب منها : أنّ عدنانَ أبا مَعَدٍّ كان له ابنٌ يقال له الضحَّاك ، وكانت أمُّه من الجنّ ، وأنه لَحِقَ بأخواله فصار شيطانًا وهو الذى يُسمَّى المُذهَب ، يَعرِض للناسِ فى الطهارة. بخط العَبْدى : « المَذْهَب » واحِد المذاهِب ، و « المُذهَبُ » هو اللَّوْحُ والسِّفرُ من الكُتُب التى فيها السِّيَر . [خ] يقول : ذهبَت السَّماحةُ بمُذْهَبِه كل مَذْهَب ، فأخذَ مِن كلٍّ حَظًّا ، فلا يَدْرى أمَذهَبُه مَذْهَبٌ ، أم هو السِّفْرُ الذى تَتَشعَّبُ فيه المَذَاهِبُ لِسَعتها وافتنانِها فى كلِّ فَنّ[1] .

٦ وَرَأَيْتُ غُرَّتَهُ صَبِيحَةَ نَكْبَـةٍ
جَلَلٍ فَقُلْتُ : أَبَارِقٌ أَمْ كَوْكَبُ ؟

« صَبيحةَ نَكْبة » أى أصابته نَكْبَةٌ فى ليلتها ، و « الجَلَلُ » هنا العظيم . « فقلتُ أبارِقٌ » : أى أهىَ شُعاعُ بَرْقٍ أم ضَوْءُ كوكب ؟

٧ مَتَعَتْ كمَا مَتَعَ الضُّحَى فى حَادِثٍ
دَاجٍ كـأَنَّ الصُّبْحَ[2] فيهِ مَغْرِبُ[3]

« متَعَتْ » : ارتفعتْ . (ق) يقول : إنّ غُرَّته تُرَى عند النكبة العظيمة تُصيبه مُضيئةً مشرقةً كإشراق الضّحَى عند إلباسِ سَحاب شديدِ السَّواد . يقول : إسفارُ الصّبح عنده من إظلامه كأنّه مَغْرِب ، أى وقت غُروبِ الشمس وجُنوحِ الليل . قال : ويجوز أن يكونَ المرادُ بـ « العارِض » الحادثَ العظيمَ

---

(١) قال المرزوقى: المذهب (بضم الميم) الجنون ، يقال به مذهب . والمعنى أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها و يسرف فى لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومَذهب أم جنون ومُذهب ؟

(٢) قال الصولى : يروى « كأن الشرق » ، وقال ابن المستوفى : وهى رواية الخارزنجى .

(٣) هـ ظ : ويروى « غيهب » .

المُظلمَ الذى يَصير الصبحُ معه مَغرباً والظُّهرُ له مَقصِراً * ، وعلى هذا الوجه تكون الروايةُ « كما متع الضّحى فى عارضٍ داجٍ »[1].

٨ يَفْديه قَوْمٌ أَحْضَرَتْ[2] أَعْراضُهم
سُوءَ المَعايبِ[3] والنَّوالُ مُغَيَّب

[خ] أىّ قومٍ تَنوبهم النّوائبُ فلا يُقابِلونها بفَعالٍ حسنٍ يدفعونها عن أنفسهم كما يفعل هذا الممدوح .

٩ مِن كُلِّ مُهْراقِ الحَياءِ كَأَنَّما
غَطَّى غَدِيرَىْ وَجْنَتَيْهِ الطُّحْلُبُ

أى من كل رجل صَفيق الوَجه ذى قحة ، كأنما غُطِّى على عينيه فلا حياءَ فيهما . [ع] وسَكَّن الهاء فى « مُهْراق » على لُغة مَن قال أهْرَقتُ ، ومن قال هَرَقتُ يقول مُهَراق .

١٠ مُتَدَسِّمُ الثَّوبيْنِ يَنْظُرُ[4] زادَهُ
نَظَرٌ يُحَدِّقُهُ وخَدٌّ صُلَّبُ

[ع] « مُتَدَسِّمُ الثَّوبين » أى دَنِسُهما ، وأصل ذلك أن يأكل الدَّسَمَ

---

(١) وهى رواية ق ، ظ . (٢) فى س ، ب ، ن : « أحضرت » بالبناء للمجهول .

(٣) س : « ريب الحوادث والفعال مغيب » . وفى ظ : أنشده الآمدى :

يفديك قوم أحضرت أعراضهم ريب الحوادث والفعال مغيّب

وقال : هذا مما غيره من لم يعرف معناه فجعلوه « يفديك قوم . . . . » البيت ، وإنما أراد أبو تمام أنه إذا راب الزمان بحادثة تحدث لم يحضر ذلك الأمر إلا أعراضهم لأنها تنتهك بالذم وفَعالهم مغيب. . . فليس تحضر هذه الحوادث إلا أعراضهم التى تذم ، فجعل ذكر الذاكر لها بالذم حضوراً . ويجوز أن يكون أراد بأعراضهم أجسادَهم ، وقد يقال للجسد عرض ، قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوَّطون ولكنه عرق يجرى من أعراضهم كالمسك» فيقول إنهم يحضرون الحوادث بأبدانهم والفعال الجميل منهم مغيب .

(٤) س : « ينصر زاده نظرٌ يحدده ووجه صُلب » . وقال الصولى فى م : ويروى : « ووجه صلب » ، وفى ظ : وروى الخارزنجى : « متبسم الثوبين ينصر زاده » أى أبيض اللباس ، يقول هو – يعنى المهجو – حسن اللباس . متنوق فيه ، إلا أنه شحيح يمنع زاده من أكيله نظر يحد به فى وجه من ينظر إليه لتحديده . . . يقول : إذا استغاث به زاده نصره بنظره وقِحة وجهه .

فيُصيب ثوبه ولا يتعهَّده بالغَسْل ، ثم قيل للغادر والبخيل إنَّ ثيابه لدَسْمٌ يُضْرَب مثلاً وإن كانت ثيابُه الملبوسةُ نقية ، قال الراجز :

لاَهُمَّ إنَّ عامرَ بنَ جَهْمِ
أو ذَمَّ حَجًّا في ثيابٍ دُسْمِ (١)

وقوله « ينظُرُ زَادَه نَظَرٌ » هذا مأخوذٌ من الناظور وهو الذى تسميه العامّة الناطور . ويجوز أن يكون الطائى قال « ينطُر » بالطّاء لأنهم قد تكلموا بالناطُور قديمًا ، والطّاء فيما رُوى من كلام النَّبط ، وإذا قيل بالظاء فهو من نظرت الشىء فى معنى نظرت إليه ، وأكثرُ ما استُعملتْ « نظرت » مع « إلى » ، وقد تستعمل متعدّيةً بغير حرف خفض ، يقال نظرت الرجل فى معنى نظرت إليه ، قال ابن قَيْس الرقيَّات :

ظاهِراتُ الجمالِ والسَّرْوِ يَنظُرْ ن كما يَنظُرُ الأراكَ الظِّباءُ (٢)

ويقال « حَدَّق إليه » إذا نظر نظرًا شديدًا ، والمعنى أنه يجعل حدقتَه نَصْبًا له لا يُزِيلُها عنه . و « خدٌّ صلَّبٌ » أى صُلْب ، ويُقال لحجارة المِسَنّ صُلَّبٌ لصلابتها .

١١ فإذا طَلَبْتُ لدَيْهِمُ ما لَمْ أَنَلْ
أَدْرَكْتُ مِنْ جَدْواهُ ما لا أَطْلُبُ

١٢ ضَمَّ الفتَاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُـــرْدُهُ
وسَقَـــاهُ وَسْمِيُّ الشَّبابِ الصَّيِّبُ .

١٢ — « الفَتَاء » طَرَاءةُ السِّنِّ ، وقلَّما يستعملون « الفتاء » فى بنى آدم ، لأنهم إنما يقولون دابةٌ فتىٌّ ، إلاَّ أن البيت المروىَّ للفزارىِّ معروف :

إذا عاشَ الفتَى مائتين عامًا فقـــد ذَهَبَ اللّذاذةُ والفَتاء (٣)

---

(١) أورد الصولى هذا الرجز فى شرحه . وهو فى اللسان مادة « وذم » . قال : وأوذم على نفسه حجًّا أو سفراً أوجبه . أراد ثياباً متلطخة بالذنوب ، يعنى أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب .

(٢) الديوان ص ١٧١ . (٣) البيت للربيع بن ضبع الفزارى — اللسان مادة « فتى » .

يقول : هو ذو فَتاء فى سنّه ، وفُتُوّة فى خلُقه ، وماءُ الشّباب مُحَسِّن لوجهه كما يُحَسِّنُ وَسْمِيّ المطرِ الأرضَ .

١٣ وصَفَا كَما يَصْفُو[١] الشِّهابُ وإنَّهُ
فى ذاكَ مِنْ صِبْغِ الحَياءِ لَمُشْرَبُ

١٤ تَلْقَى السعُودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّـهُ
وعليكَ مَسْحَةُ بِغْضَةٍ فَتُحَبَّبُ

١٤ – (ق) : يعنى أنّ هذا الممدوحَ حَسَنُ القَبُول ، إذا رأيته سَعِدْتَ به وأحببْتَه ، وإن كنتَ قبلُ مُبغَضًا إلى الناس حُبِّبْتَ إليهم لإقباله عليك واستسعادك به . (ع) : « مَسْحَةُ بِغْضَة » ، مُستعار ، يُقال عليها مَسْحَةٌ من الجمال أى هى جميلةٌ جمالاً ليس بمُفْرِط ، لأنّ مَسْحَ الشىءِ لا يوجب كثرةَ تعلّقه بالماسح ولا الممسوح ، وحقّ ذلك أن يستعمل فى المرئيّات ، والبِغْضَة لا تُرى فى الحقيقة ، والجمال مَرْئىٌّ[٢] .

١٥ إنَّ الإِخَاءَ وِلادَةٌ وأَنا امْـرُؤٌ
مِمَّنْ أُوَاخِى حَيْثُ مِلْتُ فأُنْجِبُ

[خ] يقول : إخاءُ المتآخِيَيْن كأُخُوةِ الأخْوّة ، وأنا رجلٌ مُستقصٍ فى اعتقاد الإخوان . * أى لا أواخى إلاّ كريمًا[٣] .

---

(١) م : « كما اعتدل الشهاب » وبهامشها رواية الأصل – س : « كما نصع الشهاب » – وفى ظ : وروى الخارزنجى : « وصفا كما اعتدل الشباب » وقال : ورواية « الشباب » أجود لقوله « وإنه مع ذاك من صبغ الحياء لمشرب » لأنه أتى بالإشراب مع الصفاء والخلوص فيكون على جهة الطباق .

(٢) أورد ابن المستوفى شرح أبى العلاء هذا بلفظه وفيه شاهد . قال : قال الشاعر :

على وجه مىّ مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

(٣) فى الأصول « فأنجب » بضم الهمزة ومعناها أواخى النجباء ، ويظهر أن الخارزنجى رواها بفتح الهمزة فبقية كلامه كما جاء فى ظ : وأنا رجل مستقص فى اعتقاد الإخوان ، فإذا اتخذتُ أخاً استكرمته أى اتخذته كريماً فأنجب ، من نجبت عن الشجر اللحاء و بلغت إلى خالص الشىء ، وهو مثل ضرب به ، أى أبالغ فى المودة .

١٦ وإذَا الرِّجَالُ تَساجَلُوا فى مَشْهَدٍ
فَمُرِيحُ رَأْيٍ مِنْهُمُ أَوْ مُعْزِبُ (١)

أى رأىُ عاقلٍ ورأى جاهل ، أى منهم مَن له رأىٌ ومنهم من لا رأى له . يقول : إذا اختلفوا فى الرأى تأتى بالرأى المصيب ، واستعار للرأى الإراحةَ والإعزابَ وإنما ذلك للمال الراعى .

١٧ أَحرَزْتَ خَصْلَيْهِ إِلَيْكَ وأَقبَلَتْ
آراءُ قَوْمٍ خَلْفَ رَأْيِكَ تُجْنَبُ

« الخَصْلُ » ما يُخرجُه المُناضِل أو المسابقُ ليأخُذَه أحدُ المتناضلَيْن أو المتسابقَيْن إذا غَلَب .

١٨ وإذا رأَيْتُكَ (٢) والكلامُ لآلِئٌ
تُومٌ (٣) فبِكْرٌ فى النِّظامِ وثَيِّبُ

يقال لِما عَظُم مِن اللآلئ تُوم ، وهذا مَثَل ، يريد أنه يَجىء برأى يبتدعُه ورأى يختاره مما سُبِق إليه .

١٩ فَكأَنَّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخْطُبُ
وكأَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْـدُبُ

٢٠ وكَثِيرَ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ (٤) يَنْسُبُ
وابْنَ المُقَفَّعِ فى اليَتِيمَةِ يُسْهِبُ

١٩ و ٢٠ — صرَّع هذين البيتين فى غيرِ أوّلِ القصيدة ، والغالبُ فى شِعْرِ

(١) س : « مُغرب » .
(٢) م ، ل ، س ، ظ : « ولقد رأيتك » — وفى ظ « ولقد سمعتك » .
(٣) قال ابن المستوفى فى نسخة ابن الليث بخطه : « تؤم » جمع تؤمة وهى الدرة ، أى من الكلام من له ماء وهو مثل الدرة ، ومنه من لا ماء له .
(٤) فى الأصول « وكثير » على الأصل من غير تصغير . وفى هـ ب . « وكثيرٌ فى يوم بين » .

العربِ وغيرهم أن يكون التصريعُ فى البيتِ الأول ، وربما جاء التصريعُ فى تضاعيفِ الأبيات ، وذلك قليل . وذكر أربعةً كلُّهم مُبرّزٌ فى الطريقة التى سلكها ، ذكر قُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادى، وهو أحدُ خطباء العرب وحكمائهم وزُهادهم، وذكر ليْلى الأخيليّةَ وهى من بنى الأخيل من عُقَيل ، وكانتْ يُحكم لها بالتبريز فى مراثى تَوْبةَ بنِ الحُميِّر ، وذكر كُثيِّرَ عَزَّة وهو من بنى مُلَيْح من خُزاعة ، وكان يقدَّم فى النَّسيب وفى مدح الملوك ، وأضاف إليه عبدَ الله ابن المقفّع الكاتب ، و « اليتيمة » لقبُ كتاب لابن المقفع يشتمل على ذكر آداب نفسيّة يأمر بها الإنسانَ من حُسْن الأخلاق والسماحة وبَذْل الموجود ورفض التكبُّر ونحو ذلك ، ومعنى « اليتيمة » أنها مُنقطعة القرين مثلُ الدّرةِ اليتيمة التى لا شِبْه لها .

٢١ تَكْسُو الوَقارَ وتَسْتَخِفُّ مُوَقَّرًا
طَوْرًا وتُبْكِى سَامِعِينَ وتُطْرِبُ

[ع] أى يَتوقّر غيرُ الوَقورِ إذا أصغَى إليك، وتَستخِفّ الوقورَ بحُسْنِ ما يسمع منك * وتُبكِى إذا وعظْتَ ، وتُطْرِب ببدائعك .

٢٢ قَدْ جاءَنا الرَّشأُ الَّذِى أَهْدَيْتَهُ
خَرِقاً ولَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ

يعنى الغلامَ الذى أهداه إليه . و « الخرِق » الذى قد دُهِش وتحيّر كأنه رَشأٌ وهو مع ذلك يَصلُح للتمتع . [ص] وأصلُ « الخرَق » الضَّعْفُ فى القوائم من النعمة .

٢٣ لَدْنُ البَنَانِ لهُ لِسَانٌ أَعْجَمٌ خُرْسٌ مَعانِيهِ ووَجْهٌ مُعْرِب

[خ] « لسانٌ أعجَمُ » لا يُوقَف على معانيه ، و « وجهٌ مُعرِب » يدعو إلى حُبِّه .

٢٤ يَرْنُو فَيَثْلِمُ فى القُلوبِ بطَرْفِهِ
ويَعِنُّ[1] للنَّظَر الحَرُون فَيُصْحِبُ

أى ينظُر فيَذهب بالقلبْ ، ويَتعرَّض لمن لا ينظر إليه فيستميله إليه حتى يتْبَعه . و « عَنَّ » اعترض ، ومنه عِنانُ الفرس ، و « يُصْحِبُ » ينقاد .
(ع) : أصلُ الحِرَان فى الخيل وذوات الحافر ، استعاره هنا للنظر ، ولعله لم يُوصَف قبل الطائى بهذا . وقوله « يُصحِبُ » مِن قولهم أصحَبَ إذا انقاد بعد امتناع . والمعنى : أنَّ هذا الرَّشأ يَعترض للنظر الذى لم يكنْ يُصرف إلى شيء يُستَحسن فينصرفُ إليه .

٢٥ قَدْ صَرَّف الرَّانُونَ خَمرَةَ خَدِّهِ
وأَظنُّهـا بالرِّيق مِنْهُ سَتقْطَبُ[2]

[ص] يقول : قد خَجِل من كثْرة النظر إليه ، واحمرَّتْ وَجْنَتُه فكأنَّها خمرٌ لم تُمزَجْ ، ثم قال : « وأظنها بالرِّيقِ منه ستُقْطَبُ » يريد أنه يُقبِّله على خدِّه ثم فى فمه ويَتَرَشَّفُ رِيقَه ، فذلك قوله « ستُقطَبُ » أى تُمزَج .

٢٦ حَمْدٌ حُبِيتَ به وأَجْرٌ حَلَّقَتْ
مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْل مُغْـربُ

(ق) يعنى غلامًا كان وَهَبه له ، يقول : أنا أشكركَ على صَنيعك فى هِبَتك ، ولكن لا تُؤْجَر عليه ،إذْ كان الغلامُ يُنال منه مالا يُستَحقّ به الأَجْرُ إن سَلِم فى استخدامه من الوزر[3].

---

(١) فى ظ : وقال الخارزنجى : ويروى « ويَرِنّ » ، وقال ابن المستوفى : قال الجوهرى رنت المرأة ترن رنيناً أى صوتت ، كأنه أراد بقوله « يرن » يصوت للنظر الحرون ، أى يدعو النظر الحرون .

(٢) س : « تقطب » .

(٣) وقال الصولى : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لمّا أهديته إلىّ ، ولكن ليس لك فى إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكأن أجره طارت به عنقاء مغرب .

٢٧ خُذْهُ وإنْ لَمْ يَرْتَجِعْ مَعْـرُوفَهُ
مَحْضٌ إذا مُزِجَ[١] الرجالُ مُهذَّبُ

٢٨ وانفَحْ لَنا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَـةً
إنْ كانتِ الأَخلاقُ مِمَّا تُوهَبُ

٢٧ و ٢٨ – يقول خُذِ العبدَ إليك ، وأعطنى من أخلاقك ما هو أحسنُ منه ، وإن كان الكريم إذا رَفَدَ رِفْداً لم يَرْتَجعه .

(١) م : « إذا عد الرجال » – وقال الصولى فى شرحه : ويروى « إذا غلث الرجال » – وهى رواية ق ، ظ أيضاً – : أى خلط ، يقال غلثت البر بالشعير أغلثه بالكسر . وقال ابن المستوفى : ويروى « إذا مزج الرجال » وهو أحسن ، وقال : وفى نسخة « إذا عيب الرجال » وفيها « إذا خُلط » .

١٠

قال يمدح الحسنَ بنَ سَهْل[١] :

١ أَأَيَّامَنا ما كُنْتِ إلاَّ مَواهِبَا

وكُنْتِ بإسعافِ الحَبِيبِ حَبائبا[٢]

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

وقوله « بإسعافِ الحبيب » أى بإسعافك بالحبيب . و « حَبائب » جمع حَبِيبة ، كأنّه أيام حبيبة ، ثم تُجمع على حبائب[٣] .

٢ سنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكِ فى البُكا

فما كُنْتِ فى الأَيَّامِ إلَّا غرائبا

٣ ومُعْتَرَكٍ للشَّوْقِ أَهْدَى بهِ الهوَى

إلى ذِى الهوَى نُجْلَ العُيُونِ رَبائبا

٣ ــ [ص] شبَّه موضع اجتماعه مع حبائبه ومُلاعبته إياهن بمُعترك ، وجعله مُعتركَ شوق لامعترك حرْب ، وأراد بـ « ذِى الهوى » نفسَه * . (ق) : الرواية : « أهدَى به الكَرَى إلى ذِى الهوى » ، ولو كان أبو تمَّام ساعده الهوى وعاين المحبوبَ لم يكن يقول « ومُعتركٍ للشوق » ، ولو كانت الرواية « أهدى به الهوى » لم يكن له فائدة ، لأن الزيارة إذا أمكنت لا تكون من فعل الهوى ، فيجعلَ الإهداءَ له ، ومع ذلك فتكرار الهوى يَشين البيت وهو بمعنًى واحد . وإذا رويتَ « أهدَى

---

(١) جاء فى س على رأس هذه القصيدة : وقال يمدح الحسن بن رجاء .

(٢) يلى هذا البيت فى س بيت لم يرد فى سائر الأصول هو :

تفرقن أيامٌ حمدت نعيمها كذا كل أيام بعدن ذواهبا

وأمامه بالهامش رواية « تولين » بدل قوله « تفرقن » وبالهامش المقابل له « ليس هذا البيت عند أبى على » يريد أبا على القالى .

(٣) قال ابن المستوفى فى شرح هذا البيت : أى لم تكونى كالأيام ، وإنما كنت من مواهب الله تعالى ونعمه ، وكنت محبوبة بوصال الحبيب ، أى لأجل وصاله .

به الكَرَى إلى ذى الهوى » سليم البيت من العيوب ، وجاد وحَسُن[١] * « ونُجل العيون » أى واسعة العيون ، يقال عَينٌ نَجْلاء ، وامرأة نجلاء ، ورجل أنْجَل . و « الربائب » جمع رَبيبة ، وهى التى تُرَبُّ أو يقام عليها ، من قولهم رَبَبْتُ الطِّفلَ وربَّيْتُه : إذا أحسنتَ مراعاته والقيامَ عليه .

٤ كواعِبُ زَارَتْ فى لَيالٍ قَصِيرةٍ
يُخَيَّلْنَ لِى مِنْ حُسْنهنَّ كَوَاعِبا

[ص] يقول : لِعشقى لهذه الليالى وعُجْبى بها ، خُيِّل إلىَّ أنها كواعِب .

٥ سَلَبْنا غِطاءَ الحُسْنِ عنْ حُرِّ أَوْجُهٍ
تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالبِيها سَوالِبا

٦ وُجُوهٌ لَوَ انَّ الأَرْضَ فيها كَوَاكِبٌ
تَوَقَّدُ للسَّارِى لَكُنَّ[٢] كوَاكبا

(١) أورد ابن المستوفى للمرزوقى كلاماً كثيراً فى هذا البيت ، زيادة على ما جاء به التبريزى هنا ، ليخطئ رواية « أهدى به الهوى » ، وليؤيد روايته « أهدى به الكرى » . فبعد قوله « جاد وحسن . . . » يقول : وهذه الطريقة ليست بمخالفة لقوله :

نم فـــا زارك الخيال ولكـ ـنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقد أخذ هذه اللفظة البحترى من أبى تمام فى موضع فقال :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : الرواية ما رواه الصولى ، وسياق اللفظ فى البيتين [هذا البيت والذى بعده] يدل على صحته . وقول المرزوقى « إن الزيارة إذا أمكنت لا تكون من فعل الهوى » غلط ، بل لا تكون إلا من فعل الهوى ، ألا ترى إلى قوله :

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

فأراد أبو تمام أن الهوى حمل هؤلاء النجل العيون الربائب ، على أن زرته .

(٢) س ، ل ، د ، هـ ب : « لكانت » .

٧ سَلِي هَلْ عَمَرْتُ القَفْرَ وهْوَ سَباسِبٌ
وغادَرْتُ رَبْعِي مِن رِكابِي سَباسِبا

« الرِّكاب » الإبلُ المركوبة ، فأما الرِّكابُ فى قول زَيد الخيْل :

وخيْبــةَ مَن يُجير على غَنِيٍّ وباهلَة بنِ أعصُرَ والرِّكابِ [١]

فقيل إنه أراد أنَّ أسْرَى غنيٍّ وباهلة كانوا يُقرنون إلى سَيْرِ ركاب السُّرُج ، كما قال الآخر :

وأنا الذى إنْ تأخذونى عَنْوةً أُقرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأجْنَبِ

وقيل إن الرِّكاب فى بيت زَيد الخيْل إنمايُراد به الإبل المركوبة . و«سَباسب» وبَسابس : قَفرٌ من الأرض [٢] .

٨ وغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ
وشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ المَغارِبا

٩ خُطُوبٌ إذا لاقَيْتُهنَّ رَددْنَنِى
جَرِيحاً كأَنِّى قَدْ لَقِيتُ الكَتائبا

٩ — ويروى « لقِيتُ كتائبا » . « الكَتيبة » : القِطْعة من الخيل ، وهى من قولهم كتبتُ الشيءَ إلى الشيءِ إذا جمعتَه إليه .

١٠ ومَنْ لَمْ يُسَلِّمْ للنَّوائبِ أَصبَحتْ
خَلائقُــهُ طُرًّا [٣] عليه نَوائِبا .

« طُرًّا » أى جميعًا، وهو من قولهم طَرَرْتُ الإبلَ إذا مرَرْتَ بها من

(١) فى الأصول « يجيب » والبيت فى الأغانى ١٦ : ٥١ ، وروايته فيه « وباهلة بن أعصر والكلاب » — والشعر والشعراء ص ٢٤٦ وروايته فيه « من يغير على غنى » .

(٢) قال الصولى فى شرح بيت أبى تمام : سلى هل عمرت . . . : يقول : عمرت القفر بسفرى ، وصار منزلى كالقفر لتركى له .

(٣) ل ، د ، هـ س : « جمعاً عليه » .

ناحيتها ، والطُّرُّ الجانب ، ويحتمل أن يكون قولهم « طُرًّا » جمعَ طُرَّة ، مثل بُرَّة وبُرّ . أى مررتُ بهم من جميع نواحيهم .

١١ وقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ المسمَّى مَنِيَّةً
وقَدْ يَرْجِعُ المرءُ المُظَفَّرُ خائبا

١٢ فآفَةُ ذَا أَلَّا يُصَادِفَ مِضْرَباً
وآفَةُ ذا أَلَّا يُصَادِفَ ضاربا

١٢ – ويُروَى « صارماً » بدل « مِضْرَباً »(١) . أى فآفَةُ السيف القاطع ألاّ يجدَ رجلا شجاعًا ، وهو المِضرَب ، وآفةُ الشجاع المِضْرَب ألاّ يجد سيفًا قاطعًا يضرب به .

١٣ ومَلآنَ مِن ضِغْنٍ كَوَاهُ تَوَقُّلِى
إلى الهمَّـةِ العُلْيا سَناماً وغارِبا

[ع] : أى قد امتلأ من الحقد ، وهذا مستعار لأن الضّغن عـرَضٌ لا يَمتلىء به الجسدُ ، ولكنْ وصَفَه بالكثْرة ، وهذا كما قال الراجز :

يا أيُّها ذا النـابحى نَبْحَ القَبَلْ
يَدعُو علىّ كلما قامَ يُصَلْ
يُقْعِي بكفَّيْه كما يُقْعِي الجُعَلْ

---

(١) روى الصولى « مضربا » بفتح الميم وكسر الراء ، وقال فى شرحه : فآفة المظفر ألا يجد مضارب يمتحن فيها نفسه ، وآفة السيف ألا يكون له من يضرب به : وفى ظ : روى الآمدى : « فآفة ذا ألا يصادف ضاربا » وقال : وهذا ليس بالجيد ، لأن الشجاع المظفر قد يقطع السيف الكهام فى يده ، وكان الأجود أن يقال « فآفة ذا ألا يصادف مغنما » أو « مضربا » يعنى المظفر ، « وآفة ذا ألا يصادف ضاربا » يعنى السيف ، لأنه جعل آفته فى أن صار كهاما ، أنه لم يجد ضارباً يضرب به . وفى ه س : ويروى « ألا يصادف ماجداً » .

وقد مَلأتُ بطنَه حتى أَتَلْ
غَيظًا فأمسَى ضِغْنُه قد احتفَلْ[1]

« أتَل » إذا قارَب الخطوَ من الغضب ، ووجه آخر : « أتَل » أى صار بطنُه كالتلّ . وهذا مما سئل عنه أبو حاتم فلم يُفسِّره ، وهو فى نوادر أبى زيد ، وخَفف اللامَ ، و « التوقلُ » من قولهم توقَّلتُ فى الجبل . و « السنام » أصله للبعير ، وكذلك الغارب وهو ما قُدّام السنام ، ثم استُعير لما ارتفع من شىء فقيل سَنام الجبل وغوارب البحر .

١٤ شَهِدْتُ جَسِيماتِ العُلَى وهْوَ غائبٌ
ولَوْ كانَ أَيْضاً شاهِدًا كانَ غائبا

« جَسيمات العُلى » : ضِخامُها ، يقال رجلٌ جَسِيم : إذا كان له جسمٌ ضَخم .

١٥ إلى الحَسَنِ اقتَدْنا رَكائبَ صَيَّرتْ
لها[2] الحَزْنَ مِن أَرْضِ الفَلاةِ ركائبا

[ص] يقول : هذه الركائبُ قد ركبَتِ الأرضَ ، فالأرضُ رَكائبُ لها .

١٦ نَبَذْتُ إليْه هِمَّتى فكأَنَّما
كَدَرْتُ بِه نَجْماً على الدَّهْرِ ثاقِبا

« كدَرْتُ » قَضَضْتُ ، من قوله تعالى : « وإذا النجُومُ انكدَرَتْ » . و « الثاقِب » المُضىء ، وقد قيل المرتفع ، وهو بالضوء أشبه ، يقال ثَقَبَتِ النارُ ثقوبًا إذا أضاءت .

---

(١) الرجز فى نوادر أبى زيد ص٤٩ . وقال : « القَبَل » ما أقبل عليك من الجبل . . . وقوله « أتل » أى امتلأ عليك سخطاً وغضباً . . . وقال الرياشى : لا أدرى « أتَل » .

(٢) م : « صيرت لنا » وبهامشها رواية الأصل . وقال الصولى : ويروى « لها البيد » وهذه الرواية فى هـ س .

١٧ وكُنْتُ امْرَءًا أَلقَى الزَّمانَ مُسَالِمًا
فآلَيْتُ لا أَلقاهُ إلَّا مُحارِبا

١٨ لَوِ اقتُسِمَتْ أخلاقُه الغُرُّ لَمْ تَجِدْ
مَعِيباً ولا خَلْقاً مِن النَّاس عائبا[١]

١٩ إذا شِئْتَ أَنْ تُحْصِى فَواضِلَ كَفِّه
فكُنْ كاتباً أو فاتَّخِذْ[٢] لك كاتبا

٢٠ عَطايا هِيَ الأَنْوَاءُ إلَّا عَلامَةً
دَعَتْ تِلكَ أنوَاءَ وتلك[٣] مَواهِبا

٢٠ – [ع] بعضُ المتأدّبين يُنشِد هذا البيت « دُعَتْ » على معنى دُعِيَتْ ، يَذهبُ إلى أنها لُغةٌ طائيّة ، وما يجب أن يكون الشاعرُ قال إلاّ « دَعَتْ » بفتح الدّال ، ويكون « دَعَتْ » فى موضع وصفٍ للعلامَة ، أى سَمَّتْ ، من قولهم دعوتُ الرجلَ بكذا إذا سمَّيتَه ، ودعوتُه إذا ناديْتَه . وأما إذا أنشد هذا البيتُ على « دُعَتْ » فى اللغة الطائية ، فإن النِّصْفَ الثانى يكونُ منقطعًا من النصف الأوّل ، على أنه بيان له ، ولا يكون متعلِّقًا بقوله « علامة » ، ولكن يكون الكلام قد تمّ ، ثم يؤتى بالنصف الثانى على معنى التفسير .

٢١ هوَالغَيْثُ[٤] لَوْ أَفرَطْتُ فى الوَصْفِ عامِدًا
لأَكْذِبَ فى مَدْحِيهِ ما كنْتُ[٥] كاذِبا

(١) قال ابن المستوفى : هذا من قول العباس بن الأحنف :
لو قسم الله جزءاً من محاسنها   فى الخلق طرّاً لتمّ الحسن فى الناس
(٢) ه س : ويروى « أو فالتمس » وقال الصولى : وهذا البيت لم يقع له جيداً .
(٣) س ، ل ، ه ب : « وهذى » .   (٤) ه س : « فأقسم » .
(٥) م : « لم أك » .

٢٢ ثَوَى مالُهُ نَهْبَ المعالِي(١) فأَوْجَبَتْ
عليه زَكاةُ الجُودِ ما لَيْسَ واجِبا

٢٢ — « ثَوَى » أقامَ ، وجَعل ماله نهبًا ليَكسِب به المعالى ، فهو يُوجب على نفسه بجوده من الحقوق ما لا يجب عليه ، حتى يصلَ بذلك إلى المعالى .

٢٣ تُحَسَّنُ فى عَيْنَيْهِ إن كُنْتَ(٢) زائرًا
وتَزْدادُ حُسْناً كُلَّما جِئْتَ طالِبا

٢٤ خَدِينُ العُلَى أَبْقَى لَهُ البَذْلُ والتُّقَى(٣)
عَواقِبَ مِنْ عُرْفٍ كَفَتْهُ العَواقِبا

٢٤ — [ق] « عَواقبَ من عُرْف » أى ثناءً وحمْدًا ، وذُخْرًا وأجرًا ، يَبقيانِ له آخرَ الدَّهر ، ويَكفيانه محذورَ العواقب .

٢٥ يَطُولُ استشاراتِ التَّجارِبِ رأيُــهُ
إذا ما ذَوُو الرأيِ استَشارُوا التَّجارِبا

[ع] إذا رويتَ « استشاراتِ » بكسر التاء ، فـ « تطول » مُتعدِّية ، وهى من الطَّوْل ، أى يَفضُل استشاراتِ التجارب رأيُه ، إذا كان ذوُو الحزم مفتقرين إلى أن يقيسوا الأمور بالتجارب . وإذا روى « يَطول استشاراتُ » بضم التاء فـ « يَطول » ها هنا من طال الأمدُ ، وهو غيرُ متعدٍّ ، وتكون « التجارِبُ » هى التى تَستشير رأيَه إذا استشارها ذوو الحزم(٤) .

(١) هـ س ، هـ ب : ويروى « نصب المعالى » .
(٢) فى الأصول كلها : « إن جئت زائرا » وانفردت ش برواية « إن كنت » .
(٣) م ، هـ س : « والنهى » — وقال الصولى : ويروى « أبقى له الدين والندى » .
(٤) قال ابن المستوفى عقب كلام أبى العلاء هذا : الذى عليه المعنى رفع « استشارات » ونصب « رأيه » ، والمعنى إذا استشار أصحاب الحزم التجارب طالت استشارات التجارب رأيه ، أى امتدت — من الطول — ويعضده قوله : « إذا ما ذوو الحزم استشاروا التجاربا » ، لأن رأيه أحزم وأغنى عن استشارات التجارب وفى ظ قال الخارزنجى : يطول بفضل رأيه التجارب ويسبقها ، من قولك طاولنى فلان فطلته . وفى م : « تطول » — وفى هـ س : « يطيل » .

٢٦ بَرِئتُ مِنَ الآمالِ وهْيَ كَثيرَةٌ
لَدَيْكَ[(١)] وإنْ جاءَتْكَ حُدْباً لواغِبا

[ق] مَن رَوى بالضّم فالمعنى : وكلتُ أمرَ آمالى إليك ، وخرجتُ من عُهدتِها ، على كثرتِها ورَثاثة حالى فيها ، كما يقول البائعُ للبَيِّع لما يتعاقدان عليه : بَرِئتُ إليك من كذا ، أى تملستُ حتى ليس لك أن ترجع علىّ بشىء منه . ومَن روَى بفتح التاء فالمعنى : قَضَيْتَ حقّ كلّ أمر نِيطَ بك ، على كثرته وسوء حال أربابه وتعبِهم ، كما يَبرأ الرجلُ من دَيْنه إذا قضاه[(٢)]* (ع) : « بَرِئتُ من الآمال » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون بَرِئَ من آماله التى كان يأمُل عند الناس ، إلاّ أنّ أمَلَه متعلّقٌ بهذا الممدوح ، ويُقوّى ذلك قوله « وهىَ كثيرةٌ » والآخر أن يريد : أنك بلّغتنى الآمال ، فلم يبق لى أملٌ لم أبلغه عندك[(٣)] ، ويكون قوله « وهى كثيرةٌ » يعنى بها آمال الناس التى تعرض للمادح وللممدوح . وقوله « وإنْ جاءتك حدْبًا لواغِبا » : أصل الحُدْب اللواغب » أن يُستعمل فى النُّوق المهزولة المُعْيِيَة ، لأنهم يَصِفون المهزولَ من الإبل بالحَدَب ، قال الأنصارى :

وراحتْ حَدابيرَ حُدْبَ الظُّهو ... رِ مُجتلَمًا لَحْمُ أصلابِها

ويحتمل أن يكون قوله « جاءَتْك حُدْبًا » يعنى به إبلاً ، وأضمر لدلالة المعنى على المراد ، وذلك كثير فى الشعر ولا سيما فى الخيل والإبل ، قال الشاعر :

أتتكَ كأنها عِقْبانُ دَجْنٍ ... تَجاوبُ عن حناجرها اليَراعُ

يعنى الخيل ، ويجوز أن يعنى بـ« الحُدْب اللواغِب » الآمال .

٢٧ وهَلْ كنتُ إلّا مُذْنِباً يومَ أنتحى
سواكَ بآمالٍ فأقبلتُ تائبا !؟

---

(١) ق : « إليك » .

(٢) ذكر الصولى فى شرحه الوجهين .

(٣) ب ، ن ، ظ : لم أبلغه عندك ولا عند غيرك .

١١

وقال يَمدح عيَّاشَ بنَ لَهيعةَ الحَضْرميَّ(١) :

١ تَقِي جَمَحاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي
وليس جَنِيبِي إنْ عَذَلْتِ بِمُصْحِبِي

الثاني من الطويل ، والقافية متدارك .

« تَقِي » : أمرٌ من تَقَاه يَتْقيه مُخففًا ، و « جَمَحاتي » من جَمَحَ الفرسُ إذا عزَّ فارسَه . وقوله « لستُ طَوْعَ مؤَنِّبي » : أي لست مُطيعَه ، فجعَل مصدر « طَاعَ يَطوع » قائمًا مَقامَ اسم الفاعل ، كما يقال رجلٌ زَوْرٌ أي زائر . و « الجَنيب » المَجْنُوب ، وهو هواه ونَفْسُه ، وإنما يَجنُبُهما غَيْرُه ، ولكنْ أضافَهُما إلى نفسه لِتَعلُّقهما به . يخاطب عاذِلتَه ، يقول : عَذْلُكِ لا يُجدى نَفْعًا(٢) . ويقال أصحب الرجلُ : إذا تابع وانقاد . والمعنى :

---

(١) قال الصولى فى كتابه أخبار أبي تمام ص ١٢١ : حدثنا عبد الله بن الحسين ، قال حدثنى البحترى ، قال : سمعت أبا تمام يقول : أول شعر قلته « تقى جمحاتى لست طوع مؤنبى » ومدحت بها عياش بن لهيعة ، فأعطانى خمسة آلاف درهم . وهذه الرواية على رأس القصيدة فى نسخة ل من شرح الصولى .

(٢) معظم كلام الخطيب التبريزى فى شرح هذا البيت من كلام المرزوقى كما جاء فى كتابه ، وقد نبه على ذلك ابن المستوفى ، فقال : الذى ذكره أبو زكريا كلام المرزوقى ووضع موضع « قلبه » نفسه ، فغيره بما لو نقله على وجهه كان أجود .

وقال الصولى فى شرحه : هذا مثل قول ذى الرمة :

لعمرك إنى يوم جرعاء مالك لشوق لمنقـاد الجنيبة تابع

والمعنى يقول : جنيبى لا يتبعنى إذا قبلت عذلك . ويرويه الناس « حبيبى » وهو تصحيف .

وفى ظ نقد المرزوقى على كلام الصولى هذا . قال أبو على : إن بيت ذى الرمة معناه أنى تابع لشوق فى هذا اليوم ، منقاد النفس والقلب له ، غير متأب ولا ممتنع و « الجنيبة » فى الأصل : فعيل فى معنى مفعول ، لكنه ألحق به الهاء لينتقل من الصفات إلى الأسماء ، وجعله مثلا لقلبه ونفسه ، وبيت أبى تمام على العكس منه ، وذلك أنه توعد لائمته ، فقال : احذرى منعاتى عليك ، واتقى جمحاتى فيما تجذبيننى إليه ، وهذا القدر من البيت يلاحظه قول المتنبى :

كثيباً توقانى العواذل فى الهوى كما يتوقى ريِّض الخيل حازمه

اتّقيني فيما أتَصعّبُ فيه ، فإنى لا أطاوِعُ المؤنّب إذا أنّب ، وليس قلبى بِمُنقادٍ لى إذا لُمْت [١] .

٢ فلَمْ تُوفدِى سُخْطاً إلَى مُتَنَصّلٍ
ولَمْ تُنْزِلى عَتْباً بساحَةِ مُعْتِبِ

« تُوفِدى » من قولهم وَفَد عليه إذا ورَد ، وأوفَده غيره . و « المُعْتِب » الذى يُزيل العَتْبَ فى هذا الموضع ، وهو يستعمل على وجهين : يقال أعتَبه إذا أزال عتْبَه ، وأعْتَبه إذا أحوجه إلى أن يَعْتِب [ص] يقول : لست أتَنصّلُ من سُخْطكِ ولا أعتبُك .

٣ رَضِيتُ الهوى والشّوْقَ خِدْناً وصاحِباً
فإن أنتِ [٢] لَمْ تَرْضَىْ بِذلكِ فاغْضَبى

٤ تُصَرِّفُ حالاتُ الفِرَاقِ مُصَرّفِى
على صَعْبِ حَالاتِ الأَسَى ومُقَلَّبى

٥ ولِى بَدَنٌ يأْوِى إذا الحُبُّ ضافَهُ
إلى كَبِدٍ حَرَّى وقَلْبٍ مُعَذَّبِ

٦ وخُوطِــيَّةٍ شَمْسِيَّةٍ رَشَئِيــةٍ
مُهَفْهفَةِ الأَعْلَى رَدَاحِ المُحَقَّبِ

٦ – « خُوطيَّة » تُشْبِه الخُوط ، وهو الغُصْن ، و « شَمْسِيَّة » تُشْبه الشمس، و « رشَئِيَّة » تُشْبِه الرَّشأ ، وهو ولَدُ الظّبْى ، و « مُهَفْهَفة الأعْلَى » يعنى أنها ضامِرَةُ البَطْن ، ولا يُوصَف بالمُهفْهَف إلاّ الخَصْر

(١) من قوله « لا يجدى نفعا » إلى آخر الشرح لم يرد فى ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
(٢) س : « فإن كنت » .

وما وَالاَه ، ولا يُوصَف الصَّدْرُ بذلك ، و « الرَّدَاح » الثَّقِيلةُ العَجِيزة ، و « المُحقَّب » مَوْضع الحقِيبة ، وكَنَى به عن العَجُز وإن لم تكُنْ ثَمَّ حقِيبة ، لأنَّ الحقِيبةَ هي ما يَجْعله الراكبُ وَراءَه .

٧ تُصَدِّعُ شَمْلَ القَلْبِ مِن كلِّ[1] وِجْهَةٍ
وَتَشْعَبُهُ بالبَثِّ مِنْ كلِّ مَشْعَبِ

« تُصَدِّع شَمْلَ القَلْب » أى تُفرِّقُه . وأصل « الصَّدْع » الشَّقّ ، و « تَشْعَبُه بالبَثّ » أى تُفرِّقه ، و « الشَّعْبُ » من الأضداد ، يقال شَعَبْتُه إذا فرَّقتَه ، وشَعَبْتُه إذا لأمْتَه ، وفى الحديث : ما هَذِه الفُتْيا التى قد شَعَبَتِ النَّاس[2] ؟

٨ بِمُخْتَبِلٍ ساجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْوَرٍ
ومُقْتَبَلٍ صافٍ مِنَ الثَّغْرِ أَشْنَبِ

[ع] يُختار فتح الباء من « مُخْتَبَل » ليكون موازيًا لفتحها فى « مُقْتَبَل » ويكون قد جعل فتورَ العيْنَ من الاختبال . ولو كسرتَ الباءَ فى « مُقْتَبِل » لكان كسرها فى « مُخْتَبِل » واجبًا . والكسر أوجه من الفتح لو كانت الكلمة مفردةً ، لأن كون الفعلِ للطَّرْف فى هذا المكان أمكَن . وإذا رويتَ « مُقْتَبَل » فهو مِن التَّقْبِيل ، وإن كسرتَ الباءَ فالأغلبُ عليه أن يكون من المُقابَلة ، والاقتبالُ مِن التَّقْبِيل معدوم فى الشعر القديم[3] .

---

(١) س ، د : « بعد التنامه » .

(٢) جاء فى ظ : قال الآمدى : قوله « تصدع شمل القلب » و « تشعبه بالبث » معنى واحد ، ولولا قوله « بالبث » لصلح أن يكون « تشعبه » تضم أجزاءه وتلائم بينها ، لأن « شعبت » من الأضداد ، وكان المعنى حينئذ : تصدع شمل القلب أى تفرقه إذا شامت ، وتشعبه أى تضمه وتجمعه إذا شامت ، كما قال فى موضع آخر :

وعهدى بها تُحيي الهوى وتميته وتشعب أعشار القلوب وتصدع

أى تحيي الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

(٣) وقال الآمدى فى ظ : وقوله « بمختتل ساج » أى يختل بنظر ، « ومقتتل صاف » يريد قتله الحب واقتتله الحب ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظتين بقوله مختتل ومقتتل .

٩ مِنَ المُعْطَياتِ الحُسْنَ والمُؤْتَياتِهِ
مُجَلْبَبَةً أَوْ فاضِلاً لَمْ تُجَلْبَبِ [١]

[ع] إذا رُوِيتْ « فاضِلاً » فهو فاعل من الفُضُل ، يقال امرأةٌ فُضُل إذا كانت فى ثَوْبٍ واحِد ، وقد يقال ثوب فُضُل إذا لم يكن على اللاّبِس غيره ، فإنْ ثبت أنّه قال « فاضِلاً » وهو يريد « الفُضُل » فهى كلمةٌ لا تُعرَف فى كلام المتقدّمين ، وإنما المعروف تَفضَّلَتِ المرأةُ إذا كانت فُضُلاً ، كما قال :

* لَدَى الخِدْرِ إلاّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ [٢] *

ولو رُوِيتْ « ناصِلاً » [٣] لكان المعنى صَحيحاً واللفظُ مستعملاً ، كأنّها نَصَلَتْ من اللّباس ، أى خَرَجَتْ منه .

١٠ لَوَ اَنَّ امْرَأَ القَيْسِ بنَ حُجْرٍ بَدَتْ لَهُ [٤]
لَمَا قالَ مُرَّا بِى على أُمِّ جُنْدُبِ

١١ فَتِلكَ شُقُورِى لا ارْتِيادُكِ بالأَذَى
مَحَلِّىَ إلَّا تَبْكُرِى تَتَأَوَّبِ

١١ – [ع] قيل « شَقُور » واحِد وجَمْعُه شُقُور ، وهو من قولهم

= وقال الخارزنجى « مختتل » خديعة ، و « مقتبل » موضع القبلة . وفى الحاشية « مقتبل » حديث السن . وروى أبو زكريا « محتبل » بالحاء المهملة وكسر الباء من قولهم اصطاده بالحبالة .

(١) بعد هذا البيت جاء فى نسخة م بين السطور بيت كأنه من كلام أبى تمام وهو :

تريكَ هلالاً أو يقال لها اسفرى ... فتسفر شمساً أو يقال تنقبى

ورواه ابن المستوفى وقال : ولم أر هذا فى عدة نسخ .

(٢) بيت امرئ القيس فى معلقته :

فجئت وقد نضّت لنوم ثيابها ... لدى الستر إلا لبسة المتفضل

(٣) قال ابن المستوفى هذه الروايةّ التى تكلفها أبو العلاء نافرة . وقال وقد رويت « مجلببة أو حاسرا » ، أو « عاطلا » .

(٤) : هم : « انبرت له » وقد ذكرها ابن المستوفى وقال : أى عرضت ، والأول أجود لعلم الضرورة ، وأراد : يصرّف وصف أم جندب الذى وصفها به إلى هذه المرأة .

حَدَّثْتُه شُقُورى أى ما أُخفيه وأكتُمه، وربّما قالوا شَقُورى فى معنى حاجتى، والبيت يحتمل وجهين، قال الرّاجز:

* وكَثْرَةَ الحديث عن شَقُورِى[1] *

و « ارتِيادُك » افتعال، من رَاد الكلأ إذا ذهب ليَرَاه ويعرف موضعه * و « تَتَأوَّبى » تجيئى مع الليل، يقال تأوَّبنا الطارقُ والهَمّ ونحوه إذا جاء بليْلٍ. [ص] أى تلك حاجَتِى لاقَصْدُكِ إيّاىَ بالأذَى فى العَذْل.

١٢ أَحاوَلتِ إرْشادى؟ فَعَقْلى مُرْشِدِى
أَمِ استَمْتِ تَأْديبى؟ فَدَهْرِى مُؤَدِّبى

١٣ هُمَا أَظْلَمَا حَالَىَّ ثُمَّتَ أَجلَيَا
ظَلامَيْهما عن وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

أى أنا صَغِيرُ السِّن وقد شَيَّبَنى عقلى ودَهْرى. (ع) جعل « أظلَمَ » هاهنا مُتعدّيا، وذلك قليل فى الاستعمال، وهو فى القِياس جائز، وهو على قياس من قال ظَلِمَ اللّيْلُ فى معنى أظلَم[2]، فإن ادّعِىَ أنّ « أظلَم » هاهنا غيرُ مُتَعدٍّ، وأنّ « حالىَّ » منصوبٌ كانتصاب الظرف، فإن قوله « أجلَيا ظَلامَيْهما » يَدْفَع ذلك، لأنه عَدّى « أجلَيا » إلى الظَّلامَيْن.

(١) فى نوادر أبى زيد ص: ٨٢ قال العجاج:

وكثرة التحديث عن شقورى
مع الجلاء ولائح القتير

(٢) بعد أن أورد ابن المستوفى هذا الشرح لأبى العلاء قال: قال الجوهرى: ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى، عن الفراء، وقولهم ما أظلمه وما أضوأه شاذ، فاستعماله « أظلما حالى » مع « ظلم الليل » صحيح الاستعمال قياسا، وعلى « ما أظلمه » جائز شذوذاً، وقوله « إن حالى منصوب كانتصاب الظرف » كلام غير مستقيم.

وقال: وفى بعض روايته « هما » بمعنى العقل والدهر، و « أظلما » لازم ومتعد، و « حالى »: الفقر والغنى. وقال: يجوز أن يريد بقوله « هما أظلما حالى » الإرشاد والتأديب، لأن من يكون بهذه الصفة لا تستقيم حاله، وإنما تستقيم حال من هو بضدهما. وثنى « حالى » على عادتهم فى تثنية بعض ما يخبرون عنه.

وقوله « عن وجْه أمْرَدَ أشْيَبِ » يعني نفسَه ، وهو يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون قد شاب في حال المُرْدَة لِعظَم مالاقاه من الشدائد ، والآخر أن يكون أراد أنه فتىٍّ في السِّن وهو في العقْل والرَّأى كأنه أشْيَب .

١٤ شَجٍّى فى حُلُوقِ الحادِثاتِ مُشَرَّقٍ
به عَزْمُهُ فى التُّرَّهَاتِ مُغَرِّبِ

[ص] « شَجًى » فى موضع خَفْض بَدَلٌ من « أشْيَب » . قال الآمدى : « شَجًى فى حُلُوق الحادثات » لصبره وجَلَده عليها ، وقلّة استكانته لها . « مُشرِّق به عزْمُه » كأنه أخَذَه من قول المُنجِّمين شَرَّق النّجْمُ إذا استقام . أىّ عزمُه مُشرِّق به ، أى مُستقيم ، أى يَسْلُك نَهْجَ الاستقامة ، وهو فى التُّرَّهات مُغرِّب . أى: أجدّ فى الأمور بصحَّة رأيي وعزيمتى ، وألعَبُ لصباى وصغرِ سنّى[١] . (ع) : أصلُ الشَّجَى الغَصَص ، والتُّرَّهاتُ الأمُور المُشْكِلَة ، وأصلُه فى الطُّرُق المُتشعِّبة عن الطريق الأعظم ، ولم يستعملوا من التُّرهات فعْلاً فى معروف كلامهم .

١٥ كأَنَّ لَهُ دَيْناً على كلِّ مَشْرِقٍ
من الأرْض أوْتَارًا لَدَى كلِّ مَغْرِبِ

---

(١) قال ابن المستوفى : وفى الحاشية بخط يحيى بن محمد الأرزنى : الظاهر من الكلام أنه أراد بقوله « مشرق به عزمه » أى تارة يرمى به عزمه مشرق الأرض وطورا مغربها ،و « الترهات » الفلوات التى لا شىء فيها ، ومنه قولهم الترهات البسابس ، يريدون القفار الخالية ، والدليل على أنه أراد هذا المعنى لا غير ، قوله بعد هذا البيت :

كأن له دينـا على كل مشرقٍ — من الأرض أوتاراً لدى كل مغرب

فالبيت الثانى تفسير للأول .

ثم قال : والذى ذكره الآمدى قول مثله من أرباب المعانى . أراد أنه غصة فى حلوق الحادثات ، وهذا إنما يكون غالباً لمن علت سنه وجرب ، مع أنه مشرق به عزمه فى الترهات ، وهى الطرق الصغار غير الجادة ، تتشعب عن الواحدة ، ثم استعير فى الباطل ، قاله الجوهرى . وأراد أبو تمام لذاته .

١٦ رَأَيتُ لِعَيَّاشٍ خلائِقَ لَمْ تكُنْ
لِتَكْمُلَ إلَّا فى اللُّبابِ المُهَذَّبِ

١٧ لَهُ كَرَمٌ لَوْكانَ فى الماءِ لَمْ يَغِضْ
وفى البَرْقِ ما شامَ امْرؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ

١٨ أَخو أَزَماتٍ بَذْلُه بَذْلُ مُحسِنٍ
إلينا ولكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

١٨ – « الأَزَمَات » الشّدائد . أى يَقوم فيها ويَبْذُل المعروف ، كما يقال أخو الحرب لمن يُكثر الحُروب[1] .

١٩ إذا أَمَّهُ العافُونَ أَلفَوْا حِياضَهُ
مِلاءً وأَلفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

٢٠ إذاقالَ أَهْلاً مَرْحَباً نَبعَتْ لَهُمْ
مِياهُ النَّدَى مِن تَحْتِ أَهْلٍ ومَرْحَبِ

٢١ يَهُولُكَ أَنْ تَلْقاهُ صَدْرًا لِمَحْفِلٍ
ونَحْرًا لِأَعداءٍ وقَلْباً لِمَوْكِبِ

٢٢ مَصادٌ تَلاَقَتْ لُوَّذًا[2] برُيُودِهِ
قَبائِلُ حَيَّىْ حَضْرَمَوْتَ لِيَعْرُبِ[3]

« مَصَادٌ » أعْلَى جبلٍ ، وجَمْعُه مُصْدَان . و « الرُّيُود » جمع رَيْد ،

(١) قال الصولى فى شرحه : ويروى « عزمات » وقال : « أخو أزمات » لقيامه بها وبذله عرفه فيها ، كما يقال أخو حروب للذى تكثر محاربته .

(٢) فى ظ : وروى الآمدى « رُوَّدا بريوده » جمع رائد ، أى منتجع .

(٣) د ، هـ ب : « ويعرب » .

وهو الحَرْفُ النَّاتِئُ فى الجَبَل . و « حَضْرَمَوت » قَبِيلة مِن اليَمَن ، والمعروف بين العامّة أنّ حضرموتَ اسم بلد ، ويَجُوز أنْ يكونَ سُمّى باسم الرّجُل ، قال رؤبة .

* أحضرتَ أهْلَ حَضْرَمَوت مَوْتَا *

وقد اختُلف فى نسب حَضْرَمَوْت ، فذكر قومٌ أنّه ليس من ولد يَعْرُبَ إلا أنّ نسبَه يُقارِبه ، وقيل بل هو حضرموتُ بنُ يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ أخو سَبأ ابنِ يَشْجُب ، وكان اسْمُه عبدَ النُّور ، فَنَزَل بين يَدَيْ أخيه فى حَرب وقال : حَضَرَمَوْت ، فسُمّى بذلك . وبعضُ النحويين يَحكى أنّ من العرب من يقول حَضْرَمُوت ليجعلوا بناءَه كبناء عَضْرَفُوط وحَذْرَفوت .

٢٣ بأَرْوَعَ مَضَّاءٍ[1] على كلِّ أَرْوَعٍ
وأَغْلَبَ مِقْدَامٍ على كلِّ أَغْلَبِ

٢٤ كَلَوْذِهِمُ فِيما مَضَى مِنْ جُدُودِهِ
بِذِى العُرْفِ والإِحْمادِ[2] قَيْلٍ ومَرْحَبِ

(١) م : « بأروع مشّاء » وبهامشها رواية الأصل . وفى س : « بأروع مفضال » و « أغلب مضّاء » . وشرحه ابن المستوفى قال : قال الخارزنجى : أى على كل فرس أروع وأغلب ، رجل ماض أغلب . قال أبو العلاء : قالوا ناقة روعاء أى حديدة القلب ، ولم يقولوا جمل أروع . و « أغلب » غليظ العنق . و « رجل أروع » يفسرونه بأنه الذى يروعك بجماله ، ولم يقولوا امرأة روعاء . قال ابن المستوفى : قال الجوهرى : « الروعاء » من النوق الحديدة الفؤاد ، وكذلك الفرس ، ولا يوصف به المذكر ، والأروع من الرجال الذى يعجبك حسنه ، وامرأة روعاء بينة الروع .

(٢) س : « بذى العرف والأجداد قَيْل وأرحب » وجاء فى ظ : فى حاشية : أبو يحيى : أنا أروى « بذى العرف والإفضال » ، و « الإحماد » ههنا ليس يحسن عندى إلا أن يضاف « الإحماد » إلى غيره ، فيقال يحمده كل من يعاشره وبهذا بُعد . وفى نسخة « قيل ومرحب » . وقال ابن المستوفى : لم أر فى ديوان من دواوين شعره إلا « بذى العرف والاحماد » ، يقال أحمد الرجل : إذا أتى ما يحمد عليه ، وقوله « يحمده كل من يعاشره » مدحٌ له أيضاً ، فلا وجه لإنكاره . وقال : وفى نسخة « بكل طويل الباع أروع منجب » ، وفى نسخة « بذى العرف والإحماد منهم ومرحب » وهى أسماء جدوده .

٢٥ - بُدُورٌ(١) قُيُولٌ لَمْ تزَلْ كلٌّ حَلْبَةٍ
تمزّقُ مِنهمْ عن أَغَرَّ مُجَبَّبِ

٢٥ - (ع) ويُروى « ذَوونَ قيُولٌ » وهو جمع قولك ذُو مرحَب ، وذُو جَدَن ، وذُو يزَن ، وذلك فى حميرَ كثير ، وهم الأذْواء ، وقلّما يقولون الذَّوُون ، وإنما تبع الطائى فى ذلك الكُميت لأنه قال :

وما أعْنِى بذلك أسفَليكُمْ ولكنّى عنَيْتُ به الذَّوِينَا

و « الحلْبَة » الجماعةُ من الخيْل تُدفع فى الرّهان . و « المُجبَّبُ » من الخيْل الذى قد بلَغ تحجيلهُ رُكبتيْه أو جاوَزَهما(٢) .

٢٦ هُمَامٌ كنَصْلِ السَّيْفِ كَيْفَ هَزَزْتَهُ
وَجَدْتَ المَنايا مِنْهُ فى كلِّ مَضْرِبِ

٢٧ تَرَكْتَ حُطاماً مَنكِبَ الدَّهْرِ إذْ نَوَى
زِحَامِى لَمَّا أَنْ جعَلْتُكَ مَنْكِبِى

٢٧ - « المَنكِبُ » رأسُ الكَتِف . والمعنى لمّا أنْ جعلتُك رُكْنى وملْجئى . ومن ذلك قيل لعوْن العَرِيفِ منكب .

٢٨ وما ضِيقُ أَقْطارِ البِلادِ أَضافَنى
إِليكَ ولكِنْ مَذْهَبى فِيكَ مَذْهَبِى

يقول : لم يُلجئنى ضِيقُ البلادِ علىّ ، وكسادُ بِضاعتى عندَ الناس ،

(١) ظ : « ملوك قيول » ، ويروى « بدور قيول » .

(٢) رواية الصولى « محنّب » ، وقال « المحنب » أن تكون القوائم بيضاً إلى الركبة ، وقال : وروى الناس « عن أغر مجبب » وهو خطأ .

وفى ظ : ويروى « محنب » بالحاء المهملة ، أى الذى فى يديه انحناء وفى صلبه توتير ، وقال أبو عبيد : المحنب البعيد ما بين الرجلين من غير فحج وهو مدح ، واستعار ذلك كله ، أى أنهم سباقون .

ولكنْ مَذْهبي ألاَّ أسألَ إلا لكريم[١] .

٢٩ وأَنْتَ بِمِصْرٍ غايَتِى وقَرابَتى
بِها وبَنُو الآباءِ[٢] فيها بَنُو أَبِى

٣٠ ولاغَرْوَ أَنْ وَطَّأْتَ أَكْنافَ مرْتَعِى
لِمُهْمَلِ أَخْفاضِى ورَفَّهْتَ مَشْرَبِى

٣٠ ــ [ع] « لا غَرْوَ » أىْ لا عَجَبَ ، و « الأَكْنَاف » النَّوَاحى ، و « المُهمَل » الذى قد أهْمِلَ فى المَرْعى ، و « أخفاضِى » جَمْعُ خَفَض ويَجِب أنْ يكونَ ها هنا الفَتِىَّ من الإبل * كما قال رُؤْبَة :

* يا بنَ قُرُوم لَسْنَ بالأَخْفَاضِ *

وأصحاب اللغةِ يَذْكرون الأَخفاضَ فى الأضداد ، فيقولون : الأخفاضُ جمع خَفْض وهو مَتَاع البَيْت ، والخَفْض الجَمَلُ الذى يُحمَل عليه ذلك المَتَاع ، ولعلهم كانوا يحملون أمتِعتَهم على البكارة من الإبل والأفْتَاء ، لأنهم يُودِّعون القرُومَ ويُعدّون ما قَوِىَ من الجمال والنُّوق لِمَراكب النساء .

---

(١) وقال المرزوقى فى كتابه : لم يلجئنى ضيق البلاد على ، وكساد بضاعتى عند الناس ، لأن فى الأرض فسحة ، وفى أهل الفضل والإفضال كثرة ، ولكن قضاء حقك والقصد إليك ، والثناء عليك لفضلك وكرمك ، هو مذهب أعتقده ، ودين أتدين به ، وكأنه ألم فى هذا بقول الآخر :

وقولا لها ليس الضلال أجارنا   ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

وقد أتى أبو تمام فيما يقارب هذا بأحسن منه وهو :

إن قلبى لكم لكالكبد الحرى   وقلبى لغيركم كالقلوب

ويجوز أن يكون المعنى : أنى لا أسأل إلا الكرام وأنت كريم . وقال الخارزنجى فى ظ : مذهبى فيك خلاف مذهبى فى غيرك فى الانبساط إليك والاختصاص بك .

(٢) س ، م ، ل ، د : « وبنو أبيك فيها » .

وشرحه فى ظ : قال الخارزنجى : يقول أنت غاية مناى بمصر وأنت قرابتى لأنى أمتّ إليك بحرمة الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر ، وإنما يخاطب الممدوح . وروى الصولى « وبنو أبيك فيها بنو أبى » .

وقال ابن المستوفى : فى طرة كتاب الخارزنجى يقول : أنت غايتى من بين قرابتى ومن بين إخوتك الذين هم أعمامى . وفى أثنائه : أنت غايتى بمصر مع قرابتى بها .

[ع] و« ورفّهتَ مَشْرَبى » أى جعلْتَه رِفْهًا ، والرِّفْهُ أنْ تَشْرَبَ الإبلُ متَى شاءَتْ .

٣١ فَقَوَّمْتَ لى مَا اعْوَجَّ مِنْ قَصْدِ هِمَّتى
وبَيَّضْتَ لى ما اسْوَدَّ منْ وَجْهِ مَطْلَبى

٣٢ وهاتَا ثِيابُ المَدْحِ فاجْرُرْ ذُيُولها
عليكَ وهذا مَرْكَبُ الْحَمْدِ فارْكَبِ

١٢

وقال يَمدحُ أبا سَعيد محمدَ بنَ يوسُفَ الثَّغْرِى .

١ مِنْ سَجايَا الطُّلُولِ ألاَّ تُجيبَا
فَصَوابٌ مِن مُقْلَةٍ[١] أنْ تَصُوبَا

الأول من الخفيف والقافيةُ متواتر .

« تصوبُ » من صاب السحابُ إذا جاء بالمطر .

٢ فاسأَلَنْها واجعَلْ بُكَاكَ جَوَاباً
تَجِدِ[٢] الشَّوْقَ[٣] سَائِلاً ومُجيبَا

[ويُرْوى « تخدع الشَّوق»[٤] يقول : هذا السؤال والجواب خديعةٌ للشَّوْق لا تجدى شيئاً ، ونَصَب « سائلاً » و « مجيباً » على الحال][٥] ، أى لا تنتظر ما يكون من جوابها وابْكِ فإنها لا تُجيب ، لأن الشوق هو الذى يَحمِل على السُّؤال وعلى البُكاء[٦] .

---

(١) م ، ل ، س ، د : « من مقلتى » .

(٢) س ، د : « تخدم » ، ورواية الأصل بهامش س .

(٣) م : « تجد الدمع » .

(٤) رواها الصولى .

(٥) ما بين المعقفين لم يرد فى ش وأثبته من ب ، ن .

(٦) جاء فى ظ : قال الآمدى : وقد صحف الناس فى هذا البيت ، فرواه قوم « تخدم الشوق » ، ورواه آخرون « تحذم » بالحاء غير المعجمة ، ورواه قوم « تخدع الشوق » ، وذلك كله غلط ، وما قال الرجل إلا « تجد الشوق » لأنه قال "فاسألنها واجعل بكاك جواباً" ، لأنه قد علم أنها لا تجيب ، وأنه سيبكى ، فلذلك قال « تجد الشوق سائلا ومجيباً » لأن الشوق هو الذى حداه على السؤال وهو الذى أبكاه ، لأنها لو أجابت أجابت بما يبكيك ، أو لأنها لما تجب علمت أن من كان يجيب قد رحل عنها فأوجب ذلك بكاك .... وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذاهب أبى تمام ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم ، ومثله قوله :

تجرع أسى قد أقفر الجزَع الفرد ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد
إذا انصرف المحزون قد فل صبره سؤال المغانى فالبكاء له رد =

٣ قَدْ عَهِدْنَا[١] الرُّسُومَ وهىَ عُكَاظٌ
لِلصِّبَى تَزْدَهِيكَ حُسْناً وطِيبَا

[ع] « وهى عُكاظ » أىْ وهى كثيرة الأهل يجتمع الناسُ إليها ، لأنّ عكاظ سُوقٌ للعرب كانوا يجتمعون فيه ويتَناشدون الأشعار ويتفاخرون ، وقيل إنما سُمِّى عُكاظَ لأنهم كانوا يتعاكظون فيه بالحُجج أى يعرُك بعضُهم بعضًا ، يقال عكظتُ الشىءَ أعكظُه عَكْظًا إذا غمزتَه غمزًا شديدًا أو عركته . وقد بيّن الطائى غرضه فى زعمه أن الرسومَ عكاظٌ بقوله :

٤ أَكْثَرَ الأَرضِ[٢] زَائرًا ومَزُورًا
وصَعُودًا مِنَ الهَوَى وصَبُوبَا

« الصَّعود » الأكَمَة يَشُقّ الصعودُ فيها ، و« الصَّبوب » مثل الحَدور ، وأصل الصَّعودِ من صَعِد ، والصَّبوب من صَبَّ ، إلا أنهم صاروا يَكْنون بالصَّعود عما يشُقّ عليهم لأن الصَّعودَ أصعبُ مِن الانحدار[٣] .

٥ وكِعَاباً كأَنَّمَا أَلبَسَتْهَا غَفَلاتُ الشَّبَابِ بُرْدًا قَشِيبَا
٦ بَيَّن البَيْنُ فَقْدَها قَلَّمَا تَعْ رِفُ فَقْدًا للشَّمْسِ حتَّى تَغِيبا
٧ لَعِبَ الشَّيْبُ بالمَفَارِق بلْ جَ دَّ فأَبْكَى تُمَاضِرًا ولَعُوبَا

« تُماضر » و « لَعُوب » من أسماء النساء ، واشتقاقُ تُماضرَ من قولهم عَيْشٌ مَضِر ، أى حسن ناعم ، وأكثرُ ما يُستَعمل فى الإتباع ، يُقال خَضِرٌ

= وقال الخارزنجى – وروى « تخدم الشوق » – : أى لا تنتظر ما سيكون من جوابها فإنها لا تجيب ، وتكون أنت فى حالتى السؤال والإجابة خادماً للشوق ، لأن الشوق يحمل على السؤال وعلى البكاء فأنت مطيع له تخدمه كيف أمرك . وقال : ويروى « تحذم الشوق » أى تهيج ، من الاحتذام . وقال ابن المستوفى : أراد أنه إذا سألها وجعل بكاه جوابها فقد ألهب الشوق فى حالتى سؤاله وإجابته .

(١) س : « قد شهدنا » وفوقها بين السطور « وعهدنا » – ل : « عهدت » ورويها ظ .

(٢) ل ، ظ : « أكثر الناس » .

(٣) فى ظ قال الخارزنجى : أراد بالصعود الكؤود من الهوى ، وبالصبوب اللين المطاوع .

خَضِراً مَضِراً ، أى بحُسنه ونضارته ، وقد يجوز أن يكون « تُماضِر » من مَضَرَ اللبَنُ ، يقال لَبَنٌ ماضِرٌ أى حامض ، وقيل الماضرُ الأبيض . [ع] والأجود أن يكون « تُماضر » و « لعُوب » معرفتَيْن صرَفهما للضرورة ، ولو جعلهما نكرتين لم يبعُد ذلك ، إلاّ أنّ كونَهما معرفتين أحسن .

٨ خَضَبَتْ خَدَّهَا إلى لُؤلُؤ العِقْـ

دِ دمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِى خَضِيبَا

٨ — « خَضَبَتْ » أى بالدمع الذى فيه الدَّمُ . و« الشَّواة » جِلْدةُ الرأس ، ويقال للجلد كلِّه شواة ، لأنه يَعلو الجَسَد ، وكذلك قالوا فى قَوْل أبى ذُؤيْب :

إذا هى قامَتْ تَقْشَعِرّ شَوَاتُها ويُشْرِقُ بين اللِّيْتِ مِنها إلى الصُّقْلِ (١)

ويُروى « سَرَاتى » أى أعْلاه ، والمعنى الذى أراد الطائى : أنه قد شاب فخضَب الشيْبَ . [ص] و « الشوَى » أيضا الأطراف ، « والشَّوَى » إخطاءُ المقْتَل ، ومنه قولهم : كلّ مصيبة ما أخطأتك شوًى .

٩ كلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إلا

(م) الفَظِيعَيْنِ (٢) : مِيتَةً ومَشِيبَا

١٠ يا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى

حَسَنَاتِى عِنْدَ الحِسَانِ (٣) ذُنُوبَا

[ص] « يا نَسيبَ الثَّغام » يعنى أنّ الشيْبَ يُشبه الثغامَ فى البياض ،

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٣٥ .

(٢) م ، ل : « القطيمين » .

(٣) هـ م : « عند الغوانى » .

و « الثغام » نَبْتٌ أبيض(١) .

١١ ولَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْ كَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعِيبَا

١٢ أوتَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لَكَفَى بالشَّ ميب بَيْنِي وبَيْنَهُنَّ حَسِيبَا

[ص] « تَصَدَّعْنَ » أى تفرقن عنى لِشيبي فكفى به كافيًا ، يقال

---

(١) أورد ابن المستوفى الأبيات الأربعة : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وقال فى شرحها : قال الآمدى : ومما يسأل عنه من معانيه قوله (وأنشد الأبيات الأربعة) فيقال كيف يقول إنها بكت و إنها خضبت نحرها دماً ثم يقول إن حسناته صرن ذنوباً وإنهن عبن ما رأين ، وكيف تكون باكية على شبابه وعائبة له فى حال واحدة ؟ الجواب : أنها إنما بكت أسفاً على الشباب وهرباً من الشيب ، فقد تبكى الغانية إذا عرضت على الأشيب وتقول لا أريده ؛ وقد يجوز أن يكون أضرب عن هذه الباكية وعن معنى البيت الأول إلى حبائب أخر عبنه وزرين عليه ، وقد يجوز أن تكون الباكية عليه هى العائبة لأنها تبكى عليه فى حال وتضحك منه فى حال أخرى ، كما قال الوليد بن عبيد البحترى :

رأت طالعاً للشيب فابتسمت له وقالت : نجوم لو طلعن بأسعد

أراد أنها هزئت منه ، فالمعنيان صحيحان لا يتناقضان ، وقد قال أبو تمام فى موضع آخر :

يضحكن من أسف الشباب المدبر يبكين من ضحكات شيب مقمر

فقوله« يضحكن من أسف الشباب » فى غاية الرداءة لأنه غير معروف فى كلامهم الضحك من الأسف بل الضحك يكون منهن استهزاء وسخراً والبكاء قليل منهن فى مثل هذا ، وإنما يبكى على الشباب صاحبه ، فأما المرأة فليس عندها إلا الصدود والإعراض والمقت والانحراف ، هكذا طريقة القوم فى هذا المعنى ، فأما قول الأخطل :

لما رأت بدل الشباب بكت لـه إن المشيب لأرذل الأبـدال

فإنما أراد بكت للشباب وذهابه لا غير .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وفى حاشية الكتاب الذى نقلته بخط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزنى : يجوز أن يكون أراد أنهن ضحكن من شدة الأسف والحزن ، وهذا قد يعترى من يهجم عليه أمر عظيم من الحزن فيضحك وهو على نهاية الحزن والهم ، كما قيل شر النوائب ما أضحك ، وإذا كان هذا سائغاً خرج أبو تمام من قبح ما نسبه إليه . ثم قال ابن المستوفى بعد هذا أيضاً : قوله « شر النوائب ما أضحك » هو من قوله :

ولمـا تولـوا بأخـراجهم وظلت بهـم عيسهم ترتك

ضحكت من البـين مستهزئاً وشر المصائب ما يضحك

وأورد بعد ذلك رد المرتضى أبى القاسم على بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) على الآمدى ، قال فيه : وليس يحتاج لأبى تمام إلى ما تكلفه الآمدى ، بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وأن كل من قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتى أنكرن شيبه وعبنه به ، وما المنكر من ذلك ؟ وكيف يتناقض أن يبكى على شبابه ونزول شيبه منهن من رأين الشيب ذنباً وعيباً منكراً ؟ وفى هذا غاية المطابقة ، لأنه لا يبكى للشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً معيباً .

أحسبَني هذا الشيءُ أي كفاني .

١٣ لَوْ رَأَى اللهُ أنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً جاوَرَتْهُ الأَبْرارُ فِي الخُلْدِ شِيبا

١٤ كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيالِي خُلُقاً مِن أَبِي سَعِيدٍ رَغِيبا[1]

١٥ طابَ فِيهِ المَدِيحُ والتَذَّ حَتَّى فاقَ وَصْفَ الدِّيارِ والتَّشْبِيبا

١٥ — لأن أطيبَ الشعرِ ما كان تَشبيباً ، وقد صار مدحُه ألذَّ وأطيب .

١٦ — لو يُفَاجَا رُكْنُ النَّسِيبِ كُثَيِّرٌ بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَسِيبا

أصل « يُفاجَا » الهمزُ وتخفيفه جائزٌ على كلِّ مَذهب . (ع) ويجوز أن يُروَى « يُفاجا رُكنُ النَّسيب » على ما لم يُسمَّ فاعله ، ويكون « كثيرٌ » بدلاً من « الركن » ، لأنَّ الطائى قد حكم لِكُثيِّر بالتقدّم فى النَّسيب . والهاءُ فى « مَعانيه » راجعةٌ على الممدوح . ويجوز أن يُروَى « يُفاجِى رُكنَ النسيب » على أن تجعل « رُكنَ النَّسيب » مفعولاً لِكُثيِّر ، ويكون المعنى : أنَّ كُثَيِّراً لو فاجأ رُكنَ النَّسيبِ بمعانى هذا الممدوح لَخالهن ركنُ النَّسيبِ نسيباً من حُسنهن[2] .

---

(١) م ، د : « عجيباً » .

(٢) قال الصولى فى شرحه : هذه القصيدة لما قرأتها على أبى مالك سألته عن هذا البيت ؟ فقال : أراد كثيراً فرده إلى أصل الاسم ولم يصغره ، قلت : وكيف خص كثيراً ؟ قال : سمعته يقول غير مرة : أمدح الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير . يقول : لو بلغ كثيراً هذا المديح على كثرة مدحه لخاله من حسنه نسيباً .

وقد أتى ابن المستوفى بكلام الصولى هذا فى كتابه وعقب عليه بقوله : إنما اعتمد على كثير من دون الثلاثة لأنه أحسنهم نسيباً ، وهو كذلك ، ولو أراد المدح لقال « زهير » ولم يتغير الوزن ، اللهم إلا أن يكون كثير أمدح الناس الثلاثة عنده أيضاً ، والعلماء يقدمون زهيراً فى المديح ، فيقولون : وزهير إذا رغب ، ومع الرغبة يجود المدح لأنه يوصل إلى المطلوب ، وتوصل الراغب مشهورة جودته ، وعلى أن أبا تمام وصف كثيراً بجودة النسيب فى قوله فى موضع آخر * وكثير عزة يوم بين ينسب * فيقول لو فاجأ هذا المديح كثيراً لخاله من رقته وجودته نسيباً ، ففضله عليهما فى طريقة النسب . وهو لعمر الله ألطفهما نسيباً لفظاً ومعنى ، ولولا ذلك لوقع موقعه « جرير » و « جميل » لكن كثيراً أحسنهما نسيباً .

١٧ غَرَّبَتْهُ العُلَى على كثرةِ النَّا
سِ[(١)] فَأَضْحَى فى الأَقْرَبينَ جَنِيبَا

[خ] يقول : جعلتِ العُلَى والمكارمُ هذا الممدوحَ غريبًا فى الناس فلا يُوجد له نظيرٌ فيهم .

١٨ فليَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فى مَرْ وَ مُقِيماً بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

تفسير لقوله « فأضحى فى الأقربينَ جنيبا » . [ص] خص مَرْوَ لأنه من أهلها ، وهو طائىٌّ كان من قوّاد حُمَيد الطُّوسى . يقول : فلومات بِمرْوَ وهى بَلَدُه لماتَ غريبًا ليس أحدٌ يُشابهه فى الجود .

١٩ سَبَقَ الدَّهْرَ بالتِّلادِ ولم يَنْ تَظِرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنُوبَا

[خ] أى لا ينتظر بمالِه نائباتِ الدّهرِ فيَبذُلَه فيها إذا نابته ، ولكنه يسبِق النائباتِ فيه فيجود به عفوًا .

٢٠ فإذاما الخُطُوبُ أعفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوادِثاً وخُطُوبَا

[ص] يقول : الحوادثُ والخُطوبُ تَذهب بمالِه، فإذا لم يكن خُطوبٌ وحوادث فراحتاه بتفريق مالِه من أعظم الحوادث والخطوب[(٢)] .

٢١ وصَلِيبُ القَنَاةِ والرأْيِ والإِسْ
لامِ ، سَائِلْ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبَا[(٣)]

---

(١) س ، م ، د : « الأهل » وبهامش م الرواية .

(٢) وقال ابن المستوفى فى الرد على الصولى : ناقض بقوله « الحوادث والخطوب تذهب بماله » قوله « سبق الدهر بالتلاد » البيت .

(٣) فى ظ قال الآمدى : قوله « صليب القناة » يريد رمحه وليس يريد صلبه وظهره ، ولو أراد ذلك ما كان مدحاً ، وصليب الرأى جائز سائغ ، « وصليب الإسلام » فيه قبح لأنه غير مستعمل ، ولكن المنسوق قد يحمل على معنى ما نسق عليه إذا كان مقارباً له كثيراً ، يقولون : فلان صلب فى دينه : أى قوى شديد ، أما إذا لم يستعمل مع لفظة « الإسلام » فنعم ، وفيه نظر ، وإن كان « الدين » هو « الإسلام » كما قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » .

٢٢ وَعَّرَ الدِّينَ بالجِلادِ وَلكِنْ ... نَ وُعُورَ العَدُوِّ صارَتْ سُهُوبا

٢٢ ــ « الجِلادُ » المضاربة بالسيوف . [ع] وقوله « وَعَّرَ الدِّينَ » أى جَعَله وَعْرًا على العَدُوِّ ، ويَدُلُّ على أنّه أراد ذلك قوله « ولكنّ وُعُورَ العَدوِّ صارَتْ سُهوبًا » و « السَّهْبُ » المستوى من الأرض . ويَحتمل معنًى آخر : وهو أنه لما نُدِب إلى الجهاد وذُكِرَ أنه لا يتمّ الدِّينُ إلاّ به، وَعّرَه على مَن يتدين به . أى جَعَله صَعْبَ المسلك ، لأن الجِلادَ يؤدّى إلى القتل .

٢٣ فَدُرُوبُ الإِشرَاكِ صارتْ[1] فَضَاءً ... وفَضَاءُ الإِسلَام يُدْعَى[2] دُرُوبَا

٢٤ قَدْ رَأَوْهُ وهُوَ القَرِيبُ بَعِيدًا ... ورَأَوْهُ وهُوَ البَعِيدُ قَرِيبَا

٢٤ ــ « بعيدًا » لأنهم لا يقدرون عليه لامتناعه ، و « قريبًا » لسهولته عليهم وتمكنهم منه[3] .

٢٥ سَكَّنَ[4] الكَيْدَ فِيهمْ إنَّ من أعْ ... ظَمِ إرْبٍ ألاَّ يُسَمَّى[5] أرِيبَا

[ع] « الكَيْد » المكر . أى مَكر بهم مكرًا فى سكون ، وتسمَّى الحرب كيدًا لأنها تكون بالخديعة والمكر . و « الإِرْب » الدَّهاءُ والعقل . وبقية البيت شرحٌ لقوله « سَكّنَ الكيد فيهم » : أى إذا كان الرجل يُظَنّ أنّه غير داهٍ

(١) م ، ل ، س ، د : « تدعى » . (٢) ظ « صار » .

(٣) فى ظ قال الخارزنجى : يقول إذا كان منهم قريباً لم يجترئوا على أن يتعرضوا للثغر البعيد منه ، علماً بأنه لا يستبعد ذلك ، فهم يرونه بعيد الغزوة وهو منهم قريب ، وإذا بعد لم يأمنوه ورأوه قريب الغزوة . وفى الحاشية من كتابه : التبست عليهم حالاته فى القرب منهم والبعد عنهم كيداً منه إياهم ، فبينا يظنونه بعيداً وهم له آمنون إذا هو قريب ، و بينا يظنونه قريباً إذا هو بعيد .

(٤) قال الصولى : ويروى « ساكن الكيد » .

(٥) ب ، ن ، د ، ظ : « يسمى » .

وهو بخلاف ما يُظنّ كان أبلغ لفعله فى العلوّ * وكان يقال فى صدر الإسلام : إذا عُلِم أن الرجل داهٍ فليس بداه . ومن ذلك قولُ العامة فى الذين ينصبهم السلطان لرفع الأخبار إليه من حيث لا يعلم بهم الناس : إذا عُلم أنك صاحبُ خبر فلستَ بصاحبِ خبر . •

٢٦ مَكْرُهُمْ عِنْدَهُ فَصِيحٌ وإنْ هُمْ
خَاطَبُوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

[ع] عَنَى « بالجَلِيب » الأعجميَّ الذى يُجْلَبُ من بلده على معنى السَّبي ، فلذلك استجاز أن يقابل به الفصيح[1] .

٢٧ ولَعَمْرُ القَنَا الشَّوَارِعِ تَمْرِى
مِنْ تِلَاعِ الطُّلَى[2] نَجِيعاً صَبِيبَا

« الشَّوارعُ » المُنْحاةُ نحوَ الأقران ، و « تَمْرِى » تستخرج ، و « التِّلاع » ها هنا مستعارة ، وأهل اللغة يذكرون التَّلْعةَ فى الأضداد ، يقولون لأعْلَى الوادِى تَلْعة ولأسفلِه تَلْعة ، ويُكنَى بذلك عن المرتفع والهابط من الأرض ، و « الطُّلَى » الأعناق .

٢٨ فى مَكَرٍّ للرَّوْعِ كُنْتَ أَكِيلاً
لِلمَنَايَا فِى ظِلِّهِ وشَرِيبَا[3]

[ع] « الأكِيلُ » و « الشَّرِيبُ » هاهنا « فَعِيل » بمعنى « فاعل » ، كما تقول فلانٌ جليسُ فلان ومُجالِسُه وصديقُه ومُصادِقه . أى كنتَ مواكلاً

(١) قال الصولى فى شرحه : هذا مثل ، يقول مكرهم ظاهر عنده بين كبيان كلام الفصيح ، ومكره عندهم كالجليب الذى لا يفهم ولا يبين .

وشرحه الآمدى بمثل هذا فى ظ وقال : فجعل المكر يخاطب وجعله أعجمياً ، ودل على عجمته بالجلب ! وما أظن أبا الدبر لو تعمل للسخف كان ينتهى إلى هذا الحد !

(٢) س ، ظ ، د : « الكلى » .

(٣) ظ : ويروى : « للمنايا به وكنت شريبا » .

للمنايا ومُشاربـًا * وعلى هذا يحمل قوله تعالى: « عن اليمين وعن الشمال قَعِيد » أى مُقاعِد .

٢٩ لَقَدِ انصَعْتَ والشِّتَاءُ لهُ وَجْـ ـهٌ يَرَاهُ الكُماةُ جَهْماً قَطُوبَا

« انصاعَ » أخذ فى شِقّ وهو « انفعل » من قولهم صاع الشىء إذا فرّقه . أى مضيْتَ إلى الرّوم فى وقت من الشِّتاء شديدِ البرد .

٣٠ طَاعِناً مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحاً لبِلاَدِ العَدُوِّ مَوْتاً جَنُوبَا

[ع] يدل على أنه « مَنْحَر » بالحاء غيرَ معجمة قولُه « طاعنًا » ، والمعنى أنه يغزو بلاد العدوّ وهم فى ناحية الشمال فيجيئهم بموت من ناحية الجنوب . ولو رويتَ « مَنخِرَ الشّمال » لكان ذلك وجهًا ، لأن المنخِرَ يجىء منه النَّفَس ، والرِّيح تسمى نَفَسًا ويجعل لها أنفاس[1] .

٣١ فِى لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِى[2] بِخَدِّ الشَّمْـ

سِ مِنْ رِيحِها البَلِيلِ شُحوبَا

أكثر ما يفسّرون « البَلِيل » إذا كان من صفة الريح بالباردة ، والاشتقاقُ يدل على أن البَلِيل التى فيها شىء من المطر .

٣٢ سَبرَاتٍ إذا الحرُوبُ أُبِيحَتْ[3]

هَـاجَ صِنَّبْرُها فكانَتْ حُروبَا

[ع] « السَّبَرات » الغَدَواتُ الباردات ، الواحدة سَبْرَة . و « الصِّنَّبْر »

---

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : لو أن أبا العلاء سكت عند قوله « ولو رويت منخر الشمال » لكان فيه بعض الأمر ، أما أن يعلله بما علله فلا يصح .

وقال الصولى خص الجنوب بنعت الموت ، أراد أنها تجىء بالمطر كما تسيل أنت الدم .

(٢) ن ، ب « تبدى » وبهامشهما رواية الأصل .

(٣) س : « إذا الحتوف أتيحت » وبهامشها رواية الأصل — ل ، د ، هم : « إذا الحروب أتيحت » .

واحدُ صَنابِرِ الشتاءِ وهو شدة البرد ، و « أبيختْ » مِن باختَتِ النارُ تبوخ إذا سكنَ لهبُها . والمعني : أنّ هذه الأوقاتَ إذا سكنَتْ فيها الحربُ الكائنةُ بينَ الإنس يَهيج صِنَّبرُها فتكون كالمحاربة لمن سلك فيها .

٣٣ فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فى أَخْدَعَيْهِ
ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبَا

« الأخْدَعان » عرقان فى العُنق ، يقال للرجل إذا كان أبيًّا صعباً إنه لشديد الأخْدَع ، وقد استقام أخدعُه ، قال الشاعر :

قد كنتُ أشْوَسَ فى المقامة سادرًا فنظرتُ قصدى واستقامَ الأخدَعُ[١]

٣٤ لَوْ أَصَخْنَا مِن بَعْدِها لَسَمِعْنَا
لِقُلُوبِ الأَيَّامِ مِنكَ وَجِيبَا

« من بعدها » أى من بعد الضَّرْبة ، أو هذه الحرب . و « الإصاخة » إمالة الأذُن للسَّمْع ، وقد حُكيتْ بالسين وهى رديئة . و « الوَجِيب » صوتُ حركة القلْب ، فرّقوا بين وَجَب القلبُ ووَجَب الحائطُ بالمصدر .

٣٥ كُلُّ حِصْنٍ مِن ذِى الكَلاعِ وأَكْشُو
ثَاءَ[٢] أَطلقْتَ[٣] فيه يَوْماً عَصِيبَا

[ع] « الكُلاَع » يُضم ويُفتح . و « ذو الكَلاع » ها هنا اسم حصن ،

(١) قال الصولى فى شرحه : يقول مضيت على هوله ولم تباله ، وضرب لذلك مثلا فقال « فضربت الشتاء فى أخدعيه » ، وغادرته أى تركته ، و « عَوْدا » . أى جملا مسناً حمل طويلا ، و « ركوباً » مذللا ، يريد فصيرت الشتاء سهلا .

وقال الخارزنجى فى ظ : يعنى ضربت الشتاء بعدد أعددتها له من الدفء حتى هان عليك ولم يصعب ، فصار ذلولا منقاداً لا يلتوى عليك .

وقال ابن المستوفى ، هذا من قبيح استعاراته وشنيع عباراته .

(٢) « وأكشوثاء » حصن ببلاد الروم .

(٣) م ، ل ، س ، ظ : « أطلعت » ورواية الأصل بهامش س .

وكأنه فى الأصل منسوب إلى رجل من ذِى الكَلاَع ، لأن فى حِميرَ بُطونًا يُعْرفون بهذا الاسم ، وفى الإسلام رجل يقال له ذو الكَلاع وهو سُمَيْفَع بن باكُور . ويقال يوم عصيب أى شديد، وكذلك عاصب، كأنه يُراد أنه يَعصِب القوم أى يجمعهم بعصاب كما تُعصَب الشجرةُ لتُخبَط . وكأن الطائىّ جاء بـ « عصيب » مع « أطلقْتَ » لأن الإطلاق عنده ضدّ العصْب ، ولأنهم يقولون عصبتُ الأسيرَ إذا شددته بالقِدّ أو غيره ، ويقال للأسير مُعَصَّب .

٣٦ وصَلِيلاً مِنَ السُّيوفِ مُرِنًّا وشِهَاباً مِنَ الحَرِيق ذَنُوبَا

أى أطلقتَ فيه يومًا عصيبًا ، وسيوفًا تَصِلُ — تقطع أعناقهم — ونارًا تُحرقُهم . [ع] « الصَّلِيل » صوت الحديد بعضه على بعض ، وقوله : « ذَنوبًا » أى له ذَنَبٌ طويل ، ومَن روى « دَبوبًا[1] » فمعناه صحيح ، ولكنه تصحيف ، ويشهد لـ « ذَنُوب » بالذال قوله فى الأخرى :

* إذا بَدَا الكَوْكَبُ الغربىّ ذُو الذَّنَبِ *

٣٧ وأَرَادُوكَ بالبَيَاتِ ومَنْ هَـ ـذا يُرَادِى مُتالِعاً وعَسِيبَا ؟

[ص] « المُرَاداةُ » المُراماة . يقول : من أرادك بالبيات مع حزمك وتيقّظك فكأنه يُرامى هذين الجبلين * (ع) « البَيَاتُ » أن يغترّ القومَ العدوُّ فيطرقهم وهم بايتون . وقوله : « ومَن هذا يُرادِى » « هذا » هاهنا فى معنى « الذى » وهو كلام معروف وقد حكاه جماعة ، وعلى هذا قد حملوا قول يزيد بن مفرِّغ :

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنْتِ وهذا تحْمِلِينَ طَلِيقُ[2]

أى الذى تحملين ، ومَن جعل « ذا » زائدة فى قوله : « ماذا فعلْتَ » لم يبعد أن يجعل « هذا » زائدة فى بيت الطائى . ولم يُرِد إلا أن يجعل « هذا » فى معنى « الذى » . وقد يحتمل أن يجعل « مَنْ » مبتدأ على معنى الاستفهام ، و « هذا » خبرُه ، ويكون فى الكلام معنى الإنكار ، كما تقول إذا وقف بحذائك رجل فرُمِىَ بحجر : مَنْ هذا يُرمَى بالأحجار ؟ فيكون قولك « يُرْمَى » فى موضع نصب

---

(١) وهى رواية س ، د : وفى ظ : عن ابن الليث أى يدب ، وبخطه ويروى « رتوبا » أى راتبا ، وبخطه أيضاً ويروى « دؤوباً » . (٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ .

على الحال . و « يُرادِى » يُرامِى ، وأصله الرمىُ بالحجارة ، ويقال للحجر العظيم مِرْداة ، ومن أمثالهم كلّ ضَبّ معه مِرْداته[١] .

٣٨ فَرَأَوْا قَشْعَمَ السِّيَاسَةِ قد ثَقَّ
فَ مِنْ جُنْدِهِ القَنَا والقُلُوبَا

أصل « القَشْعم » المُسِنّ من النُّسور ، ثم استعير ذلك لغير النسر ، ويقال لربيعةَ بن نزار : ربيعةُ القشعم ، وقيل أرادوا أنه أقدم الربايع التى فى العرب ، وقيل بل كان أكبر إخوته سنًّا [ع] و « قشعم السياسة » يحتمل أن يكون معرفةً ونكرة ، فإذا كان معرفة فكأنه قال : فرأوْ شيخ السياسة وصاحبَ التجربة ، ويكون الممدوح هو الموصوف بالقشعم ، وإذا جعلت « قشعم السياسة » نكرة فمعناه قشعمًا سياسته ، أى سياسته قديمة .

٣٩ حَيَّةُ اللَّيْلِ يُشْمِسُ الحَزْمُ مِنهُ[٢]
إنْ أَرَادَتْ[٣] شَمْسُ النَّهارِ الغُروبَا

[ع] يعنى أنه يسرى فى الظُّلَم ، وكثير من الحيّات يترقب الليل فتخرج فيه لابتلاع فراخ الطائر الذى تقرب منه ، تقول العرب حيَّة الوادى وحية الجبل ، فأما حية الليل فيجوز ألا يكون أحد استعملها قبل الطائى[٤] * معناه أنه يستعد لأعدائه فلا ينام ، وحزمه يضىء بالليل فيصير كاليوم الشَّامِس .

---

(١) مجمع الأمثال ٢ : ٥٢ .

(٢) ل : « فيه » ، وروتها ظ .

(٣) ل : « حين فاتت شمس النهار غروباً » . وقال الصولى و « فاتت » رجعت . ويروى : « إن أرادت شمس النهار الغروبا » : ولا معنى له لأنه لا بد من غروبها . وفى ظ : روى الآمدى « فاتت » ، وهى رواية الخارزنجى أيضاً .

(٤) قال ابن المستوفى : قوله « حية الليل » كلام صحيح لأن الحيات توصف بالكمون فى النهار وفى القمر ، وبالدبيب فى الظلمة ، قال خلف الأحمر :

* تنساب فى النحس وتمشى فى القمر *

– قال ابن دريد « النحس » الغبار فى أقطار السماء – فجعله أبو تمام حية الليل ليكون أدهى ، ثم قال « يشمس الحزم فيه » فجمع بين الشمس والليل وهذا غريب .

٤٠ لَوْ تَقَصَّوْا أَمْرَ الأَزَارِقِ خَالُوا
قَطَرِيًّا سَمَا لَهُمْ أَوْ شَبِيبَا

[ع] « لو تَقَصَّوْا » من قولك تَقَصَّيْتُ عن الخبر إذا طلبت أقصاه لتعلم حقيقته . و « الأزارِق » من الخوارج الذين يُعرفون بالأزارقة ، نُسِبوا إلى نافع بن الأزْرَق . « وقَطَرِىّ بن الفُجاءة » التميمى من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، تَفاقم أمرُه فى أيام الحجاج وبنى مرْوان حتى سُيِّرت إليه البعوث العظيمة . وشَبِيب ابن نُعيم بن مَزْيد الشيبانى رئيسُ الخوارج أيضًا . أى هذا الممدوح فى شدته ونجدته أحد هذين .

٤١ ثُمَّ وَجَّهْتَ فَارِسَ الأَزْدِ وَالأَوْ
حَدَ فى النُّصْحِ مَشْهَدًا ومَغِيبَا

٤٢ فَتَصَلَّى مُحمَّدُ بنُ مَعَاذٍ
جَمْرَةَ الحرْبِ وامتَرَى الشُّؤْبُوبَا

٤٢ — « محمد بن مُعاذ » هو فارس الأزْد الذى وجَّهه إليهم . و« الشُّؤبُوب» سحابة دقيقة العرض شديدة الوقع ثم استعير ذلك فى الحرب ، وليس فى كلامهم الشَّأب لأن الشؤبوب يحتمل أن يُشتقّ من ثلاثة أشياء : من الشأب وهو مُمات ، ومن شبَّ النارَ والحرب ، وتكون الهمزة زائدة فيكون وزنه « فُؤْعُولاً » وهذا هو الوجه فيه ، زِيدتْ فيه الهمزةُ كما زِيدت فى « شَأْمَل » ، ويحتمل أن يكون فُعْلُولاً ، من شاب يَشُوب أى خلط ، وهُمِزَت الواوُ لمجاورتها الضمةَ ، كما حكوا مُؤْسَى فى مُوسَى ، وأُخذ من الشَّوْب لأن غَيْمة ليس بالمُلْبِس جميعَ السماء فكأنه شابَ الصَّحْوَ بالغَيْم ، وقولهم شآبيب يَدُل على أن الهمزة قوية ، فإما أن تكون كهمزة شأمل ، وإما أن يكون إبدالها من الواو فصار كالأصل[1] .

---

(١) قال الصولى فى شرحه : « امترى » مسح الضرع للحلب ، فيريد أنه قتل المشركين فكأنه احتلب دماءهم بالرماح ، لأنه ذكرها فى البيت الثانى .

٤٣ بالعَوالِى يَهتِكْنَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ
صَــدْرَهُ أَوْ حِجَـابَهُ المَحْجُوبَا

٤٤ طَلَبَتْ أَنْفُسَ الكُماةِ فَشَقَّتْ
مِن وراءِ الجُيوبِ مِنهُمْ(١) جُيُوبَا

٤٤ – أى طلبت هذه الرماحُ أنفسَ الكُماةِ فشقت جيُوب دُروعهم ، ونفَذَت إلى القُلوب فقتلتهم وحمَلَت نِساءهم على شق جيُوبهن .

٤٥ غَزْوَةٌ مُتْبعٌ ولَوْ كَانَ رَأْىٌ لَمْ تَفَرَّدْ بِهِ لَكَانَت سَلُوبَا

[ع] « المُتْبِع » التى يتبعها ولدُها ، وكأنه غزا ثم عقَّب ، فكانت التعقيبة للغزاة الكبرى كالولد التابع ، وكان ذلك الفعل من رأى الممدوح لم يُشارك فيه ، ولو كان شاور أصحابه لأشاروا عليه بأن لا يُعقِّب فكانت الغزاةُ سلوبًا لا ولدَ يتبَعُها ، يقال ناقةٌ سَلُوب إذا سُلب منها ولَدُها بموت أو ذبح . ويجوز رفع « رأى » على أن يكون « كان » فى معنى وقع ، ونصبه على أن يكون فى « كان » ضمير(٢) .

٤٦ يَوْمَ فَتْحٍ سَقَى أُسُودَ الضَّوَاحِى
كُثَبَ المَوْتِ رَائِباً وحَلِيبا

[ص] « كُثَب » جمع كُثْبَة وهو القليل من اللبن المجتَمع ، وكلُّ قليل مجتمع كُثْبَة ، ومنه الحديث : « يعمدُ أحدكم إلى المرأة المُغيبة فيخدعها بالكُثْبة لا أوتَى بأحد فَعَل ذلك إلا نَكَّلْتُ به »(٣) .

---

(١) ب : منها .

(٢) قال ابن المستوفى : النصب أجود لأنه إذا رفع جاز أن يقع رأى من غيره يتفرد هو بعمله ويحتاج إلى محذوف تقديره لو وقع رأى منك ، وأما إذا كانت ناقصة فيكون المعنى لو كان الذى رأيت رأياً لم تتفرد به ، فيكون الرأى منه والعمل له معاً . وهى رواية د .

(٣) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب كمحسن غاب زوجها (قاموس) .

٤٧ فإِذَا مَا الأَيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْساً
كُظَّماً فِى الفَخَارِ قَامَ خَطِيبَا

يقال للساكت كاظمٌ وكَظُوم ، وكَظَم البعيرُ على جِرّته إذا أمسكها فى فيه ، وكَظَم غيظَه إذا سكت ، فكأنه خنقه ، ويقال أخذ بكَظَمِه أى مُخنَّقِه .

٤٨ كَانَ دَاءَ الإِشْرَاكِ سَيْفُكَ واشْـ
تَدَّتْ شَكَاةُ الهُدَى فكنْتَ طَبِيبَا

٤٩ أَنْضَرَتْ أَيْكَتِى عَطَايَاكَ حَتَّى
صَارَ سَاقاً عُودِى[1] وكانَ قَضِيبَا

٤٩ – أى جعَلْتها نَضِيرةً ، و « النَّضارةُ » الخُضْرَة ، وأصْلُ « الأيكةِ » الشجرُ المُلتَفّ .

٥٠ مُمْطِرًا لى بِالجاهِ والمَالِ لاَ أَلْـ
قَاكَ إِلاَّ مُسْتَوْهِباً أَوْ وَهُوبَا

يقول : بذَلْتَ لى المالَ والجاه ، فلا أراكَ إلاّ وأنت تَهَبُ لى وتَستوهِب غيرَك لى .

٥١ فإِذا ما أَرَدْتُ كُنْتَ رِشَاءً وإِذا ما أَرَدْتُ كُنْتَ قَلِيبَا

[ص] يقول : مرّةً تُعطِينى ومرّةً تُعرِّضنى لمن يُعطِينى .

٥٢ بَاسِطاً بالنَّدَى سَحَائِبَ كَفٍّ بِنَدَاهَا أَمْسَى حَبِيبٌ حَبِيبَا

[ع] : « حَبيبٌ » الأوّل اسم الشاعر ، و « حَبيبٌ » الثانى فى مَعْنى

---

(١) س ، د : « صار عودى ساقاً » .

مَحبوب ، والمعنى أنك مَوّلتَنى فأحبَّنى النَّاسُ لأنى صِرتُ أعطيهم مِن عَطاياك ، والغَنىّ يُحَبّ لِوجْهين : إعطائِه النـــاسَ وكفِّه المسألةَ عنهم ، قال أحَيْحةُ بنُ الجُلاحِ :

إنِّى مُقيمٌ على الزَّوْراء أعمُرها إنَّ الحبيبَ إلى الأهلينَ ذو المالِ [1]

وقال آخر :

كأنَّ فقيرًا حِينَ يَطْلُبُ حاجَةً إلى كلّ مَنْ يَلْقَى من النَّاسِ مُذْنِب

ويَجوز أنْ يكون « حَبيبٌ » الثانى هو « حَبيبٌ » الأوّل كما تقول : بِك صار فلانٌ فُلانًا ، أى عُرِف واشتُهِرَ وصار له مَوْضع ، ويكون مِن نحو قولهم : أنتَ أنتَ وعَمْرٌو عمْرو .

٥٣ فإذا نِعْمَةُ امْرِئٍ فَرِكَتْهُ فاهتَصِرْها إليْكَ وَلْهىَ عَرُوبَا

[ع] فرِكَتْهُ مِن فِرْك النساء وهو بُغْضُهن لأزواجهن . وما أخرَج الفِرْكَ مِن الحيوان إلى غيره من الشعراء أحَدٌ قبلَ الطائى . وقولُه « فاهتَصِرْها » أى اعْطفها إليك ، من قولهم هَصرتُ الغُصْن . و « وَلْهىَ » أى أنها من شوقها إليك قد ذَهَب عَقْلُها . و « عَروبًا » أىْ متَحبِّبةً إلى الزوج * . وقيل فى قوله « فاهتَصِرْها » فاجتَذِبْ نِعْمتَه إليك ، وقيل معناه إذا أبغَضَت امرءًا نِعْمتُه لأنه يَضَعُها فى غيرِ مَوْضعها فاجتذِبْ إليكَ نِعْمتَكَ التى تُحِبك وتَجِدُ بكَ وَجْدَ العَروبِ لإلْفِها لأنك تَضَعُها فى مَوْضِعها ، وهو الوَجْه .

---

(١) الأغانى ١٣ : ١١٩ . والرواية فيه : « إن الكريم على الإخوان » .

وقال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء فى قوله « والغنى يُحب لوجهين ... » . الغنى مطلقاً يحب ، لا لإعطائه الناس ، ولا لكفه السؤال عنهم ، بل لما فى الأنفس من الميل إلى الغنى والميل عن الفقير وإن لم يسألهم ، وهذا مشهور مذكور فى أبوابه ، وقد أوضح هذا المعنى الذى ذكرته أبو بكر محمد بن الحسن فقال :

عبيد ذى المال وإن لم يطمعوا من غمرة فى جرعة تشفى الصدى
وهم لمن أملــق أعــداء وإن شاركهـــم فيما أفاد وحـــوى

وقال آخر :

وكان بنو عمى يقولون مرحباً فلما رأونى معلقاً مات « مرحب »

٥٤ وإذَا الصُّنْعُ كانَ وَحْشاً فَمُلِّ
يتَ بِرَغْمِ الزَّمانِ صُنْعًا رَبِيبَا[1]

٥٥ وَبقَاءً حَتى يَفُوتَ أَبو يَع
قُوبَ فِى سِنِّهِ أَبَا يَعقُوبَا

٥٥ – [ع] « أبو يَعْقوب » وَلَدُ الممْدُوح ، واسمُ المملوح محمد بنُ يوسفَ ، واسمُ ولده يُوسُف باسم جَدِّه . فيجوز أن يعني : حتى يعيشَ ولَدُكَ أكثرَ مما عاش أبوك ، وهذا أشبهُ ما يُقال فيه ، وقد ذَهَبَ قومٌ إلى أنه يَعني بأبي يعقوبَ إسحاقَ بنَ إبراهيم أبا يعقوبَ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلّم .

---

(١) شرحه فى ظ : كأنه أراد بذلك من قولهم رجل صنع اليدين إذا كان حاذقاً ماهراً ، وأنشدوا لأبى ذؤيب :

وعليهمـا مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ

و « الصُّنع » مصدر صنع الله معروف ، أى إذا كان صنع الله عند قوم وحشاً ينفر منهم فلاك الله صنعاً مربوباً عندك ، يعنى كما يربُّ الوالد ولده ، كأنه متتابع عندك .

١٣

وقال يَمْدحُه : [أبَا سعيد الثغرى] .

١ إنِّى أتَتْنى مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفة
غَلَبَتْ هُمومَ الصَّدْرِ[١] وهْىَ غوَالِبُ

٢ وطَلَبْتَ وُدى والتَّنَائِفُ بَيْنَنَا
فَنَدَاكَ مَطْلُوبٌ ومَجْدُكَ طَالِب

« التنائف » جمعُ تَنُوفَة وهى القَفْرُ مِن الأرْض . ولم يَستعملوها إلاّ بالزّيادة ، ولم يقولوا التَّنْف .

٣ فلَتَلقَينَّكَ[٢] حَيْثُ كنْتَ قَصَائِدٌ
فِيهَا لِأَهْلِ المَكْرُمَاتِ مَآرِبُ

٤ فكأنَّما هِىَ فى السَّماعِ جَنَادلٌ
وكأنَّما هىَ فى العُيون[٣] كَوَاكِبُ

٥ وغَرَائِبٌ تَأْتِيكَ إلاَّ أَنَّهَا
لِصَنِيعِكَ الحَسَنِ الجَمِيل أقَارِبُ[٤]

---

(١) ظ ، د : « هموم النفس » .

(٢) ظ : ويروى « فلتلفينك » .

(٣) س : « فى القلوب » — د : « فى القلوب كواعب » . وفى ظ : ويروى « فى القلوب كواعب » ، ويروى « فى القلوب كواكب » .

(٤) س : « ترائب » — ظ : « قرائب » وبهامشها رواية الأصل .

٦ نِعَمٌ إذَا رُعِيتْ بشُكْرٍ[(١)] لم تزَلْ
نِعَماً وإنْ لم تُرْعَ فهْيَ مَصَائبُ

٦ – قِياسُ النَّحويين البَصْريين يُوجِب ألاّ تُهمز « المصايِب » وأنْ يُقال « مصاوِب » بالواو ، لأنها مِن صَاب يَصُوب ، وقد حكى بعضُ العلماء « مَصَاوِب » و « مَصَايب » بالواو والياء . وقال قَوْم يُقال صاب السَّهمُ يَصيب ، وإذا أخِذ مِن ذلك جازَ أنْ يكونَ مِن قَوْلهم مَصايب بالياء ، ويكون مِن باب « مَعايش » ، إلاّ أنّ الكوفيين يُسهِّلون الهمزَ فى مِثْل هذا الموْضِع على التَّشبيه ويجعلون الأصلىّ كالزائد ، ويُشَبِّهونه « بصَحايِف » ، وقد قالوا مَزادة ومزَايد ، والمزادَة الغالِبُ عليها أنْ تكونَ مِن الزّاد ، والزّادُ مِن ذَوَات الوَاو لِقوْلهم زَوَّدتُ الرجلَ ، وقالوا مِزْوَد لأنه يكون فيه الزّاد ، فإن كانت المزادةُ من الزّاد فهى مِن ذَوَات الواو وقد جُمِعَتْ بالياء ، وقد يمكن أنْ يُدَّعى لها أنها مِن زاد يزيد ، كأنها زِيادةٌ على الزّاد الذى يؤكل لأنَّ أكثرَ ما يُستَعمل الزّادُ فى المأكول .

٧ كَثُرَتْ خطَايَا الدَّهْرِ فىّ وقد يُرَى[(٢)]
بنَدَاكَ وهْوَ إلىّ مِنها تَائِبُ

٨ وتَتَابَعَتْ أيَّامُـه وشُهورُهُ
عُصَباً يُغِرْنَ كأَنَّهُنَّ مَقَانِبُ

---

(١) د : « بشكرك » .

(٢) فى ظ : روى الصولى :

كثرت خطايا الدهر فىّ وإنما بنداك أضحى وهو منها تائب

وقال : والأول أجود . والذى عندى فى م ، ل من نسخ شرحه رواية الأصل .

٩ مِنْ نَكْبَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِمُصِيبَةٍ
جُذَّ السَّنَامُ لَهَا وجُذَّ[١] الغَارِبُ

١٠ أَوْ لَوْعَةٍ مَنْتُوجَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ
حَقُّ الدُّمُوعِ عَلَيَّ فِيهَا وَاجِبُ

١١ ووَلِهْتُ مُذْ زُمَّتْ رِكابُكَ للنَّوَى
فكأَنَّنِي مُذ غِبْتَ عَنِّي غَائِبُ

(١) س : « وجُبَّ الغارب » – وقال الصولى « جذ » قطع و «جُد» مثله، و« جُبَّ » أيضاً وهو أصح . وفى ظ : وروى أبو العلاء : « وجب الغارب » – وقال ابن المستوفى : واستعمال « جب فى السنام أكثر من استعمال « جذ » ، وتعدّوه إلى الظهر فقال النابغة :

ونمسك بعده بسنام عيش أجبَّ الظهر ليس له سنام

ولم يقولوا بعير أجذّ السنام .

١٤

وقال يمدحُ خالدَ بن يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ الشيبانى :

١ لَقَدْ أَخَذَتْ مِن دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقبُ
أَنُحْلُ المَغَانِى لِلْبِلَى هِىَ أَمْ نَهْبُ؟!

الأول من الطويل ، والقافية متواتر .

[ع] « ماويّة » من أسماء النساء ، وإنما سُمّيت بالمرآة ، والماويّة مأخوذة من الماء ، أى أنها ذاتُ حديد له ماء . و « الحُقْب » الدهر ، واختلفوا فى تفسيره ، فقالوا ثلاثون سنة ، وقالوا ثمانون ، وغير ذلك من الأقوال . والصّحيح أن الحُقْب برهة طويلة لا حدَّ لها . وأنّثَ على معنى البرهةِ والمدة ، لأن تذكيرَ الحُقْب غيرُ حقيقىّ ، وهذا أوجَه من أن يقال الحقب جمع حِقبة إذا أريد بها السّنة ، لأن «فِعْلَة»قلّما تجمع على«فُعْل» ،ولو قيل إن الحُقُب أراد بها الأزمان المتأخّرَة ، شبّه الواحدَ منها بحقيبة الرجل ، لأن شعره مَعدِنُ الاستعارة ، ثمّ جمعَ حقيبة على حُقُب ، مثل صحيفة ، وصُحُف ، لكان وَجْهًا . و « النُّحْل » العطيَّة . تقديرُه : أنحلٌ المغانى للبلى أم نَهْبٌ ؟ فحذف التنوين للضرورة * [ص] يقول : أصُيِّرتِ المغانى للبلى نُحْلاً أم نَهْبًا ؟

٢ وعَهْدِى بِهَا إذْ نَاقِصُ العَهْدِ بَدْرُهَا
مُرَاحُ الهَوَى فِيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ

(ق) يقول : عهدى بهذه الدارِ حين كان حَبيبى الناقصُ لعهدى فيها يُضيئها ويُنوّرها فكأنه بَدْرٌ لها ، وهى مَظِنّةُ الهوَى لأنها مأوى الحسان ومرتعه ، والمَرْتع الذى يغدو إليه ويَرُوح عنه ، يقال سرَحتُ الماشية وأرحتُها ، إذا أخرجتَها بالغداة إلى المَرْعى وردَدتَها بالعشيّة . وقوله « ناقصُ العهد » مُبتدأ ، « وبدرُها » خبَرُه ، وهما جملة أضيف « إذْ » إليها وشُرِح بها ، و « إذْ » ظرْفٌ لقوله « وعَهْدى » ، و « مُراح الهوى » مُبتَدأ ، و « مَسْرَحُه »

عطف عليه ، و « الخِصْب » صِفَةٌ له ، و « فيها » خبرُ المُبتَدأ * ، وهذا معنى البيتِ لا ما ذَهَبَ إليه غيرُه(١).

٣ مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَةِ الوَبْلِ(٢) والنَّدَى
بِوَشْيٍ ولا وَشْيٌ ، وعصْب ولا عَصْبُ

[ع] أى لها إزارٌ من الروض وضُرُوبٌ مِن النَّبات ، وهو من صَنْعة الوَبْل

(١) يشير هنا الي الصولى الذى يقول فى شرحه : جمع هواى فى ليلى ونهارى بدر هذه الدار الناقص العهد . صير لهواه مُراحاً ومسرحاً ، فالمراح ما يلقاه ليلا كقول النابغة :

* وصدر أراح الليل عازب همه *

ومسرحه ما كان نهاراً لأن السائمة تسرّح بالنهار ، وقال « الخصب » أى هواه كثير ليس بالقليل .

وقد ذكر ابن المستوفى أن المرزوقى أورد كلام الصولى هذا ثم قال : من تأمل هذا الكلام وتفكر فى إعراب البيت ولفظه بان له من تخليط هذا المفسر ما قضى العجب منه . والمعنى : عهدت هذه الدار حين بدرها ناقص العهد مراح الهوى ومسرحه الخصب فيها ، أى كانت الدار وهى مأهولة بسكانها مرتع الهوى الخصب فيها ، و « المسرح » و « المراح » الذى يقع فيه الفعل ، وهذا كما سماها فى موضع آخر ميدان الهوى فقال :

أميدان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وفى طريقته قوله فى أخرى :

قد عهدت الرسوم وهى عكاظ للصبى تزدهيك حسناً وطيبا
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصبوبا

فقوله (الصولى) « جمع هواى فى ليلى ونهارى بدر هذه الدار » كلام لم يترتب على ما فى البيت ، وقوله فى « الخصب » : « أى هواه كثير » ذهاب عن الطريق وعدول عن الصواب .

وأورد ابن المستوفى كذلك نقداً للآمدى على هذا البيت ، قال : « البدر » ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر فى مثل هذا إذا كان فى الكلام ذكر لسماء أو نجوم أو ليل ، ولو قال « إذ ناقص العهد ريمها » ربما كان أشبه وأليق ، وقد قال البحترى مثل هذا ولكنه فيه أعذر من أبى تمام ، وذلك قوله :

ربع خلا من بدره مغناه ورعت به عين المها الأشباه

وأحسن من هذا وأجود لفظاً ومعنى قول البحترى :

وعهدى بها من قبل أن تحكم النوى على عينها ألا تدوم عهودها
بعيدة ما بين الجبين والجوى ومجموعة غيد الليالى وغيدها

وقوله « ومجموعة غيد الليالى وغيدها » لفظاً ومعنى ما لحسنهما نهاية . وإنما أخذ المعنى من قول أبى تمام :

كواعب زارت فى ليال قصيرة يخيلن لى من حسنهن كواعبا

وبيت البحترى أجود لفظاً وأحلى سبكاً .

(٢) ه س : ويروى « من صنعة الطل » .

أى المطر الشديد الوقع [١].

٤ تَحَيَّرَ [٢] فى آرَامِها الحُسْنُ فاغتَدَتْ
قَرَارَةَ مَنْ يُصْبِى ونُجْعَةَ مَنْ يَصْبُو

[ع] معنى « تَحَيَّر » فى هذا الموضع أقام ✽ (خ) وأراد بـ « آرامها » نساءَها ، أى فأصبحت مجمع المُصْبِيات من النساء ، ونجعةَ الصابين من الفتيان وطُلاَّبِ الغزَل .

٥ سَواكِنُ فى برٍّ كما سَكَنَ الدُّمَى
نَوافِرُ مِنْ سُوءٍ كما نَفَرَ السِرْبُ

يقول : هُنَّ سواكن عند البرِّ والصلاح كسكون الدُّمى والتصاوير ، لأنها لا تَتحرّك ، ونَوافِر من الرِّيبة كنُفور الظِّباء [٣]. قابلَ السُّوءَ بالبِرّ ، والنَّوافرَ بالسَّواكن .

٦ كَوَاعِبُ أَتْرابٌ لِغَيْدَاءَ أَصْبحَتْ
وليسَ لَها فى الحُسْنِ شِكْلٌ ولا تِرْبُ

« أتْراب » أىّ فى السِّن والقَدْر ، وأصل « الغَيَدِ » النَّعمَةُ والتَّثنى ،

---

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على كلام أبى العلاء : إذا أخذ « مؤزّرة » من قولهم تأزر النبت التف واشتد كان أولى ، ومنه قول الشاعر :

تأزر فيه النبت حتّى تخايلت   رباه وحتّى ما ترى الشاء نوّما

أرض متخيلة ومتخايلة إذا بلغ نبتّها الندى . قاله الجوهرى .

(٢) م : « تردد فى أترابها » وقال الصولى فى شرحه : ويروى « تحير » وهى « تردد » أيضاً ، وقول عمر بن أبى ربيعة :

وهى مكنونة تحير منها   فى أديم الخدين ماء الشباب

فإنما يعنى أنه تردد فى خدها تردداً غير متجاوز ، وقال ذو الرمة :

✽ والشمس حيرى لها بالجو تدويم ✽

ورواية د ، هـ ب : « تردد » ، وروتها ظ أيضاً .

(٣) قال المرزوقى :

ويريد به هذا المعنى فى بيت آخر :

✽ عواشق برٍّ تاركات التبرج ✽

يُقال عُنُق غَيْداء إذا كانتْ طَويلةً تميل ، ولذلك وُصفت الظِّباءُ بالغَيَد ، وقالوا نَبتٌ أغْيَد إذا كان مُتثَنِّياً ، وكذلك غاد أيضًا ، قال كُثَيِّر :

وصَفْراءَ رُعْبوبٍ كأنَّ وشاحَها   على ناعمٍ من غابِ دِجْلةَ غادِ

٧ لهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّواظِرِ لَمْ يَزَلْ
يَرُوحُ ويَغْدُو فى خُفَارَتِه الحُب

أىْ لا يُفارقُها الحبّ فكأنه فى خُفارَته وذمته (ع) : يقول : إذا نَظَر إليها الإنسانُ قَيَّدَ نظرَه فلم يَصرفه إلى غيرها . و « قَيدُ النَّواظِر » ها هنا مُضَافٌ على معنى الانفصال ، كأنه قال قَيدٌ للنواظر ، وهو كما يُقال قيدُ مائة ، أىْ إذا أُسرَ فُدِى بمائة من الإبل ، قال الراعى :

وكانَ لها فى سالف الدّهرِ فارسٌ   إذامارأى قَيْد المئِينَ يُعانِقُهْ

« وقَيد المِئين » يُشابه الحَسَن الوَجْه فى أمر ويُخالفه فى آخر ، فأما المشابهة فمن قِبَل تأوّل التَّنوين ، وأما المبايَنة فلأنه لا يجوز أن يقال مَررْتُ برجلٍ قَيْد مِئتُه كما يُقال حَسَن وَجْهه ، وبابُ « حَسَن الوجْه » كثير جدًّا ، وبابُ قَيْد المئِين إنما يجىء فى أشياءَ مخصوصة[١] .

٨ يَظَلُّ سَرَاةُ القَوْمِ مَثْنَى ومَوْحَدًا
نَشَاوَى بعَيْنَيْها كأَنَّهُمُ شَرْبُ

[ع] « سَرَاة القَوْم » خِيارُهم وأماثلهم ، أخذ من سَرَاة الجبل والفرس

---

(١) قال الصولى فى شرحه : أول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس فى صفة الفرس ، فقال :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أى من ظفره بها ولحوقه إياها إذا رآها كأنه قيد لها ، فقال هذا « قيد النواظر » أى يقيد حسنها العيون ولا يتجاوزها ، وهو مثل قول الشاعر :

بهنانة تستعير القوم أعينَهم   حتى ترد على ذي النيقة البصرا

وقال ابن المستوفى فى كتابه : ومما وقع فيه ذكر القيد وقوعاً متمكناً ما أنشده الخالديان لأعرابى :

لا غرو أنا معشرٌ   حامو الحقيقة والذمارْ
نحمى الحواصن إنها   قيد الكريم عن الفِرارْ

وهى أعلاها ، وهذا أَوْجه من أنْ يُقال سراةٌ جمع سرىّ ، لأنّ « فَعيلاً » لا يُجْمَع على « فَعَلَة » ، فيجِبُ أنْ يُحمل على قَوْلهم ذؤابة قومه أى أعْلاهم ، شُبِّهوا بِذؤابةِ الرأس[١]. وصرَف « موْحَدًا » للضرورة ، وهو عند البصريّين لا ينصرف فى معرفةٍ ولا نكرَة . و « نَشاوَى » جمع نَشْوان ، مثلُ سَكْران وسَكارى ، ولا يمتنعُ أنْ يُقال نُشاوَى بضم النون ، والانتشاء أوّلُ السُّكْر ، « والشَّرْب » جمع « شارب » مثل ركب وراكب .

٩ إلى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَـا أَرْحَبِيَّةٌ
مَرَافِقُهَا مِنْ عَنْ كَرَاكِرِهَا نُكْبُ

« أرْحَبِيَّة » منسوبة إلى أرْحَب ، وهم قوم من هَمْدان يُنسب إليهم ضَرْب من الإبل نجائب . و « نُكْب » جمع أنكب أى مائل . [ص] ويُستحبّ أن تكون مرافق الإبل مفتولةً لئلا ينالها سَحْج ، فيقال بها حازٌ وناكبٌ وضاغط ، فإذا عظم ذلك قيل بها ضَبٌّ[٢] .

١٠ جرَى النَّجَدُ الأَحْوَى عليها فأَصبحتْ
مِنَ السَّيْرِ وُرْقاً وهى فى نَجْدِها صُهْبُ

« النَّجَدُ » العرَق ، و « الأحْوَى » الأسود . يريد أن عرَق الإبل يميل أو يضرِب إلى السواد ، ولذلك شبّهوه بالقَطِران . و « الوُرْقُ » من صفات الإبلِ ، وأصلُ ذلك أن يكون اللون يشبه ورقَ الشجر ، وقد تُوصَف الوُرْق بالخضرة وبالسواد . و « الصُّهْب » من الإبل تُحسبُ من أكرمها ، و « الوُرْقُ » من

(١) قال ابن المستوفى فى هذا : قال الجوهرى : وجمع السرى سراة ، وهو جمع عزيز أن يجمع فعيل على فَعَلَة ، ولا يُعرف غيره . فع ما ذكره الجوهرى يسقط تمحل أبى العلاء . وقال « السرو » سخاء فى مروءة ، وبيت أبى تمام يحمل على ذلك لأن من يكون بهذه الصفة يكون من الأماثل .

(٢) « الضب » داء فى مرفق البعير . و « الضاغط » انفتاق فى إبطه . وبعير سحّاج يسحج الأرض بخفه أى يقشرها . وإذا أصاب المرفق طرف كركرة البعير فقطعه وأدماه قيل به حاز ، فإن لم يدمه فاسح . (قاموس مادة حز) .

بِطائها ، ويزعمون أن لحمَ الوُرْقِ أطيبُ لحوم الإبل[١] .

١١ إلى مَلِكٍ لَوْلَا سِجَالُ[٢] نَوَالِهِ
لمَا كانَ للمَعْرُوفِ نِقْيٌ ولَا شُخْبُ

« النِّقْى » مُخّ السَّمين ، ويجوز أن يُسمَّى السَّمَن نِقْيًا . و « الشَّخْبُ» والشُّخْبُ صَوْت خروج اللبن من الضرع ، ويجوز أن يُسمَّى اللبن بعينه شُخْبًا[٣] .

١٢ مِن البِيضِ مَحْجُوبٌ عَن السُّوءِ والخَنَا
ولا تَحجُبُ الأَنواءَ مِن كَفِّهِ الحُجْبُ

١٣ مَصُونُ المَعالِى لا يَزيدُ أَذَالَهُ
ولَا مَزْيَدٌ ولا شَريكٌ ولَا الصُّلْبُ

١٣ ــ « الصّلْب » أحد أجداد الممدوح ، وقيل اسمه قَيْس ، ويقال بل عَمْرو[٤] .

١٤ ولا مُرَّتَا ذُهْلٍ ولَا الحِصْنُ غالَهُ
ولَا كَفُّ شَأْوَيْهِ عَلِيٌّ ولَا صَعْبُ[٥]

« مُرَّتا ذُهْل » تثنية مُرّة ، و « الحصن » يقال إنه لقب عُكابةَ بن

---

(١) قال الخارزنجي فى شرحه : يقول جرى عليها العرق الأحوى من التعب فصارت كأنها ورق ربد وهى فى نجارها صهب . وقال : ويروى « فى لونها صهب » ، وعكسه أبو عبد الله محمد بن يوسف النجرانى يصف الخيل :

فللـــه در السابقات ودهمها ... من النجد الجارى بأرفاغها نبط

وقال « الأرفاغ » المغابن ، وفرش « أنبط » له تحت إبطه بياض وفى بطنه .

(٢) قال الخارزنجي : ويروى « سجال يمينه » وهى رواية د .

(٣) وقال الخارزنجي فى شرحه : أى لولا جوده وعرفه لما كان للمعروف أثر فى الدنيا . والذى أراده لولا نواله لهلك المعروف ، لأن ما لا نقى فيه ولا شخب هالك .

(٤) فى ظ : « لا يزيد أذاله » أى لم يدخل عليه النقص فى شرفه ويروى « أذالها » وهى أحسن لفظاً ومعنى . يقول : معاليه مصونة لم يهنها أحد من ذوى قرابته ولا من ينتسب إليه .

(٥) م ، ل : « الصعب » .

صعب بن على بن بكر بن وائل ، وقيل لقب ابنه ثعلبة ، ومنه قول المرقش الأكبر :

بأنّ بَنِى الحِصْن ساروا معًا   بجيش كضوءِ نجومِ السَّحَرْ

و « شأويه » تثنية شأو ، وأصل الشأو من شآه إذا سبقه ، ثم كثُر حتى قالوا جرى شأوًا أى طلقًا ، وسموا الغاية شأوًا .

١٥ وأشباهُ بَكْرُ المجْدِ بَكْرُ بنُ وَائلٍ
وقَاسِطُ عَدْنَانٍ وأَنْجَبَهُ هِنْبُ

(ع) « أشْباهُ » أى كفاه ، ومنه قولُ ذى الإصْبع العَدْوانىّ :

وهم مَن وَلَدُوا أشْبَوْا   بِسرِّ الحسَبِ المحضِ (١)

وقال ابنُ الزِّبَعْرى :

وذى الرّمحين أشْبا   كَ من القوّةِ والحزْمِ

وقال قوم : يقال أشْبَى الرجلُ إذا وُلد له أولادٌ أذكياء ، وهو مأخوذ من الشَّبا أى الحدّ ، وقد استعملوا أشبَى فى غير هذا المعنى ، قالوا أشبَى عليه إذا أشفق ، قال الرّاجز :

قد أتْعَبَتْنى والهوى ذو تعبِ
تُشْبِى علىَّ والكريمُ يُشْبِى

و « قاسط عدنان » يعنى جَدَّ تغلبَ وبكْر ، لأنه يقال تغلب وبكر ابنا وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى ، و « هِنْب » مأخوذ من قولهم امرأة هَنْباء أى بلهاء ورْهاء ، و « أفصى » يجوز أن يكون مُسمًّى بالفعل ، من قولهم أفصى عنك البردُ ، أى زال ، ويجوز أن يكون « أفصى » اسمًا مأخوذًا من الفصيةِ وهى الخروجُ من شىء إلى شىء ، وفى حديث الحُدَيْباء : « الفصيةَ لا يزال كعبُكِ عاليًا »(٢) ، وفى حديث آخر يُؤمر فيه بتعهد القرآن وكثرةِ درسه « فإن له تفَصّيًا

---

(١) البيت فى اللسان مادة « شبا » ، والشعر والشعراء ص ٦٨٩ .

(٢) فى النهاية قالت الحديباء حين انتفجت الأرنب : الفصية ، والله لا يزال كعبك عالياً . أرادت بالفصية الخروج من الضيق إلى السعة ، أرادت أنها كانت فى مضيق وشدة من قبل بناتها فخرجت منه إلى السعة والرخاء . (وانظر اللسان مادة فصى) .

كتفصّى النَّعَمِ من عُقُلِها »(١).

١٦ مَضَوْا وهُمُ أَوْتادُ نَجْدٍ وأَرْضِهَا
يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الخَطْبُ

[ع] أيّ هم الذين يُثَبِّتُونها وأهلَها كما يُثَبَّت البيْتُ بالأوتاد ، ويجوز أن يعنى بالأوْتاد الجِبال .

١٧ وما كانَ بينَ الهَضْبِ فَرْقٌ وبينهمْ
سِوَى أنهم زالوا ولَمْ يَزُلِ الهَضْبُ

يقال هَضْبٌ وهَضْبة ، فيجوز أن يكونَ على مِثل قولهم تَمْرٌ وتَمْرة فيكون جمعاً لهضْبة ، ولا يَمتنع أنْ يكونَ مِن باب قولهم امرؤٌ وامرأة ، وتختلفُ العِبارَةُ مِن أهلِ اللغة فى الهَضْبة ، وهى مُتقاربة ، فيقول بعضهم الهَضْبة قِطْعة مُستَديرة فى أعْلى الجبل ، وقيل الهَضْبة جَبَل أحمر ، وقيل جَبَل مُنْقَرِش

[ع] والمعنى : أنّ هؤلاء القَوْم كانوا مثلَ الجبال إلاّ أنهم زالوا والجبالُ ثابتة ، وهذا شبيه بقول الآخر :

أرَى الأثْلَ مِن بَطن العَقيق مُجاوِرِى مُقيماً وقَدْ غالتْ يزيدَ غَوائلُه(٢)

١٨ لَهُمْ نَسَبٌ كالفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ
خَفِيٌّ ولا وَادٍ عَنُودٌ ولاَ شِعْبُ

أصل « الوادِى » مِن قَوْلهم وَدَى إذا سالَ ، ثم أهملوا هذه الكلمةَ فلم يَستعمِلوها إلاّ فى وَدَى البائلُ ، ويختلفون فى العِبارة فيه ، فربّما قالوا وَدَى إذا بال ، وقيل بل هو من الوَدْى الذى يستعمله الفُقَهاءُ ، وهو ما يَخرج بعد

---

(١) الذى فى النهاية « لهو أشد تفصياً من قلوب الرجال من النعم من عُقُلها» أى أشد خروجاً .

(٢) البيت لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد (الأغانى ٧ : ١٢٣) . وقال ابن المستوفى لا مشابهة بينهما .

البَول ، وقد صَحَّفوه فقالوا الوَذى . [ع] « وعَنُود » أى مخالِف مائل، والمعنى : أنّ نَسَب هؤلاء القَوْم واضِحٌ كالفَجْر ليس فيه اختلافٌ كما تختلف الأرض ، فيكون فيها المرْتَفع والمنْخَفض والشِّعْبُ والوادى .

١٩ هو[١] الإِضْحَيَانُ الطَّلْقُ رَفَّتْ[٢] فرُوعُهُ
وطابَ الثَّرَى مِن تَحْتِهِ وزكا التُّرْب

[ص] لَيلة « أضْحيانَة » مُضيئة ، و « رَفَّ » الغُصْن إذا نَعُم نَبَته وكثر[٣] . يُريد أنه مُضِيء بأفعاله، مُضىء بِنَسبه . وأصلُ إضحيان مِن أنّ الضَّاحِي المنكَشِف للشمس ، إلاّ أن المستعمل الضَّحوة بالواو لا غير ، وقد حكى ضَحيتُ للشمس وضَحَوتُ ، و « الطَّلْقُ » مِن قولهم لَيل طَلْق إذا لم يكن فيه حَرٌّ ولا قُرّ ، وكذلك يَوْم طَلْق .

٢٠ يَذُمُّ سَنِيدُ القَوْمِ ضِيقَ مَحَلِّهِ
على العِلْمِ منهُ أَنَّهُ الواسِعُ الرَّحْبُ

(ق) يجوز أن يكون أراد بـ « سَنِيد القوم » رئيسهم ومَن تُسند إليه أمورهم، ويكون المعنى : أنه إذا نظر رؤساء القوم إلى فِناء هذا الممدوح الرّحْب، ومحلّه الواسع ، ورحْله المحتمل لكل مَن يقصده من الزوار والعُفاة ، صَغُر فى عيونهم مَحالّ أنفسهم ، وضاقت رِحالهم وأفنيتُهم عندهم ، حتى يذمُّوها ويشكوا ضيقَها على علم منهم بسعتها . ويجوز أن يكون أراد بـ «السَّنيد» المُلْصَق الدَّعِيّ ، فيكون المعنى : حاسِدُه الدَّعِيّ المُلْصَق يبلغ فى حسده الحدّ الذى يَستحسِن معه البَهْت والمُكابَرة ، حتى يجىء إلى مالا شَكّ فيه ولا لَبْس ، فيدّعيه على

(١) ش : « هم الإضحيان » .

(٢) ظ : « رقت » وقال : ويروى « رفت » بالفاء . أى اهتزت فروعه لنعمته وطراوته ، ولا يحسن أن يوصف النسب بهذا فيقال نسبه يهتز كأنه لا يثبت . والذى فسره الصولى أجود . ويظهر أن رواية الآمدى « رقت » لأنه جاء فى ظ : قال الآمدى : ويروى « رفت فروعه » من الرفيف أى لمعت بروقه من الندى والطل .

(٣) الذى فى شرح الصولى : « وكثر ريه » .

خلاف ما هو عليه ، كأنه أراد : لا يحسده إلاّ الدَّعيّ ، فإذا حسَدَه كان هكذا[(١)].

٢١ رَأَى شَرَفاً [٢] مِمَّن يُرِيدُ اختِلَاسه
بَعِيدَ المَدَى فيه على أَهْلِهِ قُرْبُ

[خ] يقول : رأى سَنِيدُ القوم شرَفًا بعيدًا ممن يُرِيد اختلاسه ، ولكن فيه على أهله قُرْب .

٢٢ فيَاوَشْلَ الدُّنْيا بِشَيْبَانَ لا تَغِضْ
ويا كَوْكَبَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لا تَخْبُ[(٣)]

(ع) : المعروف فى « الوَشَل » أنه الماء القليل ، وأصله من وَشَل يَشِل

(١) بعد قوله : « كان هكذا » جاء فى كتاب المرزوقى وفى ظ نقلا عنه : « والأول أحسن » .

(٢) فى ظ : ويروى « فياشرفاً » على معنى التعجب .

(٣) جاء فى ظ : قال المرزوقى : ولحنه بعضهم فى قوله ، وأنشد البيت بإثبات الواو فى « تخبو » وقال إنما هو « لا تخبُ » وإثبات الواو لحن . قال الشيخ رحمه الله (المرزوقى) : إن الشاعر أن يلحق ما كان من بنات الواو والياء مجزوماً إذا أطلقه فى قافية بما يكون فيه فى الرفع ، وأن يأتى عند الضرورة بالأفعال المعتلة اللام على أصولها ، فيقول « لم نغزو » و « لم نرى » و « لم نخشى » ، وهذا من الضرورات التى تقاس ، وعلى هذا قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد ؟

وقول الآخر :

* كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا *

فى قول من جعل الكلام خبراً ، ألا ترى أنه أثبت الألف فى هذا كما أثبت الياء فيما قبله ، وكما أثبت أبو تمام الواو فى « لا تخبو » ؟ وهذه المواضع متساوية فى أنها للجزم ،فهذه طريقة . وكثير من أصحاب سيبويه يذهبون إلى أن المحذوف فى مثل هذا الكلام للجزم إنما هو حركة كانت فى النية ولم تظهر فى موضع الرفع استثقالا ، أو لأن الحرف لا يحتملها بعد انقلابه ، وذلك إذا قلت هو يغزو ويرى ويخشى ، قالوا : المحذوف للجزم هو تلك الحركة ، وإنما حذفت هذه الحروف من بعد لتكون ألفاظ الفعل مجزومة أنقص منها وهى غير مجزومة ، وإذا كانت كذلك فإثبات الواو والياء والألف فى هذه الطريقة عند الجزم فى الكلام والشعر غير خارج إلى باب اللحن .

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : هذا الذى أطال القول فيه — رحمه الله — كلام ذكره النحويون فيما وقع من الأفعال المعتلة اللام مجزوماً على لفظ المرفوع ، فأما ما وقع من نحو ذلك فيما فيه القافية فقد=

إذا قَطرَ ، وإنما أراد أنهم حياة الدنيا ، أى ليس فيها جُودٌ إلاّ جودُهم ، فحسُنَ أن يستعمله فى موضع الكثرة إذْ ليس شىء يقوم مقامه ، أو يكون من نحو قولهم للماء القليل نُطفَة ، ثم قالوا فى بعض كلامهم ما بين النُّطفتين يعنون البحرين أو النَّهرين العظيمين ، ويُقال غاض الماء يغيض إذا ذهب فى الأرض .

٢٣ فما دَبَّ[1] إلَّا فى بيُوتِهِم النَّدَى
ولم تَرْبُ إلَّا فى حُجورِهِم[2] الحَرْبُ

٢٤ أُولَاكَ بَنو الأَحسابِ لَوْلَا فَعَالُهُمْ
دَرَجْنَ فلمْ يُوجَدْ لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ

٢٤ – « الأحسَاب » جمع حَسَب ، وهو مآثر الرجل ومآثر آبائه ، وقيل الحَسَب مَن يُحسَب من آباء الرجل الأشراف ، أى يُعَدّ ، وقوله « دَرَجْنَ » يعنى الأحساب ، يقال دَرَجتِ القبيلةُ إذا لم يبق لها ولدٌ ، وكذلك دَرَج الرجل .

٢٥ لَهُمْ يَوْمُ ذى قَار مَضَى وهْوَ مُفْرَدٌ
وَحِيدٌ مِنَ الأَشْبَاهِ[3] لَيْسَ لَهُ صَحْبُ

[ص] لأن حَنْظلة بن سيَّار العِجْلىَّ الرئيسَ فيهم * ، يعنى اليومَ

= تعرض القول عليه أولا ولم يشبعه ، وهذا النوع إذا وقع فيها فيه الروى فحكمه أن تلحقه مجزوماً حروف الوصل : الألف أو الياء أو الواو ، لإقامة الوزن ، فيعود إلى صورة ما كان عليه فى الرفع ، وهو كثير فى أشعارهم ، وتكون الحروف التى تلحقه الوصل غير الحروف التى بنى عليها فى الأصل ، و إذا كانوا قد أطلقوا الفعل المجزوم الصحيح فحركوه بالكسر لإقامة الوزن فى نحو قول امرئ القيس :

* يقولون لا تهلك أسى وتجمل *

فهم فى إشباع حروف الروىّ من الأفعال المعتلة لاماتها المجزومة حتى ينشأ منها أحرف تسمى وصلا أعذر .

(١) م : « فما رب » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) ش : « بيوتهم » .

(٣) فى ظ : وروى « وحيد من الأيام » .

الذى ظَفِرت فيه بنو شيبان بجيوش كسرى ، وكان مع جيُوشِهِ إياسُ بنُ قَبِيصَةَ واليه على الحيرَة .

٢٦ بهِ عَلمتْ صُهْبُ الأَعاجِمِ أَنَّهُ[1]

بِهِ أَعربَتْ عنْ ذَاتِ أَنفُسِهَا العُرْبُ

أى به علمت الأعاجمُ ما كانت تنطوى لها عليه العرب من طلب الفرصة فى الوثوب عليهم .

٢٧ هو المَشْهَدُ الفَصْلُ الذى ما نَجا به

لِكِسْرَى بنِ كِسْرى لاسَنَامٌ ولاصُلْبُ

٢٨ أَقُولُ لِأَهْلِ الثَّغْرِ قَدْ رَئَبَ[2] الثَّأَى

وأُسْبِغَتِ النَّعْمَاءُ والتَأَمَ الشَّعْبُ

٢٧ ــ أصلُ « الرَّأب » الإصلاح ، و « الثَّأى » الفَسَاد ، وأصلُ الثَّأى أن تَصِير الخُرْزَتان خُرْزَةً ، يُقال أثأى الخارزُ .

٢٩ فَسِيحُوا بِأَطْرَافِ الفَضَاءِ وأَرْتِعُوا[3]

قَنَا خَالِدٍ مِن غيرِ دَرْبٍ لَكُمْ دَرْبُ

[ق] أى سيروا متفرقين بأطراف الفضاء ونواحيه ، وارعَوْا مواشيكم حيث شئتم . يعنى بـ « الدَّرْب » دُرُوب الرّوم ، وهى جبال . يقول : اذهبوا فى الأرض

---

(١) فى ظ : ويروى « أنها » ، وقال رواه الخارزنجى . « والصُّهبة » الشقرة فى شعر الرأس ، وتوصف بها العجم لغلبة ذلك عليهم .

(٢) جاء فى ظ : روى الصولى « قد رأب الثأى » وقال الثأى فى موضع رفع كأنه هو الذى فعل ، وإنما قلت هذا لأن الثأى إذا كان بلا ضمير لخالد فى « رأب » ينصبه كان الكلام أحسن انتظاماً . ولم أجد كلام الصولى هذا فى نسختى م ، ل من س .

(٣) ظ : ويروى « وأربعوا » .

حيث شئتم ، فإنكم وإن لم يكن تُحيط بأرضكم جبالٌ تَدْفع عنكم ، [لكم] من رماح خالد كلَّ حِصن حَصين .

٣٠ فَتًى عِندَهُ خَيْرُ الثَّوابِ وشَرُّهُ
وِمِنهُ الإِبَاءُ المِلْحُ[1] والكَرَمُ العَذْبُ

٣١ أَشَمُّ شَريكيٌّ يَسِيرُ أَمَامَهُ
مَسِيرَةَ شَهْرٍ فى كَتائبِهِ[2] الرُّعْبُ

٣١ — [ع] نسبه إلى شَرِيك ، وأثبت الياءَ كما يجب فى القياس ، ولم يحذفها حُذفت فى ثَقَفِىّ ، وإنما القياسُ أن تُحذف فى « فَعِيلة » وتَثبُتَ فى « فَعِيل » .

٣٢ ولمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَاياتِك التى
إِذَا ما اتلأَبَّتْ[3] لا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ

« اتلأبَّتْ » تَتابَعَتْ هِزَّتُها . و « تُوفيل » اسمُ الوالى الذى قاتلَهم ، وهو طاغيةُ الروم . وأصلُ « اتلأبَّ » استقام ، واتلأبَّ الطريقُ استقام .

٣٣ تَوَلَّى ولَمْ يَأْلُ الرَّدَى فى اتِّبَاعِهِ
كأَنَّ الرَّدَى فى قَصْدِهِ هائمٌ صَبٌّ

٣٤ كَأَنَّ بِلادَ الرُّومِ عُمَّتْ بِصَيْحَةٍ
فضَمَّتْ حَشَاها أو رَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ

[خ] « السَّقْب » يعنى به وَلَدَ النَّاقة التى عقَرَها ثمود فصارت شؤمًا عليهم * لَمَّا رَغا السَّقْبُ أهلَكَهم الله ، يقول : فكأنَّ بلادَ الروم كذلك .

---

(١) جاء فى ظ : ويروى « الإباء المر » وقال الخارزنجى : يقول : عنده للمحسن ثواب جزيل وللمسىء عقاب أليم ، والإباء الامتناع . قال ابن المستوفى : جعل الجزاء على الإساءة ثواباً مجازاً ، وجعله من شر الثواب ، كما جعل الجزاء على الإحسان من خير الثواب .

(٢) س ، ظ ، د « فى صوائفة » . (٣) ظ : ويروى « إذا ما استقامت » .

٣٥ بِصَاغِرَةَ القُصْوَى[١] وطِمَّيْنَ واقْتَرى

بِلادَ قَرَنْطَاوُوسَ[٢] وَابِلُكَ السَّكْبُ

ويُروَى « بصاغِرَةَ الوُسطَى » و« بلادَ قُرِيطاميس »ويروى «بصارِخةَ»[٣] وهي موافقة للأسماء العربية ، لأنها تشبه صارخة من الصّراخ ، ويقال القُصْوَى والقُصْيَا . و « طِمَّيْن » على وزن « فِعْلَيْن » يوافق هذا البِناء من طَمَّ يَطِمّ إذا زاد . و « اقتَرَى » تتبَّع .

٣٦ غَدَا خَائِفاً يَستَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِناً[٤]

عليكَ فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كُتْبُ

أي يستعين عليك بإنفاذ الكتُب والرسُل .

٣٧ وما الأَسَدُ الضِّرْغَامُ يوماً بِعَاكِسٍ[٥]

صَرِيمَتَه إنْ أَنَّ أَو بَصْبَصَ الكَلْبُ

أصل « العَكْس » قلبُ الشيء . « صَرِيمته » ما يصرِمُه من عَزْمِه ، أي يَمضي عليه فلا يَرجع ، وأصلُ الصَّرْم القَطْع . ويُقال بَصْبَص الكلبُ بذنبه إذا حرّكه تَقرّباً إلى الإنسان ومُداراةً له . [ع] جعل الممدوح كالأسد وعدوَّه مثل الكلب . يقول : ليس الأسدُ بتاركٍ صريمتَه إذا بَصْبص له الكلبُ بذنبه على معنى المداراة .

---

(١) د : « الصغرى » .

(٢) ه س : « وزمين » بدل قوله « وطمين » — ظ : ويروى « قرنطاميس » وقال : وفي نسخة الصولي « قريطاووس » وهي بالياء أقرب لقوله « واقترى » — ويروى « والقرى » بدل « واقترى » .

(٣) في ظ : ذكر أبو الطيب « صارخة » فقال :

مخلي له المرج منصوباً بصارخة ... له المنابر مشهوراً بهـا الجمع

(٤) ظ : ويروى « ممعناً » .

(٥) ظ : ويروى « بعاطف » ، ويروى « بعاكم » .

٣٨ ومَرَّ ونَارُ الكَرْبِ[1] تَلفَحُ قَلْبَهُ[2]
وما الرَّوْحُ إلَّا أَنْ يُخامِرَهُ[3] الكَرْبُ

أصل « اللَّفْح » للأشياءِ الحارّة ، يُقال لَفَحَتْه السَّمُوم والشمس ، وقال قوم النَّفْح للباردة واللفح للحارّة . والرَّوْح الفرَح ، و « يُخامِرُه » يخالطه . والمعنى : وما الرَّوْح للمسلمين إلاَّ أن يخامرَ هذا العدوَّ الكرْب ، فحذف لعلم السامع ، وفيه شبَه من قولهم السلامة إحدى الغنيمتيْن : أى هى للسالم غنيمة ، فأما عدوّه فهو خاسر بذلك .

٣٩ مَضَى مُدْبِرًا شَطْرَ الدَّبُو ونَفْسُهُ
على نَفسِهِ مِن سُوءِ ظَنٍّ بها إِلْبُ

[ع] أى مَضَى نحو مَهبِّ الدَّبُور يحسب أنّ نفسَه رَصَدٌ على نفسِه لا يأمنها من سوء ظنه * . ويقال هم أَلْبٌ عليك أى قد تألَّبوا ، وفتح الهمزةِ أكثر ، وقد حُكِى كسرُها .

٤٠ جَفَا الشَّرْقَ حتَّى ظَنَّ مَن كانَ جاهِلًا
بدِينِ النَّصارَى أنَّ قِبْلَتَهُ الغَرْبُ[4]

٤١ رَدَدتَ أَدِيمَ الغزْوِ[5] أَمْلَسَ بعدَما
غَدَا ولَيَالِيهِ وأَيَّامُهُ جُرْبُ

يُقال لظاهرِ كلِّ شيء أدَمَة على معنى الاستعارة ، و « أملَس » أى

---

(١) م ، ظ : « ونار الحرب » وبهامش رواية الأصل . وقال فى ظ : ورواية « الكرب » أحسن لأنها من باب التصدير .

(٢) قال الصولى : وروى الناس « تلفح وجهه » « وقلبه » أجود لقوله لا يخامره .

(٣) س : « يخالطه » وبهامشها رواية الأصل .

(٤) جاء فى ظ : فى النسخة العجمية : أى لالتفاته إلى خلف فى هزيمته .

(٥) ظ : « الدين » .

لا عيبَ فيه ، لأن الآثار فى الشىء والعُقَد مما يُعاب به ، ومنه قول العَجّاج :

وحاصن من حاصِناتٍ مُلْسِ (١)
من الأذَى ومن قِرافِ الوَقْسِ

— « الوَقْس » ابتداء الجَرَب — وجعل المتلمِّسُ الخالىَ من العَيْب أملسَ ، فقال :

فلا تَقْبلَنْ ضَيْمًا مَخافةَ مِيتةٍ وموتَنْ بهَا حُرًّا وجِلْدُكَ أمْلَسُ

والمعنى الذى قصده الطائى كمعنى بيت العَجاج الذى تَقدم . [ع] ومن شأن الأجربِ أن تَبقَى فيه آثار ، ويتَقَوّب جلدُه ، فلذلك ذكر الجَرَب مع أمْلَس . * : أى نَفَيْتَ كلّ ما لا بَسَه من الشِّرْك ، أى كأنه كان أجرَبَ فردَدْتَه أمْلَس .

٤٢ بِكُلِّ فَتًى ضَرْبٍ يُعَرِّضُ لِلقَنَا
مُحيًا مُحَلًّى (٢) حَلْيُهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ

[ع] الأشبه بصناعة الطائى أن يكون « فَتًى » مُنوَّنًا ، و « ضَرْب » من قولهم هو ضَرْب الجسم إذا كان خفيف اللحم ، ولو رويت « فتَى ضَرْبٍ » على الإضافة لكان وجهًا ، كما يقال هو فتي حَرْب ، والوجه الأوّل أجود * . و « مُحيًّا » أى وجه ، ويُسمّى الوجه مُحيًّا ، من حَيَّيتُه إذا لَقِيتَه بالتحية .

٤٣ كُمَاةٌ إذا تُدْعَى نَزَالِ لَدَى الوَغَى
رَأَيْتَهُمْ رَجْلَى (٣) كَأَنَّهُمُ رَكْبُ

[ع] أصل قولهم « دُعِيَتْ نَزَالِ » أنهم كانوا إذا التَقَوْا فى الحرب

---

(١) الرجز فى اللسان مادة « وقس » .

(٢) فى ظ : وروى الخارزنجى «محيامحيا» وقال أى وجه فتى محيا بالسلام، أى يعرِّض للقنا وجهاً محيا بالسلام عليه ، أثر الطعن عليه والضرب فيه . وقال ابن المستوفى : وهذه الرواية أجود من تكرير قوله « محلى حليه » وإن كان فى قوله « محيا محياً تكرير أيضاً إلا أن هذا أقرب . ويروى « محياه حتى حليه » . والذى فى س : « محيا محيا حليه » ورواية الأصل بهامشها .

(٣) س : « رجلا » وروتها ظ وقال جمع راجل كصاحب وصحب — وأما « رجلى » مقصور كرواية الأصل فى جمع رجلان مثل عجلان وعجلى .

صاحوا : نَزَالِ أى انزلُوا ، فيجوز أن يريدوا بذلك نزولَهم إلى الأرض ليتحاربوا وهم رَجْل ، ويَدلّ على ذلك قولُ الآخر :

لم يُطيقوا أن يَنْزِلُوا فنزَلْنـا ... وأخو الحربِ من أطاقَ النُّزولا

ويحتمل أن يكون قولُهم « نَزَالِ » أى انزلوا على حُكمنا وتَرجَّلوا عن ظهور خَيْلِكم مُستأسِرين [١] .

٤٤ مِن المطَرِّيِينَ الأُولَى لَيْس يَنْجَلِي
بِغَيْرِهِم للدَّهْرِ صَرْفٌ ولا لَزْبُ [٢]

أى أحَدُ جُدودهم يُقال له مَطَر ، و « اللَّزْبَة » السنةُ الشديدة .

٤٥ وما اجتُلِيَتْ [٣] بِكْرٌ مِن الحَرْبِ نَاهِدٌ
ولا ثَيِّبٌ إلا ومنهمْ لهَا خِطْبُ

[ع] « اجتُلِيَتْ » من جِلاء العَروس ، واستعَار البِكْرَ والناهِدَ والثَّيِّبَ للحرب ، و « النَّاهِد » التى قد نَهَدَ ثَدْيُها أى نَهَضَ ، وخِطْب المرأةِ الذى يَخطُبُها ، يقال هو خِطْبُها وهى خِطْبُه . والمعنى أنهم يرغبون فى الحرب

---

(١) فى ظ زيادة من كلام أبى العلاء هى قوله : وقال زيد الخيل :

وقد علمت سلامة أن سيفى ... أخو حدث إذا دعيتْ نزال

وقال : وقوله « رأيتهم رجلى كأنهم ركب » يصف أنهم طوال ، والعرب تمدح بالطول ، ولذلك قالوا طويل النجاد .

قال ابن المستوفى : والوجه الثانى الذى ذكره هو الأول إلا أنه زاده « مستأسرين » وهذا لم يسمع ، وما استشهد به من قول زيد الخيل فلا دلالة فيه على الأمر .

وقال الخارزنجى : يقول إذا استنزلوا للقتال نزلوا فقاتلوا وهم رجل قتال الفرسان لخفتهم . وهذا الوجه أولى من الأول لموافقة قوله : «كماة إذا تدعى نزال لدى الوغى » . على أنهم قد ذكروا فى شرحه أنه أراد بذلك طولهم كما قال أبو العلاء . والذى خلص فى المدح بالطول قوله :

أشم طويل الساعدين كأنما ... عمامته بين الرجال لواء

(٢) م ، ل : « ولا كرب » .

(٣) فى ظ : روى الخارزنجى « ولا أخطبت » وقال أى عرضت للخطبة كما تقول أبعتُ الفرس إذا عرضته للبيع .

على جميع الصِّفات ، إن كانت حربًا مبتدأةً لم يُقاتَل فيها ، وإن كانت على غير ذلك.

٤٦ جُعِلْتَ نِظَامَ المكْرُمَاتِ فلَم تَدُرْ
رَحَا سُودَدٍ إلَّا وأَنتَ لها قُطْبُ

٤٧ إذَا افتخَرَتْ يَوْماً رَبِيعَةُ أَقبَلَتْ
مُجَنِّبَتَيْ[1] مَجْدٍ وأَنتَ لها قَلْبُ

[ع] يريد بـ « المُجَنِّبتين » مَيْمنة الجيش ومَيْسرته ، وبـ « القَلب » ما بينهما من العساكر ، وإنما خَصَّ الممدوحَ بكونه القلب لأنَّ شُجْعانَ القوم وعميدَ جَيْشهم يكون فى ذلك المَوْضع .

٤٨ يَجِفُّ الثَّرَى مِنها وتُرْبُكَ لَيِّنٌ
ويَنْبُو بِها مَاءُ الغَمَامِ وما تَنْبُو[2]

٤٩ بجُودِكَ تَبْيَضُّ الخُطُوبُ إذَا دَجَتْ
وتَرْجعُ فِى أَلْوَانِهَا[3] الحِجَجُ الشُّهْبُ

٤٩ ــ [ع] يُكنَى عن شِدَّة الزمان بالظُلْم والدَّجَى . يقول : بِجودكَ

---

(١) فى ظ : روى الخارزنجى « مجنبتا نجد » وقال وذلك جائز لأن ربيعة كان من منازلها نجد .

(٢) جاء فى ظ : فى بعض الحواشى بإزاء قوله « يجف الثرى منها » : أى يفنى جودهم إذا ماتوا وقال الخارزنجى : يقول إذا يبس ثرى ربيعة فأجدبوا وجدوا تربك ليناً ثرياً فأخصبوا به ورتعوا فيه ، وإذا أخلفهم ماء المزن لم تخلفهم . وقال الصولى : يجوز أن يكون الهاء فى « منها » للمكرمات ، والاختيار عندى أن تكون راجعة على ربيعة .

(٣) قال ابن المستوفى تعقيباً على كلام أبى العلاء : وما أورده من قوله : « وإذا رويت " فى ألوانها " فالأجود أن تكون الهاء راجعة على "الخطوب" ، ويكون المعنى ترجع الحجج الشهب فى ألوان البيض من الأيام » فغير مستقيم ، لأن سنى القحط إذا وصفت بالشدة قالوا سنة شهباء ، فإذا جعلوها بيضاء كان أبلغ فى وصفها بالشدة ، قال ابن الأعرابى الشهباء ليس فيها مطر ، ثم البيضاء ، ثم الحمراء ، والشهباء خير من البيضاء ، والحمراء شر من البيضاء . =

يبيضّ الزمانُ المظلم . وإذا رويت « فى ألوانها » فالأجود أن تكون الهاء راجعة على « الخطوب » ويكون المعنى : وترجع الحِجَجُ الشهْبُ فى ألوانِ البيضِ من الأيام ، و « الحِجَج » السُّنون * وإنما سُميتِ السنةُ حِجةً لأنهم كانوا يَحجُّون البيتَ فى كلّ عام مرة ، فسمّوا السنة حِجة لأنّ الحَجَّ يكون فيها ، كما يقال أقمت عندَه هلالاً أى شهرًا فيسمى الشهرُ بالهِلال. [ع] « والشُّهْب جمع الشَّهباء من السنين ، وهى السنة القليلةُ المطر والنَّبْت ، سُميت بذلك لأنها لا تَخضرّ وتكون أرضُها إلى البياض . وقد يحتمل أن تكون الهاء راجعةً إلى الحِجَج على رواية مَن روى « فى ألوانها » أى أنها ابيَضَّت ، كما يقال رجَع فلان فى هِبته أى بَدا له من إمضائها . ومَن روى « عن ألوانها»(١) فالهاء للحِجج لا غير * [ص] وروَى أبو مالك « وتَسوَدُّ من إدْرارِه الحِجَجُ الشُّهبُ»(٢) يعنى بجودِ خالد تَسودّ السُّنون البيضُ من الجَدْب بالنباتِ الأسْوَد .

٥٠ هو المَرْكَبُ المُدْنِى إلى كُلِّ سُودَدٍ
وعَلْيَاءَ إلَّا أَنَّهُ المرْكَبُ الصَّعْبُ

يقول : الجُود يقرّب مَن ركِبَه إلى العُلَى والسُّودد ، إلاّ أنه صعْب .

= وقال : وكذا قوله : « ويحتمل على رواية من روى " فى ألوانها " أن تكون الهاء راجعة إلى "الحجج" أى أنها ابيضت كما يقال رجع فلان فى هبته أى بدا له من إمضائها » فقوله « أى ابيضت » لا حاجة إليه . ويجوز أن تكون الهاء فى « ألوانها » راجعة إلى الخطوب، والمعنى: ترجع فى مثل ألوان الخطوب الداجية ، أى سوداً ، وإنما تكون كذلك إذا اخضرت من النبات ، وإذا كثرت الخضرة عبروا عنها بالسواد ؛ والهاء راجعة إلى « الحجج » على كل حال ، إن روى « فى ألوانها » وإن روى « عن ألوانها » .

(١) هى رواية س ، م ، ل ، و .

(٢) قال الصولى فى شرحه : ولم يعرف أبو مالك إلا هذه الرواية ، وروى قوم « الحجج الشهب » أى كل من جاد بحجة بيضاء صارت بحجتك سوداء إذا كنت خصماً له .

٥١ إِذَا سَبَبٌ أَمْسى كَهَاماً لَدَى امرئٍ
أَجابَ[1] رَجَائِى عِنْدَكَ السَّبَبُ العَضْبُ

أى إذا كلّت الأسبابُ عند غيرك .

٥٢ وسَيَّارَةٍ[2] فى الأَرْضِ ليسَ بِنازِحٍ
على وَخْدِهَا[3] حَزْنٌ سَحِيقٌ وَلا سَهْبُ

[ص] يعنى قصيدةً من شغَفَ النّاس بها يحملونها إلى كل بلد ، فليس يَبْعد على وَخْدِها ، وهو ضَرْب من السَّيْر ، حَزْنٌ من الأرض ، وهو الغليظ منها ، و « السَّحيق » البعيد ، و « السَّهْبُ » فضاءٌ واسع .

٥٣ تَذُرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فى كُلِّ بَلْدَةٍ
وتَمْضِى جَمُوحاً[4] مَا يُرَدُّ لها غَرْبُ

[ص] أى تَطلُع على كل بلد وتبلغه كما تَطلُع الشمس فيه وتبلغه ، وطَلَع فلانٌ بلَدَ كذا أى بلَغه ، وقيل فى قوله : « تَطَّلِعُ على الأفئدة » أى تبلغها . و « تَجْمَح » أى لا تَقِف بمكان لا يقدرُ أحدٌ أن يَرُدَّ غَرْبَها أى حَدَّها .

٥٤ عذَارَى قَوَافٍ كنتُ غيْرَ مُدَافِعٍ
أَبَا عُذْرِهَا لا ظُلْمَ ذَاكَ ولا غَصْبُ

فى النُّسخ « كنتَ أبَا عُذْرِها » بفتح التاء، ويكون معناه أنك كنت كفوًا لها .

---

(١) س : « أجار رجائى » — ظ : « أجاز » ، وقال إنها رواية الخارزنجى . وشرحه فيها : إذا كل سبب راح عند غيرك فلم يقطع فإن رجائى عندك يجيزه السبب القاطع ، والإجازة الضمان . وقال : ويروى « أجار » بالراء المهملة .

(٢) فى ظ : روى الخارزنجى « وسائرة » .

(٣) س : « على وفدها » ورواها الخارزنجى فى ظ .

(٤) فى ظ : من ضم الجيم فى « جموحاً » جعلها مصدراً فى موضع الحال ، ومن فتحها جعلها حالا .

[ع] : « كنتُ » بضم التاء ، يريد أن هذه القوافى مثل النساء العَذارى لم يَفترِعْهُنَّ غيرى ، يُقال للرجل إذا افتَضَّ المرأة هو أبو عُذْرِها وأبو عُذرَتِها ، وفى كلام لبعض المتقدِّمين وسأل عن المطَر فجاءَ المسؤولُ بكلام لم تَجْرِ عادتُه بمثلِه فقال السائلُ : هذا كلامٌ لستَ بأبى عُذْرِه ، أى ليس هو من كلامِك .

٥٥ إذَا أُنْشِدَتْ فى القَوْمِ ظَلَّتْ[1] كأَنَّهَا
مُسِرَّةُ كِبْرٍ أَو تَدَاخَلَهَا عُجْبُ

٥٦ مُفَصَّلَةٌ باللُّؤْلُؤِ المُنْتَقَى لهَا
من الشِّعْرِ إلا أَنَّهُ اللُّؤْلُؤُ[2] الرطْبُ

---

(١) هـ س : ويروى « مرت كأنها » وهى رواية الخارزنجى كما فى ظ ، وقال : أى إذا أنشدت فى القوم وجدوها قد أضمرت كبراً وتداخلها عجب لما رأوا فيها من جودة الألفاظ ومنتخل المعانى وذكر المفاخر والشرف والعز فاستطالت بذلك .

(٢) قال ابن المستوفى : وروى الصولى « لؤلؤ رطب » وقال ويروى : « اللؤلؤ الرطب » والأول أجود . والذى عندى فى نسخ الصولى « اللؤلؤ الرطب » .

وفى ظ قال : وقال الآمدى : ولم يرد المنتقى من الشعر ، وذلك عيب فاحش على الشاعر أن يعترف به ، وقوله: « إلا أنه لؤلؤ رطب» أى محدث من اختراعه لم يكن سبق إليه . وفى ظ أيضاً : جعله لؤلؤاً رطباً لكثرة مائه وصفائه فإن اللؤلؤ أول ما يخرج من أصدائه يكون أكثر بريقاً وماءً وأنفس .

١٥

وقال يمدح أبا دُلَف القاسمَ بن عيسى العِجْلى :

١ على مِثْلِها من أَرْبُعٍ ومَلاعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّواكِبِ (١)

الثانى من الطويل ، والقافية متَدارِك .
« أذيلَتْ » أى أهينَتْ (٢) .

٢ أَقُولُ لِقُرْحانٍ مِنَ البَيْنِ لم يُضِفْ
رَسِيسَ الهَوَى تَحْتَ الحَشا (٣) والتَّرائِبِ

ويُروى « لم يَصِفْ » . [ع] يُقَال رجلٌ قُرْحان إذا لم يُصبه مرَض

(١) ه س : « السوارب » .
(٢) لم يرد هذا الشرح فى ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
وجاء فى ظ : قال الآمدى : أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون ؟ وإنما أراد أبو تمام أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .
وقال ابن المستوفى : وجدت فى حاشية من نسخ شعره عند قوله : « أذيلت مصونات الدموع السواكب » : « السواكب » : ليست صحيحة فى العربية ، إنما هو المسكوبات والمنسكبات ، فأما « السواكب » فالصواب ، وهذا من تخليطاته . فإن احتج محتج فقال « ساكبة » ذات انسكاب ، فإن هذا إنما يقال فيما قيل ولا يقاس عليه ما لم يسمع . قال أبو بكر محمد بن دريد : سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له ، وسكبت العين دمعها ، فعلى هذا القول يكون « السواكب » جمع ساكبة من قولهم سكبت العين دمعها ، وقوله فأما « السواكب » فالصواب فجائز أن يحمل قول أبى تمام « السواكب » على أنه أراد الصواب ولا يفسد المعنى ، فإن اسم الفاعل أيضاً من سكبت العين دمعها ساكبة وجمعه سواكب وإن كان بمعنى صواب .
وقال ابن المستوفى عقب هذا : وأظن هذا القول من كلام الآمدى ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد . وقد جاء فى شعر العرب « السواكب » قال خداش بن زهير :

أعينى جودى بالدموع السواكب ... وبكى على قيس خليلى وصاحبى
على مثل قيس تخمش الأرض وجهها ... وتلقى السماء جلدها بالكواكب

(٣) م ، ل ، س ، ق ، د ، ظ « بين الحشا » — وقال ابن المستوفى : وروى أبو زكريا « تحت الحشا » والأول أشبه بطريق الطائى .

مِثلُ الجُدَرِى والحصْبة(١) ومَذهبُ بعضِهم أنه لا يُثنّى ولا يُجمَع ولا يُؤنّث، ويَجرى مَجْرى قولِهم رجل زَوْر وفِطْر، وقال قَوْم بل يُثنّى قُرْحان ويُجمَع(٢)، ومَن روى «لم يُضِف» بالضاد مُعجمةً فالمعنى لم يكن له مثل الضَّيْف، ومن روى «لم يَصِف» بالصّاد فمعناه أنه لم يَدْرِ كيف هو فيَصِفَه *، ومِن هذا النحو قولُهم قد وَصَف الغلامُ البلوغَ، أى قد بلَغ فقَدَر أن يَصِف ذلك، ويجوز أن يكون المعنى فى قولهم وَصَف البُلوغَ أنّ الرّائى إذا رآه علِم أنه قد بلَغ .

وقوله(٣) «لقَرْحانٍ من البَيْن» أى لقومٍ لم يقاسوا من البين أى الفراق ما قاسيتُ منه .

٣ أَعِنِّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعى فإِنَّنى
أُرَى الشَّمْلَ مِنهُمْ لَيسَ بالمُتَقَارِبِ

٤ وما صارَ فى ذا اليَوْمِ عَذْلُكَ كلُّهُ
عَدُوِّىَ حَتَّى صارَ جَهلُكَ صاحِبِى

٤ – ويروى :

وما زالَ يومَ(٤) الدارِ عَذْلكَ كلُّه عدوىَ حتّى صارعُذْرُكَ(٥) صاحبى

(١) جاء فى ظ : قال الآمدى جعل أبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأحباب قرحاناً على التشبيه كما قال جرير :

* لو كنت من زفرات الحب قرحاناً *

وفسر الصولى «الرسيس» فقال : ورسيس الهوى ما بطن منه فاندرس كأنه رس، ورسيس أى دفين، وجاء فى ظ : وقالوا «رسيس الهوى» أى أوله من رسيس الحمى ورسها أى أولها .

(٢) زادت ظ بعد هذا من كلام أبى العلاء : «ويحتجون بالحديث المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأراد أن يدخل الشام وهى تستعر طاعوناً فقيل له إن أصحاب محمد قرحانون لم يصبهم جدرى ولا طاعون» . قال ابن المستوفى : الأكثرون مجمعون على إفراد «قرحان» تثنية وجمعاً وتأنيثاً، قال الجوهرى – وذكر حديث عمر رضى الله عنه – : هى لغة متروكة فجاء أبو زكريا بما يخالف الفريقين .

(٣) من هنا لآخر الشرح لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب، ن .

(٤) وهى رواية ق، د، ظ – وكذلك هى الرواية عند الآمدى . وجاء فى ظ : قال الصولى : ويروى «فما صار يوم الدار» وهو الاختيار .

(٥) هى رواية ق . وقال الصولى : ويروى «حتى صار حلمك صاحبى» وكله سواء .

(المرزوقي) : يقول : ما أفرطتَ في تأنيبك لي وعَتْبك عليَّ حتّى سُؤْتَني به فتصوّرتُه عدوًّا إلا وعِلْمي بأنك لا تَعرِف حالي ولا تَعرِف حقيقة ما بي يَعذِرك عندي ، إذْ لو لم تكن تجهل ذلك لم تكن تَستحسن المبالغةَ في لَوْمي بل لا تَستجيزُ شيئًا منه(١).

٥ وما بِكَ إركابي مِن الرُّشْدِ مَرْكَباً
أَلَا إِنَّما حَاوَلتَ رُشْدَ الرَّكائِبِ

(المرزوقي) : يُخاطب لائِمَه في الوُقُوف على الدار يقول: ليس بك فيما تتكلّفه مِن لَوْمي هِدايتي وصَرْفي عن غَيِّي إلى رشادي ، وإنما شَقَّ عليك وقوفُ الإبل بأحمالها ، فَحمَلك الإشفاقُ عليها والجدُّ في المَنْع من حَبْسها على الإسراف في العَتْب وتغليظِ القول ، فأمّا أن يكون بك صَلاحِي فلا . وردَّ قولَ مَن أنكر عليه « إركابي » وقال: إنما يُقَال حَمَله على الفَرَس وأركَبَه ، وأنَّ الرَّشادَ لا يُستعمَل في البهائم كما أنَّ ضِدَّه وهو الغَيّ لا يُستعمَل فيها .

٦ فَكِلْنِي إلى شَوْقي وسِرْ يَسِر الهَوَى
إلى حُرُقاتِي بالدُّمُوعِ السَّوارِب

« السَّوارِب » السؤال ، يقال سَرَبَ الماءُ على وَجْه الأرض إذا سال ، ومنه سَرَب المالُ في الرَّعْي إذا انبسط ، يقول : فَدعْني وشوقي وسِرْ أنت حتى يَسيرَ الهوَى إلى قَلْبي فيَلْعَجه .

---

(١) قال الصولي : وسألت أبا مالك عن هذا المعنى ؟ فقال : مثل هذا في الشعر كثير ، وكأنه من قول بشار :

هجرت محلي لشغلي بهم ولو قد عشقت لصاحبتني

وقد ردد هذا المعنى في شعره كثيراً . وقال الآمدي في ظ : أي لما لم تساعدني على الوقوف فأصحت إلى المسير معك صار جهلك صاحبي لأنا اصطحبنا ضرورة ، وقيل أراد حتى صار جهلك بالهوى صاحبي أي نافعي لأنك منعتني من الوقوف على الدار فصار ذلك نافعي لأنه عاد بمصلحة على ركائبي ، إذ لم أعسفها بالتعريج على الدار والوقوف والتردد فيها ، يدل عليه قوله « وما بك إركابي » البيت . أي ما استفرغت عذلك وانتهيت فيه حتى انطلقت معك فصار جهلك صاحبي ، وإنما أراد حتى اصطحبنا على جهلك بحالي وأنك غير مجانسي ولا على سجيتي وطباعي في الهوى وتجربته .

٧ أَمَيْدانَ لَهْوِى مَنْ أَتاحَ لَكَ البِلَى [١]
فأَصبَحْتَ مَيْدانَ الصَّبا والجَنائِبِ؟!

٨ أَصابَتْكَ أَبْكارُ الخُطوبِ فَشَتَّتَتْ
هَوَاىَ [٢] بِأَبْكَارِ الظِّباءِ الكَوَاعِبِ

٨ — « أبكارُ الخُطُوب » التى لم يُصَبْ بها أحدٌ قبلَه [٣].

٩ ورَكْبٍ يُساقُونَ الرِّكابَ زُجاجَةً
مِن السَّيْرِ لم تَقصِدْ لها كَفُّ قاطِبِ

٩ — [ص] أى يُسكرون المطىَّ بالتَّعَب فكأنَّهم سَقَوْها زجاجةً ، أى شرابًا فى زجاجة ، « وقاطِب » أى مازج ، أى ليستْ هى على الحقيقة زجاجةً فيها شَرَابٌ يُناولها السَّاقى صاحبَه بِقَصْد [٤].

١٠ فقد أَكَلُوا مِنها الغَوارِبَ بالسُّرَى
فصارَتْ لها أَشباحُهُمْ كالغَوارِبِ

« الأشباح » جمع شَبْح وشَبَح ، وكأنَّ الشَّبَح الشَّخصُ إذا رُئِىَ مِن بعيد . يقول : أتعبوها حتى ذَابَت أسنِمَتُها ، وصاروا لها كالأسْنِمَة فوقَها . ويروى « فصارت لهم أشباحُها كالغوارِبِ » (ق) والمعنى : أنهم قد فرغوا مِن إفناء أسنِمتها إذ كان الفَناء عند جَهْدها إليها أسرع من بين جميع أعضائها ،

---

(١) م ، ل : « الردى » — س : « الهوى » وبهامشها : ويروى « البلى » و « الردى » و « النوى » . وفى ظ : ويروى « من أناخ بلك الردى » ترده إلى الدار وهو الأجود .
(٢) م ، ل : « هواك » وروتها ظ — س « نواك » وهى رواية الخارزنجى .
(٣) وقال الصولى : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهى أبكار . وفى ظ قال الخارزنجى : « أبكار الخطوب» مباديها وسوابقها .
(٤) قال الآمدى فى ظ : أى سيراً لا يلين ولا يفتر لا كما تمزج الراح بالماء وتلين .

وصاروا يؤثِّرون فى شُخُوصِها ، فهى لهم الساعةَ بَدَلٌ من الغَوارِبِ مِن قبل .

١١ يُصَرِّفُ مَسْرَاها جُذَيْلُ مَشَارِق
إذا آبَهُ هَمٌّ عُذَيْقُ مَغارِبِ

(ق) ويروى : «يقود نَواصيهم جُذَيل مَشارق »[1] وقوله : «يَقُود نَواصِيهم» أى قائدُ هؤلاء الرَّكْب رجلٌ مِسفارٌ احتكَّتْ به البُلدان ، فجرَّب وتبصَّرَ كما تحتكُّ الإبِلُ بالجُذَيل وهو تَصغير الجِذْل ، وهو خشب تَحتكُّ به الإبلُ الجربَى فتَشتَفى به ، و « العُذَيْق » تصغير عَذْق ، وأصلُ المثَل أن يقول العالِمُ بالشىء : أنا جذَيلُها المحَكَّك وعُذَيقُها المرَجَّب[2] فأما التَّرجيب فأن يُبنَى تحتَ النَّخْلة دُكانٌ لِئلاَّ تميلَ وذلك إذا كانت كريمة . والمعنى أنَّ رئيسَهم إذا حزَبه أمرٌ رجل عالم يُشتفَى بما عندَه مِن الرأى والمعرفة بالسفَر . ويجوز أن يكون شبَّه قائدَهم لتأثير السفَر فيه وتغييره من لَوْنه وجِسمه بالجُذَيل ، لأنَّه يَسودّ إذا احتكَّت به الإبل الجربَى للطلاء الذى عليها ، وبالعُذَيْق فى دِقَّته ونَحافته .

١٢ يرَى بالكَعَابِ الرَّوْدِ[3] طَلْعَةَ ثائرٍ
وبالعِرْمِسِ الوَجْناءِ غُرَّةَ آيبِ

[ص] يقول : هذا الرجلُ مِن حبِّه للسَّفَر فى طَلَب العُلَى إذا رأى الكاعِبَ الحَسْناء فكأنما يرَى طَلْعَة ثائر قد جاء لِيثأر منه ، لِبُغْضه للكاعِب وحُبِّه للسَّفَر ، إلى أن يَبلُغ مُرادَه ويَنالَ حاجتَه . ويرى بالعِرْمِسِ — وهى

---

(١) وهى رواية ق ، ص ، د ، ظ — وروى الخارزنجى فى ظ : « يسوق نواصيهم » وقال الصولى : ويروى « يقود نواصيها » .

(٢) مجمع الأمثال ١ : ٣١ .

(٣) « الرود » : اللينة الناعمة .

النَّاقة الصُّلْبة – مِن حُبِّه لها طَلْعَةَ قادمٍ عليه ، حتى يَبلُغ إلى أبى دُلَفَ هذا الممدوح الذى يَجىء ذِكْرُه .

١٣ كأَنَّ بهِ ضِغْناً على كُلِّ جانِبٍ
مِن الأَرضِ أَو شَوْقاً إلى كلِّ جانِبِ

[ص] يقول : مِن حُبِّه للسفَر والذَّهاب فى البلاد كأنّه ضَغِنٌ على المكان الذى هو به حتى يَتركه ، أو كأنَّه مُشتاق إلى الجانب الذى لم يَمضِ بعدُ إليه حتى يبلُغَه .

١٤ إذا العِيسُ لاقَتْ[1] بِى أَبا دُلَف فقَدْ
تَقَطَّعَ ما بَيْنِى وبينَ النَّوائِبِ

١٥ هُنالِكَ تَلْقَى[2] الجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ
تَمائِمُهُ والمَجْدَ مُرخَى الذَّوائِبِ

١٥ – « حيث تقطعت تمائمه » الموضع الذى نشأ فيه . [ص] يقول[3] : تلقى الجود قد أحبَّ هذا الموضع ورُبى فيه فما يُحبّ أن يفارقه ، وإنما نحا قول الأسَدىّ :

أحبُّ بلادِ الله ما بين مَنْعِجٍ إلىّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمى وأوَّلُ أرض مَسَّ جلدى ترابُها

ويروى « وافى الذوائب » أى يلقى المجدَ كثيرًا ، وهذا مثل ، أى مجدُه وشرفه مع هذا الجود جليل كثير أيضًا ، فهذا تفسير « وافى الذوائب » . ومَن روى « مُرخَى الذوائب » أراد أن المجد كالآمن فيهم من أن يتحوّل عنهم إلى غيرهم ، ويكون أيضًا قد أحاط به الشرفُ من كل جانب .

---

(١) ظ : « وافت بى »

(٢) س : « يلقى الجود فى حيث قطّعت » . وروتها ظ .

(٣) من أول كلام الصولى إلى آخر شرح البيت لم يرد فى ش ، وأثبتناه من نسختى ب ، ن .

١٦ تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنونُها إذا لم يُعَوِّذها بِنَغْمَةِ[١] طالبِ

ويُروَى: « تَنَغمُ طالِب » يجعل التَّعويذَ للتَّنغُّم لا لِربِّ العَطايا .

[ع] و « جُنَّ جنونُها » مَثَل وُضِع للمبالغة ، يُقال جُنَّ جُنونُها وجَاع جُوعُها ، والجُنون فى الحقيقة لا يُجن ، وكذلك الجُوعُ لا يَجُوع ، ولكنهم يُريدون به الشِّدَّة والإفراط * [ص] . يقول: إنَّ عطاياه متى تأخَّرَت عن السُّؤال فَسَد عقلها حتى تسمعَ صوتَ مَن يَجىء طالِبًا أو راغبًا ، فيكون ذلك الصوتُ كالعُوذة لِهذه العَطايا[٢] * .

١٧ إذا حَرَّكَتْهُ[٣] هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرَتْ
عَطاياهُ أَسماءَ الأَمانِى الكَواذِبِ

يريد أنه يُصدِّق الأمانىَّ والآمالَ ويُحقِّقُها فيقال فازَ ، وسَعدَ ، وحَظِى ، بدَل قولهم حُرِمَ ، وكَذَب أملُه ، وخاب رجاؤه ، فهذا تَغييرُ أسماء الأمانى الكَوَاذب[٤] .

١٨ تَكاد مَغانِيهِ تَهِشُّ عِراصُها
فتركَبُ مِن شَوْقٍ إلى كلِّ رَاكِبِ

« العِرَاص » جمع عَرْصَة ، وهى ساحَة الدَّار ، واستعار لها الهَشَاشة

---

(١) قال الصولى : ويروى « بنعمة طالب » وهو تصحيف .

(٢) جاء فى ظ ؛ وهذا البيت مما عابه عليه أبو العباس عبد الله بن المعتز فقال : ولم يجن جنونها انتظاراً للطلب ؟ يبتدئ بالجود ويستريح !

(٣) س ، ق : « أخذته »

(٤) قال المرزوقى فى كتابه : ومثله قول أبى تمام فى أخرى :

أترى أبا الإحسان يحسن بيننا وملقب الأيام ممن يذنب ؟ !

فقوله « ملقب الأيام » مثل قوله « غيرت عطاياه أسماء الأمانى » . وفى ظ قال الآمدى : الأمانى هى الأكاذيب ، أى أعطى أصحاب الأمانى ما كانوا يتمنونه من الأباطيل فصارت حقائق وزال عنها اسم الأمانى

التى هى البِشر والأريحيَّة . [ص] يقول(١) : من شهوته لإعطاء المال وبَذْله تكاد عِراصُ مَغانيه تَسير إلى مَن يسير إليها طالبًا نَيْله .

١٩ إذا مــا غدَا أغدَى كَرِيمَةَ مالِهِ
هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لِأَلْأَمِ خاطِبِ

يقال غدَا الشيء ، وأغداه غيرَه ، جائز على القياس وهو مفقود فى المسموع . و « الهَدِىّ » العَرُوس ، وهذه مُبَالغة فى المدح ، يريد أنه إذا جاءَه الرجلُ الدَّنىءلم تمنعه دَناءتُه أن يُعطِيَه مِن خير ماله .

٢٠ يَرَى أَقْبَحَ الأَشياءِ أَوْبَةَ آيِبٍ(٢)
كَسَتْهُ يَدُ المأْمُول حُلَّةَ خَائِبِ

٢١ وأَحسَنُ مِن نَوْرٍ تُفَتِّحهُ الصَّبا(٣)
بَياضُ العَطايا فى سَوادِ المطالِبِ

٢٢ إذا أَلجمَتْ يَوْماً لُجَيْمٌ وحَــوْلها
بَنُو الحِصْنِ نَجْلُ المُحْصِنَاتِ النَّجائِبِ

٢٢ – يعنى لُجَيم بن صَعْب بنِ علىّ ِ بنِ بكرِ بن وائل ، وهم قَوْم

---

(١) من قوله : « يقول من شهوته . . . » إلى آخر الشرح لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
(٢) س ، د : « آمل » .
(٣) س : « الندى » وهى رواية الخارزنجى كما فى ظ . وقال فى شرحه : يقول أحسن من نور يسوره الشجر والنبات فتفتحه أكف الندى بياض العطايا أى سرورها وضياؤها فى سواد المطالب ، لأنها مظلمة حتى يبين لطالبها نجحه أو خيبته .

وقال ابن المستوفى : قال الآمدى : قوله « بياض العطايا فى سواد المطالب » ليس من معانيه ، وإنما نقله من قول الأخطل :

رأين بياضــاً فى سواد كأنه   بياض العطايا فى سواد المطالب

ذكره ابن أبى طاهر فى سرقاته ، إلا أن قول أبى تمام : « وأحسن من نور يفتحه الندى » فى غاية الحلاوة. هذا كلام الآمدى . وروى : « وأحسن من روض » – وقال ابن المستوفى عقبه : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل فى ديوانه ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعله موضوع ليدفع أبو تمام عن محاسنه .

أبى دلف العِجْلى ، لأنه من عِجْل بن لجيم . و « نَجْل المحصنات » ولَدها .

٢٣ فإنَّ المَنايا والصَّوارمَ والقَنـا
أَقاربُهُمْ[١] فى الرَّوْعِ دُونَ الأَقارِبِ

٢٤ جَحافِلُ لا يَتْرُكْنَ ذا جَبَرِيَّةٍ
سَلِيماً ولا يَحْرُبْنَ مَن لم يُحارِبِ

٢٤ — « الجَبَرِيَّة » الكِبْر ، وهو اسمٌ موضوع على النّسب ، ولم يقولوا فيه جَبَر أى كِبْر .

٢٥ يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ[٢] عَوَاصِمٍ
تَصُولُ[٣] بـأَسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ

(ع) هذا كلامٌ فيه حذف على رأى سيبَوبه ، وهو مفعول يحتمل أن يُصرّفه السامِعُ على ما يُريد ، فكأنه قال يمدُّون سَوَاعِدَ أو بَسْطةً أو نحوَ ذلك ، وكان سعيدُ بنُ مَسْعَدَة يرى أنَّ « مِن » فى هذا زائدة ، ومثل ذلك قولهم غضَضْتُ من فلان أى غضضت شيئًا مِن حُقوقِه ، فأمّا قولُ جرير :

رَأَتْ مَرَّ السنينَ أخذْنَ مِنِّى كما أخذَ السَّرارُ مِن الهِلالِ[٤]

فإذا حُمِل على أنَّ الكلامَ تَمّ فى النِّصف الأوّل فهو مِثل ما تقَدّم ذِكْرُه ، وإن كان « أخذْنَ » واقعًا على « كما » فليس فى النصف الأوّل حذف. وقوله : « عَوَاصٍ » يحتمل وجهين : أجودهما أن يكون جمعَ عاصيةَ مِن عَصَيْتُه

(١) ل : « أقاربكم » . وقال ابن المستوفى : وروى الصولى « أقاربهم » على ضمير الغيبة . . . وروى الخارزنجي أو غيره : « أقاربكم » على ضمير الخطاب .

(٢) د : « طوال » .

(٣) س « تسور بأسنان » وبهامشها « تطول » .

(٤) الديوان ص : ٤٢٦ .

بالسَّيْف إذا ضربتَه به ، والآخر أن يكون مِن العِصْيان ، أى أنها لا تُطيع أمرَ الملُوك ولا الأعداء إذ ليس فوقَها يَدٌ . و « عَواصِم » جمع عاصمة ، أى يَعتَصِم من استجار بها . وقوله « عَواصٍ عَواصِم » يُسمِّيه أهل النقد تجنيس المُقَارَبَة ، لأن اللفظين مُتقاربان ليس بينهما فرق إلاّ فى الميم ، وكذلك قوله : « قواضٍ قواضب » والقَواضى التى تَقضى على الأعداء بما تُريد ، وقد يُستعمل قَضيْتُ فى معنى قَطعتُ ، ويقال قَضَى عليه إذا كان سبب موته أو قَتْله . ويجوز أن يكون قولُه : « يَمُدُّون » مِن مَدَّ النهرُ ومَدَّه نهرٌ آخر ، وهذا المعنى ألطفُ وأحسنُ مِن الأوّل[1] ، أى يمدّون أيديًا تعصى العاذ لينَ فى الجود ، وتَعصم المُستَغيثَ الخائفَ بأسيافٍ هذه صفتُها .

٢٦ إذا الخَيْلُ جابَتْ قَسْطَلَ الحَرْبِ صَدَّعُوا
صُدُورَ العَوالِى فى صُدُورِ الكَتائِبِ

يقول : إذا شَقَّت الخيلُ غُبار الحربَ فإنهم يَطعنون الأبطال بالرّماح حتى يَكسِروها فى صدورهم .

٢٧ إذا افتخَرَت يَوْماً تَمِيمٌ بِقَوْسِها
وزَادَتْ[2] على ما وَطَّدَت مِن مَناقِبِ

---

(١) لابن المستوفى تعقيب على كلام أبى العلاء هذا ، قال : فى كلام أبى العلاء على بيت جرير نظر يحتاج إلى بحث . وقوله : « فإذا حمل على أن الكلام تم فى النصف الأول فهو مثل ما تقدم ذكره ، وإن كان واقعاً على كما فليس فى النصف الأول حذف » ، وهذا إذا تأمله الناظر لا يؤدى إلى تحقيق ، فإن قوله : « منى » يحتمل أن تكون « من » فيه مثلها فى الهلال .

وقوله : « من عصيته بالسيف أى ضربته » إنما هو من عصوته بالعصا أى ضربته بها ، ولم أجد عصيته بالسيف ، إنما قالوا عصى بالسيف يعصى عصى إذا ضرب به ، فلو أخذ من ذلك كان أولى ، وأخذه من العصيان على ما ذكره أجود من هذا التكلف البعيد ، وهذا التجنيس يسميه أصحاب البديع الناقص ، وهو ضرب من المضارعة ، وعليه أنشد بيت أبى تمام هذا .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وروى الخارزنجى : « عواصٍ غواصب » . قال وفى الحاشية : « يمدون من أيد طوال غواصب » أى تغصب الأرواح .

وقال الصولى فى شرحه : ويروى « من أيد طوال » إلا أن أبا تمام قابل اللفظ فقال : « عواص » ثم قال : « قواض » فهذا أحب إلى من « طوال » .

(٢) ظ : ويروى « فخاراً » ، وهى رواية د .

٢٨ فأَنتُمْ بِذِى قارٍ أَمالَتْ سُيُوفُكُمْ
عُرُوشَ الذين استَرهَنُوا قَوْسَ حاجِبِ

٢٧ و ٢٨ – يَعْنى بـ « العُروش » الأسرة ، ويمدح أبا دُلفَ بأنه مِن بنى عجل ، وأنهم كانوا فى يوم ذى قار مع بنى شَيْبان ، ويَروُون أنَّ العربَ كانت تزعم أنَّ الفُرْس لا تَموت ، وأن حَنْظلةَ العِجْلِيَّ حَمَل على رجلٍ منهم فطعنه فقَتله فقال لأصحابه : ويلكم إنهم يَموتون ! فحملوا عليهم فكان سبَب ظَفرهم ، وهذا الحديث إذا حُمِل على ما يوجبه المعقول فهو كقولهم فلان لا يَموت مِن العمل أى يَصبر عليه ، فأما اندفاعُ الموت عن الإنسان فلا يجوز أن يُدَّعى له . وقولُه : « إنهم يَموتون » إنما هو حَضٌ على قِتالهم ، لا أنه يزعم أنَّ الموتَ كان عندَه لا يَنزل بهم ، ومثله رجَز يُروَى عن عمرو بن مَعْدى كَرِب فى قِتال الفُرْس :

أنا أبو ثَوْرٍ وسَيْفى ذُو النُّونْ
أضربُهمْ ضَرْبَ غُلامٍ مَجنُونْ
يالَ زُبَيْدٍ إنَّهم يَمُوتُونْ !

أى هُم مِثلكم فلا تَجبنوا عنهم . وحاجِب بن زُرارةَ بن عُدُس بن زَيْد ابن عبد الله بن دَارم كان قد تَدَيَّرَ هو وأهله فى أرض العراق فأنكر ذلك والِى الحِيرَة وكتبَ إلى كِسْرى ، فكتب كِسرى إليه يقول : إن أرادوا أن يرعَوْا بأرضنا فليَقْدَم علينا وفدُهم ، ويُعطونا رهائن منهم ، فقَدِم عليه حاجب بن زُرَارة ، فلما وافقه على ما يُريد طلَب منه الرهائن ، فقال حاجِب : ليس معى إلاَّ قَوْسى هذه فخذها ، فضَحِك منه أصحاب كِسرى ، فقال لهم الملك : خُذوها منه فإنه لن يُسلمها ، فاسترهنوا منه القَوْس ، وذهب فوَفى لهم بما وَافقَهم عليه ، فصار ذلك مَعدُوداً فى مناقِب بنى تَميم . (المرزوقى) : كان السبب فى ذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسَلَّم كان دَعا على مُضَر وقال : اللهم اشدُدْ وطأتَك على مُضَر ، وابعث عليهم سِنِينَ كَسِنِى يوسف . فتَوالت الجُدُوبُ عليهم سَبْعَ سِنين ، فلمَّا رأى حاجِبٌ الجَهْد على قَومه جَمَع بنى زُرَارة وقال :

إني أزمعتُ أن آتى الملِك فأطلُبَ أن يأذَن لِقَوْمنا فيكونوا تحتَ هذا البحر حتى يَحيَوْا : فقالا رَشِدتَ فافعَل ، غير أنّا نخَاف عليك بَكْرَ بنَ وائل . فقال : ماوَجْهٌ منهم إلاّ ولى عنده يَد، إلاّ ابنَ الطّويلَة التَّيْميَّ ، وسأُداويه . ثم ارتَحلَ ، فلم يَزَل يَتنقّل فى الإتحاف والبرّ فى الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابنُ الطويلة ، فنزل ليلاً ، فلما أضاء الفَجْر دَعا بِنطْع ، ثمّ أمرَ فصُبّ عليه التّمرُ ، ثم نادى حَيَّ على الغَدَاء ! فنَظَر ابنُ الطويلة فإذا هو بحاجِب ، فقال لأهل المجلس : أجيبُوه ! وأهدَى إليه جزُرًا . ثم ارتحل ، فلما بَلغ كِسْرَى كان منه ما ذُكر ، ثم جاءَت مُضر بعد موت حاجب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فَدَعا لهم ، فخرج أصحابُه إلى بلادهم ، وارتحلَ عُطارد ابن حاجِب إلى كِسْرى يَطلبُ قَوْس أبيه ، فقال : ما أنت بالذى وضَعتَها . فقال له أجَل إنه هَلَك وأنا ابنُه ، وقد وَفَى للملك ! قال : رُدّوا عليه ، وكَسَاه حُلّةً . فلمّا وَفَد على النبيّ صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ، فباعَها مِن يهودىّ بأربعة آلاف درْهم . فيَقول أبو تمام : إذا افتَخرتْ تَميمٌ بذلك فأنتم قَتلتم الذين كسَوْهم هذا المجدَ بما ارتهنوا ، وهدمتم عِزّهم فى وقعة ذى قار[1] .

٢٩ مَحاسِنُ مِن مَجْدٍ مَتَى تَقْرُنُــوا بِها
مَحاسِنَ أَقوامٍ تكُنْ كالمعايِبِ

---

(١) وقال الصولى : يريد أخذ العرب للطيمة كسرى وانتصافهم من العجم ، وكان رئيس العرب ذلك اليوم سيار بن حنظلة العجلى ، وأبو دلف عجلى ، فخاطبه بهذا . ويقال إن يوم ذى قار كان كيوم بدر ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم فيه ، وبى نصروا » .

وجاء فى ظ : وقيل إنه (أى حاجب بن زرارة) إنما رهن قوسه عند كسرى لما قبل هذا أن يبلغ لطائمه إلى سوق عكاظ ، فارتهن كسرى قوسه حتى أتى بالعير سالمة إلى كسرى ، فقال كسرى : لا أدرى أينا أحسن ، أنا حيث رضيت من حاجب بقوس لا يساوى عشرة دراهم ، أم حاجب حيث أجاز لى عيراً قيمتها كذا وكذا ؟ ثم أمر بتاج فصنع له منظماً بالجواهر فوضعه على رأسه .

٣٠ مَكارِمُ لَجَّتْ(١) فِى عُلُوٍّ كأَنَّها (٢)
تُحاوِلُ ثَأْرًا عند بَعْضِ الكَواكِبِ

٣١ وقَد عَلِمَ الأَفْشِينُ وهْو الذِى بهِ
يُصَانُ رِدَاءُ المُلْكِ عَنْ كلِّ جاذِبِ (٣)

٣١ – [ع] كان الأفشينُ عبدًا للمعتصم ، فاصطنَعه ورفَع شأنه ثم قتَله بعد ذلك ، وهذا الشعرُ قيل فى زمان دَوْلة الأفشين وإقباله ، وكان الأفْشين مِن أهل أشروسَنة ، فسمّاه المعتصم الأفشين ، لأنّ ملِكَ ذلك البلد جرَت عادَته بأن يُسمَّى الأفْشِين كما يُسمَّى ملِكُ الرّوم قيْصر ، وكذلك زَعَموا أنّ الأخشيدَ كان أوّله من فرْغانة فلُقِّب الأخْشيد ، لأنّ ملك فرْغانةَ يُلقَّب بذلك .

٣٢ بأَنَّكَ لَمّا اسحَنْكَكَ(٤) الأَمْرُ واكتَسَى
أَهَابِيَّ تَسْفِى فِى وُجُوهِ التَّجَارِبِ

[ع] « اسحنكك الأمرُ » اسودّ وأظلم . أصل هذه الكلمة فى الليل ، ووزن « اسحَنْككَ » « افعنْلَل » واشتقاقُه مِن سين وحاء وكاف ، وذلك لفظ مُماتٌ لم يَحْكِ أحدٌ من الثقات فيما أعلم « السَّحْك » فى معْنى السَّوَاد .
[ع] « وأهابىّ » جمع إهْباء ، وهو الغُبَار ، ، مثل إعصَار وأعاصير ، وقوله :

---

(١) س ، د : « معالٍ تمادت فى العلو » وبهامشها : ويروى : « معال تعالت » .
(٢) م ، ل : « كأنما » .
(٣) قال الصولى : ويروى « من كل جادب » أى عائب ، وهو تصحيف .
وجاء فى ظ : وقول ابن المعتز كأنه من هذا :
ونحن ورثنـا ثياب النبى فلم تجـذبون بأهدابها ؟
لكم نسب يا بنى بنتـه ولكـن بنو العم أولى بها
(٤) ل : « لما استخذل الأمر » وفى م « لمـا استخذل النصر » وقال الصولى : ويروى : « اسحنكك » .

« تَسفى فى وجُوه التَّجارب » أى لا تَنفع معها التجربة ، فكأنها تملأ عُيونها بالغُبار .

٣٣ تَجلَّلْتَهُ(١) بالرأْىِ حَتَّى أَرَيْتَهُ
به مِلْءَ عَيْنَيْهِ مَكانَ العَواقِبِ

[ع] « تَجلَّلْتَه بالرأى » أى علوتَه به وكنتَ له مكان الجِلال * يقول : لما أظلم وجه الرأى عليه أريتَه إياه مِلْءَ عَيْنَيْه حتى يَنظر إلى عواقبه .
[ص] يعنى يومَ بابكَ أبلىَ أبو دُلَف فيه بَلاءً حَسَنًا ، فيقال إنّ الأفشينَ حَسَده حتى هَمَّ بقتلِه لمَا قَدِم حتى خلصه ابنُ أبى دُؤاد .

٣٤ بأَرْشَقَ إذْ سالَتْ عليهم غَمامَةٌ
جَرَتْ بالعَوالِى والعِتاقِ الشَّوازِبِ

أى مَددْتَه بالرّأى والتَّدبير بهذا المكان(٢) .

٣٥ نضَوْتَ(٣) لَهُ رَأْيَيْنِ سَيْفاً ومُنْصُلاً
وكلٌّ كنَجْمٍ فى الدُّجُنَّةِ ثاقِبِ

[ع] « نَضَوْتَ » أى سَلَلْتَ . « والمُنصُل » يُستَعمل فى السيف خاصةً ، والنَّصْل يُستَعمل فى السيف وغيره . وقوله « وكلّ كنجم » أحسنُ ما يُحمَل على أنه أومَأ بـ « كلّ » إلى ثلاثة ، يعنى : الممدوحَ ورَأْيَه وسيفَه ، وذلك أحسنُ مِن أن يكون أراد به السيف والرأى دُون غيرهما ، لأنه لو ذَهَب إلى

(١) فى ظ : روى الصولى « تحليته بالرأى » . وروى الخارزنجى « تخللته » بالخاء المعجمة ، وقال : أى خلصت إليه برأيك وحزمك حتّى أطلعته بهذا الرأى على عاقبة الأمر .

(٢) قال الصولى : يقول هذه الغمامة إنما سالت برماح وخيل ضامرة .

(٣) م : « نصلت » – ل ، س : « نصبت » . وقال ابن المستوفى : ويروى « سللت » وإنما قال « نصلت » لقوله مُنصُلا .

ذلك لكان الموضع بـ «كِلا»(١) أحقّ منه بـ «كُل» ، على أنه يجوز أن يُوضَع «كل» في موضع «كِلا» .

٣٦ وكنتَ متى تُهزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ(٢)
ضَرائبَ أَمْضَى مِن رقاق المَضَارِبِ

[ع] «ضرائب» جمع ضَريبة وهى الخَلِيقَة، يُقال فلان كريمُ الضريبة أى الشِّيمَة والمَذْهَب ، ويجوز أن يكون اشتقاقُه من ضَربتُ السيفَ إذا طَبعتَه ، ومِن كلّ ما جَرَى هذا المَجْرى نحو الذَّهَب والفِضَّة لأنه مثل الجِبلَّة والفِطْرة .

٣٧ فَذِكْرُكَ فى قَلْبِ الخَلِيفَةِ بَعْدَها
خَلِيفَتُكَ المُقْفَى بِأَعْلَى المَرَاتِبِ

«بعدها» أى بعدها هذه الفَعْلة . و «المُقْفَى» مأخُوذ من القَفِيَّة وهو الشيءُ الذى يُخصّ به الإنسانُ ويُؤْثَر به .

(١) عقب ابن المستوفى على كلام التبريزى بقوله : لم يرد أبو تمام إلا رأيه ومنصله ، لأن الظاهر الذى عاد إليه «كل» إنما هو قوله رأياً ومنصلا ، ويشهد لذلك قوله سيفين ، ولو أنه أراد ما ذكره أبو العلاء لم يقل سيفين ولقال نضوت لهم ثلاثة أسياف ، نفسك ورأيك ومنصلك ، وليس فى قوله «نضوت» ما يدل على التثليث سيما مع وجود التثنية فى سيفين ، وأوضح هذا المعنى الذى ذكره أبو العلاء على بن العباس الرومى فقال :

آراؤكم ووجـوهكم وسيوفكم فى الحادثات إذا انتضين نجومُ
منهـا مصابيح الدجى ومعالم تجلو العمى والباقيات رجومُ

ويجوز أن يكون أراد كل منهما فحذف للدلالة عليه وكثيراً ما تحذف الصفة . وقال الجوهرى : كل لفظة واحدة ومعناه جمع . فعلى هذا ، تقول كل حضر وكل حضروا ، على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى ، فيجوز أن يكون أبو تمام أعاد على اللفظ فى بيته .

(٢) فى ظ : ويروى «قريته» .

٣٨ فإن تَنْسَ يَذكُرْ أو يَقُلْ فيكَ حاسِدٌ
يَفِلْ قَوْلُهُ أو تَنْأَ دارٌ تُصاقِبِ

يقول : إن تَنْسَ فِعْلَك يَذكُرْ ، ويروى « فإن تُنْسَ يَذكُرْ » يعنى الخليفة ، ويروى « فإن تَنْسَ تُذكر »(١) ، [ص] أى إن تَنْس فِعْلَك ذُكرتَ به ، وإن سبعكَ حاسِد(٢) فال رأيه ، أى بَطَل رأيُه عند الخليفة . وإن نأتْ دار فأنت قَريبٌ لفعْلك . « وتُصاقِب » تدنو ، يقال بالسِّين والصَّاد ، وهو السَّقْبُ والصَّقْب للقرْب ، وإذا كان بعد السِّين قافٌ أو طاءٌ أو خاءٌ أو غين جاز تحويلُها إلى الصَّاد . ويجوز أن يكون أصل المُسَاقَبَة من السَّقْب الذى هو عَمُود من أعمدة الخِبَاء ، وقد حُكى بالصَّاد والسِّين ، وهو جار مَجْرَى ما ذُكر ممَّا فيه أحَدُ الحُروف الأربعة ، فكأنَّ الرجلَ إذا نَزَل مُجاوِراً للآخر صار عمودُ بَيته مُقارِباً لعَمُود بيت الآخر فقِيلَ قد صاقبه ، كما يُقال قد كاسَرَه إذا كان كِسْرُ بَيْتِه يَلى كِسْر بيت الآخر .

٣٩ فأنْت لدَيْهِ حاضِرٌ غيرُ حاضِرٍ(٣)
جَمِيعاً وعنهُ غائِبٌ غَيْرُ غائِبِ

يقول : أنت خاطرٌ بباله فى كلّ حال حَضَرتَ أو غِبْتَ ، لأنَّ ذكْرَك فى قَلْبه .

٤٠ إلَيْكَ أرَحْنا عازِبَ الشِّعْر بَعْدَما
تَمَهَّلَ فى رَوْضِ المعانِى العَجائِبِ

(ص) يقول : إليك صرَفنا ما كان تَعزّب من الشِّعْر بعد ما كان تَمهَّل

---

(١) فضل ابن المستوفى أن تكون الضمائر عائدة على المخاطب كلها .

(٢) « سبعك حاسد » أى شتمك ، يقال « سبعه يسبعه » إذا طعن عليه وعابه وشتمه .

(٣) فى ظ : ويروى : « غير حاضر لديه » — وقال والرواية الأولى أجود . ويروى : « غير حاضر بذكر » ، وهى رواية د .

أي تَقدّم في رَوْض المعاني لا رَوْض النَّبْت ، يريد أنَّ الفِكْر عمل المعاني العَجيبة ثم سيقتْ إليك(١) .

٤١ غَرائِبُ لاقَت فى فِنائِك أُنْسَها
مِن المَجْدِ(٢) فهْىَ الآنَ غَيْرُ غَرائِبِ

يقول : هذه المعاني غرائب لم يَفهمها غيرُك فلمَّا بَلغَتْك علمتُ أنها وَقَعت موقعها .

٤٢ ولَوْ كانَ يَفنَى الشِّعْرُ أَفناهُ ما قَرَتْ
حِياضُكَ مِنُه فى العُصُور(٣) الذَّوَاهِبِ

[ع] « ما قَرتْ حِياضُك » ما جَمَعَتْ يُقال قَرَى الماءَ في الحوض يَقريه إذا جَمَعَه . والمعنى : أنك رجلٌ مَلِك شَريفُ الآباء ، قد مُدِحَ أجدادُك بشعرٍ كثير ، فلو كان الشِّعْرُ يَفنَى لفنى مِن أجل ما مُدحتم به فى الدَّهْر القَديم ، فهذا هو الوَجْه ، وقيل : إنما أراد أنَّ أبا دُلَفَ كان شاعراً ، وقد يحتمل هذا ، ولكنَّ الأوّل أجود وأبلغ فى المَدْح .

٤٣ ولكنَّهُ صَوْبُ العُقُولِ إذا انجلَتْ
سَحائِبُ مِنهُ أُعْقِبَتْ بسحائِبِ(٤)

---

(١) زاد الصولي في شرحه قوله : وقد مثل هذا التمثيل النابغة ، إلا أنه في وصف الهم ، فقال :

وصدر أراح الليل عازب همــه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

أي أن الليل يريح عازب الهم إلى الصدر ، لأن الإنسان بالنهار يشتغل بما يفتح عينه عليه فيخف عنه بعض التخفيف ، فإذا جاء الليل خلا بكده ، وقد أوضح هذا المعنى الطرماح ولم يأت به غيره ، فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح
على أن للعينين في الصبح راحة بطرحهمــا طرفيهما كل مطرح

(٢) س : « من اليوم » . (٣) ظ : « في القصور » .

(٤) جاء في ظ : قال الخارزنجي : يقول لو كان للشعر فناء لأفناه كثرة عطائك قبل وبعد ، ولكنه مما صبت عقول الشعراء وأذهانهم ، فإذا انكشفت سحائب من ذلك أعقبتها سحائب من الشعر فلا فناء له . وقال الصولي في شرحه : هو من قول أوس بن حجر : =

٤٤ أَقولُ لِأَصحابِي هُوَ القاسِمُ الذِي
بِهِ شَرَحَ الجُودُ الْتِباسَ المَذاهِبِ(١)

٤٥ وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَرُدَّ رَكائبِي(٢)
مَوَاهِبُـــهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَواهِبِي

= اقــول بما صبت على غمامتى وجهدى فى حبل العشيرة أحطب

وقد ألم بقول الأخطل :

* فلولا بغاة الشعر أنفذه البشر *

— وروايته فى ظ « ولولا تغادى القول » — وقال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى : والذى فى شعر أوس :

أقــول بما صبت على عمايتى ودهرى فى حبــل العشيرة أحطب

ويروى « سحابتى » و « غمامتى » ، وفى شعره : « عمايته » همه وشجنه ، يقول أنا معهم وأحطب فى حبلهم ، وقبله :

أقــول فأما المنــكرات فأتقى وأما الشــذا عنى الملم فأشذب

ثم قال ابن المستوفى : ولم أر ما نسبه إلى الأخطل فى ديوانه .

(١) هـ س : « المواهب » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، د : « وإنى لأرجو عاجلا أن تردنى » . وقال الخارزنجى فى ظ : ويروى :

« وإنى لأرجو أن ترد مواهبى ركائبــه . . . . »

١٦

وقال يمدحُ أبَا العبّاس عبدَ الله بنَ طَاهِر :

١ هنَّ(١) عَوَادى يُوسُفٍ وصَواحِبُهْ
فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ(٢) السُّؤْلَ طَالِبُهْ

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

ويروى « أدرَكَ الثأرَ » . [ع] ويروى « هُنّ » بغير استفهام ، وربما جُعلت فى أوّله الألفُ ، وهو أحسنُ فى السَّمْع وأجوَد(٣) . و« عَوادى يُوسُف» يعنى بهنّ النِّساء ، فيجوز أن يكون مَقلوبَ « عَوايد » من عادَه يَعُوده إذا طَرَقه وزَاره(٤) ، ويجوز أن يكون « عَوادى » غيرَ مقلوبٍ من « عوايد » ويكون كلّ واحد منهما على حِياله ، ويكون معنى « عوادى » صَوارف * وذكرَ الآمدى هذا البيت فى رَدىء ابتداءات أبى تمام ، قال : وإنما جعلَه رديئًا قوله : « هُنّ » فابتدأَ بالكناية عن النساء ولم يَجْرِ لهنّ ذكر ، ثم قال « عَوادى » ومعناها صَوارف ، يقال عَدَانى عنك كذا أى صرَفنى ، أراد : هُنّ صَوارف يُوسُفَ وصواحِبُه ، وصَوارف ها هنا لَفظةٌ ليست قائمةً بنفسها لأنه يُحتاج أن يُعلَم صوارفُه عمَّاذا ؟ واللفظةُ القائمة بنفسها أنْ لو قال : « فَواتنُ يوسف »

(١) م : « لهن » — ل ، ظ ، هـ م : « أهن » .

(٢) م : « أدرك الثأر » ، — ق ، هـ س : « أدرك النأى » ، وهى رواية الآمدى كما فى ظ . وقال ابن المستوفى : ووجدت ذلك أيضاً فى مواضع من دواوينه .

(٣) عقب ابن المستوفى على ذلك بقوله : قول أبى العلاء « وربما جعلت فى أوله الألف وهو أحسن فى السمع وأجود » صحيح إلا أن الرواية الصحيحة «هن » على طريق الإخبار وعليه المعنى فأما مع الاستفهام ففاسد .

(٤) ورد كلام أبى العلاء هذا فى ظ بزيادة ، فعقب قوله « طرقه وزاره » جاء : وعلى ذلك فسروا قول زهير : * وعادك أن تلاقيها العداء * أى صرفك . وقال ابن المستوفى : وما ذكره من قول زهير فيجوز أن يكون « عادك » بمعنى اعتادك وراجعك ، والعداء الظلم أو الصرف ، أى عادك ما صرفك عن تلاقيها ، أوله : * فصرم حبلها إذ صرمته * ثم قال : وقوله « عوادى مقلوب من عوايد » تكلف ظاهر ، وأراد أبو تمام بعوادى يوسف صوارفه عن ترك ما هم به ، ولا معنى للعيادة هنا .

أو « شَوَاعِفُ يوسف » أو نحو ذلك ، وكأنه أراد صوارفَ يوسُفَ عن تُقاه ، أو عن هُدَاه ، أو عن صحيح عَزْمه حتى هَمّ بالمعْصية ، وإنما يَتِمّ معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ لو وَصَلَها بها ، ثم ألحَقَ بيُوسُفَ التنوين ، فجاء بثلاثة ألفاظ كلّها رَديئةٌ فى مَوْضعها ، وتَمّم البيتَ بعَجُز لا يَليق بصَدره ، وهو أردأ معنًى من الصَّدْر ، وذلك قوله : « فعَزْمًا فقِدْمًا أدركَ الثأرَ طالِبُهْ » وهذا كلامٌ لا يُلائِم بعضُه بعضًا ، وإنما كانت ألفاظُه ومعانيه تتَشابه لو قال :

هُنَّ عَوَادى يوسف وصواحِبُهْ فلا يَعْدُونْكَ مَطْلَبٌ أنتَ طالِبُهْ

أو * فلا يَعْدُونَّكَ العَزْمُ فيما تطالبُهْ * فلا تَعدلنْ عن مَطلب أنتَ طالبُهْ * أى هُنَّ صوارفُ يوسُفَ عن عزمه فلا تَنصرف أنت عن عزمك ومَطلبك لعذْلهن .

ولفظُ أبى تمام يَدُلّ أيضًا على ما قَدّره الآمدى من معنى البيت بالألفاظ التى ذكرَها إذا رجَعتَ إلى الحقيقة ، وليس الإضمارُ قبل الذّكْر بعَيْب إذا كان المعنَى مفهومًا ، لأنّ هذا المعنى مأخوذ عن الحديث المروىّ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مَرَضه الذى مات فيه وهو يعنى النِّساء : « إنكُنّ صُوَيحباتُ يوسُف » ولَحاق التنوين بـ « يوسف » فى الشعر ليس بعيب أيضًا كما ذَكَره ، لأنّ أصلَ الأسماء كلِّها الصَّرْف ، ورَدّ الاسم إلى أصله فى الشعر ليس عَيْبًا . وكان أبو سعيد الضرير وأبو العَمَيْثَل الأعرابىّ على خزانة الأدَب لعبد الله بن طاهر بخراسان ، وكان الشاعرُ إذا قَصَده عَرَض عليهما شعْرَه ، فإن كان جيِّدًا عَرَضاه أو دُعِى به فأنشَدَه ، وإن كان رَديئًا نَبذَاه ودُفع إلى صاحبه البرد على غير الشعر . فلمّا قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما وَدَفَع القصيدةَ إليهما ، فضَمّاها إلى أشْعار الناس ، فلمّا تَصفّحا الأشعارَ مَرّت هذه القصيدة على أيديهما ، فلما وَقَفَا على هذا الابتداء طَرَحاها على الشعر المنبوذ ، فأبطأ خبَرُها على أبى تمام ، فكتَب إلى أبى العَمَيْثَل أبياتًا يُعاتِبه فيهما ويقول :

وأرَى الصحيفةَ قد عَلَتْها فَتْرةٌ فتَرَتْ لها الأرواحُ فى الأجسام

ثم لَقِيهما فقالا له : لمَ لا تَقول ما يُفهم ؟ فقال : ولمَ لا تَفهمان

ما يُقال ! ؟ فاستُحسِن هذا الجوابُ من أبي تمام . فلما دَخَل على عبد الله أنشدَه ، فلما بلغ إلى قوله :

وقَلْقَل نأيٌ مِن خُراسان جَأشَها فقلتُ اطمئنى أنضرُ الرَّوض عازبُه

والأبيات التي بعده صاح الشعراءُ وقالوا : ما يَستحِقّ مثل هذا الشعر إلاّ الأمير ! فقال شاعرٌ منهم يُعرَف بالرِّياحيّ : لي عند الأمير — أعزّه الله — جائزةٌ وعَدَني بها ، وهي له جزاءٌ عن قوله ، فقال له الأمير : بل نُضعِفُها لك ، ونَقوم بالواجب له جَزاءً عن قوله . فلمَّا فَرَغ من القصيدة نَثَر عليه ألفَ دينار ، فلقَطها الغِلْمان ولم يَمسَّ منها شيئًا ، فوَجَد عليه الأميرُ فقال : يَترفع عن بِرّي ويَتهاون بما أكرَمتُه به ؟ ثم بلَغ بعد ذلك ما أرادَ منه[(١)] .

٢ إذا المرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصِ[(٢)] الحَزْمُ نَفْسَهُ
فــذِرْوَتُهُ للحَادِثَاتِ وغَارِبُهْ

يقول : إذا لم يُمض عَزيمتَه وأطاع مَن لا حَزْمَ له فهو سَريعٌ إلى التَّلف .

٣ أَعاذِلَتِى[(٣)] ما أَخْشَنَ[(٤)] اللَّيْلَ مَرْكَباً
وأَخشَنُ مِنْهُ فى المُلِمَّاتِ رَاكِبُه

يقول : إنّ الليلَ مُظلِمٌ صَعْبٌ لا يَسرى فيه إلاّ الجَزْلُ من الرجال .

---

(١) القصة مذكورة فى كتاب الصولى « أخبار أبي تمام ص ١١٥ » وفيها : فما بلغ بعد ذلك ما أراد منه .

(٢) س ، د : « تستخلص الحزمَ نفسُه » — م : « تستدرك » وبهامشها رواية الأصل — ظ : « تستخلس الحزمَ نفسه » ، وقال : فى حاشية تفسير الخارزنجى : إذا المرء حاول أمراً ولم يجعل الحزم مقدمة له كالحلس يلقى على ظهر البعير ثم يوضع الرحل عليه فقدم سنامه عرضة للحادثات ، فكذلك هذا الرجل يجب أن يحزم فى أمر يريده ليقف على مورده ومصدره فيسلم من الخطأ . وأراد بـ « ذروته وغاربه » أوله وآخره . وروى ابن المستوفى « إذا المرء لم تستخلص الحزمَ نفسه » وقال : وهذا معنى واضح ، والأول عندى أشبه بمذهبه لقوله ذروته وغاربه .

(٣) س ، م : « أعاذلتا » وبهامش م رواية الأصل .

(٤) وجاء فى ظ : فى النسخة العجمية فى الحاشية وفى غيرها :

أعاذلتــا ما أحسن الليل مركبا وأحسن منه فى الملمات راكبه =

٤ ذَرِينِى(١) وأَهوَالَ الزَّمَانِ(٢) أُفَانِهَا(٣)
فَأَهوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

[ع] إذا رويتَ «أفانِها» بالفاء فهو يحتمل وجهين: أحدهما أن تكون المفاعلة من الفَناء أى تُفنينى وأفنيها، والآخر أن تكون من الفِناء أى تَنزل بفِنائى وأنزلُ بفِنائها. ومَن روى «أقانِها» بالقاف فالمُقاناةُ المُداراة والمخالَطة، تقول: قانيتُ الشيءَ بالشيء إذا خالَطتَه — ومنه قوله:

كبِكْرِ المُقاناة البياض بِصُفْرَةٍ غذاها نَميرُ الماء غيرَ مُحلَّلِ(٤)

ويروى «أعانِها» أى أقاسِها. ومعناه: أنّ الغِنَى مع رُكُوب الشدائد.

٥ أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ الزِّمَاعَ عَلَى السُّرَى
أَخُو النُّجْحِ عندَ النَّائِبَاتِ وصَاحِبُهْ؟

«الزِّماع» المَضاءُ على الأمر، يقول: ألم تَعلمى أنّ مَن باشَرَ الأسفار، وتَرَكَ الخَفْض، وابتَذَل نفسَه، أنجَحَ ونال الطَّلِبة؟ ويروى «عند الحادثات»(٥).

= أراد يا عاذلتاه فحذف الهاء. وقال: اختار أبو أحمد محمد بن تمام: «يا أحسن الليل مركباً» وقاسه على قول الآخر:

يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

وقال إنه أراد التهوين لا التهويل، فلو عناه لقال «أصعب» و «أوعر»، ولم يسمع مركب خشن. وقال ابن المستوفى عقبة: رواية «أحسن» أحسن عندى فى المعنى لما دل عليه ما بنى عليه جميع ما ذكره من الأبيات، ولأن التهوين هنا أولى من التهويل. والأول معناه أن الليل وإن كان خشن المركب فلا يركبه إلا الخشن ولا يهوله. وقوله «أراد يا عاذلتاه فحذف الهاء» هذا إنما يكون فى الوقف ولا وقف هنا، و «عاذلتا» بالألف أحد الوجوه فى المنادى المضاف إلى المتكلم وهى: يا غلامى ويا غلام ويا غلاما بالألف، وقالوا يا غلامى بتحريك الياء، والأول أعرف.

(١) س: «دعينى» وبهامشها: ويروى «كلينى».
(٢) ل: «وأحوال الزمان».
(٣) م: «أقاسها» — ل: «أعانها».
(٤) البيت من معلقة امرئ القيس. (العقد الثمين ص ١٤٨).
(٥) وهى رواية م، ل، د.

٦ دَعِينى(١) عَلَى أَخلاقِ الصُّمِّ(٢) لِلَّتى
هىَ الوَفْرُ أَو سِرْبٌ تُرِنُّ نَوادِبُهْ

[ع] يُريد أنه عَزَم على أمر لم يسمع قولَ العاذ ل فكأنّ أخلاقَه صُمٌّ على معنى الاستعارة . وقوله « للتى هىَ الوَفْر » أى للرّحْلة التى تُؤَدّينى إلى الوَفْر أى المال . يقول : دَعِينى أرتَحِل ، فإنّما أن أتموّلَ وإمّا أن يَقوم علىّ سِرْبُ نساءٍ يَندُبْن ، و « السِّرْب » الجماعَة من النِّساء والوَحْش والطّيْر .

٧ فإنَّ الحُسَامَ الهُنْدُوَانِىَّ إنَّمَـــا
خُشُونَتُهُ(٣) ما لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهْ

(ق) : معناه أنّ العزمَ منّى والسّعْى وتكلّف المشاقّ فى طَلَب الأرزاق إنما يتأتّى ما دمت شابًّا لم تَهدّنى الأيّام ولم تُوه قوايَ السِّنون ، فأمّا إذا استبدَلت بالقُوّة ضَعْفًا ، وبالشَّبيبة هَرَمًا ، وبالخشونة لِينًا ، فإنى أنبُو نُبُوّ السَّيف الكَهَام .

٨ وقَلْقَلَ نَأْىٌ(٤) مِنْ خُراسانَ جَأْشَها
فقُلْتُ اطمَئِنِّى أَنْضَرُ الرَّوْض عَازِبُهْ

« جأشَها » أى جأشَ العَاذ لة ، و « العازبُ » البَعيد ، يقال : إنّ

---

(١) ه س : ويروى « كليني إلى » .

(٢) س : « الصمل التى » — وجاء فى ظ : وروى الصولى : « دعينى إلى أخلاق الصمل » ، وفيها : ويروى « الغرر التى » و « الغر التى » . وفيها أيضاً ويروى « الصمل » ، وقال : وهى جمع صامل وهو الصلب الشديد .

(٣) جاء فى ظ : ويروى « خشوبته » بالخاء والباء ، من قولهم الخشيب السيف الذى بدئ طبعه ، والخشيب أيضاً الصقيل وهو من الأضداد ، قاله الجوهرى : وفيها أيضاً : وروى الخارزنجى : « ما لم تنقل مضار به » أى إذا لم ينقل من مدوس إلى مدوس بالصقل فإذا تعاورته المدارس ذهبت خشونته واستوى متنه ، وكذلك أنا لا أصبر مجرباً ما لم أبتذل نفسى فأمتهنها .

(٤) ل ، د : « نأيى » .

الجأشَ القَلْبُ ، وقيل بل هو الصَّدْر مثل الجُؤْشُوش ، واشتقاقُها واحد ، ومنه قولُهم هو رابط الجأش أي يَرْبِط جأشَه فيمنَعُه أن يَطير ، فكأنه قد رَبطه ، ويكون « الجأشُ » مفعولاً ، والآخر أن يكونَ في تأويل هو رابطٌ جأشُه فيكون « الجأش » فاعلاً كأنّ قَلْبَه يَربِطُه عن الفرار ، وهذا نحوٌ من قولهم طارَ قَلْبُه فَزَعاً ، إلاّ أنه نَقِيضُه . [ص] يقول : أحزنها بُعْدى إلى[(١)] خراسان ، فقلتُ اسكُنى فإنّ الرَّوْضَ أنْضَرُه ما بَعُدَ ولم يكن قريباً فيُنال[(٢)] .

٩ ورَكْبٍ كأطرافِ[(٣)] الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا
على مِثْلِهَا واللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

[ق] يجوز أن يكون شبَّه الرَّكْبَ بالأسِنَّة مَضاءً ونَفاذاً ، ويجوز أن يكون شبَّههم بها نَحافةً وهُزَالاً . فأمّا قولُه «عرّسوا على مثلها» فيجوز أن يكون أراد : جعلوا تَعْرِيسهم على ظُهور إبلٍ دقاقٍ مَهازيل لأخذ السفَر منها وتأثيره فيها ، ويجوز أن يكون أراد : نزَلوا بمنزل سَوْءٍ ومكانٍ شَئِزٍ صَعْب فكأنهم على الأسِنَّة قَلَقاً ونُبوّ جَنْب * كقوله[(٤)] :

وللَموتُ خيرٌ مِن حياة كأنَّها ... مُعَرَّسُ يَعْسُوب برأس سِنان

١٠ لأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ
ولَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ[(٥)]

---

(١) في ظ : ويجوز أن تكون « من » هنا بمعنى « إلى » وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . ويجوز أن تكون لابتداء الغاية أي ابتداء البعد عن خراسان .

(٢) قال ابن المستوفى : قالوا وعاب هذا على أبي تمام عبدُ الله بن طاهر فقال جعلني عازباً ، والعازب البعيد ، وأنا أدعى في كل وقت .

(٣) م ، ل : « كأمثال » .

(٤) يريد كقول الأول كما جاء في ظ . وهذا البيت مما استشهد به أبو العلاء في شرحه على بيت أبي تمام .

(٥) قال الصولى : نقل هذا المعنى من قول بعض العرب ، أنشده أبو محلم :

غـلام وغى تقحمها فأبلى ... فخان بلاءه الزمـن الخئون
وكان على الفتى الإقدام فيها ... وليس عليـه ما جنت المنون

(أخبار أبي تمام ص ٥٣) .

١١ علَى كُلِّ رَوَّادِ (١) المِلاَطِ تَهدَّمَتْ
عَرِيكَتُهُ العَلْيَاءُ وانْضَمَّ حَالِبُهْ

١١ — [ع] « رُوَّاد » من قولهم رَادَ يَرُود إذا ذَهَبَ وجاء . و « المِلاَط » رأس الكَتِف ، وقيل هو العَضُد . وأن يكون الكتفَ ورأسَها أَوْلَى ، لأنهم يقولون للعَضُدين ابنا مِلاط ، وهم يَصفون الإبلَ بمَوْر الأعضاد ، مِن قولهم مارَ يَمُور إذا ذَهَب وجاء . و « العَرِيكة » السنام ، وإنما سُمِّيَ عَرِيكةً لأنه يُعرَك باليَد لِيُنظَرَ ما حالُه فى السِّمَن والهُزَال ، ويجوز أن يكون قيل له عَرِيكةٌ لأنه يُعرك بالرُّكُوب والحمْل . وقوله « العَلْياء » جاء بها كالمستعارة ، وليس هذا من مواضع العَلياء الممدودة ولكنه من مَواضع «العُلْيا» فى وزن « الفعْلى» لأنك لو قلتَ تَهدَّم سَنامُه لقلتَ الأعلى ، والفُعْلى أنثى الأفعل . و« الحالِب » عِرْقٌ يَتَّصل بأسْفَل البَطْن ، يَعنى أنه قد ضَمَر .

١٢ رَعَتْهُ الفَيافِى بَعْدَما كانَ حِقْبَةً
رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

« الفَيافى » الأماكن الخالية . والمعنى : أنه قُطِعت عليه القِفارُ من الأرض فهُزِلَ بعد ما كان سَمِينًا ، فكأنَّها رَعَتْه بعد ما رَعَى نَبْتَها .

١٣ فَأَضْحَى الفَلاَ قَدْ جَدَّ فى بَرْيِ نَحْضِهِ (٢)
وكان زَمَاناً قَبْلَ ذَاكَ يُلاَعِبُهْ

« الفَلا » جمعُ فَلاَة وهى القَفْر من الأرض ، وإذا كان الجمعُ بينَه وبينَ واحده هاءُ التأنيث جاز فيه التَّذكيرُ والتأنيث ، مثل أرْطاة وأَرْطَى ، وسِدْرة وسِدْر . و « البَرْى » من قولهم بَرَيْتُ العُودَ والقَلَم ، وأصل البَرْى القَطْع ، ويقال بَرَاه السَّفر كأنَّه أخذَ مِن لحمه كما يُؤخَذ من العُود إذا بُرِىَ .

---

(١) ل ، د ، ظ ، هس : « موار الملاط » .
(٢) د : « شخصه » .

و « النحـْض » اللحم . [ع] يقول : جـَدَّ الفـَلاقى بـَرْى هذا المركوب لأنَّا جـَدَدنا فى السَّيْر ، وكان قبل ذلك كأنَّه يـُلاعبه ، ويحتمل أن يعنى بالملاعـَبة أيـَّامَ رَعاه ، لأنَّ اللَّعـِبَ إراحةٌ وأشـَر ، والجِدَّ لا رَاحـَةَ فيه .

١٤ فكَمْ جِذْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ
وبالأَمْسِ كَانَتْ(١) أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهْ؟!

« جـِذْعُ الوَادى » مُنْعـَطفه ، و « جـَبَّ » أى قـَطـَعَ قـَطعـًا باستـِئـْصَال ، [ع] و « الذِّرْوَة » أعـْلى الشىء ، وقد يـُسمـَّى السَّنامُ ذِرْوَة ، فيجوز أن يعنى بقوله « ذِرْوَةَ غارب » أعـْلـَى الغارب وهو ما قـُدَّام السَّنام ، ويـُمكن أن يعنى السَّنامَ الذى هو يـَلِى الغارب ، والذِّرْوَة فى هذا القول ليست من الغارب ، وهى فى القول الآخر بعضُه . و « أتمـَكـَتـْه » أسمنـَتـْه وأطالـَتـْه ، و « المـَذانـِب » مـَسايلُ الماء فى الأوْدية ، وهذا المعنى قد تكرّر فى الأبيات ، وبـَعضُها شرحٌ لبعض * ، ونحوٌ منه قـَوْلُ الشاعر :

رَدَّتْ عـَوادىَّ غـيطانِ الفـَلاةِ ونـَجـَتْ بمثل أبيالةٍ من حائل العُشـَر(٢)

١٥ إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ(٣) كلَّمَا
هَبَطْنَا مَلاً(٤) صَلَّتْ عليكَ سَبَاسِبُهْ

أراد بـ « مغرب الشمس » الشَّامَ ، « جـَزعنا » أصلُه مِن جـَزَعـْتُ الوادىَ إذا قطعتـَه إلى الجانب الآخر ، ومنه قيل جـِزْعُ الوادى . وهذا كثير فى المصدر والاسم ، تقول جـَزَعـْتُ جـَزْعـًا وطـَحـَنـْتُ طـَحـْنـًا وذَبـَحـْتُ ذَبـْحـًا ، فيكون المصدر مفتوحـًا ويـُكسر الاسمُ من ذلك ، فتقول الجـِزْع والذِّبح والطحـْن .

(١) ظ : « وكانت قديماً » .
(٢) يريد أنها ناقة قوية على الرحلة لا تبالى ما تلقى من أهوال الطريق ومصاعبه ، فإنها تنجو بأرجلها المشبهات حزمة من سيقان العشر الحائل اللون ، والعشر شجر ضخم حسن المنظر .
(٣) س : « مغرب الملك » وبهامشها رواية الأصل .
(٤) س : « وسطنا فلا » — م ، د ، ظ : « وسطنا ملا » .

و«الملا» الأرض الواسعة، وأصلُ «الهبوط» الانحدارُ، وجرى الاصطلاحُ على أن يقولوا نزلنا أرض كذا وهبطناها إذا حلّوها وإن كانت مرتفعة، وأصل ذلك أنّ الرّاكبَ ينزل عن ظهر دابته فيكون كالهابط.

١٦ فلو أنَّ سيرًا[1] رُمْنَهُ فاسْتَطَعْنَهُ
لَصَاحَبْنَنَا سَوْقاً إليكَ مَغَارِبُهْ

[ع] قوله «رُمْنَهُ» أعادَه على «السَّباسِب»، وقد يجوز أن يعنى بـ«رُمْنَ» المغارب، ويكون قولُه «صاحَبْنَنا» على مَجرَى قولِ الفرزدق:

ولكنْ ديافِيٌّ أبوهُ وأمُّه بِحَوْرانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أقاربُهُ[2]

ولو رُوى «لَصَاحَبَنا» لكان وجهاً، إلاَّ أنه أنِسَ بالنون لقوله فى أول البيت «رُمْنَهُ» و«استطعْنَه».

١٧ إلى مَلِكٍ لم يُلْقِ كَلْكَلَ بَأْسِهِ
علَى مَلِكٍ[3] إلاَّ وَلِلذُّل جَانِبُهْ

«كَلْكَل بأسِه» أى صَدْرُه، استعارَه للبأسِ وأصلُه للحيوان.

١٨ إلى سَالِبِ الجبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ
وآمِلُهُ غَادٍ عليهِ فَسَالِبُهْ

[ع] «بيضةُ مُلْكِه» يحتمل وجهين: أحدهما أن يعنى بالبَيْضة مُعْظَمَ الشيءِ وأكرمَه وحقيقتَه، وهذا هو الوَجه الجيِّد، وممَّا استعملوا فى البَيْضة وكونِها مُعظمَ الشيء وحقيقتَه قولُ الشَّمَّاخ:

طوَى ظِمْأَها فى بَيْضَةِ الصَّيْفِ بعدما جرَتْ فى عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأماعِزُ[4]

---

(١) هـ س: ويروى «فلو أن شرقاً».
(٢) الديوان ص: ٥٠.
(٣) هـ ب: «على ناكث».
(٤) الديوان: ص ٤٤.

ويجوز أن يُقدَّر كلّ واحد من المفعولين ها هنا سَلْبًا ومَسلوبًا فيكون مرةً على قولك سَلبتُ الجبَّار بيضةَ مُلْكه والجبَّارُ هو المسلوب والبَيْضةُ هي السَّلَب ، ومرةً على أن يكون « البيضةُ » مقدَّرةً على معنى المفعول الأوّل ويكون « الجبَّارُ » هو السَّلَب .

١٩ وأَيُّ مَرَامٍ عنهُ يَعْدُو نِيَاطُهُ[١]
عَدَا أَوْ تَفُلُّ[٢] الناعجاتِ أَخَاشِبُهْ ؟

يقع فى بعض النسخ « نِياطُه غداً » وفى بعضها « مَدًى » والصوابُ ما أُثبِت وفُسِّر فلا يُعدَل عنه إلى غيره . (ع) . « عَدا » من قولهم عَدانى عن الشىء إذا صرَفنى عنه ، ويَستعملون « النِّياط » فى معنى البُعْد ، وأصلُ النِّياط من ناطَ الشىءَ بالشىء إذا عَلَّقه به ، وإنما قالوا إذا ذكروا الحَزْن أو المهمَه قطعت نِياطَه أى قطعتُ ما اتصلَ من أرضه . و « والأخاشِب » جمع أخشَب وهو المكان الغليظ ، وربما قالوا هو الجبل . و « الناعجات » من الإبل التى تَسير النَّعَجان وهو ضَرْب من السَّير . و « نِياطه » فى البيت مرفوع بـ « يَعدو » . والمعنى أنه استَفهَم فقال : وأىّ مَرام مُستصعَب جرَت عادتُه بأن يَعدو نِياطُه السائرين عَدانا عن قَصْد هذا الممدوح ؟ كما تقول : أىّ خَطْب يَمنع من السَّير منعنى من السير إليك ؟ أى إنى لا أُعتاقُ عنك . هذا كلامُ أبى العلاء فى هذا البيت . وقال المرزوقى : « أو تَفُلَّ » رفع معطوف على « يعدو » والمعنى : أىّ مَطلب يَصرف بُعْدُه عن هذا الممدوح أو تُكسِّر وتُثَلِّم هضابُه وأوعارُه الإبلَ السِّراع دُونَه ؟ أى لا تُستبعَد المطالبُ فى جَنْبه ولا تُستوعَر الطُّرُق دونَه ، والدليلُ على صحةِ هذا التفسير قوله :

---

(١) هى رواية س ، م – د ، هـ ب : « يبعد شأوه مدى » وهى رواية أبى مالك كما قال الصولى فى ظ . وقال الصولى أيضاً : ويروى : « أى مرام عنه يعدوه شأوه مدى » . ويظهر أن رواية الآمدى « عدا » مقصور « عداء » قال فى شرحه : « عدا » جاء به مقصوراً ضرورة وهو ممدود نعت المرام ، والعداء الخشن ، ومكان متعاد إذا لم يستقر فيه شىء لغلظه وخشونته ، يريد : أى مرام عداء يصرف عن سبيله . . .

(٢) م ، ظ : « أو تكل » .

٢٠ وقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البعِيدَ رَجَاؤُهُ
وَسَهَّلَتِ الأَرضَ العَزَازَ كَتَائِبُهْ

[ق] وإذا جُمعَ بين البيتين فتلخيصهما : أىّ مَرام يعدو نِياطُه عنه وقد قَرَّب المرمَى البعيدَ رجاؤه ، وكيف تَفُل الناعجات أخاشبَه وقد سَهَّلتِ الأرضَ العَزازَ كتائبُه ؟ ! وأكثر من رأيناه كان يروى « أو تَفُلَّ » بفتح اللام ، كأنّه يريد « إلاّ أن تفلّ » ويكون المعنى عنده : أنه لا يَقصُره عنه بُعْد إلاّ أن تُسقط الأخاشبُ إبلَه وتَكسِرَها فيُحال بينَه وبينه ، وهذا بما رَويناه وفسّرناه ظاهرُ السقوط والفساد . * و « العَزَاز » الصُّلْب من الأرض .

٢١ إذَا أَنْتَ وَجَّهْتَ الرِّكَابَ لِقَصْدِهِ
تَبَيَّنْتَ طَعْمَ المَاءِ ذُو أَنْتَ شَارِبُهْ

[ع] طَيّ تَستعمل « ذُو » فى معنى « الذى » وتُلزمُها الواوَ فى الرَّفع والنَّصْب والخَفْض ، وأنشد :

قَولا لهذا المرءِ ذُو جاءَ ساعيًا   هلُمّ فإنّ المَشرفىّ الفرائضُ

والمعنى أنك إذا سِرتَ إلى هذا الملك تبينتَ الْيُمنَ والتيسيرَ فى مَسيرك ، فكأنك من قبل الوِرْد تجد طعمَ الماء الذى تَرِد ، وتعلم أنه نهايةٌ فى العذوبة ، يريد الماءَ الذى أنت شاربُه من بعد .

٢٢ جَدِيرٌ بِأَنْ يَسْتَحْيِيَ اللهَ بَادِياً
بِهِ ثُمَّ يَسْتحْيِي النَّدَى ويُرَاقِبُهْ

(ق) : يعنى أنّ الممدوحَ يَبعثُه على الكَرَم والصبرِ على الإنفاق فى إقامة معالم الندَى وإحيائها أمران : أحدهما الحياء من الله فى إقامة المعاذير عند ترك البَذل ، والثانى الحياءُ من السخاء ومراقبة المروءة ، فرَغْبتُه فى اكتساب رضا الله بالنَّدَى ، وجَهدُه فى عمارة المروءة وتحصيل الثَّناء من الناس ، يَهُزّانه للبَذل ويُصبِّرانه على ما يَلحق النفس فيه من التعب . [ع] و « يستحيي »

الثانية رفَعها لمكان القافية ولأنه لا يمكن فيها غيرُ ذلك ، ولو جعلَها فى موضع نصب لكان قد أسكنَ الياء فى موضع التحريك وذلك ردىء ، والكوفيُّون يرون أنَّ الناصبَ إذا لم يَصحب الفِعل فرفعُه جائز ، ورفعُه « يستحي » أوكدُ لرفع « يُراقبُه » لأنَّ المرفوعَ يكون تابعًا لمثله .

٢٣ سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْها كِلَيْهِمَا
سُمُوَّ عُبَابِ المَاءِ جَاشَتْ[1] غَوارِبُهْ

٢٤ فنَوَّلَ حَتَّى لمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ
وحَارَبَ حتَّى لمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهْ

٢٥ وذُو يَقَظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهَا
إذا الخَطْبُ لاقَاهَا[2] اضمَحَلَّتْ نَوَائِبُهْ

٢٥ – [ع] أصل «المَرِيرة » القوة من قُوَى الحَبْل ، ويقال للحبل مَرِيرة إذا كان دقيقًا شديد الفَتْل ، وهو من أمررتُه إذا أحكمتَ فتلَه ، ثم قالوا للشيء إذا اطَّرَد وتتابع على حالة واحدة قد استمرَّ على مَرِيرِه .

٢٦ وأَيْنَ بِوَجْهِ الحَزْمِ[3] عَنْهُ وإِنَّمَا
مَرَائِى[4] الأُمور المُشْكِلاَتِ تَجَارِبُهْ؟

يقول أين يُعدَل عنه بوجه الحزم ؟ وتُضمِر الفعل ، أى كيف يُبهَم عليه وجهُ الرأى وهو ينظر بتجاربه إلى العواقب فكأنه ينظر إليها بالمرائى جمع مِرآة .

---

(١) س : « البحر » .
(٢) د : « لاقاه » .
(٣) د : « بوجه الرأى » .
(٤) هـ س : « مراى الأمور » .

٢٧ أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَمَا عَفَتْ
مَهَايِعُـــهُ المُثْلَى ومَحَّتْ لَوَاحِبُهْ[(١)]

« مَهايع » جمع مَهْيَع وهو الطريق الواسع السابِل بالناس وغيرهم ، كأنه أخذ من قولهم هاعَ يَهيع إذا قاء ، يُراد أنه يقىء الناس . و « المُثْلَى » التي لها الفضل والطَّوْل ، وإنما أخذ من قولهم مَثَلَ الشيءُ إذا ظهر ، ثم قالوا هذا أمثلُ من هذا أى أظهرُ وأرْفَع ، فالمُثْلَى هو أنثى الأمثل . « ومَحَّتْ » من مَحَّ الثَّوْبُ إذا خَلَق . و « لَواحِب » جمع لاحِب وهو الطريق الواضح . و « المِنهاج » الطريق الواضح وهو المَنْهج والنَّهْج .

٢٨ فَفِى كُلِّ نَجْدٍ فى البِلَادِ وغَائِرٍ[(٢)]
مَوَاهِبُ لَيَسَتْ مِنهُ وهْىَ مَوَاهِبُهْ

[ع] يعنى : « غائر » غَوْرًا ، وكأنه على حذف الموصوف ، تقديره وفى كل نجد ومكان غائر . [ق] يقول : عرَّف الناسَ طريقَ النَّدَى وعلَّمهم الجود ، فكان ما يتكلَّفونه منه ويُقيمونه هو الفاعلُ له ، إذ كان هو السبب فيه والقُدْوة ، ويَدُلّ عليه البيتُ الذى قبله * أرَى الناسَ منهاجَ النَّدى بعد ما عفَتْ * : أى درست[(٣)] .

٢٩ لِتُحْدِثْ لَهُ الأَيَّامُ شُكْرَ خناعَةٍ[(٤)]
تَطِيبُ صَبا نَجْدٍ بهِ وجَنَائِبُهْ

« شُكْرَ خَنَاعةٍ » أى شُكرًا عن ذِلَّة ، من قولهم خَنَع إذا ذَلَّ .

---

(١) ترتيب هذا البيت فى س يأتى بعد التالى له .
(٢) د : « ففى كل شرق فى البلاد ومغرب » و روتها ظ .
(٣) قال ابن المستوفى : أخذ المعنى من قول أبى نواس و زاد عليه :
علم النـــاس النـــدى فندوا فكأن البخـــل لم يكن
(٤) قال الصولى : ويروى « لتشكر له الأيام » وقال : ويروى « شكر ضراعة » .

٣٠ فوَ اللهِ[1] لَوْ لَمْ يُلْبِسِ الدَّهْرَ فعْلَهُ[2]
لَأَفْسَدَتِ المـاءَ القَرَاحِ مَعَايِبُهْ

« القَرَاح » الخالص الصافى و « مَعايب » لا تُهمَز لأنَّ ياءَها أصليَّة ، يقول : لو لم يلابِس الدَّهرَ بعدلِه لفسدَ كلّ صالح .

٣١ فيَا أَيُّها السَّارِى اسْرِ غَيْرَ مُحَاذِرٍ
جَنَانَ ظَلامٍ أَو رَدًى أَنْتَ هَائبُهْ

يعنى : « الجَنان » ما ستَرَ من ظُلمته ، ويقال جَنَان وجنون .

٣٢ فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللهِ خَوْفَ انتِقَـامِهِ
علَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

أى مَن كان لا يَسرى خوْفًا وفزَعًا فليسْرِ فإنّ عبدَ الله منَع الدَّهر من عَوادِيه .

٣٣ يَقُولُونَ إنَّ اللَّيْثَ لَيْثُ خَفِيَّةٍ
نَوَاجِــذُهُ مَطْرُورة ومخالِبُهْ

[ع] « خَفِيَّة » اسم موضع تُنسَب إليه الأُسْد ، غير مصروف و « المَطْرورة » المحدَّدة ، والأجود أن يكون « ليثُ خفية » مرفوعًا على خبر « إنَّ » ، ويكون على تقدير قولهم الرجلُ فلان ، أى الرجلُ الذى حقُّه أن يُذكر ويُوصَف ، والمعنى الليثُ الذى يُرهَب فتُتَّقى صعولته ليثُ خَفِيَّة ، فإنْ نَصَب «ليثَ خفيَّة» على البدَل ضَعُف المعنى ، لأن الغرَض يصير أنه أخبرَ عن ليث خفيَّة بأن نَواجِذَه مَطرورة ومَخالبَه ، وهذا معلومٌ لا يَفتقِر إلى الإخبار عنه ، وكلّ ليث فى الأرض يُوصَف بمثل ذلك ، إلاّ أنه على ضعفه قد يحتمل أن يقال .

---

(١) هـ س : « فأقسم » .
(٢) د : « شكره » .

٣٤ وما اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إلاَّ ابنُ عَثْرَةٍ
يَعِيشُ فُوَاقَ نَاقَةٍ وهْوَ رَاهِبُهْ

[ق] يريد أنّ الناسَ إذا ذكروا الشدّة والجلادة وقوةَ القلب والثباتَ فى اللقاء نسبوها إلى الأسْد الصلْبة الأنياب المحدّدة المخالب، وليس الليثُ النامّ الليثية إلاّ صاحبُ جناية على هذا الممدوح يعيش مقدارَ ما بين حلْبتَىْ ناقة على معرفته به وخوفه منه * . [ع] والرّواة مجمعون على إضافة « فواقَ » إلى «ناقة» مع بيان الزّحاف . ولو رواه راو « فُواقًا ناقةً » فنصَب « الفُواق » ونوّنه لجازَ فى العربيّة ، ولا ينبغى أن يُعدَل عن الرواية الأولى . ووجه الرواية الثانية أن يكون التقديرُ : يعيش فُواقًا فُواقَ ناقة ، فحذَف « فُواقًا » الأول ، كما قال جلّ وعزّ « وسَل القرية » وأقامَ الاسمَ الثانى مقام الأول * كما قال :

كأنّ خزًّا تحتَه وقَزّا
أو فُرُشًا محشوّةً إوَزّا

أى ريش إوَزٍّ (١).

٣٥ ويَوْمٍ أَمَامَ المُلْكِ دَحْضٍ وَقَفْتُهُ
ولَوْ خَرَّ فيهِ الدِّينُ لا نْزَالَ كاثِبُه

[ع] مكان دَحْض أى يُدحَض عنه ، يقال دَحَض إذا زَلّ . ويروى « لانهال كاثِبُه»(٢) و « لانهدّ كاثِبُه » فإذا روى « انهال » فهو من هِلتُ الترابَ أهيله إذا دفعتَه بكثرة ، وكذلك هلتُ الدقيقَ ونحوَه . « وكاثِبُه » من قولك كتَبتُ الشىءَ إذا جمعتَه ، ومنه قيل للرّمْل المجتمع كثيب أى كأنه قد جُمع ، وإذا صحّت الروايةُ على هذا اللفظ فالمعنى مُرادٌ به المبالغة ، وذلك أنّ الكثيبَ هو الذى جرَت عادتُه بالانهيال ، فإذا انهال الكاثبُ فهو أعظمُ للشأن وأشدّ

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : هذا تأويل بعيد ، واحتمال هذا الزحاف فى أشعارهم الموجود فى أوزانهم أولى من هذا القياس القليل وجوده ، على أنى قد رأيت فى غير نسخة « يعيش فواق ناقة » على تثنية « فواق » ، ورواية « فواق » مفرداً مزاحفاً أحسن منه مثنى ومنوناً .

(٢) هى رواية م ، ظ ، د ، هـ س .

للخَطْب ، وهذا كما تقول : لَئن لَبِس فلانٌ ثَوْبًا لَأخرِّقنَّ اللابس ، فهذا أشدّ مبالغةً من تخريق الملبوس . واستعار الانهيالَ للكاتب ، وقَوِيت الاستعارةُ ها هنا لمَّا كانت اللفظةُ مستعملةً للكثيب . ومَن روى « لانهدَّ كاتِبُه » جاز يكون من الكاثبة وهى موضع يدِ الفارس بالرّمح من ظهر الفرَس ، من قول النابغة :

لَهُنَّ عليهم عادةٌ قد عرفنَها   إذا عُرِض الخَطِّيُّ فوقَ الكواثبِ (١)

وتُستعمَل الكاثبةُ فى الإنسان وهى الكتَد أو نحوه ولا يُعرف إلاَّ بالهاء ، فإن كانتِ اللفظةُ يراد بها ذلك فيجوز أن يكون حذف الهاء لمكان الإضافة ، لأنهم يجرؤون على حذفها مع المضاف ، كما قالوا إلاحُ الرجلِ يريدون إلاحتَه ، وقام وُلاها أى وُلاتها ، * قال الراجز :

* قامَ وُلاها فسقَوْها صَرْخَدَا *

وقال كُثيِّر :

ألاحَكَ بالبَرْقِ اليمانى وقد بَدَتْ   من الهَجْرِ أشراطٌ له وهو رائح (٢)

وأراد بالكاثب أصل العُنق . ومعنى البيت : أنك وقفتَ قُدَّام المُلك تَذُبّ عنه فى منزلةٍ لو سقَط فيه الدّينُ لاندقَّتْ عُنُقه .

٣٦ جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الخِلَافَةِ والقَنَا
قَدِ اتَّسعتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَذَاهِبُهْ

٣٧ شَفَيْتَ صَدَاهُ والصَّفِيحِ مِنَ الطُّلَى
رُوَاءٌ نَوَاحِيهِ عِذَابٌ مَشَارِبُهْ

[ع] « الصَّفِيح » جمع صفيحة وهو السيف العريض ، و « الطُّلَى » جمع طُلْية وهى صفحة العُنُق * وربما قيل فى واحد الطُّلى طُلاةٌ .

---

(١) الديوان ص : ٤٣ .   (٢) لم أجده فى ديوان كثير المطبوع بالجزائر .

(٣) م : « سقيت صداه » – س : « رضيت صداه » – وجاء فى ظ ؛ وروى الخارزنجى : « نقعت صداه » ، وروى « رضيت جداه » وقال وفى حاشية النسخة العجمية : « رميت صداه » أى عطش اليوم بالدماء .

٣٨ لَيالىَ لمْ يَقْعُدْ بسَيْفِكَ أنْ يُرَى
هو المَوْتُ إلاَّ إنَّ عَفْوَكَ غَالِبُهْ[١]

يقول : لمَّا قدَرْت عفوت عَفْوُك سيفَك .

٣٩ فلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُحِقَّةً :
ألاَ هَكَذَا فلْيَكْسِبِ المَجْدَ كَاسِبُه

٤٠ لِيُعْلَمَ أنَّ الغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَب
غَدَاةَ الوَغَا آلُ الوَغَا[٢] وأَقارِبُهْ

٤١ كَوَاكِبُ مَجْدٍ يَعْلَمُ اللَّيْلُ أنَّهُ
إذَا نَجَمَتْ[٣] باءَتْ بِصُغْرٍ[٤] كَوَاكِبُهْ

٤٢ ويا أيُّها السَّاعى لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ
تَزحْزَحْ قَصِيًّا أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهْ

٤٣ بِحَسْبِكَ مِنْ نَيْلِ المَنَاقِبِ[٥] أنْ تُرَى
عَلِيماً بِأَنْ لَيسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهْ

[ع] يريد حسبُك فزاد الباء ، وهى تُزاد مع « حَسْب » فى الابتداء . ومنه قولُ الأول[٦] :

---

(١) جاء فى ظ قال الصولى ويروى : « يبيد العدى والعفو عندك غالبه » .

(٢) جاء فى ظ : ويروى « أسود الوغى أصهاره وأقاربه » .

(٣) س : « إذا أنجحت »

(٤) قال الصولى ويروى « باءت بذل » وهى فى ه س ، وروتها ظ — وقال الصولى أيضاً : ويروى « باتت » وهو تصحيف .

(٥) د : « المراتب » .

(٦) البيت فى اللسان (مادة : ضرر) فى أبيات للأشعر الرقبان الأسدى .

بحسبكَ فى القوم أن يعلموا بأنك فهم غَنِىٌّ مُضِرْ

أى لك ضَرَّةٌ من المال . و « المناقب » المكارم واحدها مَنقبة ، كأنها أخذت من أنها تَنقُب الصَّخْرَ من عِظَمها ، وتَنقُب قلب الحَسود ، وقيل إنما سُمِّيت مَنْقَبة لأنها يُنْقَب عنها أى تُظهَر وتُكْشَف .

٤٤ إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ
فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ

١٧

وقال يمدح إسحق بن إبراهيم بن مُصْعَب :

١ قُلْ للأَمِيرِ الّذِى قَدْ نَالَ ما طَلَبا
وردَّ مِنْ سَالِفِ المعْرُوفِ ما ذَهبَا[١]

الأول من البسيط والقافية متراكب .

أى قد أعاد من المعروف ما قد دَرَس .

٢ مَنْ نَالَ من سُؤدَد زَاك[٢] ومِن حَسَبٍ
ما حَسْبُ واصِفِه مِن وَصْفِهِ حَسَبَا

[ع] « مَن نال » بدل من الأمير ، وينتهى الكلام عند قوله « ما حَسْبُ واصِفِه من وَصفه » كما يُقال حَسبُك مِن فَضْل فلان ، وتسكت ويكون الكلام تامًّا ، ثم نَصَب « حَسَبًا » على التفسير . أى وَصْفُ حَسَبِ هذا الرجل حَسَبٌ لواصِفه فالشُّعراءُ يفتخرون بمدحه .

٣ إِذَا المكَارِمُ عُقَّتْ واسْتُخِفَّ بهـا
أَضْحَى النَّدَى والسَّدَى أُمًّا له وأَبَا

أى إذا عُقَّت المكارمُ واستُخفَّ بها ، أى رفضوها ، فإنه يَبَرُّها كبرِّ الأمِّ والأبِ . و« السَّدَى » و « النَّدَى » متقاربان ، وربما فرّق أصحابُ النقل بينهما ، وقال بعضهم : النّدى ما لم يكن فوق الأرض ، والسَّدى ما وقع على التّراب ، وقيل : السَّدى ما أصاب الروضَ والشجرَ من النّدى ، وقيل : بل

---

(١) رواية البيت فى س :

قل للأمير تجد للقول مضطربا وتلق فى كنفيه السهل والرحبـا

(٢) ظ : ويروى « من سؤدد باق » ، وهذا البيت والأبيات الأربعة التالية له لم ترد فى س .

هو ما سقط بالليل ، ثم نُقل ذلك إلى صفةِ الرجل ومدحه ، وهذه الأقوال مُتشابِهة مُتقاربة .

٤ تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فى الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا
ويَغْضَبُ الدِّينُ والدُّنيا إِذا غَضِبَا

٥ فى مُصْعَبِيِّينَ ما لاقَوْا مُرِيدَ رَدًى
لِلمُلْكِ إِلَّا أَصارُوا خَدَّه تَرِبَا

« مُصعَب » من أولاد عبد الله بن طاهر .

٦ كَأَنَّهُمْ وقَلَنْسِى البِيضِ فَوْقَهُمُ
يَوْمَ الهِيَاجِ بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبَا

« قَلَنْسِى » أراد جمع قَلَنسُوة ، فلما حذفت الهاء ووقعت الواو طَرَفًا وقبلها ضمة قُلبت إلى الياء ، ومن قال قُلَنْسِية فى الواحد قال قُلَنْس فى الجمع ، ولمّا بَنَى الفِعْل من القلنسوة قال قَلْنَس فأثبتَ النون ، « وفَعْنَل » بِناء قليل ، إلاّ أنه يجوز أن يُشبَّه بقولهم تمَسْكَن الرجل فظُنَّت الميم أصليّة ،وكذلك النون فى قَلَنسُوة جُعلت كالأصلىّ والأصل قَلَس . قال الشيخ : يجوز « قَلَنْسُ البِيْضِ » و « قَلَنْسِى البيض » جميعًا ، فقَلَنْسُ جِنْسُ قَلَنسُوة مثل تمرٍ وتمرة ، وأمّا قَلَنْسِى فهو فى الأصل قَلَنْسُوة بالواو ، وحذفوا الهاء ، ولمّا حذفوها رَدّوها إلى قَلَنْسٍ لئلا يكون اسمٌ فى آخره واو قبلَها ضَمّة .

٧ فِدَاءُ نَعْلِكَ[١] مُعْطًى حَظَّ مُكْرُمَةٍ
أَصْغَى إِلى المَطْلِ حتَّى باعَ ما وَهَبَا

أى يَفْدِيك مَنْ مُكِّن من العطاء وفِعْل المكارم فوعد وأحوج السائل

(١) س : « فدى لنعلك » .

بالموعود إلى الترداد إليه بمطله إياه . حتى إذا أنجز وعدَه صار ما أعطاه مَبيعاً لا هِبَةً ، لأنَّ الآخِذ كأنَّه أخذَه عِوَضاً عمّا لَحِقه من التعب لا أنه مُتبرَّع عليه به .

٨ إنّي وإنْ كانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ
إلا قَضاءٌ كَفاهُمْ دُونِيَ السَّبَبا[1]

يقول : أنا تَسبَّبتُ إليك بأسبابٍ ومَوَاتَّ ، وهؤلاء ما لهم سَبَب سِوَى القَضاءِ الذى كفاهم السبَبَ دونى .

٩ وكُنْتُ أَعْلَمُ عِلْماً لا كِفَاءَ لَهُ
أنْ لَيْسَ كُلُّ قِطارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا[2]

« لا كِفاءَ له » أى لا مثال له ، أى أعلم أن كلَّ مَطرٍ لا يُنبت العُشْب ، و « قِطار » جمع قَطْر .

١٠ ورُبما عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عن الـ
قَوْمِ الحُضُورِ ونالَتْ مَعْشَراً غَيَبَا[3]

١١ لَمُضْمِرٌ غُلَّةً تَخْبو فَيُضْرِمُهَا[4]
أنّي سَبقْتُ ويُعْطَى غَيْرِيَ القَصَبا

١١ ــ أى أنا مُضمر غُلَّةً تَسكن أحياناً ثم يُضرمها علمى أنّى سَبقتُ ويُعطَى غيرى قَصَب السَّبْق . و « الغُلّة » ما يجده الرجل فى صدره من غيظ

---

(١) روايته فى س :
إنى وإن كان قوى ما لهم سبب رمـوا بصنع كفاهم عندك السبا
(٢) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى س .
(٣) قال الصولى : ويروى « عن النصح المقيم ونالت حُسَّداً غيبا » .
(٤) س : « فى القلب يضرمها » .

أو حُزن أو عَطَش ، وكانوا إذا أرسلوا الخيل فى السِّباق أقاموا رجلاً عند الغاية معه قَصَبة أو قَصَبات مُعلَّمة فيُعطى السابقَ قَصَبته ، ثم كذلك الذى يجيء بعده ، ويقولون جَواد مُقَصَّب أى يُعطَى صاحِبُه قَصَبة السَّبْق ، قال الراجز :

جاريتَ منه تَيِّحانا مُهْذِبا[1]
فاعضَضْ بِفيكَ جَنْدلاً وأثْلَبا
قد بَرَّك السَّبْقَ وحازَ القَصَبا

١٢ ونادِبٌ رِفْعَةً قَدْ كُنْتُ آمُلُها
لَدَيْكَ لا فِضَّةً أَبْكِى[2] ولَا ذَهَبا

ويروى : « ونادبٌ رَفعَ قَدرٍ كنتُ آمُلُه »[3] .

١٣ أَدعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسِيلَتُهُ
إن لَمْ تَكُنْ بى رَحِيماًفارْحَمِ الأَدبا[4]

١٤ احْفَظْ وَسائِلَ شِعْرٍ فيك ما ذَهَبتْ
خَواطِفُ البَرْق إلاَّ دُونَ ما ذَهَبا

« وسائل » جمع وسيلة وهى ما يُتقربُ به إلى الإنسان ، يُقال وَسَل يَسِل وَسْلاً .

---

(١) فرس تيحان شديد الجرى — وأهذب الفرس فى عدوه أسرع .
(٢) م ، ل ، د ، ظ : « أبغى » .
(٣) وهى رواية ل ، م ، ظ ، د . وبهامش ظ رواية الأصل ولم يرد هذا البيت فى س .
(٤) تنتهى القصيدة عند هذا البيت فى س ، م ، ل ، ظ . وبهامش م قال : وفى نسخة . ثم روى الأبيات الثلاثة التالية . ورواية هذا البيت فى س :

إن أنت لم تك عدل الجود منصفه   لم نرج بعدك خلقاً ينصف الأدبا

والبيت بهذه الرواية فى د ، هـ ب .

١٥ يَغْدُونَ مُغْتَرِباتٍ فى البِلادِ فَما
يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِى الآفاقِ مُغْتَرِبا

١٦ ولا تُضِعْها فما فى الأَرضِ أَحْسَنُ مِنْ
نَظْمِ القَوافى إِذا ما صادَفَتْ حَسَبا

١٨

وقال يمدح محمد بنَ عبد الملك الزَّيات :

١ قد نابتِ الجِزْعَ مِن أُرْوِيَّةَ النُّوبُ
واسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِن رَبْعِها الحِقَبُ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

« أرْوِيَّة » اسم امرأة ، سُمِّيت بالواحدة من الأراوِىّ وهى أنثى الوعول . وقوله « من أروِيَّة » فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أرويَّة ، أو من أجزاعها ، أو نحو ذلك ، ليصحَّ دخولُ « مِنْ » إذْ كانت للتبعيض . وقوله « استحقبت جِدَّةً » هو مأخوذ من الحقيبة وهو ما يكون وراءَ رَحْل الراكب ، فإذا جَعَل خلفَه شيئاً قيل استحقَبه واحتقبه ، وهذا ها هنا مستعار ، يريد أنَّ الحِقَبَ قد أذهبت بِجدَّة هذا الرَّبْع فكأنَّها جعلَتْه فى حقائبها ، لأنَّ الإنسان إذا جعل الشىءَ فى حقيبته فقد استبدَّ به .

٢ أَلْوَى بِصَبْرِكَ إخلاقُ اللِّوَى وهَفَا
بِلُبِّكَ الشَّوْقُ لَمَّا أَقْفَرَ اللَّبَبُ

يقال ألوَى بالشئ إذا ذهب به ، وألوَى الدهرُ بالقوم إذا أهلكهم . و « اللِّوَى » مستَرَقّ الرمل ، و « اللبَب » نحو ذلك ، وربما قالوا اللَّبَبُ مُقدَّم الكثيب ، وقد يُعبِّرون عن اللِّوى واللَّبَب بمنقطَع الرمل ، وذلك كله مُتقارِب فى الحقيقة . و « هَفَا » طار .

٣ خَفَّتْ[1] دُموعُكَ فى إثْرِ الحَبيبِ[2] لَدُنْ
خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضْبانُ والكُثُبُ[3]

[ع] أصلُ « الخُفُوف » من قولهم خَفَّ القوم إذا ارتحلوا ، وهو راجع

---

(١) فى ظ : وفى نسخة « جفت » ، بالخاء والجيم ، والأول فى أكثر النسخ .

(٢) س ، ظ : « الخليط » . (٣) ظ : ويروى : « الكثبان والقضب » .

إلى الخِفَّة التي هي ضِدّ الثِّقَل ، إلّا أنهم يُفَرِّقون بالمصادر بين الأفعال التي أصلُها واحد في الاشتقاق ، فيقولون خَفَّ الشيء خِفَّةً إذا كان خفيف الزِّنَة ، وخَفَّ القوم خفوفًا إذا ارتحلوا ، وخَفَّ في حاجته إذا أسرع . وقوله : « خَفَّتْ دُموعُك » إن شئتَ كان من الإسراع ، وإن شئتَ كان من الخُفوف الذي هو الارتحال ، كأنّها تبعتهم أي سالت في إثرهم . وقوله « لَدُن » أي عند ، وأضافَها إلى الجملة لأنه جعلها واقعةً على الحين ، وأسماءُ الزّمان تُضاف إلى الجُمَل . « والكُثُب » الأولى جمع كَثِيب من الرمل ، « والكُثُب » الثانية مُرَاد بها أردافُ النّساء لأنها تُشبَّه بالكُثُب فحذَف التشبيه . « والقُضْبان » أراد بها القُدود على تَرْك آلة التشبيه أيضًا .

٤ مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا
ذَوْبَ[1] الغَمَامِ فَمُنْهَلٌّ ومُنْسَكِبُ

« ممكورة » مَطويّة الخَلْق ، مَكَرَها إذا لَوَاها ، وقيل ممكورة ناعمة .

٥ أَطاعَهَا الحُسْنُ وانحَطَّ الشَّبَابُ على
فُؤَادِهَا[2] وجَرَتْ في رُوحِها[3] النِّسَبُ

« انحطّ الشّباب على فؤادها » أي هي حَيّة الفؤاد . [ع] و « النِّسَبُ » جمع نِسْبَة وهي مثل النَّسِيب من الشِّعر ، والنَّسِيبُ مثل الغزَل . والمعنى أنّ النَّسِيب يقال فيها ، ويجوز أن يعني أنّ رُوحَها من لُطفها كأنّ النَّسِيب جَرَى فيها[4] .

---

(١) هـ س : « حيث الغمام » .

(٢) ل ، س : « على قوامها » .

(٣) س : « في وصفها » .

(٤) جاء في ظ : قال الآمدي في الموازنة : قوله « أطاعها الحسن ... » من أبياته التي يسأل الناس عنها ، فقوله « أطاعها الحسن ... » من قول بشار :

كما اشتهت خلقت حتى إذا اعتدلت   تمت قواماً فلا طول ولا قِصَرُ

وقول أبي نواس : =

٦ لَمْ أَنسَهَا وصُرُوفُ البَيْنِ تَظْلِمُهَـا
ولا مُعوَّلَ إلَّا الوَاكِفُ السَّرِبُ

« المعَوَّل » من قولهم عوَّلتُ عليه فى الأمر إذا حمَلتَ أمركَ عليه ، وهو مأخوذ من عالنى الأمرُ إذا أثقلنى . [ع] يقول : ليس لهذه الظّاعنة تعويلٌ إلاّ على الدّمع ، ويحتمل أن يعنى نفسه بالبكاء ، أو يدّعى أنهما جميعًا عوّلا على البكاء .

٧ أدنَتْ نِقاباً على الخدَّيْنِ وانتَسَبَتْ[1]
لِلنَّاظِرِينَ بقَدٍّ لَيْسَ يَنتَسِبُ[2]

يقول : استترت بالنِّقاب لئلا تُعرف فعرفت بقَدّها ، أى لمّا رأوْا قدّها قيل هذه فلانة ، لأنها معروفة بحسن القَوام والجمال .

٨ ولَوْ تَبَسَّمُ عُجْنا الطَّرْفَ فى بَرَدٍ
وفى أَقاحٍ سَقَتْها الخَمْرُ والضَّرَبُ

« عُجْنَا » أى كرَّرْنا وردَدْنا . وتُشبّه الأسنان بنَوْر الأقاحى فى بياضه وصِغَره ولطافته ومائه .

= خليت والحسن تأخــذه تنتــقى منــه وتنتخب
فانــتقت منــه طرائفــه واستزادت بعض ما تهب

وقوله « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والتيقظ ، وقوله « وجرت فى روحها النسب » هو أن يقال خفيفة الروح أو عذبة الروح ونحو هذا ، كذا فسره الشيوخ بعد أن جرى فى ذلك خوض طويل .

وقال الآمدى فى « الأبيات المفردة » : ما زال المتذاكرون بشعر هذا الرجل يفيضون فى تفسير هذا البيت فلا يصح له معنى إلا بالحدس والظن ، وأقرب ما سمعت فى قوله « وانحط الشباب على فؤادها » أى مالت جهاته إليه ، كأنه يريد زكاها وسرعة نموها ، وقوله « جرت فى روحها النسب » هى أن يقال خفيفة الروح ...

وقال ابن المستوفى : أخذه من قول يزيد بن الطثرية .

جرى فوقها زهو الشباب و باشرت نعيم الليالى فى الرخاء من الحقب

(١) هـ ب : « وانتصبت » . (٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « ليس ينتقب » .

٩ مِنْ شَكْلِهِ الدُّرُّ في رَصْفِ[1] النِّظام ومِنْ
صِفَاتِهِ الفِتْنَتَانِ[2] : الظَّلْمُ والشَّنَبُ

« من شكله » أي ضَرْبه . [ص] يقول : صفة خَلق أسنانها كالدّر في صفائه واتساق نظمه ، وصفتُها أنَّها بها الشّنب وهو برد وعُذوبة ، وقيل الشنب حِدّة الثغر ، والظَّلم ماء الأسنان وإفراط صفائها .

١٠ كانَتْ لنا مَلْعَباً[3] نَلْهُو بزُخْرُفِهِ
وقَدْ يُنَفَسُ عَنْ جِدِّ الفَتَى اللَّعِبُ

كلّ شيء حَسَن يُسَمَّى زُخرفًا ، ويقال للذهب زُخْرف ، وكذلك لغرور الدنيا وخديعتها .

١١ وعَاذِلٍ هَاجَ لِي باللَّوْم مَأْرُبَةً[4]
باتَتْ عليها هُمُومُ النَّفْسِ تَصْطَخِبُ

و « همُوم الصَّدْر »[5] . « المأْرُبَة » والمأْرِبة والمأْرَبة الحاجة .

١٢ لمَّا أَطَالَ ارتِجالَ العَذْلِ قُلْتُ لَهُ :
الحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لا الخُطَبُ

قَطَعَ ألِفَ الوصل في أوّل النصف الثاني من البيت إذْ كان ما قبلَه موضع وقف ، لأنه قال « قلتُ له » ثم ابتدأ بأول الكلام المحكيّ ، وهذا كما قال الأعشى :
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له اُقتُلْ أسيرَكَ إنِّي مانِعٌ جارِي[6]

---

(١) هـ ب : « في نظم الجمان » . (٢) س : « الأطيبان » ، وبهامشها رواية الأصل .
(٣) م ، هـ ب : « لعبا » . (٤) قال الصولي : ويروى « مأدبة » .
(٥) هي رواية س ، وجاءت في هـ ب ، هـ ن .
(٦) الديوان ص : ١٢٧ ، والرواية فيه :
فشك غير قليل ثم قال له إذبح هديك إني مانع جاري

وقولُه « ارتجال العَذْل » يقال لكل من أنشأ كلاماً من غير أن يفكِّر فيه قد ارتجله ارتجالاً[1].

١٣ لَمْ يَجتَمِعْ قَطُّ فى مِصْر ولا طَرَف[2]
مُحَمَّدُ بنُ أَبى مَرْوَانَ والنُّوَبُ

١٤ لِى مِن أَبِى جَعْفَرٍ آخِيَّةٌ سَبَبٌ
إنْ تَبْقَ يُطْلَبْ إلى مَعْرُوفِىَ السَّبَبُ

١٤ — أصل « الآخيَّة » أن يُدفَن حبْل فى التراب ثم تُخرَج منه عروة فيُشَدّ فيها الفرَس ، يقولون آخَيْتُ آخِيَّةً ، ثم كثر ذلك حتى قالوا لى عنده آخيَّة أى شىءٌ أعتمد عليه من ودّ أو خِدْمة . وربما قالوا الآخِيَّة ما حول البناء ، وهذا على الاتساع والمجاز . يقول : إن بَقِيتُ لى هذه الآخِيَّة فإنى أستغنى حتى أفضلَ على الناس فيتَوسَّل إلىّ بوسائل .

١٥ صحَّتْ فما يَتَمارَى مَنْ تَأَمَّلَها
مِنْ نَحْوِ[3] نائِله فى أنَّها نَسَبُ

أى لا يَشكّ فيها أحدٌ أنها نَسَب ليست بسبب ومثله :

حتى يكونَ عَزيزًا فى نُفُوسِهِمُ لا يَعلمُ الجارُ فيهم أنّهُ الجارُ

١٦ أَمَّتْ نَدَاهُ بِىَ العِيسُ التى شَهِدَتْ
لها السُّرَى والفَيافِى أنَّها نُجُبُ

---

(١) جاء فى ظ : قال الآمدى : قوله « الحزم يثنى خطوب الدهر » ليس بواجب قاطع على كل حال ، ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازماً قط يصيبه من الدهر ما يكرهه ، ولكن لما كان الحزم يفعل ذلك صلح أن يذكره . (٢) س : « ولا بلد » .

(٣) م ، ل : « من وجه نائله » — س ، ظ : من فرط نائله » — ه س : ويروى « من فيض نائله » ، وذكر فى ظ هذه الروايات وزاد عليها قوله : وفى نسخة « من نجح تأميله » و « من نحو تأميـــله » .

١٧ هَمٌّ سَرَى ثُمَّ أَضحَى هِمَّةً أَمَماً
أَضحَتْ رَجَاءً وأَمسَتْ وهْيَ لى نَشَبُ

١٧ – يقول : بِتُّ فى همّ وأصبحتُ فى هِمَّة ، وأضحيتُ فى أمَل وأمسيتُ فى مال . ورواية المرزوقى : « راحت رجاءً وأمسَتْ وهى لى نَشَبُ »[1].

١٨ أَعْطَى ونُطْفَةُ وَجْهى فى قَرارَتِها
تَصُونُها الوَجَناتُ الغَضَّةُ القُشُبُ

: أى أعطانى قبل المسألة لأنّ المسألة تُذهِب ماءَ الوجه ، أى لم يُخلق وجهى بسؤال ، فوجهى غَضٌّ جديد . « والنُّطفة » الماء القليل ، استعاره لماء الوجه ، و « القَرَارَة » المطمئِنّ من الأرض ، يقولون وجدنا نُطفَةً فى قرارة ، أى ماءً قليلاً فى أسفل واد ، و « الوَجْنة » العَظْم الذى تحت الصُّدْغ ، ومَن ضَمّ الواو من « وجنة » أو كَسَرها جاز له الهمز .

---

(١) جاء فى ظ : قال المرزوقى : ومما جنى عليه قوله :

هم سرى ثم أضحى همــه أممـاً أضحت رجاء وأمست وهى لى نشب

هكذا رواه بعض المدعين لهذا الشعر (يشير بذلك إلى الصولى لأنها روايته ولأنه شرحه كما سيذكره المرزوقى بحرفه) ، وذكر أن المعنى : كنت مهمّا فى الليل فأسريت إلى هذا الممدوح فأصبحت وهمى قد صار همة ، ثم أضحيت وقد صارت الهمة رجاء ، ثم أمسيت وقد لقيته وهى نشب أى مال . قال أبو على : هذا البيت إذا تأملت تقاسيمه تبينت حسنها واستقامتها ، لكنه بدّل ، والرواية الصحيحة : « راحت رجاء وأمست وهى لى نشب » ، فانظر كيف نقل الهم وهو مصدر هممت أو واحد الهموم فى معارضه واختلاف أحواله فى أطراف ليله ونهاره ، وكيف عقب السرى بالإضحاء ، والرواح بالإمساء ، وكما جعل الهم همة ها هنا عكسه فى موضع آخر :

لمـــا مخضت الأمانى التى احتلبوا عادت هموماً وكانت قبلها هما

واستعارة « المخض » لاقترانه بالحلب فى « الأمانى » أحسن منه فى قوله :

حتى إذا مخض الله السنين لها مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

وإن كان يحسنه ثم ذكر الزبدة معه أيضاً .
فأما المصراع الثانى فقد أعاد معناه فى موضع آخر فقال :

فتــواردتك وإنها لرسائل وصدرن عنك وإنها لفوائد

١٩ لَنْ يَكْرُمَ الظَّفَرُ المُعْطَى وإنْ أُخِذَتْ(١)
بِهِ الرَّغائِبُ حتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

(ق) : يقول : إنما العرْف يَكْرُم والنَّوال يَشْرُفُ متى صينَ طَلَبُ العافى الزّائر من المَطْل ، ولم يُهَن ولم يُبتَذَل بالتسويف والدّفاع .

٢٠ إذا تَباعَدَتِ الدُّنيا فَمَطْلَبُها
إذا تَوَرَّدْتَهُ مِن شِعْبِهِ كَثَبُ

يقول : إذا تباعدت عنك الدنيا فاطلُبْها من شِعْبها وواديها الذى تجدها فيه ، أى اطلب الخير من مَظانّه ، والهاءُ فى « شِعْبه » للممدوح .

٢١ رِدْءُ الخِلافَةِ فى الجُلَّى إذا نَزَلَتْ
وقَيِّمُ المُلْكِ لا الوانِى ولا النَّصِبُ

[ص] أى يقوم بالأمور فلا تُتعبه لحزمه وجَوْدة رأيه . و « الوانى » المُقصّر ، و « النَّصب » التَّعِب و « الرِّدْء » العَوْن .

٢٢ جَفْنٌ يَعافُ لَذِيذَ النَّوْمِ ناظِرُهُ(٢)
شُحًّا عليها(٣) وقَلْبٌ حَوْلَها يَجِبُ

« شُحًّا عليها » أى على الخلافة ، و « حولها » حول الخلافة ، للشَّفَقة عليها ، فهو على حَسَب ذلك يُصلح منها ويُحامى عليها .

٢٣ طَلِيعَةٌ رَأْيُهُ مِن دُونِ بَيْضَتِها
كما انتَمَى رابِئٌ فى الغَزْوِ مُنْتَصِبُ

« الرّابئ » من قولهم ربأتُ القومَ إذا كنتَ لهم رَبيئة ، وهو أن تَعلُوَ مكانًا

---

(١) قال الصولى : كذا يرويه الناس ، وقرأته على أبى مالك : « لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت منه الرغائب » – ق ، ه ب : « لا يكرم » . (٢) ظ : « نافره » .
(٣) م ، د : « شجّى عليها » . (٤) ظ : ويروى « فى الثغر » – د : « فى القوم » .

مرتفعاً لتَنفُضَ لهم الطريق أو تُخبرَهم بمن يَسلكه ، ومنه قول الهُذَلى :

رَبَّاءُ شَمَّاءُ لا يَأوى لِقُلَّتِها إلا الغَمَامُ وإلا الأوْبُ والسَّبَلُ[1]

و « بَيْضَتها » يعنى بيضة الخلافة ، والمراد بها أهلُ الإسلام ، وبَيْضَة كلِّ شىء مُعظَمه . و « انتَمى » أشرف .

٢٤ حَتَّى إذَا مَا انْتَضَى التَّدْبيرَ ثابَ لَهُ
جَيْشٌ يُصَارِعُ عَنْهُ ما لَهُ لَجَبُ

أى أقبلَتْ نحوه جُيوش الآراء ، والهاء فى « له » للتدبير ، يعنى من الرأى[2] .

٢٥ شِعَارُهَا اسمُكَ إنْ عُدَّتْ مَحَاسِنُها
إذِ اسمُ حاسِدِكَ الأَدْنَى لَها لقَبُ

« الشّعار » ما يَدّعى به القومُ فى الحرب ليتميَّزوا من أعدائهم وليعرفوا أصحابَهم ، مثلُ أن يقولوا : يالَ مُضَر ونحو ذلك ، وإنما قيل له شِعار لأنهم يَشعرون به ، أى يَعلمون مكانَ المُسَالِم من المُحارب [ع] يقول : فاسمُك شعار الخلافة لأنها تُحبك وتَعرْف موضعَك وتَعلم أنك ردْء ، أى عَوْن ، إذ اسمُ حاسِدك كاللَّقب لها إذْ كانت تُبغضه ولا تُسمِّيه كما يَكره الإنسان أن يُذكَر لَقبُه المكروه ، وكانت الألقاب فى الزّمان الأوّل لا تُستعمل إلاّ فيما يُذَم ، ثم استَعملها فيما يَضعونه سِمَةً للمُلوك والأمراء ، كقولهم سَيْف الدّولة ، والظّهير ، ونحو ذلك . [ص] يقول : الخلافة إذا عَدّت محاسِنَها تَسمَّت باسمك أنك وزيرها ، فهذا اسم لك حقًّا ، ومَن سُمِّى به سواك فهو لَقَب له .

---

(١) البيت للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٧ ، وفى اللسان مادة « أوب » . و « رباء » يربأ فوقها ، يقول : لا يدنو قلتها أى رأسها ، أى لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب . و « الأوب » رجوع النحل و « السبل » القطر حين يسيل .

(٢) أعاد الصولى الهاء فى « له » للتدبير كما جاء فى شرح أبى زكريا هنا . وقال ابن المستوفى ويجوز أن يعود الهاء فى « له » إلى الممدوح لأن الصولى جعل للتدبير رأياً والتدبير هو نفس الرأى .

٢٦ وَزِيرُ حَقٍّ ووَالِى شُرْطَةٍ ورَحَا
دِيوانِ مُلْكٍ وشِيعىٌّ ومُحْتَسِبُ

٢٧ كالأَرْحَبِىِّ المُذَكِّى سَيْرُه المَرَطَى
والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ

٢٧ — كان بعض الناس يقول لأبى تمام : أنا أستحسن قول امرئ القيس :

وتَعرفُ فيه مِن أبِيه شمائِلاً ومِن خالِه ومِن يَزِيدَ ومِن حُجُرْ
سَماحةَ ذَا وجُودَ ذَا ووفاءَ ذَا ونائِلَ ذَا إذا صَحَا وإذَا سَكِرْ

فذكَر أربعةً وردَّ عليها أربعةَ أصناف ، فلقيه أبو تمام بعد مدَّة فقال له : أنشدتنى بيتَى امرئ القيس ، وتَستحسن ذكْرَه لأربعة وردَّه عليهم أربعةَ أصناف ، وقد ذكرتُ خمسةً ورددتُ عليهم خمسة أصناف ، وأنشده هذين البيتين . [ع] و « الأرْحَبِىّ » يعنى به نَجِيبًا من الإبل منسوبًا إلى أرْحَب وهم حَىٌّ من هَمْدان . و « المُذَكِّىّ » الذى قد تَمَّت سِنُّه وذَكاؤه ، يقال فرس مُذَكٍّ ووحشٌ مُذَكٍّ . و « المَرَطى » ضَرْب من العَدْو سهل ، وقلما يُستَعمل فى الإبل[1]. فأما « الوَخْد » و « المَلْع » فمجيئُهما كثير فى وصف سَيْر النوق والجمال ، ولا يكادون يقولون وَخَد الفرَس . وقد حكى ذلك أبو نصر صاحب الأصمعي . و « التَّقريب » أيضًا لا يكاد يُستعمل فى الجمال . [ص] يقول : هذا الممدوح يجمع إصلاح المُلْك كما يجمع هذا الأرحبِىّ هذه الضروبَ من السَّيْر .

---

(١) قال ابن المستوفى : لو قال أبو العلاء فجيئهما كثير فى وصف سير الإبل كان أولى . وهذه الألفاظ التى ذكرها أبو العلاء أكثرها من أوصاف الخيل ، فـ « المذكى » واحد المذاكى والمذكيات من الخيل ، وهى التى جاوزت القروح بسنة أو سنتين مثل المخلف من الإبل ، و « المرطى » ضرب من عدو الخيل ، قال الأصمعى فى المرطى : هو فوق القرب ، قال يصف فرساً :

* تقريبهـا المرطى والشدُّ إبراق *

و « الوخد » ضرب من مشى الإبل وهى أن ترمى بقوائمها مثل مشى النعام ، و « الملع » السير الخفيف السريع ، ويقال قد ملعت الناقة فى سيرها ... قالوا : و « الخبب » دون التقريب .

٢٨ عَوْدٌ تُسَاجِلُهُ أَيـامُهُ فبها مِن مَسِّهِ وبهِ مِن مَسِّها جُلَبُ

[ص] هذا مثل ، يقول : قد جرَّب الأمور خيرَها وشرَّها ، يكون الدَّهرُ مرةً معه، ومرةً عليه ، فكأنه يُساجله . * و«العَوْد» المُسنّ من الإبل ، ويقال للسؤدَد القديم عَوْد، على معنى الاستعارة، وكذلك طريق عَوْد أى قديم قال الراجز :

عَوْدٌ على عَوْدٍ من القُدْمِ الأُوَلْ
يَموتُ بالتَّرْكِ ويَحيَا بالعَمَلْ

و « الجُلَبُ » جمع جُلْبَة وهو الأثَر فى ظهر البعير وغيره من أثر حِمْل أو نحوه ، وأصلُ ذلك من قولهم أجلبَ الجُرْح وجلَبَ إذا علَته قِشْرةٌ للبُرْء . و « العَوْد » فى البيت المُراد به الرجلُ المجرَّب .

٢٩ ثَبْتُ الخطَابِ (١) إِذَا اصطَكَّتْ بِمُظلِمَةٍ (٢) فى رَحْلِهِ أَلسُنُ الأَقْوَامِ والرُّكَبُ

« اصطكت » اضطربت ، وقوله « بمُظلِمة » أى بخَصْلة مُظلِمة [ع] واصطكت مستعار ، فإذا استعير للسان فهو من صَكّه يَصُكّه صَكًّا إذا ضرَبه بشىء صُلْب ، وإنما أراد ازدحامَ الألْسُن على القول وتَصاكّها فيه ، وإذا استُعير « اصطكَّت » للرُّكَب احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من الصَّك وهو أن تَصْطَكَّ الركبتان ، يقال فى وصف الدَّابة ليس فيه صَكَك ، والآخر أن يكون من الصَكّ الذى هو الضَّرْب ، وكلا الوجهين راجع إلى شىء واحد، لأن الصَّكك المكروه مأخوذ من الصَّكّ . وليس الاصطكاك ها هنا مُفتقرًا إلى المعطوف ، لأن الأوّل جَمْع ، وإنما يمتنع مثل هذا فى الآحاد ، ولو قيل اصطلك الحَجَر والخشَبَة لم يجز الاقتصارُ على الاسم الأوّل ، لأن « الافتعال » إنما يكون فى هذا الباب من اثنين فما زاد(٣) .

---

(١) ظ : ويروى : « ثبت الجنان » .

(٢) س : « بمظلمة » بفتح الميم . وشرح الصولى يدل على أنها روايته .

(٣) قال ابن المستوفى : يجوز أن يكون « اصطكت » من قولهم صككت الباب إذا أطبقته ، أى إذا تطابقت الألسن والركب ، وهذا إنما يصح على طريق الاستعارة . كأنها تلاقت فى رحلة فتصاكت ، وهذا معروف من كلامه ، وقالوا « اصطكت » بمعنى اضطربت .

٣٠ لا المَنْطِقُ اللَّغْوُ[١] يَزْكُو فى مَقَاوِمِهِ
يَوْماً ولا حُجَّةُ الملهُوفِ تُستَلَبُ

[ع] « المنطق اللغو » يجوز أن يكون من ألغيتُ الشيءَ إذا أهملتَه ، كأنه يعنى الهَذْرَ وما لا يُحتاج إليه من الكلام ، وهذا أشبه من أن يكون فى معنى اللغو الذى يستعمله الناس فى الكلام المكروه ، مثل قولهم لَغَا الصَّائمُ والحاجّ ، ومنه قوله تعالى « لا لَغْوٌ فيها ولا تأثِيمٌ » وكلا الوجهين يرجع إلى الإلغاء الذى هو الإهمال ، يقال ألغيتُ فى العدد إذا ألقيتَ منه . * و « مَقَاوِم » جمع مَقَام .

٣١ كأنما هوَ فى نَادِى قَبيلَتِهِ
لا القَلْبُ يَهْفُو ولا الأَحشاءُ تَضْطَرِبُ

« لا القلب يهفو » مأخوذ من هَفَا إذا عثر ، أى لا يَزِيغ عما يُريد . قال المرزوقى : يجوز أن يكون المراد أنه إذا جلس للمظالم يراه الحضور فى مجلسه كأنما هو فى نادى قَبِيلته لاستعماله العَدْلَ فيهم ، وكأنَّهم عَشِيرتُه وذَوُوه[٢] .

٣٢ وتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءُ حَزُّ شَفْرَتِهِ
كما يَعَضُّ بأَعْلَى الغَارِبِ القَتَبُ

استعار حَزَّ الشَّفْرة للقضاء ، وقد استعملوا نحوًا من ذلك فى الشَّفْرة فقالوا فى المثل لم أجد لشفرتى مَحَزًّا[٣] ، أى لم أجد لى حِيلَةً فى الأمر ، قال القَتَّال :

كِلانا عَدوٌّ لن يَرَى فى عَدُوِّهِ مَحَزًّا وكُلٌّ فى العَداوةِ مُجمِلُ

---

(١) س : « اللغب » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) ذكر ابن المستوفى كلام المرزوقى هذا مفصلا من كتابه . وفيه وجه آخر للمعنى ، قال المرزوقى : « ويجوز أن يكون المعنى أن الملهوف إذا حضر بساطه يعتقد لثقته بعدله وجميل إنصافه أنه مع ذويه ومجاور لأهله ، لا يجب قلبه ولا يقلق حشاه » . وقال ابن المستوفى عقبه : وهذا القول هو الصحيح الذى دل عليه الشعر والله أعلم . وما وصف به من هفوة القلب واضطراب الأحشاء أليق بالملهوف ، لأن الحاكم إذا كان فى رحله وفى مقامه لا يلحقه هذا ، وإنما يلحق هذا من هو ملهوف .

(٣) مجمع الأمثال ٢ : ٩٠ .

وقال الراجز :

لمّا رأيتُ أمرَهُمْ قد أزّا
ولم أجِدْ لشفرة مَحزّا
تَخذتُ من آلِ زيادٍ حِرْزًا

ويقال عَضَّ القَتَبُ بالغارب إذا اشتدّ الأمر ، وأصل ذلك فى البعير لأن قَتَبه إذا عَضَّ غاربَه لَحِقته فى ذلك مَشَقّة عظيمة . والمعنى : أنّ هذا الممدوحَ يَقضى قضاءً لا يُراعى فيه أحدًا ، وإن شَقّ أمرُه على المقضىِّ عليه .

٣٣ لا سَوْرَةٌ تُتّقَى مِنْهُ ولا بَلَهٌ
ولا يَحِيفُ[1] رِضاً مِنْهُ ولا غَضَبُ

[ع] ويروى « ولا تَلَهٌ » و « سَوْرة الغضب » حِدّته ، وأصله من سار يَسُور إذا وَثَب، يريد أنه إذا غَضِب لم يَحمِلْه الغَضَبُ على الظلم . وإذا رويت « بَلَهٌ » بالباء فمراد به الغفلة ، وربما جاءُوا به فى معنى الحمْد ، وأكثر ما يُستعمل البَلَه فى الذمّ . وإذا وصفوا المرأة بالبَله فإنما يريدون غفلتها عن الرِّيَب ، قال أبو النَّجْم :

مِن كلِ بَيْضاءَ سَقُوطِ البُرْقُعِ
بَلْهـاءَ لم تُحفَظْ ولم تُضَيَّعِ

ومنه قولهم : عَيْش أبله أى أهله غافلون عنه لا يشعرون بنوائب الدهر ، وأما البَلَه فى الرجال فعيب ، ولكن يُحمَد المُتبالِه الذى يُؤدّيه ذلك إلى السخاء والتغاضى عن عثرات الصديق والصاحب قال أبو دَهْبَل الجُمَحىّ يمدح رجلاً :

تَخالُ فيه إذا حاورتَه بَلَهًا ... عن مالِه وهو وافى العقلِ والوَرَعِ

[ع] وإن رُوى « ولا تَلَهٌ » بالتاء فالمراد الحَيْرة ، يقال تَلِه يَتْلَه تَلَهًا إذا حار .

---

(١) بين أسطر س ، ه ب : و « يحاف » رواية أخرى .

٣٤ أَلقَى إليكَ عُرَى الأَمْرِ الإمامُ فَقَـدْ
شُدَّ العِناجُ مِنَ السُّلْطانِ والكَرَبُ

[ع] « العِنَاج » حبل يُشدّ فى أسفل الدَّلْو ثم يُوصَل بعَرَاقيها وكَرَبها . و « الكَرَب» أن يُثنَى الرِّشاءُ على العَرَاقى ، يقال أكربت الدّلو فهى مُكرَبَة و « السلطان» ها هنا مُراد به العزّ والقوة ، من قولهم لفلان سلطان فى بلد كذا ، ولا يجوز أن يُحمل على أنّ السلطان آدمىٌّ لأنه يخرج إلى لفظ لا يَلِيق بالسلاطين ، وهو مع ذلك صحيح على تقدير محذوف كأنّه يُراد من أمرِ السلطان .

٣٥ يَعْشُو إليكَ وضَوْءُ الراى قائِدُهُ
خَلِيفَـةٌ إنمـا آرَاؤُهُ شُهُبُ

يقع فى بعض النسخ « يَعْشَى » والوجه « يَعشو »[١]. [ع] العَشْو أن يسير الإنسان على ضوء نارٍ أو كوكب ، إلاّ أنه لا يكون إلاّ خَفِيًّا . بخط الشيخ أبى عبد الله : يطلب فى ظلام الشّك مَن يعتمده لوزارته فيتَراءَى له ضِياؤُك من بعيد فيقصده . غيره : نَظَر إليك فلم يجد مثلَك مَن يَصلُح لتدبير المملكة فقلّدك[٢].

٣٦ إنْ تَمْتَنِعْ مِنهُ[٣] فى الأَوقات رُؤْيَتُهُ
فكُلُّ لَيْثٍ هَصورٍ غِيلُهُ أَشِبُ

(ص) يقول : إن كان يحتَجِب فكذلك اللّيْث .

---

(١) هـ ب : « عشا إليك » .

(٢) قال ابن المستوفى : كلا القولين لا يحسن أن يوصف به الخليفة ، والأجود أن يكون : من عشوته أى قصدته ليلا ، وكان هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشياً ، أى يقصد إليك ويقوده ضوء رأيه .

(٣) ظ : « منك » .

٣٧ أَوْ تُلْقَ مِنْ دونهِ حُجْبٌ مُكرَّمَةٌ
يَوْماً فَقَدْ أُلقِيتْ(١) مِن دونِكَ الحُجُبُ

(المرزوقى) : كان السلطان حَجَبه فاشتَدّ عليه ، فأخذ الطائى يُسلّيه فقال : إن احتجب عنك الخليفة أحياناً فلا يَسوءنك ذاك ، لأنه لا يكون عن تَغيُّر مكانة ، ولا حؤُولِ عهدٍ وانحطاط منزلة ، بل كما تَحجُب أنت غيرك ممن يُريدك فلا يصل إليك ، لعائق يَمنَع وحائل يَعرض . ويُروى : « مِن خلْفك » المعنى : أنت وإن احتَجب عنك فقد قُرّبتَ إلى أقصى الحجُب ، وغيرُك إنما أنزِل خلفَك وألقِيتْ له السُّتورُ دونَك(٢) .

٣٨ والصبْحُ تَخلُفُ نُورَ الشمْس غُرّتُهُ
وقَرْنُها مِن وَرَاءِ الأُفْقِ(٣) مُحتَجِبُ

٣٩ أما القَوافى فقَدْ حَصَّنْتَ غِرّتَهـا
فما يُصَابُ دَمٌ مِنها ولا سَلَبُ

« غِرّتها » بكسر الغين ، و « غُرّتها » بالضم ، و « عُذْرَتها »(٤) .

---

(١) ل : « فقد كشفت » .

(٢) قال ابن المستوفى فى الرد على المرزوقى : قوله « إن احتجب عنك الخليفة . . . » قول مضطرب لأن كلا من الخليفة والممدوح قد يحجب أحياناً من يحجبه لتغير عليه وإبعاد له ، فلا احتجاج فى ذلك ولا دلالة فى لفظ البيت عليه . وفسره الصولى بقوله : يقول إن كان الممدوح يحتجب وكذا الغيل يحتجب فيه الليث فقد كشفت عنك أنت الحجب وأنت خليفته ووزيره ومن يقوم مقامه ، فليس ذلك بعيب عليه ، وبيَّن هذا البيت الذى بعده .

وروى الآمدى : « من خلفك الحجب » وقال : إن يلق من دونك الخليفة الحجب فقد ألقيت الحجب من خلفك وبرزت لنا نائباً عنه فلا حجاب دونك بل الحجاب ملقى خلفك ، أى ملقى وراء ظهرك ، ثم مثل هذا المعنى فى البيت الثانى بقوله « والصبح » إلخ ...

(٣) م : « الأرض » .

(٤) قال ابن المستوفى : « عذرتها » عندى أجود لقوله « فما يصاب دم منها » والعذرة البكارة ، ولقوله « حصّنت » وإن كان مشتركاً .

وقال الآمدى : وهذا محذو على قول ابن هرمة :

كأن قصائدى لك فاصطنعنى كرائم قد عُضِلنَ عن النكـاح

٤٠ مَنَعْتَ[1] إلاَّ مِنَ الأَكْفاءِ[2] ناكِحَها
وكانَ مِنْكَ عليها العَطْفُ والحَدَبُ

يقال حَدِبَ الرجل على ولده أو جاره يَحْدَب حَدَبًا إذا أشفق عليه وعطف ، وأصل ذلك أنَّ المرأةَ إذا أشفقت على ولدها حَنَت ظَهرها مُكِبَّةً عليه فكأنَّها أصابها حَدَب ، ثم صار كلٌ من أشفق على شىء يقال له قد حَدِب عليه .

٤١ ولو عَضَلْتَ[3] عَنِ الأَكْفاءِ أَيِّمَها
ولَمْ يَكُنْ لكَ فى أَطْهارِهَا أَرَبُ

٤٢ كانَتْ بَنَاتِ نُصَيْبٍ حِينَ ضَنَّ بِها
عَنِ المَوالِى ولَمْ تَحْفِلْ بِها العَرَبُ

٤١ ، ٤٢ — [ص] قوله « فى أطهارها » ، مثل، جعلها كالنساء ، « وأطهار » جمع طُهْر ، وإذا طَهرتِ المرأةُ احتيجَ إليها ، وفى الحَيْض تُعتزل » . ويقال عَضَلْتُ الأيِّمَ إذا مَنَعتَها من التزويج ، و« الأيم » التى لا زوج لها ، ويقال تأيَّم الرجل إذا لم يتزوج ، وكذلك آمَ ، وقد كثُر استعمال هذه الكلمة فى الرجل إذا ماتت امرأتُه ، وفى المرأة إذا مات زوجُها ، والشِّعر القديم يَدل على أن ذلك بالموت وبترك التزويج من غير مَوت ، قال الشماخ :

يَقَرُّ بِعَيْنِى أنْ أُحَدَّثَ أنَّها وإن لم أنَلْها أيِّمٌ لم تَزَوَّجِ[4]

ويقولون فى الدعاء على الرجل ماله آمَ وعامَ ، أى فَقَد المرأة وعام إلى اللبن . ويُحكى عن بعض الأعراب أنه قال: ليت شِعْرى مايَقَع بِيدى بعد الأيُوم؟! أى بعد ما تركت التزويج . و « نُصَيب » الشاعر مَولى آلِ مَروان ، وكان

(١) س ، ه ب : « منعت » بضمير المتكلم . (٢) ه س : « الإخوان » .
(٣) س ، ه ب « ولو عضلت » بضمير المتكلم . (٤) الديوان ص : ٧ .

أسود، ووُلِد له بنات، فكان يَشُحُّ بهن على الموالي وتكره العرب أن تزوِّجهن، ويُنشَد في هذا المعنى بيت ولم أجده منسوبا إلى نُصَيب، ويجوز أن يكون لغيره وهو:

كَسَدْنَ مِنَ الفقرِ في بيتهن[1] وقد زادهُنَّ سوادِي كُسُودا

[ع] والمعنى أن هذا الممدوح أكرم القوافي ولم يحوج المادح أن يمدح بها من لا يستحقها، ولو امتنع من قَبُولها ولم يرغب في أن تُهدى إليه لكانت مثل بناتِ نُصَيْب، يَضَنّ بها الشاعر أن يمدح بها غير كريم، كما أن نُصَيْباً لم يرغب أن يُزوِّج بناته في العبيد. [ص] قيل وإنما قال أبو تمام هذا لأن محمد ابن عبد الملك كان يَعيبه بمدحه مَن لا يستحق شعره ومدحه* [ق] وقيل لنُصَيْب: ما حالُ بناتك؟ فقال: صَبَبت عليهن من جِلْدي فكسَدن علىّ!

٤٣ أمَّا وحَوْضُكَ مَمْلُوءٌ فَلا سُقِيَتْ
خَوَامِسِي إنْ كَفَى أَرْسَالَها الغَرَبُ

[ق] يقول: إذا صادفتُك راغباً في شِعْري، مُعِدّاً لي الثواب عليه، فلا سَقَى الله إبلي إن عَدلت عن حوضك المملوء، واقتَصرت أرسالُها — وهي الجماعات — على الغَرَب — وهو الماء الجاري بين البئر والحوض ض* و «الخوَامس» من الإبل التي تَرِد الخِمْسَ وهي أن تردَ يوماً وتَرعى ثلاثةً ثم تَرِدَ في اليوم الخامس، وتَردّدُ الخِمْس والخوامس في أشعارهم كثير، وقلّما يذكرون السِّدْس والسِّبع وغيرَهما من الأظماء. و «الأرسَال» جمع رَسَل، فقال قوم هو اسم للإبل، وقال آخرون بل الرَّسَل الخمسَ عشرةَ[2] والعشرون تُرسَل على الحوض ولا تكون إلاَّ صِغاراً، والاشتقاق يُوجب أنَّ الأرسَال التي يتبع بعضُها بعضاً في الإبل وغيرها، قال امرؤ القيس وذكر الخيل:

إذْ هُنَّ أرسَالٌ كرِجْلِ الدَّبا أو كقَطَا كاظِمةَ النَّاهِلِ[2]

٤٤ لَوْ أَنَّ دِجْلَةَ لَم تَحوِجْ وصَاحِبَها
أَرضَ العِرَاقَيْنِ لم تُحفَرْ بها القُلُبُ

(المرزوقي): قَدَّم المعطوف على المعطوف عليه، والتقدير: لم تحوج أرضَ

(١) ب، ن: «في قومهن». (٢) العقد الثمين ص: ١٥١.

العراقين وصاحبَها[١]. يقول : لولا حاجتى لكنت لا أتبذّل بمدح الأوساط وتقريظهم ، لكن دواعى الفقر تبعثنى عليه إذ لم يكن إلىّ من جهتك كفاية مع كثرته وغزارته ، كما أنّ أهل العراقين لو كفاهم دجلة والفرات على فيضهما لم يحفرُوا القُلُبَ والآبار ، ورواية غيره : « لو أن دِجْلَةَ لم تحوِج وأنْجدَها ماء العراقين »[٢].

٤٥ لم ينتَدِبْ عُمرٌ[٣] للإبْلِ يَجْعَلُ مِنْ
جُلودِهَا النَّقْدَ حتَّى عَزَّه الذَّهَبُ

يقول : إنّ الإنسان قد يُضطر إلى الشىء فيفعله وهو عالمٌ أنّ غيرَه أفضل منه ، مثل ما رُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أراد أن يقطع جُلودَ الإبل على مقدار الدّراهم ويجعلَ الناس يتعاملون بها ، والعلمُ مُحيط أنّ ذلك كان على معنى الضرورة لقلة الذّهب والفِضَّة . وقوله « حتى عَزَّه الذّهَبُ » أى غلَبه ، والمعنى حتى عَزَّه وِجْدان الذّهَب .

٤٦ لا شَرْبَ أَجْهَلُ مِنْ شَرْبٍ إذَا وَجَدُوا
هذا اللُّجَيْن فدَارَتْ فِيهِمُ العُلَبُ

يقول : هؤلاء الشَّرْب أجهل شَرْبٍ إن وجدوا آنيةَ الفِضَّةَ يشربون فيها فشربوا فى العُلَب ، والأطبّاء يزعمون أنّ الشُّرْب فى الذّهَب والفِضَّة فَضِيلة . و « العُلَب » جمع عُلْبَة وهى إناء من جُلود يُجعَل حولَه قَضِيبٌ من الشجر ويُحلَب فيه ، قال الشاعر :

وأورثَكَ الرّاعى عُبَيْـــدٌ هِراوَةً   ومأطُورةً فَوْقَ الحُوِيَّةِ مِن جِلْدِ

— يعنى : « المأطُورَة » عُلْبة ، لأنّ القَضِيب يُوطَر حولها أى يُحنَى .

---

(١) وتكملة كلام المرزوقى كما فى كتابه : « ويجوز أن يكون أراد لو أن دجلة وصاحبها ففصل بين المعطوف وما عطف عليه بـ " لم تحوج " ، ويعنى بصاحبها الفرات » .

(٢) هى رواية م، ل ، س . وفى هـ ب « وأنجدها ماء الفراتين » — هـ س : « لم تحوج صواحبها أرض العراقين » — ظ : ويروى « لم تمزع وساح لها » وقال أى لم تؤخذ مزعتها أى بقيتها .

(٣) فى ظ : ويروى « لم يبتدر » .

٤٧ إنَّ الأَسِنَّةَ والمَاذِيَّ مُذْ كَثُرَا
فلا الصَّيَاصى لهَا قَدْرٌ ولا اليَلَبُ

« الماذِيّ » الدّروع ، يُقال دِرْع ماذِيَّة وهى البيضاء ، وقيل بل السَّهلة اللينة ، و « الصَّياصِي » القُرون[1] . و « اليَلَب » شىء يُتَّخذ من الجلُود على هيأة الدّروع ، وإنما كانوا يفعلون ذلك إذا لم يصلوا إلى الدّروع المتخذة من الزَّرَد . و « الأسِنَّة » المضروبة من الحديد . [ع] وقوله « مُذْ كَثُرا » جَعَل الأسِنَّة والماذِيّ كالاثنتين وإن كان كلّ واحد منهما يَقَع على جَمْع ، وهو مثل قول الأسْوَد بن يَعْفُر :

إنّ المنيَّــة والحُتُــوفَ كلاهمـــا يُوفِى المَخَارِمَ يَرقُبان سَوادِى[2]

فجعل الحُتوفَ كالواحد .

٤٨ لا نَجْمَ مِن مَعْشَر إلاَّ وَهِمَّتُهُ
عليكَ دائِرةٌ يا أَيُّها القُطُبُ

٤٩ وما ضَميرِىَ فى ذِكْرَاكَ مُشْتَرِكٌ
ولَا طَرِيقى إلى جَدْوَاكَ مُنْشَعِبُ

٥٠ لِى حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا ما رَعَيْتَ وما
أَوجَبْتَ مِن حِفْظِها ما خِلْتُها تَجِبُ

٥٠ — [ص] يقول : لى بك حُرْمة ليست بوكيدة ، فأوجبتَ على نفسك بكرمك أكثرَ من مقدارها .

٥١ بَلَى لقَدْ سلَفَتْ فى جَاهِلِيَّتِهِمْ
للحَقِّ — لَيْسَ كحقِّى نُصْرَة — عَجَبُ

---

(١) المفضليات ٢ : ١٦ ، والأغانى ١١ : ١٢٩ .

٥٢ أَنْ تَعلَقَ الدلْوُ بالدَّلْوِ الغَرِيبَةِ أَوْ
يُلابِسَ الطُّنُبَ المُسْتَحصِدَ الطُّنُبُ

٥١ و ٥٢ – [ع] قوله « ليس كحقّ » هذه الجملة فى موضع نصب على الحال ، ومما يُعرف به ذلك أن تكون الجملة يَحسُن قبلها « الذى » فلو قيل : من الحق الذى ليس كحق لَحسُن ، وكان « الذى » وما بعدها فى موضع صفة للحق ، فلما حُذِف الاسمُ المتوصَّلُ به إلى أن تكون الجملة فى صفة الاسم الأوّل صارت هى فى موضع الحال . وقوله « أن تَعلَق » يجوز أن يكون « أنْ » وصِلتُها فى موضع خفض على البَدَل من « الحقّ » ، ولا يمتنع أن يكون فى موضع رفع على تقدير حَذْفِ المبتدأ . والذى ذَكَره فى البيت شىءٌ كان من أمر الجاهلية إذا نَزَل الرجلُ مع الرجل فاتصلت أطنابُ بُيوتِ أحدهما بأطناب بُيوت الآخر كان ذلك حُرمةً له وسَبَباً يقتضى نَصْره * . ويقال إنّ عِيَاض بن الدَّيْهث كانت له قصة فى الجاهلية افتقر فيها إلى نَصْر الحارث بن ظالم المُرِّى ، فجاء عِيَاضٌ بدلوه فأعلَقَها فى دِلاء الحارث بن ظالم التى تَستَقى بها رِعاؤه ، وذَهَب فادّعَى جِوارَ الحارث ، فقيل : إنه لا جِوارَ بينكما ، فقال أحدُ الرجلين :
* علقَتْ مَعالِقُها وصَرَّ الجُنْدَبُ * يعنى عَلِقتْ الدلوُ مَعالِقَها ، وصَرَّ الجُنْدَبُ . و « المُسْتَحصِدُ » المُحكَم الفَتْل .

٥٣ إنَّ الخَلِيفةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِه
دعَائمُ[1] الدِّينِ فليَعْزِزْ بكَ[2] الأَدَبُ

(١) فى ظ : روى الآمدى : «دعائم الملك» وقال : دعائم الملك إنما توصف بأنها قد تمكنت وثبتت وقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ألا ترى أنها إذا وصفت بضد هذا الوصف قيل وهت وسقطت وخربت ، ولا يقال ذلت ؟ وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بجيد ، لأنه لفظ موضوع فى غير موضعه . قال ابن المستوفى معقباً عليه : كان الآمدى كثير التعصب على أبى تمام ، وهذا الذى ذكره هو على ماذكره ، لكن فى أوصاف الدعائم حقيقة ، فأما مجازاً فجائز جوازاً حسناً . هذا إذا كانت لفظة « عزت » ضد لفظة « ذلت » فإن أراد بها الشدة والقوة من قولهم من عز بز ، ومن التفسير فى قوله تعالى فعززنا بثالث» مخففاً ومشدداً ، أى قوينا وشددنا ، فهو موضوع فى موضعه على الحقيقة ، خارج عن أن يلحقه ما استدركه الآمدى فى معنى شىء من شعر أبى تمام .   (٢) ظ : ويروى «فليعزز به» .

٥٤ مالِى أَرَى جَلَباً فَعْماً ولَسْتُ أَرَى
سَوْقاً ومَالى أَرَى سَوْقاً ولا جَلَبُ؟!

٥٤ — « الفَعْم » الكثير . وقوله « سَوْقًا » جعل المصدر نعتًا للجَلَب لأنه يُسَاق ، وهذا كقولهم زَوْر أى زائرون .

[ص] وهذا مثل ضربه فقال : مالى أرى مدائحى كالجَلَب الكثير المتواتر ولا أرى سُوقًا ، أى لا أرى مَن يريدها ويأخذها بحقِّهاوما تُساوى[1] ، ثم قال :

٥٥ أَرْضٌ بها عُشُبٌ جَرْفٌ ولَيس بها
مَاءٌ وأُخْرَى بها مَاءٌ ولا عُشُبُ

[ص] يقول : مَن يَعرِف قَدْرَ شِعْرى ويريده ليست تُبسَط يَدُه لمكافأتى ، ومَن يَجِد ويقدر على ذلك لا يفعله ، فليس يجتمل لى هذان كما لم يجتمع الماءُ والعُشُبُ .

٥٦ خُذها مُغَرِّبَةً فى الأَرضِ آنِسَةً
بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ[2]

٥٧ مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِيها إِذا اجتُنِيَت
مِنْ كلِّ ما يَجتَنيهِ[3] المُدْنَفُ الوَصِبُ

٥٨ الجِدُّ والهَزْلُ فى تَوْشِيعِ لُحْمَتِهـا
والنُّبْلُ والسُّخْفُ والأَشجَانُ[4] والطَّرَبُ

« تَوشِيع » من قولهم وَشَّعتُ البُرْدَ إذا جعلتَ فيه ألوانًا وطرائق . [ص]

---

(١) شرح الصولى يدل على أنه رواها « سوقا » بضم السين

(٢) شرحه الصولى بقوله : « مغربة » من الاغتراب ، ليس أنها أتت المغرب ، وهى على غربتها تأنس بكل فهم غريب ، أى قليل النظير فى صفاته وجودته حين تغترب هى فى فعلها هذا ، آنسة بهذه الأفهام .

(٣) ب ، م ، ل ، س ، ظ ، د : « ما يشتهيه » .

(٤) فى ظ ويروى : « والأحزان » .

يقول : تَصرّفتُ فى هذه القصيدة بجِدٍّ وهَزْل ، وفيها طَرَبٌ لمن مَدَحتُ ، وحُزْن لمن ذَمَمت. « فى تَوشِيع لُحْمتها » أى فى نُقوش لُحْمتها ، أى فى تَضاعيفها(١) .

٥٩ لا يُستقَى(٢) مِن جَفِيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُها
ولم تَزلْ تَسْتَقِى مِن بَحْرِها الكُتبُ

[ع] أصل « الحفير » إنما هو للسِّهام ، وذلك من خَشَب يُنقَر ويُجعل فيه النَّبْل ، وربما سَمَّوْه جَفْرًا ، قال الشَّنْفَرى(٣) .

* ورامَتْ بما فى جَفْرِها ثمّ سَلَّتِ *

والطائى إنما جاء بـ « الجفير » ها هنا وهو يريد الجَفْر الذى هو بِئْر ، يُقال ورَدُوا جَفْرَ بنى فلان ، وهو بئر قليلة الماء لا طَىَّ لها ، ومنه جَفْر الهَباءَة ، ومَفقُودٌ فى أكثر كلامهم أن يقال جَفِير فى معنى جَفْر . وقوله « مِن بحرها » يَدلّ على أنه لم يُرِد إلاّ البِئْر . ولو رويت « من حَقِير الكُتُب »(٤) بالحاء كان ذلك صحيحًا مُتعارَفًا ، لأنّ كل بئر حَفِير إذْ كانت تُحفَر .

٦٠ حَسِيبَةٌ فى صَمِيمِ المَدْحِ مَنْصِبُها
إذْ أكثَرُ الشِّعْرِ مُلْقًى(٥) مالَهُ حَسَبُ

---

(١) قال الآمدى فى ظ : قوله « الجد والهزل فى توشيع لحمتها » بيت فى غاية الحمق ، ومن يمدح وزيراً فلم يضمّن قصيدته الهزل والسخف ؟ وإن كان هناك ما يدل على هذا فلم نبه عليه واعترف به؟ ولعمرى إن قوله منها : وزير حق ووالى شرطة .... » (البيت ٢٦) سخف يزيد على كل سخف .

(٢) س ، د ، هـ ب : « لا يستقى » على ما سمى فاعله . وقال فى ظ : ويروى « لا يستقى » على ما لم يسم فاعله ، والأول أجود .

(٣) المفضليات ١ : ١٠٩ ، وأوله :

* إذا فزعوا طارت بأبيض صارم *

(٤) روى الصولى كما جاء فى نسختى م ، ل « من خفى الكتب وهى رواية د أيضاً ، وقال ابن المستوفى : وهذا يخرجه عما تعقبه أبو العلاء . وقال فى ظ : والرواية الفاشية « من جفير الكتب » بالجيم المعجمة . وقال : ووجدت فى نسخة قديمة مصححة : « من حفير الكتب » بالحاء المهملة ، أراد أنها ليست بمسروقة . وقال ابن المستوفى أخيراً : ولو أن الطائى قال :

لا يستقى من خيار الكتب رونقها ولم تزل تستقى من جفرها الكتب

أو « من بحرها » صح المعنى وكان أتم وبرىء مما أخذه عليه أبو العلاء .

(٥) ظ : « ملفى » بالفاء ، وذكر رواية الأصل .

١٩

وقال أيضًا يمدحه :

١ أما وقَدْ أَلْحَقْتَنِى بالمَوْكِبِ
ومَدَدْتَ[(١)] من ضَبْعِى إليكَ ومَنْكِبِى

الأول من الكامل والقافية متدارك .

[ع] « الضَّبْع » العَضُد ، وإنما الكلامُ مَددتَ ضبعى ، وهذا كقولهم رَفَع منّى ، أى رفعنى .

٢ فلأُعْرِضَنَّ عَنِ الخُطُوبِ وجَوْرِها
ولأَصْفَحَنَّ عَنِ الزَّمَانِ المُذْنِبِ

٣ ولأُلبِسَنَّكَ كُلَّ بَيْتٍ[(٢)] مُعْلَمٍ
يُسْدَى ويُلْحَمُ بالثَّنَاءِ المُعْجِبِ

٤ مِن بِزَّةِ المَدْحِ التى مَشْهُورُها[(٣)]
مُتَمَكِّنٌ فى كُلِّ قَلْبٍ قُلَّبِ

٥ نَوارُ أَهْلِ المَشْرِقِ الغَضِّ الذى
يَجْنُونَه رَيْحَانُ أَهْلِ المَغْرِبِ

---

(١) س : « وجذبتَ » — ظ : « وملأتَ » .
(٢) هـ ب : « كل ثوب » .
(٣) م ، ل ، س ، د ، هـ ب : « الذى مشهوره » .

٦ أَبدَيْتَ لِى عَنْ جِلْدَةِ[1] المَاءِ الذى
قَدْ كُنْتُ أَعهَدُهُ[2] كَثِيرَ الطُّحْلُبِ

٦ – [ع] جعل للماء جِلْدة مُستعِيرًا ، كما قالوا : جِلْد السماء وأديم الأرض .

[ص] يقول : صَفّيتَ لى العطاءَ وسهّلته ، وكنت أعهده من غيرك كدِرًا عَسِرًا ، فجعله كالماء يَركبُه الطُّحلب .

٧ ووَرَدْتَ بِى بُحْبُوحَةَ الوَادِى ولوْ
خَلَّيْتَنى[3] لوقَفْتُ[4] عنْدَ المِذْنَبِ

« بحبُوحة الوادى » وسطه ومعظمه ، و « المِذْنَب » الساقية .

٨ وبَرَقْتَ لى بَرْقَ اليَقِينِ وطَالمَا
أَمسَيْتُ مُرْتَقِباً[5] لبرْقِ الخُلَّبِ[6]

« الخُلَّب » الذى يَخلُب ولا يُمطِر . [ص] يقول : وصلتنى بالمُعْظَم الذى هو كبُحبُوحَة الوادى ، ولو أعطيتنى مقدار طَلَبتى ورغبتى لَقنعتُ باليسير الذى هو كالمِذْنب ، ولكنك تجاوزتَ بى أملى . ثم قال « وبَرقتَ لى » أى وعدتنى وعدًا صادقًا وكان غيرك يَعِدنى فيُخْلف ، فكنتَ ذا برقٍ صادق وكان ذا برقٍ كاذب خُلَّب . وفى نسخة ؛ « لِبَرْقٍ خُلَّبِ » .

---

(١) د ، ه م : « صفحة » – وجاء فى ظ : قال الصاحب رحمه الله : سمعت الأستاذ الرئيس (الشريف الرضى) ينشد أبيات أبى تمام التى أولها * أما وقد ألحقتنى بالموكب * وينشد : « أبرزت لى عن صفحة الماء » ، فقلت : زيّن سيدنا هذا الشعر بإقامة « الصفحة » مقام « الجلدة » ، فقال : كذا يلزم لمثل أبى تمام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة بكلمة .

(٢) س : « أعرفه » .

(٣) م ، ل ، ظ : « خلفتنى » س ، ه ب : « طاوعتنى »

(٤) ظ : « لوقعت » .

(٥) ظ ، ه ب : « مرتفقاً » وقال ابن المستوفى فى تفسيرها : أى متكئاً على مرفق يده.

(٦) فى أصلى ش ، ب « لبرق خلب » وأثبتنا « لبرق الخلب » لأنها كذلك فى جميع الأصول ولأن كلام التبريزى يدل عليها .

٩ وجَعَلْتَ لِي مَنْدُوحَةً مِن بَعْدِ مَا
أَكدَى عليّ تَصَرُّفِي وتَقلُّبِي

« المندوحَة » السَّبب والمَذْهب . و « أكدَى » أى قلَّ خيرُه ، أى جعلتَ لى سَبَبًا وطريقًا إلى الغِنَى بعد ما كنتُ خائبًا فى مُتصرّفاتى وتقلُّبى فى الأمور .

١٠ والحُرُّ يَسلُبُه جَمِيلَ عَـــزَائِهِ
ضِيقُ المَحَلِّ[(١)] فكيفَ ضِيقُ المَذْهَبِ؟

[ص] يقول : الحُرّ يذهب عزاؤه إن ضاق به منزل ، فكيف إذا ضاق مَطْلَبه ولم يجد مَذْهبًا ؟!

١١ هَيْهَاتَ يَأْبَى أَنْ يضِلَّ بِيَ السُّرَى
فى بَلْدَةٍ وسَنَاكَ فيها كَوْكَبِي

١٢ ولقَد خَشِيتُ بأَنْ تَكُونَ غَنِيمَتِى
حَـــرَّ الزَّمَانِ بِهَا وبَرْدَ المَطْلَبِ

١٢ — [ص] « بها » أى بالبلدة ، يقول : لولاك لكنتُ قاسيتُ حَرّ هذه البلدة يعنى « سُرّ من رأى » * . قال الشيخ أبو عبد الله الخطيب : معنى بَرْد المطلب ألاّ يأتيَه الشيء ُ عفوًا من غير مشقّة تلحقه .

١٣ أَمَّا وأَنتَ وراءَ ظَهْرِى مَعْقِلٌ
فلأَنْهضَنْ بفَقَارِ صُلْبٍ[(٢)] صُلَّبِ

(١) س : « ضيق الفناء » .
(٢) م ، ل ، ظ : « بفقار ظهر » .

١٤ وكذاك[1] كانُوا لا يَخُشُّونَ الوَغَا
إلَّا إذَا[2] عَرَفُوا طَرِيقَ[3] المَهْرَبِ

[خ] : [4]« وكذاك كانوا . . . » يعنى أنّ الحازم لا يَهجُم فى الوُرُود على شىء إلّا وقد عرَف طريق رُجُوعه .

---

(١) فى أصل ش ، ب « ولذاك » وهى رواية م ، ظ ، غير أن شرح البيت وسائر الأصول يرجح رواية « وكذاك » .

(٢) د ، ه ب : « إلا وقد عرفوا » .

(٣) س ، ه د : « مكان » .

(٤) هذا الرمز فى أصلى ش ، ب ، وليس له دلالة فى الرموز التى نبّه عليها التبريزى فى آخر شرحه . فلعله رمز للشيخ أبى عبد الله الخطيب .

٢٠

وقال يمدح محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ :

١ إنَّ بُكَاءً فِى الدَّارِ[1] مِنْ أَرَبِهْ
فَشَايِعَــا[2] مُغْرَماً على طَرَبِهْ

الأول من المنسرح والقافية متراكب .

« فشايعا » على خطاب الاثنين لأن العرب تستعمل ذلك كثيراً وإن لم يتقدم ذكْر الخليلين ولا الصاحبين لمـّا كان المراد معلومـًا عندهم . يقول : من أرَبى أن أبكى فى دار الأحبـَّة فتابعانى على ذلك .

٢ ما سَجْسَجُ الشَّوْقِ مِثْلَ جاحِمِهِ
ولا صَرِيحُ الهَوَى كمُؤْتَشِبِهْ

[ص] يقول لصاحبيه : تابعانى فإنّ هوايَ صريح أى خالص ، وهـَوًا كما مُؤتَشِب أى مُختلِط . و « السَّجْسج » الناعم السهل، وهواء سَجْسَج إذا لم يكن حـَرٌّ ولا قُرٌّ . و « جاحِم » النار معظمها والسَّجْسج الشىء بين الشيئين ، وفى الحديث « هواءُ أهلِ الجنةِ سَجْسَج » فأمـّا السجسج من الأرض إذا حُملت على هذا فيجب أن تكون ليست بالسهلة ولا الغليظة .

٣ جِيدَت بِدَانِى الاكْنَافِ[3] سَاحَتُها[4]
نَائِى المَدَى واكِفِ الجَدَى سَرِبِهْ

هذا دُعاء منه لها ، ويروى :

«جيدَتْ بدانى الأكنافِ دانى الذَّرَى   وَاهى الكُلَى واكفِ الجدَى سَرِبِهْ »

---

(١) د ، هم ، هس : « فى الربع » . وجاء فى ظ : ويروى « إن بكاً فى الديار » و « إن بكاء الديار » .   (٢) ق ، د ، هب : « فشايعن » ، وروتها ظ .

(٣) ظ : ويروى : « بدانى الرباب » .

(٤) ظ : ويروى « ساحها » ، وقال : من سحبه جرّه .

[ع] « الأكناف » النواحي ، و « واهي الكُلَى » كناية عن انبعاثه بالمطر ، يقال وَهَتِ المزادة إذا انخرقت . و « الكُلَى » جمع كُلْيَة وهي رقعة في المزَادة ، ولو قيل إنه أراد الكلْيَة المعروفة على معنى الاستعارة لم يتعذّر ذلك ، فأمّا الوجه الأول فمتداوَل في الشعر ، قال الشاعر :

فما شَنَّتَا خَرْقَاءَ واهِيتا الكُلَى سقَى بهما ساقٍ ولم تَتَبلّلا

وأصل « الوُكُوف » أن يكون المطر قليلاً ليس بالكثير . و « الجَدَى » المطر العامّ ، و « السَّرِب » السائل .

٤ مُزْنٌ إذَا مَا استطَارَ بَارِقُهُ
أَعطَى البِلاَدَ الأَمانَ مِن كَذِبِهْ[(١)]

أي إذا برَق بارِقُه فبرقُه صادق غيرُ كاذب كالخُلَّب .

٥ يَرْجِعُ حَرَّى[(٢)] التِّلاَعِ مُتْرَعَةً
رِيًّا ويَثْنِي الزَّمَانَ عن نُوَبِهْ

ويروى « تَرجِع عنه التلاعُ مترعةً »[(٣)].

ويروى : « حرَّى البلادِ »[(٤)] أي يَرُدّ البلاد العِطاش مُرتوِيةً ، ويَثْني الزمان عن أن تنوب نَوائِبُه .

٦ متَى يَضِفْ بَلْدَةً فقَدْ قُرِيَتْ[(٥)]
بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ مُنْسَكِبِهْ

[ص] « يَضِف » أي ينزل ، جعل السَّحاب كالضيف ينزل بهذه البلدة . « فقد قُرِيت » أي البلدة . والرواية الجيِّدة : « متى يُضِف » أي إذا أضاف بلدة

---

(١) ظ : ويروى : « من كَلَبِهْ » .
(٢) ظ : ويروى « دانٍ يرد التلاع » .
(٣) هي رواية م ، ل ، س ، وروتها ظ .
(٤) هي رواية ظ .
(٥) س : « رويت » .

أكمل ضيافتَها بمطر مُستهِلّ الشُّؤبوب ، و « المُستَهِل » الذى فيه رَعْد ، والاستهلال رفع الصوت ، و « الشُّؤبوب » دَفْعة من المطر ، والجمع شآبيب ، و « المُنسكب » المتدفق .

٧ - لا تُسْلَبُ[(١)] الأَرضُ بَعْدَ فُرْقَتِهِ
عَهْدَ مَتَابِيعِهِ ولا سُلُبِهْ

أى إذا فارق هذا المطرُ الأرضَ بَقِى أثره فيها ، ويروى « بعد فُرَّقِهِ » جمع الفارق وهى الحامل التى انفردت عن الإبل .

[ع] و « المَتابيع » جمع مُتْبِع وهى الناقة التى يَتبعها ولدها . و « سُلُب » جمع سَلُوب وهى التى سُلبت ولدَها بموت أو ذبح ، واستعار المتابيع والسلُب للسحاب ، كأنّه شَبَّه صوت الرعد بحنين السَّلُوب ، وتَتابعَ الغَيْم بتتابع أولاد النُّوق لها * . وقد شَبَّهت العربُ السحابَ بالإبل فى مواضع كثيرة ، قال الشاعر :

كأنّ هَزِيزَه بوراء غَيْب عِشَارٌ وُلَّهٌ لاقتْ عِشَارا

وقال آخر :

أحَمّ سِماكِيًّا كأنّ رَبابَه سَوَامُ مُهِيبٍ مِن بنى السِّيدأوْردَا

---

(١) جاء فى ظ : وروى الآمدى : « لا تثلب الأرض » وقال : الثلب أشد الذم ، أى لا تذم الأرض عهد متابيعه . وفسر « المتابيع » و « السلب » بما فسرهما به التبريزى ، ثم قال : أى تثنى الأرض عليها ولا تذم عهدها ، كما قال مسلم :

* أثنى عليها السهل والأوعار *

ومن روى « لا تسلب الأرض » كان أجود ، أى عهد هذا الغمام حتى يكون باقياً فى الأرض لاتسلبه ، لا الماطر ولا غير الماطر ، فلا تخلو من الثرى والنبات . وروى الخارزنجى والمرزوق « لا تثلب الأرض بعد فرقته » وقال : ويعنى بهما ها هنا السحاب التى فيها المطر والتى لا مطر فيها ورواية س « تثلب » وبهامشها رواية الأصل . وجاء فى ظ أيضاً : ويروى : « لا تنكر الأرض » .

٨ مُزَمْجِرُ (١) المِنْكبيْنِ صَهْصَلِقٌ
يُطْرِقُ (٢) أَزْلُ الزَّمانِ(٣) مِن صَخَبِهْ

« الزَّمجرة » صوت يخرج من الجوف ، كأنه شَبَّه الرعد بالزمجرة ، و « الصَّهصلِق » الشديد الصوت ، و « الأزْل » الضيِّقُ والحَبْس . يقول : إذا صوَّت هذا المطرُ أروَى الأرض فسكتَ أزْلُ الزمان .

[ع] ويروى : « مُجْرَمِزُّ المِنكَبيْن » أى مُجمِعُهما ، اجرمَزّ الرجل إذا اجتمع فى جِلْسته ، قال الراجز :

* يا أخوَيْ ضَبَّةَ لا تجرمَزّا *

والرواية الأولى الوجه .

٩ عَاذَتْ صُدُوعُ الفَلَابِهِ ولقَــدْ
صَحَّ أَديمُ (٤) الفَضَاءِ مِن جُلَبِهْ

« الصّدوع » جمع صَدْع وهو الشّق ، و « الجُلَب » الآثار فى ظهر البعير .

[ع] والمعنى : أنّ هذا الغيثَ أمطر البلاد فصارت كلها ماءً ، كما يقال أصبحت البلاد مَحْوَةً واحدةً إذا عَمها المطر ، فكأنه جعل الوهُودَ والأوديَةَ صُدوعًا فى الأوض فلما مَلأها الغيث صَحَّ به أديم الأرض الذى كان به مِثْلُ الجُلَب ، فهذا وجه . ويحتمل أن يريد ظُهورَ النَّبْت ، وأنّ الأرض صارت كلها مَروّضةً ليس فيها موضع خال من نبات كما كانت قبلُ * [ق] وقيل قد كان بَعُدَ عهدُها بالمطر فانشقّت وصارت فيها صُدُوع فعاذت به ، فانشَعَبت صُدُوعها والتأمت شُقُوقها .

(١) فى ظ : روى الخارزنجى « مرتجز المنكبين » أى راعداً .

(٢) د : « يسكت » وروتها ظ ، وفيها : وروى الخارزنجى « يطرد أزل الأيام فى صخبه » .

(٣) س : « الأيام » .

(٤) د : « أديم الزمان » – ظ « أديم الفلا » – وجاء فى ظ : ويروى « من لجبه » وقال أى من صوته وجلبته ، يعنى من مطره الذى له صوت . وروى الخارزنجى « ولقد ضج أديم الفلاة من جلبه » وقال : يقول : عاذت بهذا المزن الفلا ، أى نباتها ، فلاذت من يبس الزمان ، فهو يعيذها ويجيرها ، وقد ضج أديم الفلاة و بلغ الجهد من جلبة هذا الصوت ومطره .

١٠ قَدْ سَلَبتْهُ الجَنُوبُ والدِّينُ والدُّنْ
يَا وصَافى (١) الحيَاةِ فى سَلَبهْ

ويروى :

قد حَلَبتْه الجنوبُ فالدِّينُ والدنـ يا وصافى الحياةِ فى حَلَبه *(٢)

جعل الجنوبَ تَحلب السحابَ كما تُحلَب الناقة . [ع] وهم يصفون الجنوب والصَّبَا بتلقيح السحاب ومَرْيه * ، قال الشاعر :

أناخَ بذى بَقَـرٍ بَرْكَهُ كأنَّ على عَضُدَيْه كِتافا
زَهتْـهُ الصبَا ومَرَتْهُ الجنُو بُ وانتجَفتْهُ الشمالُ انتجافا

[ص] أى حَلَبتْ الجنوبُ هذا السحابَ وبحلَبِه أى مَطرِه يَصلح كل شىء .

١١ وحَرَشَتْهُ (٣) الدَّبُورُ(٤) واجْتَنبتْ
رِيحُ القَبُولِ الهُبوبَ مِن رَهَبِهْ

[ع] استعار « التحريش » الذى يكون فى بنى آدم للريح والسحاب . و « القَبُول » هى الصَّبا ، و « الدَّبور » تقابلها * . و « حَرَّشتْه الدبور » أى أغرَتْه بالمطر ولم تَهُبَّ القَبولُ فتقشعَه(٥) .

(١) س ، د : « وروْح الحياة » — وقال الخارزنجى فى ظ : ومن روى « وصافى المياه » فإن معناه أن حياة الناس به ودينهم ودنياهم .

(٢) هى رواية م ، ل — ورويها ظ .

(٣) ظ : ويروى : « واحتوشته » يجوز أن يكون من حشت الإبل أى جمعتها وسقتها ، ويجوز أن يكون من احتوش القوم الصيد إذا نفره بعضهم على بعض ، وكأنه من معنى الجمع .

(٤) ل : « وحرشته الجنوب واجتنبت » — س : « واجتلبت » .

(٥) وقال الآمدى فى ظ : وقوله « وحرشته الدبور» أى أغرته ليس بالجيد ، لأنها ليست من رياح المطر ، ولا يكاد يكون لها فيه صنع . وقوله « واجتنبت ريح القبول » — وهى الصبا — الهبوب ، « وتاركت وجهه الشمال » كأنه أراد إفراد الجنوب به ، والصبا والشمال من رياح المطر كالجنوب ، وإن كان قسط الجنوب فى ذلك أكثر ، قال لبيد :

أضـل صواره وتضيفتـه نطـوف أمرها بيـد الشمال =

١٢ وغادَرَتْ وَجْهَهُ الشَّمالُ فَقُــلْ
لا فى نَزُور (١) النَّدَى ولا حَقِبهْ

ويروى : « وتاركَتْ (٢) وجهَه » ويُروى : « فى حَصُور النَّدَى » (٣) والحَصُور البخيل الذى لا يُخرج مع الشَّرْب شيئاً فى ثمن الخمر ، استعاره فى صفة السحاب . [ص] أى تَركتْه الشَّمالُ أيضاً فدامَ لأنها تُفرِّقه إذا هَبَّتْ ، والعرب تُسمى الشمال مَحْوَةَ لأنها تمحو السحاب * وإنما يعنى أنّ الجنوب تَفرَّدت به دون الرياح إلاّ هَيْجةً من الدّبور ساقَتْه ، وهذا مذهب الهُذليِّين فى الرياح لا يجعلون لشىء منها عملاً فى الغيث غير الجنوب ، ولذلك قال (٤) :

مَرَتْهُ النُّعَامَى فلم يَعترِفْ خِلافَ النُّعَامى من الشَّأْم رِيحا

[ص] وقوله « ولا حَقِبِه » أى مُتأخِّره ، وقد أحقبَ عامُنا إذا تأخر مَطرُه ، عام مُحْقِب وهو مأخوذ من الحقيبة لأنها مُؤخَّر الرحْل (٥) .

= — « النطوف » السحابة التى تنطف أى تسيل — فجعل أمرها بيد الشمال ، وقال عمرو بن شأس :

وأفراسنا مثل السعالى أصابها قطـار وبلّها بنافحة شمل

وقال آخر :

مرتـه الصبا وزهته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافـا

— « الانتجاف » استخراج أقصى ما فيه — فجعل « مرته » الصبا ، وسوقه وجمعه للجنوب ، وجعل استدراره الشمال ، وقال آخر :

مرتـه الجنوب فلما اكفهر م حلت عزاليـه الشمأل

فجعل استدراره وإخراج ودقه للشمال ، وجعل مريه للجنوب ، ونحو قول أبى تمام قول الهذلى :

مرته النعـامى فلم يعترف خلال النعامى من الشأم ريحا

فأفرد به الجنوب وهى النعامى ، وقطع عنه الشمال ، وإنما جاء اختلافهم فى ذلك من قبل البلدان والأزمان واختلاف الرياح والأمطار فيها .

(١) س ، د : « فى لا نزور الندى » وبهامش س رواية الأصل .

(٢) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ .

(٣) روتها ظ .

(٤) البيت لأبى ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ١٣٢ .

(٥) قال الآمدى فى ظ : « ولا حقبه » أى ولا عسره وتعنته ، مأخوذ من قولهم حقب البعير يحقب فهو حقب إذا تعسر عليه البول ، وما أراه إلا هكذا .

١٣ دَعْ عَنْكَ دَعْ ذَا(١) إِذَا انتقَلْتَ إِلى المَدْ
حِ وشُبْ سَهْلَهُ بِمُقْتَضَبِهْ

[ص] ويروى « دَعْ عنك بَرْحًا » أى دَعْ عنك شوقًا إلى هذه الدار واستسقاءً لها إذا أردت المدح ، وشُبْ ما اقتضبتَ أى اخترعت ، وهو ما قاله بلا فكر ، بسهله ، وهو ما يقوله بفكر ورويّة فيكون أسهلَ عليه(٢) .

١٤ إِنِّى لَذُو مِيسَمٍ يَلُوحُ عَلَى
صَعُودِ هـذا الكَلامِ أَو صَبَبِهْ

« الصَّعُود » ما شَقّ على الناس من غريب الكلام ، و « الصَّبَب » ما سَهُلَ منه ، جعل الصَّعُود والصَّبَبَ مثلاً ، و « المِيسَم » العلامة .

١٥ لَسْتُ(٣) مِنَ العِيسِ أَو أُكلِّفَهَا
وَخْدًا يُداوِى المريضَ مِن وَصَبِهْ

« لستُ من العيس » أى لست صاحبَها حتى أكلِّفها سيرًا يشفى صدر المهموم ويُذهب عُدْم الفقير . و « الوَصَبُ » الوَجعُ ، أخذه من قول القطامى :
وسَارَتْ سَيْرَةً تُرضيكَ منها يكادُ وَسِيجُها يَشْفِى الصّداعا(٤)

١٦ إِلى المُصَفَّى مَجْدًا أَبِى الحَسَنِ انْ
صَعْنَ انصِيَاعَ الكُدْرِىِّ فى قَرَبِهْ

«المُصَفَّى» الذى قد صُفِّى وهُذِّب من العُيوب لمجده وشرفه . و «الانصياع»

---

(١) ل ، م ، ظ : « دع عنك هذا » .

(٢) قال الآمدى فى ظ : وما علمته قال « دع » فى الخروج عن النسيب إلا ها هنا ، « وشب سهله بمقتضبه » « فالسهل » ما يأتيه به خاطره عفواً من غير فكر ولا طلب ، و « المقتضب » ما يقتطعه خاطره اقتطاعاً بالفكر والتعب ، يقال ناقة قضيب وهى التى ريضت ولم تذل كل الذل للحمل والركوب .

(٣) فى ظ : ويروى « لست امرأ العيس » أى لست بعربى .

(٤) الديوان ص ٤٤ .

الأخذ فى ناحية مع الإسراع . وليلة « القَرَب » ليلة ورود الماء[١] .

١٧ تَرْمِى بِأَشْبَاحِنا إلى مَلِك نَأْخُذُ مِن مَالِهِ ومن أَدَبِهْ

قال الصولى : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ، قال : كان ابن الأعرابى يمضى إلى إسحق الموصلى ، فقال له على بن محمد المدائنى : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : إلى هذا الذى نحن وهو كقول الشاعر :

. تَرمى بأشباحنا إلى ملك نأخذُ من مالِه ومن أدَبه

قال : وأظنّ أنه لو علم أنّ أبا تمّام قائلُ هذا البيتِ ما تَمثل به ، ولم يكن أبو العباس يرويه أيضًا لعصبيتهما عليه[٢] .

١٨ نَجْمُ بَنِى صَالحٍ وَهُمْ أَنْجمُ العَا
لَم مِن عُجْمِهِ ومِنْ عَرَبِهْ

١٩ رَهْطُ الرَّسُولِ الذِى تَقَطَّعُ أَسْ
بَابُ البَرَايَا غَدًا سِوَى سَبَبِهْ

١٩ — [ص] يعنى الحديث المرفوع : « كل سَبَب ونَسَب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببى ونسبى » .

٢٠ مُهَذَّبٌ قُدَّتِ النُّبُوَّةُ والإِسْ لامُ قَدَّ الشِّرَاكِ[٣] مِن نَسَبِه[٤]

٢١ لَهُ جَلَالٌ إِذَا تَسَرْبَلَهُ أَكسَبَهُ[٥] البأْوَ غَيْرَ مُكْتَسِبِهْ

٢١ — [ص] يقال كسَبْتُه مالاً وهى المختارة ، وأبو مُحلِّم لا يُجيز غيرها ، وغيره من العلماء يقول كَسَبْتُه وأكسبْتُه مالاً[٦] يقول : من جلاله

(١) « الكدرى » ضرب من القطا وهو الغُبْر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق .

(٢) القصة فى كتاب « أخبار أبى تمام » للصولى ص ١٧٧ ، والرواية فيها : « تحمل أشباحنا » .

(٣) ظ : ويروى « قد الأديم » . (٤) هـ ظ : « من حسبه » .

(٥) س : « ألبسه » ورويتها ظ .

(٦) قال ابن المستوفى : وإذا جاز أكسبه بالألف فهو أحسن فى السمع ، وإذا كان الشاعر يستعمل فى شعره ما تدعوه الضرورة إليه مما ليس بمستعمل فأن يستعمل ما ورد به النقل أولى . و « البأو » الكبر .

يرى الناسُ له كِبْرًا ولا يفعله ولا يستعمله هو فى نفسه ، كما تقول يعظِّمه الناسُ ولا يتعظَّم هو فى نفسه * يقول : ألبسه قدرُه جلالَة العظمة من غير أن يَسعى فى اكتسابها ، ثم قال :

٢٢ والحَظُّ يُعْطَاهُ غَيْرُ طالِبِهِ ويُحرِزُ الدَّرَّ غَيْرُ مُحْتَلِبِهْ

أى ربما يظفر بالحظ مَن لا يَطلُبه ويُحرز اللبن مَن لا يَحلُبه ، وهذا بيان للبيت الذى تقدمه . [ص] يقول : هو لا يطلب هذا والناس يَرَوْنه فيه ، وقد تكبَّر غيرُه وهو عند الناس حقير .

٢٣ كَمْ أَعْطَبَتْ (١) رَاحَتَاهُ مِن نَشَبٍ سَلامَةُ المُعْتَفِينَ فِى عَطَبِهْ

« النَّشَب » المال ، و « العَطَب » الهلاك . أى سلامة الذين يسألونه ووصولُهم إلى ما يُريدون بعَطَب هذا النَّشَب ، أى بذهابه وتَفرُّقه .

٢٤ أَىُّ مُدَاوٍ للمَحْلِ نائِلُهُ وهَانِئٌ للزَّمَانِ مِن جَرَبِهْ !

« الهانئ » الطالى الإبل بالقَطِران ، وهذا مثل قول الشاعر :

* يَضَعَ الهِناءَ مَوَاضعَ النقْبِ *

و « الهِناء » القَطِران .

٢٥ مُشَمِّرٌ ما يَكِلُّ فى طَلَبِ الـ عَلْياءِ والحَاسِدُونَ فى طَلَبِهْ

أى يَحسدونه وينالون منه بالوقيعة . [ص] ويروى :

مُشمِّرٌ ما يَكِلُّ فى طَلَبِ المـ جدِ وآلُ العباس فى طَلَبِه (٢)

أى هذه عادتهم ويَطلبون المجد .

٢٦ أَعلاَهُمُ دُونَهُ (٣) وأَسبَقُهمْ إلى العُلَى (٤) وَاطِئٌ على عَقِبِهْ

---

(١) قال الصولى فى شرحه : ويروى « كم أعطيت وهو عندى تصحيف .

(٢) هى رواية س ، هـ د . وفى ظ : ويروى « لا يزال فى طلب المجد وآل العباس فى طلبه » .

(٣) س ، هـ ب : « أعلاهم ذروة » . (٤) م ، ل : « إلى الندى » .

٢٧ يُرِيحُ قَوْمٌ[1] والجُودُ والحَقُّ وال   حاجَاتُ مَشْدُودةٌ إلى طُنُبِهْ

[ع] « يُريح قوم » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من أراح الرّاعى المالَ على القوم ، أى هذا الرجل إذا أراح الرّعاءُ المال على أربابه فالحاجاتُ مشدودةٌ إلى طُنُب بيته ، أى أنها لا تَسرح فتعود إليه بل هى لازمة له ، والآخر أن يكون « يُرِيح » من الراحة ، يقال أراح الرجل إذا استراح .

٢٨ وهَلْ يُبَالِى إقْضَاضَ مَضْجَعِــهِ
مَنْ رَاحَةُ المَكْرُماتِ فى تَعَبِهْ ؟

« إقضاض مَضْجعه » من قولهم أقَضَّ المضجعُ ، وأصل ذلك أن يكون فيه القِضَّة وهى الحَصَى فيمنع المضطجع من النوم ، ثم قيل لكل ساهر قد أقضّ مضجعَه عليه ولو كان على فرش وطىء . [ص] « وراحة المكرمات » وصولها إلى مستحقِّها ، وروى أنّ أعرابيًّا رأى أعرابيًّا جالسًا على ماء يَرمى فيه بدنانير يُولَع بذلك فقال : لقد أراحتْك النعمةُ وأتعبتَها !

٢٩ تِلْكَ بَناتُ المخَاضِ راتِعَةً   والعَوْدُ فى كُورِهِ وفى قَتَبِهْ

يقول : مَن أهمَّه المكارمُ أتعب نفسه فى طلبها وتحمَّل المشقات ، وصَبَر على النائبات فى ابتناء المعالى ، والصغير الهمَّة لا يهمّه ذلك ، وضرب بناتِ المخاض مثلاً للأغرار ، والعَوْد للمجرَّبين الصابرين على المشاقّ . [ص] يقول : مَن كان غِرًّا لا يُعنَى بالمكارم فهو مستريح كبنات المخاض ، والعَوْد هو الذى قد جَرَّب الأمور فهو مُحتمل للكلَف .

٣٠ مَنْ ذَا كعبّاسِهِ[2] إذَا اصْطَكت ال
أَحْسَابُ[3] أمْ مَنْ كَعْبدِ مُطَّلِبِهْ ؟

أى مَن يفاخره بشرف النسب ؟

---

(١) فى ظ ويروى « يروح قدماً » ، ويروى « قريع قوم » وقال الخارزنجى فى تفسيره : « القريع » الفحل لأنه مقرع من الإبل أى مختار .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب « لعباسه . . . لعبد مطلبه » .

(٣) هـ س « الأنساب » .

٣١ هَيْهاتَ أَبْدَى اليقِينُ صَفْحتَـهُ
وبَانَ نَبْعُ الفَخَارِ [١] مِن غَرَبِهْ

[ص] أي بان الكريم من اللئيم ، وفَضَله كما يَفْضُل النَّبْع وهو الشجر الذى تُعمل منه القسِيّ من الغَرَب وهو ضعيف ليس كالنَّبْع * [خ] يقول ليس فى أيدى حاسديه شىء ، لأنّ حَسَبَه ظاهر يَعرفه كلّ أحد ويُوقن أنه لا حَسَبَ كمثله إذْ كان نَسِيبَ النبى صلى الله عليه وسلم [٢] .

٣٢ عبْدُ المَلِيكِ بنِ صَالح بن عَلِىِّ
م بنِ قَسيم النَّبِىِّ فى نَسَبِهْ [٣]

٣٣ أَلْبَسَهُ المجْدَ لا يُرِيدُ بِهِ بُرْداً وصَاغَ السَّماحَ مِنْهُ وَبهْ [٤]

٣٤ لُقمانُ صَمْتاً وحِكْمَةً فإذا قَالَ لَقَطْنَا المَرْجَانَ [٥] مِنْ خُطَبِهْ

٣٤ — « المَرجان » صغار اللؤلؤ .

٣٥ إنْ جَدَّ رَدَّ الخُطُوبَ تَدْمَى وإنْ
يَلْعَبْ [٦] فَجِدُّ العَطاءِ فى لَعِبِهْ

[خ] جدُّ العطاء كثرته وإقباله على العافى .

---

(١) س « نبع النجار » وروتّها ظ .

(٢) قال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى وكلام الخارزنجى هذا : والقول ما قال الصولى أول .

(٣) س ، ظ : « فى حسبه » .

وشرح البيت فى ظ : أراد « عبد الملك » فأشبع الكسرة فى اللام فنشأت الياء ، كما قال الراعى فى عبد الملك بن مروان :

فأصبح اليوم فى دار مباركة عبد المليك إماماً نوره يقـد

(٤) وشرحه فى ظ : قال أبو يحيى : يقول ألبسه جده لبوس مجد وشرف ، وهو لا يريد به برداً من الأبراد لأن المجد أشرف منه وأكرم ، وصاغ السماح من جده . وقال الخارزنجى ويروى « وصح السماح منه وبه » .

(٥) د : « الياقوت » . (٦) س : « يمزح » .

٣٦ يَتْلُو رِضَاهُ الغِنَى بِـأَجمَعِهِ وتُحَذرُ الحَادِثَاتُ فى غَضَبهْ

٣٧ تَزِلُّ عَنْ عِرْضِهِ العُيوبُ (١) وقَدْ
تَنْشَبُ كَفُّ الغَنِىِّ فى نَشَبهْ

ويروى « كف الثناء »(٢). [ص] أى يُعطى مَن كان مستغنياً فكيف مَن كان محتاجاً ؟ !

٣٨ تَـأْتِيهِ فُرّاطُنا فَتَحْكُمُ فى لُجَيْنِهِ تَارَةً وفى ذَهَبهْ

أصل « الفُرّاط » القوم الذين يتقدّمون الوُرّاد ، وكلّ مُتقدّم فارِط .

٣٩ بِـأَىِّ سَهْمٍ رَميْتَه فى نَصْلِه الما
ضِى وفى ريشهِ وفى عَقَبِهْ ؟ !

[خ] يخاطب الممدوح ، يقول : بأى مادح ظفرتَ منى فى ثنائه وفصاحته ومحبته * ! ؟ وقيل يخاطب الخليفة أى بأى رجل ظَفِر مِن هذا الممدوح ! ؟ والأول هو الوجه .

٤٠ لا يُكْمِنُ (٣) الغَدْرَ للصَّدِيق ولا
يَخْطو (٤) اسمَ ذِى وُدِّهِ إلى لَقَبِهْ (٥)

[ص] أى لا يَغدُر بصديقه ولا يَعيبه ولا يُلقّبه .

---

(١) س : « يداه » .

(٢) روتها ظ ، وقال الخارزنجي : عرضه أملس لا يعلق به الذم ، ولكن قد تنشب كف الثناء فى نشبه أى تأخذ من ماله ، يعنى المدح يأخذ من ماله ولا يأخذ العيب من عرضه .

(٣) فى ظ : ويروى « لا يضمر » .

(٤) فى ظ : ويروى « ولا يخطى » وفسره بقوله : أخطاه حمله على الخطو ، أى لا يغدر بصديقه ولا يترك اسم ذى وده إلى لقبه الذى يكرهه فيدعوه به ، ويجوز أن يكون « يخطى » أصله الهمز فأبدل ويكون من أخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره وهو أليق بالمعنى .

(٥) جاء فى د بعد هذا البيت بيت لم يرد فى سائر الأصول :

أهـدى دبابيجه إليك فتى أضاف بالمـدح مجتبى كتبه

وهو ظاهر النحل .

٤١ يَـأْبِرُ غَرْسَ الكَلامِ فِيكَ فخُذْ

واجْتَنِ مِن زَهْوِهِ (١) ومِن رُطَبِهْ

يقال «زَهْو» وزُهْو ، مثل ضَعْف وضُعْف ، للبُسْر إذا بَدَت فيه حُمرة أو صُفرة .

٤٢ أَمَا تَرى الشُّكْرَ مِن رَبَائِطهِ

جَاءَ(٢) وَسَرْحُ المَدِيح مِن جَلَبِهْ(٣)؟!

[خ] يقول: هو يرتبط لك الشكر ويجلب إليك سَرْح المديح فيبيعه منك بمعروفك .

---

(١) فى ظ : ويروى « من زهره » بالراء .

(٢) س ، د ، هـ ب : «فيك » .

(٣) جاء فى ظ : وفى نسخة قديمة :

لما رأى الشكر من ربائطه جاء وسرح المديح من جلبـه

٢١

وقال يخاطب عليَّ بن مُرٍّ ويستهديه فروًا[(١)] :

١ دَنَا سَفَرٌ والدَّارُ تَنْأَى وتُصْقِبُ[(٢)]
وَيَنْسَى سُرَاهُ[(٣)] مَن يُعافَى ويُصْحَبُ

الثانى من الطويل والقافية متدارك .

ويروى « تُنْئى » يقول : إنّ الدار تُباعد مَن يجتويها ويكرهها ، وتُقرّب مَن يَختارها ، ويَحمَد العيش بها ، وينسى تعبَه بسفره مَن استقرّت به دارُه وسَلِم[(٤)] .

٢ وأَيَّامُنا خُزْرُ العُيونِ عَوابِسٌ
إذَا لَمْ يَخُضْهَا[(٥)] الحَازِمُ المُتَلَبِّبُ

[ع] استعار خُزْرَة العيون للأيام لأنه من صفات الأعداء . و « الخُزْر » الذين يُضيِّقون أعينهم للنظر ، وقيل الأخزَرُ الذى ينظر بناحية عينه التى تلى الأنف . و « المتلبِّب » المتحزِّمُ للقتال .

٣ ولا بُدَّ مِن فَرْوٍ إذَا اجْتَابَهُ امْـــرُؤٌ
كَفَى[(٦)] وهو سَامٍ فى الصَّنابِرِ أَغْلَبُ

« الصنابر » شدّة البرد ، الواحد صِنَّبْر .

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى نسخة س .

(٢) د : « تنأى وتقرب » وشرح التبريزى هنا يدل على أنه روى الفعلين « تنأى » و « تصقب » رباعيين .

(٣) ظ : ويروى « وينسى صباه من يقيم » .

(٤) قال ابن المستوفى : أما ما ذكره من الكراهية والاختيار فهو لا يصح لأن الدار قد تباعد من لا يكرها ، وتدنى من لا يختارها .

(٥) ظ : ويروى « إذا لم يحصها » أى يحطها ، ويروى « العابس » .

(٦) ل ، د ، هم : « غدا » .

٤ أَمِينُ القُوَى لم تَحْصُصِ[1] الحَرْبُ رَأْسَهُ
ولم يَنْضُ عُمْرًا وهو أَشْمَطُ أَشْيَبُ

٥ يَسُرُّكَ بأساً وهو غِرٌّ مُغَمَّرٌ[2]
ويُعتَدُّ[3] للأيام حينَ يُجرَّبُ

٥ — [ق] وصف الفرو الذى استهداه . فيقول : هَبْه لى فتيًّا غُمْرًا لم يُمارس الحروب فيحسرَ الشعرَ عن رأسه ، ولم يتقدَّم سنه فيشيب ، وهذا مثل ، أى ابعثْه جديدًا لم يتحاتَّ وَبَرُه لطول ما لُبِس ، ولارَقَّ جلدُه ولا ضَعُف خرزه . وقوله : « يَسُرُّك بأسًا » أى إنما يُنتفَع به ويُدفئ فى حال فتائه ، ولم يُكتَس ولم يُستَعمل .

٦ تَظَلُّ البلادُ ترتَمى بِضَرِيبِها
وتُشمَلُ مِن أقطارِها وهوَ يُجْنَبُ

أى إذا اشتدَّ البرد وترامت الأرضون بالصقيع وهبَّت الريح شمالاً فى أقطار البلاد ، فهذا الفَرْو يُجْنَبُ ، أى لابسُه يكون دفآن كأنّه فى ريح جَنُوب .

٧ إذَا البَدنُ المقرُورُ أُلبِسَهُ غَدَا
لهُ رَاشِحٌ مِن تَحْتِهِ يَتَصَبَّبُ

يريد أنَّ هذا الفَرْو إذا أُلبِسه المقرور عَرِقَ فرَشحَ عَرَقُه من جسمه .

---

(١) كذا الرواية فى الأصول كلها ، وانفردت ش برواية « تحصد » . و « الحص » حلق الشعر وذهابه . وقال الصولى فى شرحه : يعنى أن الفرو من سمور أشهب ، فكأنه شاب ولم يطل عمره .

(٢) هـ م : « مهذب » — وفى ظ : ويروى « وهو غير معمر » .

(٣) ق : « ويعور للأيام » وقال المرزوقى فى شرحه على هذه الرواية : فإن جرب وقارع الأيام أعور البلى ولم يعن فيما يستعان به عليه .

وقال ابن المستوفى : وروى عن أبى بكر « ويعور للأيام » أى إذا جرب اعور من قولهم اعور الفارس إذا بدت منه مواضع الطعن والضرب .

٨ إذَا عَدَّ ذَنْباً ثِقْلَهُ مَنْكِبُ امرِئٍ
يقُولُ الحَشَا : إحسَانُهُ حين يُذْنِبُ

[ص] يقول إذا استثقل مَنكِبُ الرجل حَمْلَ هذا الفرو ، فعَدّ هذا الثِّقل ذنباً ، يقول حَشا هذا الرجل : إحسانُ الفرو إلىّ حين يُذنب إليك ، كأنه يُخاطب المَنكِب ، أى كلما ثَقُل عليك أحسن إلىّ .

٩ أَثِيثٌ إذَا استَعتَبْتَ مُعْصِفَةً بهِ
تَمَلَّأْتَ عِلْماً أَنَّها سَوفَ تُعْتِبُ

[ع] « أثيث » أي كثير الصوف الذى فى باطنه . « والمُعْصِفة » الريح الشديدة وهى مثل العاصف . ومن روى « مَصْقَعة[1] » أخذها من الصقيع وهو ما يسقط على الأرض فى الشتاء من النَّدى . وقوله « تملأتَ علماً » مهموز لأنه من مَلأتُ الإناء .

١٠ يرَاهُ الشَّفِيفُ المُرْثَعِنُّ فينثنى
حَسِيراً وتَغْشَاه الصَّبَا فتَنَكَّبُ

« الشَّفيف » شِدَّة البَرْد ، قال الراجز[2] :

مَوْئِلُهَا إنْ عَكَفَ الشَّفِيفُ
الزَّرْبُ والعُنَّةُ والكَنِيفُ

و « المُرْثَعِنُّ » أصله المُسترخِى ، وإنما وَصَف الشفيف بذلك لأنه أراد برداً مع مطر ، لأنّ السحاب يُوصَف بالمُرْثَعِنّ .

---

(١) هى رواية م ، ل ، د وروتها ظ .

(٢) سمط اللآلى ص ٤٣٣ ، وقال الميمنى : الرجز فى الجمهرة ١ : ٢٥٤ ونسبا فى زياداته لسلمة بن الأكوع .

١١ إذا ما أَساءَتْ بالثِّيَابِ فَقَوْلُه [١]
لها كُلَّمَا لاقَتْهُ أَهْلٌ ومَرْحَبُ

١٢ إذا اليَوْمُ أَمْسَى وهْوَ غَضْبَانُ لم يَكُنْ
طَوِيلَ مُبَالاةٍ بهِ حِينَ يَغْضَبُ

استعار « الغَضَب » لليوم وإنما أراد شدّة البرد .

١٣ كأَنَّ حَوَاشِيهِ العُلَّى وخُصُورَهُ
وما انْحَطَّ منه جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ

« العُلَى » جمع العُلْيا ، والواحدة الحاشية العُلْيا ، وسكّن الياء فى « حواشيه » للضرورة .

١٤ فَهلْ أَنتَ مُهْدِيهِ بِمثْلِ شَكِيرِهِ
مِنَ الشُّكْرِ يَعْلُو مُصْعِدًا ويُصَوِّبُ؟

[ص] « الشَّكِير » صغار الريش ، جعل الوَبَر فوقه كالريش فقال : هل أنت مُهديه وعلىّ شكرٌ يكثر ككثرةِ شَكِيره أى وَبرِه ؟

١٥ لَهُ زِئْبِرٌ يُدْفِى [٢] مِنَ الذَّمِّ كلَّمـا
تَجَلْبَبَـــهُ فى مَحْفِلٍ مُتَجَلْبِبُ

[ع] « له زِئْبر » أى للشكر ، وخَفَّف الهمزة فى « يُدفى » وهى لغة جيدة [٣].

---

(١) ظ : « فقولها له » وقال « أساءت » يعنى الصبا .

(٢) وجاء فى ظ : قال الصولى ويروى : « يحمى من الذم » وهى رواية د .

(٣) قال الصولى : الهاء فى « له » الشكر . أى لهذا الشكر زئبر يدفى ويحمى من الذم إذا حويته ، ليس هو مما يدفى من البرد . و « الزئبر » كقنبل ، وقد تضم الباء أو هو لحن ، ما يظهر من درز الثوب .

١٦ فأَنتَ العَلِيمُ الطَّبُ أَىُّ وَصِيَّةٍ
بها كانَ أَوصَى فى الثِّيابِ المُهلَّبُ

[ص] يريد قول المهلَّب: ما رأيتُ أحداً قطّ بين يدىّ إلاّ أحببتُ أن أرى ثيابى عليه ، فاعلموا يا بَنِىّ أنّ ثيابكم على غيركم أحسنُ منها عليكم .

وقال يمدح محمد بن الهَيْثم بن شُبَانةَ من أهلِ مَرْو ، ويهجو أبا صالح ابن يَزْدَاد ويُعرّض به ، وكَتَب بها إليه :

١ سَلامُ اللهِ عِدَّةَ رَمْلِ خَبْتٍ
على ابنِ الهيْثَمِ المَلِكِ اللُّبَابِ

الأول من الوافر والقافية متواتر .

[ع] « خَبْت » ها هنا موضع بعينه ، وأصل الخَبْت كل موضع اطمأن وهو مع ذلك سهل .

٢ ذكرْتُكَ ذِكْرَةً جَذَبَتْ ضُلوعى
إليكَ كَأَنَّها ذِكْرَى تَصَابِى

٣ فلا يُغْبِبْ مَحَلَّكَ كُلَّ يَوْمٍ
مِنَ الأَنْواءِ (١) أَلطافُ السَّحابِ

٣ — « أنطاف »(٢) و« ألطاف » بالنون واللام جميعًا . « لا يُغْبِبْ » دُعاء له أن يكون سُقياه كلَّ يوم ولا يكون غِبًّا .

٤ سَقَتْ جُودًا نَوَالاً (٣) منكَ جَوْدًا
ورَبْعــاً غَيْرَ مُجْتَنَبِ الجَنَابِ

قوله « سَقَتْ » أى أنطافُ السحاب ، و« جُودًا » مفعول به ، و« نَوَالاً »

---

(١) س ، د : « من الأيام » .
(٢) هى فى هـ ب ، هـ ش .
(٣) ل : « تولى » — م ، س ، د : « توالى » — وفى ظ : ويروى : « سقى جود توالى منك جَـوْداً » .

مفعول ثان ، و « جَوْدًا » الثانى صفة لـ « نوالاً » ، و « رَبْعًا » عَطْف على « جُودًا » الأوّل .

٥ فَثَمَّ الجُودُ مَشْدُودَ الأَوَاخى
ونَمَّ المجْـدُ مَضْرُوبَ القِبَابِ

٦ وأَخلَاقٌ كأَنَّ المِسْكَ فِيهَـا
بِصَفْوِ الرَّاحِ والنُّطَفِ[1] العِذَابِ

٧ وكَمْ أَحييتَ مِن ظَنٍّ رُفَاتٍ
بها وعَمَرْتَ مِن أَمَلٍ خَـرَابِ

استعار « الرُّفات » للظن وإنّما هو للعظام البالية ، يُقال رَفَتَها البِلَى رَفْتًا إذا قَطَّعها ، وكذلك رَفَتَ الأَسَدُ الفريسة .

٨ يَمِينُ مُحمَّدٍ بَحْرٌ خِضَمٌّ
طَمُوحُ المَوْجِ مَجْنُونُ العُبَابِ

[ص] تقول العرب جُنَّ النباتُ إذا تَكاثَف وحَسُن ، وكذلك يقولون فى كل شىء حَسَن مُفرِط ، فأراد أن العُباب — وهو أرفع مواضع الماء — مُتزَايد ، شَبّه جُودَ هذا الممدوح به [2] .

(١) م ، ل ، ب ، د : « بالنطف »

قال الصولى فى شرحه : « النطفة » الماء القليل والكثير ، قال على رضوان الله عليه يوم النهروان فى الخوارج : والله ما جاوزوا النطفة . وقال الهذلى (معقل ابن خويلد) :

فإنهمـا لجـوابا خروق وشرابان بالنطف الدوامى

(٢) جاء فى ظ قال المرزوقى فى كتابه الانتصار : اعتسف (أى الصولى) فى هذا التفسير ، ولا أرى قوله « يصفون كل شىء حسن مفرط بالجنون » صواباً ، وإنما ذكر الجنون هنا فى « العباب » يشير به إلى اهتياج البحر واضطراب الماء وارتفاع الأمواج ، وهذا كما قال تأبط شراً .

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبيض الشد غيداق

فجعل العدو والهاً ، وهذا قريب كما ترى .

٩ تَفِيضُ(١) سَماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ
وتَقْطَعُ والحُسامُ العَضْبُ نابِ

[ص] و « المُزْن مُكْد » أي لا مَطَر فيه . يقول : تَقطع يَمينُه كلَّ خَطْب تنبو فيه السيوف بقلم تكتب به ، أو سلاحٍ تعمل به .

١٠ فَداكَ أَبا الحُسيْنِ مِنَ الرَّزَايا
ومن ذَاجي حَوادِثِها الغِضَابِ(٢)

١١ حَسُودٌ قَصَّرتْ كفَّاهُ عنْهُ وكفُّكَ للنَّوَال(٣) وللضِّرَابِ

١١ — [ص] يعني أبا صالح ، و «عنه» أي عن الحسود ، يقول : قَصَّرت كفَّاه عن أن يَجود على نفسه ، فكيف يجود على غيره ، وعن أن يَحمي نفسه فكيف يحمي غيره ؟ !

١٢ ويَحسُبُ مايُفِيدُ بلانَوال(٤) وتُعْطِي ما تُفِيدُ بلا حِسَابِ

١٣ ويَغْدُ ويَسْتَثِيبُ بِلانَوال ونَيْلُكَ كُلُّهُ لا للثَّوَابِ

ويروى :

ويَغـلو يَستثِيبُ بلا نَوال وأنت فقد تُنيلُ بلا ثَوَابِ(٥)

[ص] ويروى :

* وأكثرُ ما تُنيلُ بلا ثَوَابِ(٦) *

قال الرَّادُّ على هذه الرواية : إنّ الأكثر كذا ، وقد تُنيل لثوابٍ وهو قليل ،

(١) س ، د : « يفيض » ، و « يقطع » .
(٢) ظ ، هـ ب : « الصعاب » .
(٣) م ، ل ، د ، ظ ، هـ ب : « للطعان » .
(٤) س ، ل ، م ، د ، ظ ، : « بلا عطاء » .
(٥) هي رواية م ، ل .
(٦) هي رواية س ، د .

وهذا خطأ ، والصحيح الأوّل . (ق) : الذى يزعمه هرَب منه فى رواية مَن يروى : « وأكثرُ ما تُنيل بلا ثَواب » هو حاصل فى رواية نفسه ، لأن قوله : « وأنت فقد تُنيل بلا ثَوابِ » يقع منه فى النفس أنه ينيل للثواب كثيرًا ، وقد يُنيل بلا ثواب ، وهذا شرٌّ مما أنكره فى قوله : « وأكثرُ ما يُنيل بلا ثَوابِ » ، ولا أدرى ما الذى أحوجه إلى فَحوَى الخطاب وهو يرى العرب يستعملون القِلّة ويُريدون النفى ، والكثرةَ ويريدون الدوام ، تقول قلّما يفعل زيد كذا والمعنى أنه لا يفعل ذلك ، وهى تقول فى ضده كَثُرَ ما يفعل زيد يريدون الاستمرار[1] ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة : «وأكثر ما تُنيل بلا ثواب » وإنما يُفضّل الممدوح وهو محمد بن الهيثم على أبى صالح بن يَزْداد فتعريضه به ، أى إذا كان ذلك يطلب الثواب بلا نائل فإنك تُنيلِ ولا تطلب الثواب[2] .

١٤ ذكَرتُ صَنِيعَةً لكَ أَلْبَسَتْنى أَثِيثَ المالِ والنِّعَمِ الرِّغابِ

١٥ تَجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ وتَبْقَى إِذَا ابتُذِلَتْ وتُخْلِقُ فى الحِجَاب

١٥ – [ص] يقول : كلما ذُكرتْ هذه النِّعم التى لك علىَّ وأُظهرتْ تَجدّدَ ذِكرُها واستجرّتْ مِثلَها ، وإذا سُترتْ وحُجبتْ أخلقت .

١٦ إِذَا مَا أُبْرِزَتْ زَادَتْ ضِيـاءً
وتَشْحُبُ وَجنَتَـاها فى النِّقَابِ

---

(١) أى المرزوقى هنا بشاهد كما جاء فى ظ ، قال : وقد فسر قول الشاعر :

فإن أك فى شراركم قليلا فإنى فى خياركم كـثير

على أن المعنى إن لم أعـدد فى شراركم فليس لكم خيار غيرى ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة . . . إلخ .

(٢) وبقية كلام المرزوقى كما جاء فى ظ : على أن طلب الحمد من المنعم ليس بعيب ، وإن كان يحسن التغميض فى استيفاء الشكر ، وترك تدقيق المحاسبة فيه ، وقد يعبد الله عز وجل بشكر نعمته ، وهو واجب فى عقل كل عاقل . ورد المرزوقى هذا لم يرد فى كتابه الذى بين أيدينا ، والراجح أنه من كتابه الانتصار .

١٧ وليسَت بالعَوَانِ العَنْسِ عندى
ولا هى منكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ

١٧ – (ع) « العَوَان » التى قد وَلَدَت بطنين أو ثلاثة ، وقد عاب بعضُ أهلِ العلم هذا البيتَ لقوله « العَنْس » وقال : لم نسمع العَنْس إلاّ فى صفة الناقة ، كأنه يذهب إلى أنه أراد العانِس فوَضَع العَنْس مكانها ، ويجوز أن يكون هذا غلَطًا على الطائى ممّن عابه ، إذْ كان مِثلُه مع أدبه لا يَغيب عنه مثلُ ذلك ، والعانِس التى تُحبَس عن التزويج بعد البلوغ حتى تَبلُغ عشرين سنةً أو أكثر ، ويُستعمل هذا الوصف للرجال والنساء ، ويقال عَنَّستِ المرأةُ تَعنيسًا ، و « العَنْسُ » الناقة الشديدة المُسِنَّة . ويحتمل أن يكون أبو تمام أراد : ليست صَنيعتك عندى مثلَ الناقة التى هى عوَان قد أسنَّتْ إذْ كنتَ تُجدّدها فى كل حين ، « ولا هى منك بالبِكْر الكَعاب » أى ليست أوّلَ صنائعك [1] .

١٨ فَلا يَبْعُدْ زَمَانٌ مِنكَ عِشْنَا بِنَضْرَتِهِ ورَوْنَقِهِ العُجَابِ
١٩ كَأَنَّ العَنْبَرَ الهِنْدِىَّ فِيهِ وفَأْرَ المِسْكِ مَفْضُوضَ الرُّضَابِ

١٩ – يريد : بـ«الرّضاب» ما فى داخله من المسك [2]. و «مفضوض» مفكوك مشقوق . ويروى « العنبر العَدَنىّ » [3] .

---

(١) فسر الصولى والمرزوقى هذا البيت على ما تضمنه شرح أبى العلاء ، ولم يتعرضا فيه للفظة « العنس » ، وإنما خالف الصولى فى تفسيره للعوان بقوله : (ويكون قوله « بالعوان » أى لم أمدح بها سواك) ، أما المرزوقى فقد قال : ليست هذه العارفة عندى بالعوان العنس ، أى زفت وهى بكر عوارفك عندى ، فجاءت غضة لم تعنس ، أى لم أمطل بها كالتى قعدت بعد بلوغ النكاح أعواماً لا تنكح ، وهى على ذلك ليست ببكر عطياتك وأولى منائحك ، ولكنك تأتى بأمثالها كل وقت .

وقال ابن المستوفى : وكرر أبو تمام معنى بيته فقال :

وصنيعة لك ثيب أهديتها وهى الكعاب لعائذ بك مصرم
حلّت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

(٢) فى ظ : فى حاشية الكتاب العجمى : « الرضاب » الدقاق المنتشر ، يقال لدقاق الثلج المنتشر رضاب ، فإن صح هذا فهو أولى من الأول .

(٣) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ ، هـ ب .

٢٠ لَيالِيهِ لَيالِي الوَصْلِ[1] تَمَّتْ بأَيَّامٍ كأَيَّامِ الشَّبابِ

٢١ أَقُولُ ببعضِ ما أَسدَيْتَ عندِي
وما أَطْلَبْتَنِي قَبْلَ الطِّلَابِ[2]

٢١ — [ع] يقال « أطلبتُ » الرجلَ إذا بلّغته مَطْلبَه ، و « وأطلبْتُه » إذا أحوجتَه إلى أن يطلب، ولذلك قالوا كَلأٌ مُطْلِبٌ وماءٌ مُطْلِب أى بعيد يَحتاج إلى الطلب . وإنما يستحق الرجل أن يقال له أطلبتني إذا طُلِب منه الشيء فمكَّن منه ، وصحَّ أن يقول الشاعر « أطلبتني قبلَ الطِّلاب » لأنّ الطلب قد يكون فى النفس من غير أن يُواجَه به المطلوب منه ، فكأنّ المعنى : كنتُ أطلب شيئًا فبلَّغتنيه قبل أن أطلبه منك .

٢٢ ولَوْ أَنِّى استَطعْتُ لَقَامَ عَنِّى
بِشُكْرِكَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرابِ[3]

٢٣ إذًا شَكَرَتْكَ مَذْحِجُ حَيْثُ كانَتْ
بَنُو دَيَّانِهَا وبَنُو الضِّبَابِ

٢٣ — « مَذْحِج » لقب امرأة ، واسمها مُدلَّة وقيل دَلَّة ، وقيل سُمِّيت مَذْحِج لأنها وُلدت فوق أَكَمَة فانذحجتْ من أعلاها إلى أسفلها . وقال قوم بل الأكَمَة كان يُقال لها مَذحِج ، وطئ من وَلَدها إلاّ أنهم لا يُنسَبون إليها ، وغلَب عليهم اسمُ أبيهم ، ونُسِب إليها إخوتُهم ، فذكرها الطائى ثم ذكر قُضاعَة لما تَدَّعيه من القُربَى إليهم ، وذَكَر غيرَهم من العرب لأن الإصهار فى القبائل وتَزوُّجَ بعضِهم إلى بعض صَيَّر بينهم أسبابًا من الخؤولة والقَرابة .

---

(١) س : « ليالى الحب » وبهامشها رواية الأصل .
(٢) فى ظ : وروى قبل « اطلابى » وهى فى ه ب .
(٣) س : « عظم من فوق التراب »

٢٤ وجِئْتُكَ في قُضَاعَةَ قد أطَافَتْ
بِرُكْنَىْ عَامِرٍ وبَنِى جَنَابِ

٢٥ ولاسْتنجدْتُ حَنظَلةً وعَمْـرًا
ولم أعْدِلْ بِسَعْدٍ والرِّبابِ

٢٥ – أى لم أعدِلْ بهما أحدًا ، يعنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ، و« الرِّبابُ » من بنى عبد مناةَ بن أدّ بن طابخة ، سُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا على رُبٍّ ، وقيل إنما سُمُّوا بذلك لأنهم ضُروب شتَّى فشبِّهوا بالرِبَّة وهى ضُروب من النَّبْت .

٢٦ ولاسْتَرْفَدْتُ مِن قَيسٍ ذُرَاهَا بنِى بَدْرٍ وصِيدَ بَنِى كِلاَبِ

٢٧ ولاحتَفلَتْ رَبِيعَةُ لِى جَميعاً بِأَيَّامٍ كَأَيَّامِ الكُلاَبِ

٢٨ فأشْفِى مِن صَمِيمِ الشُّكرِ نَفْسى
وتَرْكُ الشُّكرِ أثقلُ لِلرِّقَابِ(١)

٢٩ إليْكَ(٢) أثرتُ مِن تَحْتَ التَّرَاقِى
قَوَافِىَ تَسْتَدِرُّ بلا عِصابِ

٢٩ – [ص] « العِصَابُ » أن يُعصَبَ فخذ الناقة إذا لم تَثبُتْ للحالب .
وقوله : « أثرتُ » أى أثرتُها من قلبى ونَطَقَ بها لسانى .

٣٠ مِنَ القِرْطاتِ فى الآذان تَبْقَى
بَقَاءَ الوَحْيِ فى الصُّمِّ الصِّلَابِ

[ع] ويروى « من القُرُطات » بضم القاف والراء ، وهو جمع قُرْط ،

---

(١) س : « فى الرقاب » (٢) س : « وقدنا ذاك » ، ورواية الأصل بهامشها .

على حَدِّ قولهم حَمَّام وحَمَّامات وسِجِلّ وسِجِلاّت ، وإذا رُوى « قِرَطات » فهو جمع الجمع ، كأنهم قالوا قُرْط وقِرَطة ثم جمعوا القِرَطَة جمعاً ثانياً . و « الوحْى » هنا الكتاب . ويعنى بـ « الصمّ الصِّلاب » الصَّخر ، لأنهم كانوا ينقرون فيها ما يكتبون فهو أبقى لها :

٣١ عِرَاضَ الجَاهِ تَجْزَعُ كُلَّ وَادٍ مُكَرَّمَةً وتَفْتَحُ كُلَّ بَابِ
٣٢ مُضَمَّنَةً كَلاَلَ الرَّكْبِ تُغْنِي غَنَاءَ الزَّادِ عنهُمْ والرِّكَابِ

٣٢ — [ع] يريد أنّ هذه القوافى مُضمَّنة إزالةَ كلال الرَّكْب ، فحذف ، لأن المعنى مفهوم * كما قال المرقِّش (١) :

ليسَ على طُول الحياةِ نَدمْ
ومِن وراءِ المـرءِ ما يَعلمْ

يريد ليس على فوات طول الحياة . وكان أبو رِياش والنَّمرى يذهبان فى قول الخنساء :

يا صَخْرَ وُرَّادِ ماء قد تَناذَرَه أهلُ المواردِ ما فى وِرْدِه عَارُ

إلى أن المعنى ليس فى تَرْكِ وِرْده عار ، ويُشبِّهانه ببيت المُرقِّش . [ع]
وإنما يريد الطائى أنّ المسافرين يستغنون بإنشادها عن الزَّاد والرِّكاب ويتعلَّلُون بها فى الإدلاج * وهذا كما قال الآخر :

بها تُنقض الأحلاسُ والديكُ نائمٌ وتُعقَد أنساعُ المطىِّ وتُطلَقُ

وكانوا يقولون لبعضهم فى السفر : عَلِّلْنا ، فيُنشدهم ويُغنِّيهم ، وذلك عَنَى خِداش بن زهير بقوله :

كَذبتُ عليكم أوْعِدونى وعَلِّلوا بىَ الأرضَ والأقوامَ قِرْدَانَ مَوْظَبَا (٢)

وقال ذو الرمة :

بمىّ إذا أدلجتما فاطْرُدَا الكَرَى وإن كانَ آلَى أهلُها لا تَطُورُها (٣)

(١) المفضليات ٢ : ٣٩ البيت ١٥ .
(٢) نوادر أبى زيد ص : ١٧ ، ولسان العرب مادة « وظب » وقال فى معناه : عليكم بى و بهجائى يا قردان موظب إذا كنت فى سفر فاقطعوا بى الأرض . و « موظب » كمقعد أرض معروفة . و « قردان » جمع قراد .
(٣) الديوان ص : ٣٠٤ .

٣٣ إذَا عارَضْتَها [١] فى يَوْمِ فَخْرٍ   مَسَحْتَ خُدودَ سابِقَةٍ عِرَابِ

[ص] أى إذا فاخرتَ بها فى يوم فخر سبَقَتْ ، وهذا مثل .

٣٤ تَصِيرُ بها وِهَادُ الأَرضِ هَضْباً   وأَعلَاماً وتَثْلِمُ فى الرَّوابى

[ويروى] « وِهادُ القوم » [٢] ، أى ترفع مَن يُنشِدها [٣] .

٣٥ كَتَبْتُ ولو قَدَرْتُ جَوًى وشَوْقاً   إليكَ لكنْتُ سَطْرًا فى كِتابى [٤]

---

(١) س ، هـ د : « وإن أجريتها » .

(٢) هى رواية س ، هـ ب .

(٣) جاء فى ظ قال الصولى : « وتثلم فى الروابى » يريد أنها قواف شديدة . وقال ابن المستوفى : ولو قال قائل إنه أراد إذا أنشدت صارت الوهاد بالتعلل بها وبإنشادها فى سهولة قطعها أعلاماً وهضاباً ، يعنى قطعت بها الوهاد كما تقطع الهضاب والأعلام لسهولة قطعها ، وهذا نحو قوله « وتجزع كل واد » وكذا قوله « تثلم فى الروابى » أى تقطع أيضاً بإنشادها فكأن الروابى تثلم بذلك .

(٤) م ، ل : — « الكتاب » — س ، د :

ولو أنى قدرت هوى وشوقا   لكنت إليك سطراً فى كتابى

٢٣

وقال يمدحه [محمد بن الهيثم بن شبّانة](١) :

١ دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَكُوبُ
مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى(٢) المكْرُوبُ(٣)

الأول من الخفيف والقافية متواتر .

٢ لوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَى
لَسَعَى نَحْوَهَا المكانُ الجَدِيبُ

٣ لَذَّ شُؤْبُو بُهَا وطاب(٤) فَلَوْ تَسْ
طِيعُ قامَتْ فعَانَقَتْها القُلوبُ(٥)

٤ فهِيَ مَـاءٌ يَجرِى وماءٌ يلِيهِ
وعَزَالٍ تُنْشَى(٦) وأُخرَى تَذُوبُ

٥ كشفَ الرَّوْضُ رأْسَه(٧) واستَسَرَّ
المَحْلُ منها كمَا اسْتَسَرَّ المُرِيبُ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى س . وجاء فى ظ : فى نسخة ابن الليث : هذه الأبيات فى أبى جعفر محمد بن آدم الرازى .

(٢) ظ : ويروى « البرى » أيضاً ، قال : ومنه اشتقت البرية وهو الخلق لأنهم من التراب .

(٣) شرحه ابن المستوفى قال : « الديمة » مطر أيام يدوم بالثرى . والمعنى أن الثرى المكروب ، يعنى الذى يمطر ، يستغيث إليها من عطشه لتمطره . قال الخارزنجى : يقول جادت ديمة سمحة القياد للجنوب تستدرها كيف شاءت ، ويستغيث بها المكان المستمطر فتغيثه .

(٤) ب ، م ، ل : « وطابت » .

(٥) د : « جاءت فصافحتها القلوب » ، وفوقها بين السطور « فعانقتها » .

(٦) د : « تهمى » .

(٧) د : « أبرز الروض وجهه » وفوقها بين السطور رواية الأصل .

٦ فإذا الرَّىُّ بعْدَ مَحْلٍ وجرْجا
نُ لَدَيْها يَبْرِينُ أو مَلْحُوبُ

٦ — [ع] يريد أن الجَدْبَ أصاب الرّى وجرجان ، ثم جاءهما المطر فأخصبتا فكأنهما يَبْرِين ومَلحُوب ، وهما موضعان من أرض العرب ، ويحتمل أن يريد اجتماع الوفود إليهما فى الخِصْب ، فكأنهما لكثرة مَن ينزلهما من العرب هذان الموضعان (١). [ص] غيره يقول : من شدة هذه الدّيمة ودوامها صارت البلدان صَحارِى مما هَدّمتها ، وهذا مثل قوله أيضًا :

فأتتْ بمنفعةِ الرّياضِ وضَـرِّها أهلَ المنازلِ ، ألسنَ الوُصَّافِ (٢)

٧ أيُّها الغَيْثُ حَىَّ (٣) أهْلاً بمغْدا
كَ (٤) وعِنْدَ السُّرَى وحِينَ تَؤُوبُ

(ع) « أيها الغيثُ حَيَّهَلاً » شدَّدَ « حَيَّهَلاً » ولا تُعرف إلاّ مخفّفة اللام كما قال الشاعر :

بِحَيَّهَلاً تُزْجُونَ كلَّ مَطيَّةٍ أمامَ المطايا سَيْرُها مُتَقاذِفُ

وأصل هذه الكلمة فى الدّعاء ، يُقال حَيَّهَلاً يا رجل ، قال لبيد :

* ولقد يَسمَعُ قولى حَيَّهَلْ (٥) *

وإنما قال حَيَّهَلاً بالغيث أى أنه يجب أن يُفرحَ به ويُرغبَ فى قُربه ، ومن

---

(١) ذكر الخارزنجى فى ظ الوجه الأول وهو خصب يبرين وملحوب بهذه الديمة بعد الجدب ، قال وهما موصوفان بكثرة العشب والكلأ فلذلك ألفهما الوحش .

(٢) فى ظ تكملة لشرح الصولى هى : وقال . — « الرى » و « جرجان » لأنهما بلدان كثيرا المطر شتاء وصيفاً .

(٣) فى متن الأصول كلها « حى أهلا » وشرح التبريزى هنا الذى يبدأ برواية العلاء « حيهلا » يوحى بأنها الرواية ، غير أن التبريزى فى شرحه لم ينف رواية المتن وهى « حى أهلا » .

(٤) قال الصولى : وروى الناس « حى أهلا ببغداد » و « بمغناك » أيضاً ، وهو تصحيف .

(٥) البيت :

يتمارى فى الذى قلت لــه ولقد يسمع قولى حيهــل

(الديوان ص : ١٣)

ذلك الحديث : « إذا ذُكر الصالحون فَحيَّهَلاً بِعُمَر » أي ينبغي أن يُذكَر ويُقدَّم . ويجوز أن يكون الطائي سمعها مُشدَّدةً في شيء من شعر العرب ، ولو كانت في قافية لجرت مجرى قوله :

* كأنَّ مَهْواها على الكَلْكَلِّ *

« والمَغْدى » من الغُدُوّ . و « المَسْرى » من سُرَى الليلِ . و « تَؤُوبُ » أصلُ الإياب أن يجيء الرجل مع الليل ، وكَثُرَ ذلك حتى قيل للغائب إذا قَدِم قد آب * ومن روى « حيَّ أهلاً » فهذه كلمة مرفوضة إلاّ أن يجعل « حيَّ » في معنى هلُمَّ وَينصِب « أهلاً » بفعل مُضمَر ، ويجوز أن تُكسرَ الياءُ في معنى التحية ، أي حيِّ أهلاً حاضرين بمغداك[1] .

٨ لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلائقُ تحْكِيـ
هِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

٩ أَنتَ فِينَا فِي ذا الأَوانِ غَرِيبٌ
وهْوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبُ

٩ — [ص] « أنت » يخاطب الغيث ، و « هو » يعني الممدوح ، و « غريب » لأنه لا يوجد له شبيه أبداً .

١٠ ضَاحِكٌ فِي نَوائِبِ الدَّهْرِ[2] طَلْقٌ
ومُلوكٌ يَبْكِينَ[3] حِينَ تَنُوبُ

(ق) يصفه بأنه لا يجمع المال ولا يحفظه بل هو نَهْب ، إمّا للنائبات التي تَنوب على العادة المألوفة في الأزمنة ، وإمّا بأن يسلّط عليه من النوال والإعطاء

---

(١) قال ابن المستوفي : وكسر الياء أحسن لعدم التمحل ، والباء في « بمغداك » تتعلق بـ « حي » فعل الأمر لا بصفة « أهلا » المحذوف ، لأن الباء فيه ليست ظرفاً للأهل ، وإنما أراد حي بمغداك أهلا ، أي وقت مغداك ، ليوافق ما بعده ، ولم يرد حيه بمغداك ، أي اجعل تحيته بغدوك ، كما تقول حيه بالسلام .

(٢) د : « الخطب » — ق : « يحدث النائبات أو تعتريه » .

(٣) في الأصول كلها « يبكون » عدا نسختي ب ، ش .

ما يجرى مَجْرى النوائب فيفرّقه ، قال : والملوك ليسوا على هذا بل يَضجّون من الخُطوب إذا حلّت بساحتهم وأثّرت فى أحوالهم ، ويَدلّ على هذا ما بعده وهو :

١١ فإِذَا الخَطْبُ رَاثَ[١] نَالَ النَّدَى والـ
بَذْلُ مِنْهُ مَا لاَ تَنَالُ الخُطوبُ[٢]

١٢ خُلُقٌ مُشْرِقٌ ورَأْىٌ حُسَامٌ
ووِدَاهٌ عَذْبٌ وريحٌ جَنُوبُ

[ص] « ريح جنوب » مثَل ، أى ناحيته تُغنى كما أن الجنوب تأتى بالغيث، وبها يكون الخِصْب ، وقيل : ريحه جنوب تجمع إليه المعُفاة كما تجمع الجنوبُ السحاب[٣] .

١٣ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ وكُلَّ أَوَانٍ خُلُقٌ ضَاحِكٌ ومَالٌ كَئِيبُ

[ص] هذا هو قول أبى نواس :

تبكى البُـدورُ لضِحْكه والسيفُ يَضحك إن عبَس

١٤ إِنْ تُقَارِبْهُ أَوْ تُبَاعِدْهُ مَا لَمْ
تَـأْتِ فَحْشَاءَ فَهُوَ مِنْكَ قَرِيبُ

(١) م ، ل ، ظ ، د : « طال » .

(٢) قال الصولى فى شرحه : إذا طال الخطب فبلغ كل مبلغ نال نداه و بذله وراء ذلك حتى يزيله ، فنال منه الندى أكثر من ذلك . وقال ابن المستوفى : والذى أراه أنه أراد أن هذا الممدوح كلما أطال عليه الخطب نال منه الندى والبذل فى إنفاق ما له مالا تنال الخطوب منه . ويجوز أن تكون الهاء فى « منه » عائدة على ماله ويكون قد حذف المضاف إليه . وفى نسخة : أى هو أذهب لماله من الخطوب ، و « منه » أى من الممدوح . وقال الخارزنجى : ويروى « وإذا الخطب زال » .

(٣) بقية كلام الصولى كما جاء فى شرحه : وهذا المعنى الأخير من قول الشاعر :

ليالى إذ سمع الغـوانى وطرفهـا إلى وإذ ريحى لهـن جنوب

أى أجمعهن بحسنى وشبابى ، كما تجمع الجنوب الغيم .

١٥ ما التقَى وَفْرُهُ ونائِلهُ مُذْ كانَ إلاَّ وَوَفْرُهُ المغْلُوبُ

١٦ فهْوَ مُدْنٍ لِلجُودِ وهو بَغِيضٌ
وهْوَ مُقْصٍ للمالِ وهْوَ حَبيبُ

١٦ — « مُدْن للجود » من نفسه إكراماً له ، وهو بغيض عند غيره ، و « مُقصٍ » أى مُبعِّد [للمال] من نفسه وهو حبيب إلى الناس كلهم .

١٧ يَأْخُذُ الزَّائِرِينَ(١) قَسْرًا ولَوْ كَفَّ
(م) دعاهُمْ إليْهِ وَادٍ(٢) خَصِيبُ

١٨ غيْرَ أنَّ الرَّامِي المُسَدِّدَ يحْتَا
ط مَعَ العِلْمِ أنَّهُ سَيُصِيبُ

١٨ — [ص] يقول : يأخذ الزائرين قَسْرًا ولو كفَّ لجاؤوه ، فمثله كمثل الراعى الحاذق ، يعلم أنه يصيب كيف رمَى ، ومع ذلك يحتاط بأن يصنع صَنيعًا جدًّا .

(١) ظ : ويروى « يأخذ المعتفين » وهى رواية د .
(٢) فى ظ : روى الخارزنجى « جزع خصيب » .

٢٤

وقال يعود محمد بن عبد الملك الزَّيات فى علَّته (١) :

١ لا عَيْشَ أَوْ يَتَحامَى جِسْمَكَ الوَصَبُ
فَتَنْجَلِى بِكَ عَنْ خُلْصانِكَ(٢) الكُرَبُ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

« الوَصَبُ » دوام المرض ، وعَذابٌ واصِبٌ أى دائم ، وأوصَبَ الحمارُ إذا دامَ على سَوْق أتُنِه ، قال العجّاج :

* إذا رَجَتْ مِنْه نجاءً أو صَبَا (٣) *

٢ لَعاً أَبَا جَعْفَر واسْلَمْ فَقَدْ سَلِمَتْ
بِكَ المرُوءَةُ واستَعْلَى بِكَ الحَسَبُ

« لَعًا » كلمة تقال للعاثر ، معناها انتعشْ من عثْرتك ، واستعارها للمرض لأنه جعله كالعِثار .

٣ إنَّا جَهِلْنا فَخِلْنَاكَ اعتَلَلْتَ ولا
واللهِ مَا اعتَلَّ إلَّا المُلْكُ(٤) والأَدَبُ

(١) قال الصولى : وقيل هى فى غيره .

(٢) د : « عن إخوانك النوب » ورواية « الكرب » فوقها — هـ ب : « إخوانك » .

(٣) ب ، ن : « إذا رجت منه رجاء » .

(٤) ل ، م : ويروى : « إلا الظرف والأدب » .

٢٥

وقال [فيه][1] أيضًا :

١ يا مَغْرِسَ الظَّرْفِ وفَرْعَ الحَسَبْ

ومَنْ بهِ طَالَ لِسَانُ الأَدَبْ[2]

٢ إنَّا عَهِدْنَاكَ أَخَا عِلَّةٍ بِالأَمْسِ نَالَتْكَ بِبَعْضِ الوَصَبْ

٣ فَكَيْفَ أَصبحتَ ولا زِلْتَ فى عَافِيَة أذيَالُهَا تَنْسَحِبْ ؟

٣ — كسرة الحاء سناد عند الخليل ، وعند الأخفش ليس بسناد .

---

(١) زيادة عن د .

(٢) هـ ل ، هـ م : « لسان العرب » .

٢٦

وقال :

١ أَبَا جَعْفَرٍ أَضْحَى بِكَ الظَّنُّ مُمْرِعاً
فَمِلْ بِرَوَاعِيهِ عَنِ الأَمَلِ الجَدْبِ

« رَوَاعِيه » أوائله ومَبَاديه(١) .

٢ فَوَاللهِ مَاشَيْءٌ سِوَى(٢) الحُبِّ وَحْدَهُ
بِأَعْلَى مَحَلًّا مِن رَجائِكَ فى قَلْبِى

آخر البائيات فى الأصل وفى نسخة المرزوقى .

---

(١) قال ابن المستوفى : أراد جمع راعيه ، إما للمبالغة فى المذكر ، وإما على أصل المؤنث ، وجاء بذلك لقوله « ممرعاً » وهو الكثير النبات ولقوله : « الأمل الجدب » .

(٢) ظ : ويروى « سوى الود » ويروى « سوى أن تعيش لى » .

٢٧

قافية التاء

وقال على قافية التاء يمدح حُبَيْشَ بنَ المُعَافَى قاضى نَصِيبين ورأس عين[١] :

١ نُسَائِلُها أَىَّ المَوَاطِنِ حَلَّتِ ... وأَىَّ دِيَارٍ[٢] أَوْطَنَتْها وأَيَّتِ

الثانى من الطويل والقافية متدارك .

« أوطَنَتْها » جَعلتْها وطنًا . (ع) : جَرَى فى هذا البيت كلام فى دار العلم ببغداد ، وكان ثَمَّ رجل يُعرف بمحمد بن الوليد الواسطى قد قرأ على أبى سعيد السيرافى وأبى على الفارسى ، فحكى عن أبى سعيد أنه كان يقول إنّ أبا تمام أراد « أيَّهْ » بالوقف من قولهم أىْ وأيَّه ، ثم كسر كما قال عنترة :

* إنّى امرؤ سأموتُ إن لم أقتَلِ[٣] *

وهذا قول ضعيف جدًّا ، وقد حمَلَ بعضَ الناس الفرارُ من كسر التاء فى « أيَّتِ » على أن رَوى « وعن أى دارٍ » لتكون الكلمة التى فى القافية معطوفةً على « أىّ » المخفوضة بـ « عن » . وكان الذى سأل عن هذا البيت أبا نصر أحمد بن يوسف المُنازى فقال : إنما أراد « أيَّتْ » فى معنى تأيَّتْ من التَّأيّى ، وهذا قول حَسَنٌ ، وهو يُشبه مذهب أبى تمام فى الصنعة ، إلا أن المعروف من كلام العرب تأيَّيْتُ ، ولم يجئ فى أشعارهم أيَّيْتُ[٤] ويجوز أن يكون أبو تمام سمعها فى شعر

---

(١) جاء فى د بعد قوله (قاضى نصيبين) : وهى غريبة من شعره . وفى نسخة ك جاء : وكان أبو مالك لا يعرفها . (٢) فى ظ : روى الآمدى « وأية دار » وهى فى ه ب .

(٣) صدر البيت : فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى .

(العقد الثمين ص ٤٢)

(٤) قال الآمدى فى ظ : ولم أسمع فيه أيا بالمكان إذا أقام به ، وإنما يقال تأيا وتأيت ، وتأييت بالمكان إذا تحبست فيه ، وأظنه أراد « أية » على تكرير السؤال ، وهو من لفظه الردىء .

وقال ابن المستوفى : ونقلت من خط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزنى مما كتبه على حواشى كتاب الآمدى : السؤال فى هذا البيت عن « أيت » الذى هو القافية لم كسره وهو يستحق النصب إذا كان تكريراً ؟ فيقال : إنه قدر فيه السكون الذى يجوز فى القوافى ثم أطلقه إلى الكسر كما يطلق الساكن .

قديم ، لأنه كان مستبحرًا فى الرواية . وطَرْح التاء الأولى فى « تأيَّيْتُ » جائز فى القياس ، كما قالوا غَنَّيتُ وتَغَنَّيت ، وبَخترتُ وتَبخترتُ ورَهْيَأْتِ السحابةُ وتَرَهْيَأْتْ ، ونحو ذلك .

٢ وماذا عَليْها لَوْ أَشارَتْ فَودَّعَتْ
إلينا بِأَطرافِ البَنان وأَوْمَتِ

[ع] فَرْق بين « أشارتْ » و « إلينا » بقوله « فودَّعتْ » وذلك جائز . و « أومَتْ » جاء به على تَرْك الهمز ، وقد حُكِى أَوْمأتْ وأومَتْ ووَمأتْ ووَمَتْ ، وأنشدوا بيتًا يُنسب إلى العَرْجى :

أومَتْ بِكَفَّيها مِن الهَوْدجِ لولاكَ هذا العامَ لم أَحْجُجِ

وقال آخر :

فقلنا السَّلامُ فاتَّقَتْ من أميرهـــا فما كانَ إلاَّ وَمْؤُها بالحَواجِبِ (١)

٣ ومَا كانَ إلاَّ أَنْ تَولَّتْ بهَا النَّوَى
فَوَلَّى عَزاءُ القَلْبِ لَمَّا تولَّتِ

٤ فأَمَّا عيُونُ العَاشِقينَ فَأُسْخِنَتْ
وأَمّا عيُونُ الشامِتينَ فَقَرَّتِ

٥ ولَمَّا دَعانِى البَيْنُ وَلَّيْتُ إذْ دَعا
ولمَّـــا دعَاها طاوعَتْهُ ولَبَّتِ

٦ فَلَمْ أَرَ مِثْلِى كانَ أَوْفَى بِذِمَّةٍ
ولا مِثْلَها لم تَرْعَ عَهْدِى وذِمَّتِى

(١) البيت فى اللسان مادة « ومأ » غير منسوب ، وقال : أنشده القنانى .

٧ مَشُوقٌ رَمَتْهُ أَسْهُمُ البَيْنِ فانْثَنَى
صَرِيعاً لها لمَّا رَمَتْهُ فأَصْمَتِ

٧ – يقال أصمَى الرَّامى رميَّتَه إذا قتلَها مكانَها ، وأنماها إذا تَحامَلَت بسهمه فغابت عنه ، وفى الحديث : « كُلْ ما أصمَيْتَ ودَعْ ما أنميْتَ » .

٨ ولَوْ أَنَّها[1] غَيْرُ النَّوَى فَوقَتْ لَهُ
بِأَسْهُمِها لَمْ تُصْمِ فيهِ وأَشْوَتِ

أى أصابت الشَّوَى وأخطأت المقتل .

٩ كأَنَّ عَلَيْها[2] الدمْعَ ضَرْبَةُ لازِبٍ[3]
إذَا ما حَمَامُ الأَيْكِ فى الأَيْكِ غَنَّتِ

« الأيْك » الشجر الملتفُّ ، وأكثر ما يقولون غَنَّى الحمام ، وحمام مُغنٍّ ، والتأنيث جائز فى كل جمع ليس بينه وبين واحده إلاّ الهاء ، مثل نَخْل ونخلة ، وتَمْر وتمرة ، إلاّ أنّ بعض جُموع هذا النوع يغلب عليه التذكير ، وبعضها يغلب عليه التأنيث ، والوجهان جائزان فى ذلك كله .

١٠ لئِنْ ظَمِئَتْ أَجفانُ عَيْنِي إلى البُكا
لقَدْ شَرِبَتْ عَيْنى دَماً فَتَرَوَّتِ

١١ عَليهَا سَلامُ اللهِ أَنَّى اسْتَقَلَّتِ
وأَنَّى اسْتَقَرَّتْ دَارُها واطْمَأَنَّتِ

(١) ك ، ظ : « ولو أنه » وقال ابن المستوفى : وروى بهاء التأنيث ، ومن رفع « غير » جعل الهاء للشأن أو القصة ، ورفعه بالابتداء ، ومن نصب « غيراً » أبدله من الهاء .

(٢) م ، ل : « كأن عليه » .

(٣) م ، ل ، ك ، د : « لازم » .

١٢ ومَجْهُولَةِ الأعلامِ طامِسَةِ الصُّوَى
إذَا اعتَسَفَتْها العِيسُ بالرَّكْبِ ضَلَّتِ

١٢ – « الأعلام » جمع عَلَم ، وهو كلّ ما يُهتدَى به من جَبَل وغيره . و« الصُّوَى » جمع صُوَّة ، وهى أعلام من حجارة تُنصَب ليُهتدَى بها . [ع] وقوله « إذا اعتسفتها العيس » هذه الرواية أثبتُ من الرواية الأخرى التى هي « الريح » ، لأنّ قوله « بالرَّكْب » يشهد بأنه قال « العِيس » .

١٣ إذَا مَا تَنادَى الركْبُ فى فَلَوَاتِها
أَجابتْ نِدَاءَ الركْبِ فيها فأَصْدَتِ

[ع] « أصدَتْ » أفعلَتْ من الصَّدَى ، والأشبه أن يكون من الصَّدى الذى هو طائر ، أى إذا نادَى الرَّكْبُ أجابَهم الصَّدى ، ولا يمتنع أن يكون من الصَّدى الذى يجيب الإنسانَ إذا صاح[1] .

١٤ تَعسَّفْتُها واللَّيْلُ مُلْقٍ جِـرَانَهُ
وجَوْزَاؤُهُ فى الأُفْقِ حِينَ استقلَّتِ

١٥ بِمُفْعَمَةِ الأَنْسَاعِ مُوجَدَةِ القَرَا
أَمُونِ السُّرَى تَنْجُو إذَا العِيسُ كَلَّتِ

١٥ – [ع] « الأنساع » جمع نِسْع وهو سَيْر مضفور ، و« مفعمة » مملوءة . يريد أنها ذات بُدْن فهى تملأ الحبال والأنساع . و« المُوجَدَة » من قولهم آجَدَه الله أىْ قوّاه . و« القَرا » الظَّهر . و« أمون السُّرَى » أى يُؤمَن عِثارُها عند السُّرَى .

(١) فى ظ تكلة لكلام أبى العلاء ، قال : والقول الأول أشبه .

١٦ طَمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزِّمَامِ كَأَنَّما
تَخَالُ بِهَا مِن عَدْوِهَا طَيْفَ جِنَّةِ

١٧ إلى حَيْثُ يُلْفَى الجُودُ سَهْلًا مَنَالُهُ
وخَيْرِ امْرِئٍ شُدَّتْ إليهِ وحُطَّتِ[1]

١٧ — [ع] يروى «حَطَّتِ» بفتح الحاء وضمّها ، فمن فتَح الحاء جعل الفعل للناقة ، كأنّها إذا نزَل الركبُ عنها فقد حَطَّتْه . «وحَطَّت» يحتمل معنى آخر وهو من قولهم حَطَّتِ الناقةُ فى زِمامها إذا اعتَمدَتْ فيه ، ومنه قول النابغة :

فما وَخَدَتْ بِمِثْلِكَ ذاتُ رَحْلٍ حَطُوطٌ فى الزِّمامِ ولا لَجُونُ[2]

وإذا رُويت بضم الحاءِ فمعناه أُنِيخَتْ .

١٨ إلى خَيْرِ مَنْ سَاسَ الرَّعِيَّةَ عَدْلُهُ
ووَطَّدَ أَعْلامَ الهُدَى فاسْتَقَرَّتِ

١٩ حُبَيْشٌ حُبَيْشُ بنُ المُعَافَى الَّذِى بِهِ
أُمِرَّتْ حِبَالُ الدِّينِ حَتَّى اسْتَمَرَّتِ

١٩ — «حُبَيْش» مأخوذ من الحَبْش وهو الجَمْع .

٢٠ ولَوْلا أَبُو اللَّيْثِ الهُمَامُ لأَخْلَقَتْ
مِنَ الدِّينِ أَسبابُ الهُدَى وأَرَثَّتِ

يقال رَثَّ الشىءُ وأَرَثَّ ، وأرثَّ أكثر .

---

(١) ك : «وحلت» ورويتها ظ .

(٢) الديوان ص ٥٥ ، واللسان مادة «حطط» والأساس مادة «لجن» والرواية فيها : «ذات غرب» . والناقة الحطوط النجيبة السريعة واللجون الثقيلة المشى .

٢١ أَقَر عَمُودَ الدِّينِ فى مُسْتَقَرِّه
وقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ اللَّيالى وعَلَّتِ

٢٢ ونَادَى المَعَالِى فاسْتَجابَتْ نِدَاءَهُ
ولوْ غَيْرُه نَادَى المَعَالى لَصَمَّتِ

٢٣ ونِيطَتْ بحَقْوَيْهِ الأُمُورُ فَأَصبحَتْ
بظلِّ جَنَاحَيْهِ الأُمورُ اسْتَظَلَّتِ

٢٣ — « الحَقْو » مَعْقِدُ الإزار . وقوله « استَظلّتِ » كأنه حذَف « قد » منها ، كما قال النابغة :

أمسَتْ خلاءً وأمسَى أهلُها احتملوا أخنَى عليها الذى أخنَى على لُبَدِ (١)

٢٤ وأَحْيَا سَبِيلَ العدْلِ بَعْدَ دُثُورِهِ
وأَنهجَ سُبْلَ الجُودِ حينَ تَعفَّتِ (٢)

٢٥ ويُلْوِى بأَحْدَاثِ الزَّمَان انْتِقَامُهُ
إذَا مَا خُطوبُ الدَّهْرِ بالنَّاس أَلْوَتِ

---

(١) العقد الثمين ص : ٦

(٢) قال ابن المستوفى : « أنهج » بمعنى أوضح ، من قولهم طريق نهج أى واضح ، والمعروف نهجت الطريق بغير ألف إذا أوضحته ، ولعل « أنهج » لغة فيه . وقالوا فى تفسير قول يزيد بن خذاق الشنى :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المسالك والهدى يعدى

أنهج الأمر إذا اتسع ، قال الجوهرى فى تفسيره : أنهج الطريق أى استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً ، فعلى ما قالوه يجب أن يرفع « سبل الجود » بالفاعل ، ولم يأت فى « أنهج » بعلامة التأنيث لأنه غير حقيقى ، ويكون قد حذف منه ما فيه ضمير عائد إلى الممدوح ، نحو « به » أو نحوه . وقد روى « وأنهج سبل الجور حتى تعفت » .

٢٦ ويَجزيكَ بالحُسْنى إذا كنْتَ مُحْسِناً
وَيغْتَفِرُ العُظْمَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

٢٦ – هذا مثل يُضرَب لمن قَعَد به الدهر وأصابته رَزِيَّة ، وليس ثَمَّ نَعْل وإنما هو جارٍ مجرى قولهم استقدمَتْ راحلتُه ، وخَفَّتْ نَعامتُه .

٢٧ يَلُمُّ اختِلاَلَ المُعْتَفِينَ بجُودِهِ[1]
إذا ما مُلِمَّاتُ الأُمورِ أَلَمَّتِ

٢٨ هُمامٌ وَرِيُّ الزَّنْدِ مُسْتَحْصِدُ القُوَى
إِذَا مَا الأُمورُ المُشْكلاتُ أَظَلَّتِ

٢٨ – [ع] يقال وَرِيَ الزَّنْدُ إذ خرَجَتْ نارُه ، والزَّندُ وارٍ ووَرِىٌّ . و « مُستَحصِدُ القُوَى » من قولهم أحصَدتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فتلَه .

٢٩ إذا ظُلُمَاتُ الرَّأْيِ أُسْدِلَ ثَوْبُها
تَطلَّعَ فِيهَا فَجْرُهُ فَتَجَلَّتِ

[ع] المعروف « سُدِل » وهى اللغة العالية ، ويجوز أسدِل .

٣٠ بهِ انكَشَفَتْ عنَّا الغَيَايَةُ وانفرَتْ
جَلابِيبُ جَوْرٍ عَمَّنَا فاضْمَحَلَّتِ

« الغَيايَة » مثل الغَمامَة ، ويقال : غايا على رأسه بالسيف إذا أشرف عليه . و « انفرتْ » أى انشقَّت ، يقال : فرَيتُ الثوبَ وغيرَه إذا شققته ، والفرْى يكون على سبيل الإصلاح والإفساد ، والإفراء على سبيل الإفساد لا غير ، وقولهم فى المثل : هو يفرِىَ الفرِىَّ ، أى يعمل عملاً محكماً .

(١) ل : « نواله » وبهامشها رواية الأصل .

٣١ أَغَرُّ رَبِيطُ الجَأْشِ مَاضٍ جَنَانُه

إِذَا ما القُلُوبُ المَاضِياتُ ارجَحَنَّتِ

[ع] « ارجحنَّتْ » فى معنى ثقُلتْ[1] ، ووزن « ارْجحنَّ » عند سيبويه « افْعلَلَّ » ، وقال غيره : وزنه «افْعَلَنَ» كأنه عنده من الرّجحان ومن رَجح ، وقال قوم : ارجحنَّ الشجر إذا سقط ثمرُه ، وهذ يرجع إلى معنى الثِّقل ، وكذلك قولهم ارجحنَّ إذ لم يَبْرح من مكانه ، قال عَدِيّ بن زيد :

أَيُّها القَلْبُ تَعلَّلْ بِدَدَنْ ... إنّ هَمّى فى سماعٍ وأذَنْ

وشـرابٍ خُسْـروانىٍّ إذا ... ذاقَه الشيخُ تَغنَّى وارجَحَنْ

٣٢ نَهُوضٌ بِثِقْلِ العِبْءِ[2] مُضْطَلِعٌ بِهِ

وإِنْ عَظُمَتْ فيه الخُطوبُ وجَلَّتِ

٣٣ تَطُوعُ لَهُ الأَيَّامُ خَوْفاً ورَهْبَةً

إِذَا امتنعَتْ مِن غيره وتَأَبَّت

٣٣ — « تَطُوع » أخذه من طاعَ يَطُوع ، فإذا حُذفت الهمزةُ من « أطاع » جاءوا باللام فقالوا : طاع له ، ولا يقولون طاعَه ، قال الراجز :

فقلتُ للقَلْبِ ذَرِ اتِّبَاعَها

فطَـاعَ لى وطالَمـا أطاعَها

ويقولون : قد أطاع له المَرْعَى إذا أمكنَه .

(١) قال ابن المستوفى : لا معنى لذكر الثقل فى معنى بيت أبى تمام ، اللهم إلا أن يريد بذلك أنها ثقلت عن المضى فلم تبرح . قال الجوهرى : ارجحنّ الشىء مال ، وارجحن الشىء اهتز ، فإذا أخذ معنى ارجحنّت فى بيت أبى تمام من الميل والاهتزاز كان أولى من أن يكون مأخوذاً من الثقل ، لأنه يريد : إذا القلوب الماضيات مالت أو اهتزت خوفاً . . . و « ارجحن » فى بيت عدى بالميل والاهتزاز أليق به من قوله « إذا لم يبرح مكانه » لأن الميل والاهتزاز مما تحدثه الخمر بشاربها غالباً ، وهما أحسن فى وصفها من إقامة الشارب فى مكانه ، ويؤيد ما ذكرته رواية من روى : « إذا ما القلوب الماضيات ارثعنت » وقال « ارثعنت » زالت عن مواضعها . وقال الجوهرى : الارثعنان الاسترخاء . ويروى : « إذا ما القلوب الرابطات » ويروى : « الراضيات » ، وهذه الرواية ليست بشىء . (٢) ك ، د : الخطب » .

٣٤ لَهُ كلَّ يَوْمٍ شَمْلُ مَجْدٍ مُؤَلَّفٍ
وشَمْلُ نَدًى بَيْنَ العُفَاةِ مُشَتَّت

٣٥ أَبَا اللَّيْثِ لَوْلَا أَنْتَ لَانْصَرَمَ النَّدَى
وأَدْرَكَتِ الأَحْدَاثُ مَا قَدْ تَمَنَّت

٣٦ أَخَافَ فُؤَادَ[1] الدَّهْرِ بَطْشُكَ فَانْطَوَتْ
على رُعُبٍ أَحْشَاؤُهُ وأَجَنَّت

٣٧ حَلَلْتَ مِنَ العِزِّ المُنِيفِ مَحَلَّةً
أَقَامَتْ بِفَوْدَيْهَا العُلَى فَأَبَنَّتِ

٣٨ لِيَهْنِئْ تَنُوخاً أَنَّهُمْ خَيْرُ أُسْرَةٍ
إِذَا أُحصِيَتْ أُولَى البُيُوتِ وعُدَّتِ

٣٨ – أصل « البَيْت » ما بُنِى مِن مَدَرٍ أو شَعَر أو أَدَم ، وهذا اسم عام ، ثم قالوا : فلان من أهل بيت ، يريدون به الشرف ، فهذا تخصيص وقع بلفظ العُموم ، كما يقال : فلان إنسان ، يُراد به المدح ، وقد عُلِم أنّ بنى آدم كلُّهم يقع عليه هذا الاسم .

٣٩ وأَنَّكَ منها فى اللُّبابِ الَّذِى لَهُ
تَطَأْطَأَتِ الأَحْيَاءُ صُغْرًا[2] وذَلَّتِ

٤٠ بَنَى لِتَنوخَ اللهُ عِزًّا[3] مُؤَبَّدًا
تَزِلُّ عليهِ وَطْأَةُ المُتَثَبِّتِ

---

(١) د : « جنان » . (٢) « قسراً » .
(٣) م : « مجداً مؤبداً » وبهامشها رواية الأصل – ل : « عزا موطداً » . د : « عزا مؤيداً » .

٤١ إِذَا ما حُلُومُ النَّاسِ حِلْمَكَ وازَنَتْ
رَجَحْتَ بِأَحْلَامِ الرِّجَالِ وخَفَّتِ

٤٢ إِذَا مَا يَدُ الأَيَّامِ مَدَّتْ بَنَانَهَا
إليك بِخَطْبٍ لَمْ تَنَلْكَ وشَلَّتِ

٤٣ وإِنْ أَزَمَاتُ الدَّهْرِ حَلَّتْ بِمَعْشَرٍ
أَرَقْتَ دِمَاءَ المَحْلِ فيها فَطُلَّتِ

٤٤ إذا مَا امتَطَيْنا العِيسَ نَحْوَكَ لمْ نَخَفْ
عِثَارًا ولَمْ نَخْشَ اللَّتَيَّا ولَا الَّتِي

٤٤ — أصل « التى » و « الذى » فى كلامهم أن يكونا اسمَيْن ناقصين لا يَتمَّان إلاَّ بصلة ، وشَذَّ قولُهم فى المثل : فعله بعد اللَّتيا والتى ، أى بعد المَشقَّة والجَهْد ، ولا يكادون يُفردون : « اللتيا » من « التى » ، وقال بعضهم : يريدون بـ « اللَّتيا » ما صَغُر من الأمور ، و بـ « التى » ما عَظُم منها ، وكأنَّهم يكنون بهذين الاسمَيْن عن الدَّاهية .

٢٨

وقال يمدح مالك بن طوق[١] :

١ أَقولُ لِمُرْتادِ النَّدَى عِنْدَ مالِكٍ

تَعَوَّذْ بِجَدْوَى مَالِكٍ وصِلَاتِهِ

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

أصل « المرتاد » الذى طلب الكلأ .

٢ فَتًى جَعَلَ المعْرُوفَ مِن دُونِ عِرْضِهِ

سَرِيعاً إلى المُمْتَاحِ قَبْلَ عِدَاتِهِ

« المُمتاح » الرجل الذى يطلب ما عند الرجل من النَّيْل ، وأصلُه من المَيْح ، وهو أن ينزِل المائحُ إلى أسفل البئر فنأخذ ما فيها من الماء .

٣ ولَوْ قَصَّرَتْ أَموالُهُ عَنْ سَماحِهِ

لقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَياتِه

٤ وإن لَمْ يَجِدْ فى قِسْمةِ العُمْرِ حِيلَةً[٢]

وجازَ لَهُ الإِعْطاءُ مِن حَسَناتِهِ

٥ لَجَادَ بِهَا مِن غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ

وآسَاهُمُ مِن صَوْمِهِ وصَلَاتِهِ

٥ — الصواب « وآساهم » لأنه من تصييره إيّاهم أسوته أى مثله ، إلا أن

(١) جاء فى ك على رأس هذه القصيدة بعد قوله « وقال يمدح بن طوق » : وروويت لغيره .
(٢) د : « موضعاً » .

العامة يقولون « واساه » ، وقد استعملوا مثل ذلك فى مواضع كثيرة ، مثل آكَلَه وآخاه . وبعض أهل العلم يزعم أنه لا يجوز ، وإنما حملهم على إثبات الواو فى الماضى أنهم قالوا فى المضارع يُواسى ويُواكل ، فحَسُن تَخفيفُ الهمزة وكونها واواً لأنها مفتوحة وقبلها ضَمَّة وكانت الواو أخفَّ عليهم ، فلما ألفوها فى المضارع واسم الفاعل إذْ قالوا مُوَاسٍ ومُواكل جاءوا بها فى الماضى كذلك .

٢٩

قافية الثاء

قال يمدح مالك بن طَوْق ويستبطئه :

١ قِفْ بالطُّلُولِ[١] الدَّارِساتِ عُلَاثَا
أَمسَتْ[٢] حِبَالُ قَطِينهِنَّ رِثَاثَا

الثانى من الكامل والقافية متواتر .

[ع] أراد ترخيم « عُلاثَة » . ويقال إنه كان مع أبى تمام غلامٌ يقال له عُلاثَة ، فيجوز مثل ذلك . وقد يحتمل أن يَفتعل الشاعرُ أسماءً لغير موجودين فيستعين بها فى القافية وحَشْو البيت ، كقول النابغة :

* أمِنْ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتدِى[٣] *

وقوله :

* أتَارِكةٌ تَدلُّلَهـا قَطَـامِ[٤] *

وقوله :

* عَفَا ذُوحُسًى مِن فَرْتَنَا فالفَوارِعُ[٥] *

فيحتمل أن تكون هذه أسماءَ نساء موجودات ، ولا يمتنع أن يَكُنَّ فى العدَم ،

(١) د ، ظ : « بالديار » .
(٢) م ، ل ، س ، ظ ، ك : « أضحت » .
(٣) البيت :
أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
(الديوان ص ٢٧)
(٤) البيت :
أتاركـة تدللهـا قطام وضنـًّا بالتحية والكلام
(الديوان ص ٧٣)
(٥) البيت :
عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع
(الديوان ص ٤٨)

لأنّ الشّعر بُنِى على ذلك[١]. فأمّا رواية مَن يكسر العين فهى رديئة جداً ، لأنه يريد به العَلَث ، وإنما يأخذه مِن عَلَثْتُ الشعيرَ بالحِنْطة إذا خلَطْته بها ، أى اخلِطْ فى أفعالِك وقُوفَكَ بهذه المنازل[٢]. و « القَطِين » أهل الدار . و « الرّثاث » جمع رَثّ .

٢ قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وقَبُولِهَا ودَبورِهَا أَثْلاثَا

قيل فى « القَبُول » إنها هى الصَّبَا ، وقال النَّضْر بن شُمَيْل : القَبُول رَيح بين الصَّبَا والجَنُوب ، وقال ابن الأعرابى : القَبُول كلّ ريحٍ لَيِّنة طيِّبةِ المسّ تَقبلها النفس ، فليس للرد على أبى تمام وجه[٣] .

٣ فَتَأَبَّدَتْ مِن كُلِّ مُخْطَفَةِ الحَشَا غَيْدَاءَ تُكْسَى يَارَقًا ورعَاثَا

[ع] « تأبّدَتْ » خلَتْ وأوحشَتْ ، وهو مأخوذ مِن الأبَد ، يريد أنّ الدهر طال عليها . و « اليَارَق » ضَرْب من الحُلِىّ ، أعجمىّ مُعرّب . و « الرّعاث » جمع رَعْث ورَعَثة وهو القُرْط * و « الغَيْداء » الطويلة العُنق . [ص] وسُمِّيت القِرَطَة الرِّعاثَ لاسترسالها ، وأصل الرَّعْث الاسترسال ، ورَعَثَاتُ الديك ما تدلّى تحت حَنَكه .

٤ كالظَّبْيَةِ الأَدْمَاءِ صَافَتْ فارْتَعَتْ زَهَرَ العَرَارِ الغَضِّ والجَثْجَاثَا

« الأدْماء » من الظِّباء التى يعلو لونَها سُمْرة . و « صافَتْ » أتى عليها

(١) قال الصولى : ويروى أبو مالك « علاثا » وفسرها بقوله أى قليلا .

(٢) قال ابن المستوفى يرد على أبى العلاء : قول المعرى « أى اخلط بأفعالك وقوفك بهذه المنازل » لا معنى له يدل عليه اللفظ ، وكيف رويت لفظة « علاثا » فهى رديئة ، ولو أن علاثة غلامه على الحقيقة لوجب عليه تجنب هذه اللفظة واطراحها لغرابتها .

(٣) قال ابن المستوفى : الصحيح أن الصبا هى القبول ، وما الذى منع أبا تمام أن يجعل موضع « قبولها » « جنوبها » فكان يسلم من هذا التشنيع عليه ؟

الصيف . و « العرار » و « الجثجاث » ضربان من النبت يوصفان بطيب الرائحة ، وذكر بعض أهل اللغة أن العرار لا يأكله شيء من المال(١) .

٥ حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الخَرِيفُ رِوَاقَهُ
سَافَتْ بَرِيرَ أَرَاكِهِ وَكَبَاثَا

. (ع) « البرير » والكباث صنفان من ثمر الأراك ، ويقال إن البرير الغض منه ، والكباث ما قد بدا فيه اليبس ، وقال قوم : البرير اليابس من ثمره . وقوله « ضرب الخريف رواقه » مثل استعاره للخريف ، يقال : ضرب فلان رواقه فى المكان إذا أقام فيه ، و « الرواق » ما قدام البيت . و « سافت » شمت ؛ فعبر بمقدمته عن الأكل لأنها تشم أولا ثم تأكل . والأشبه أن يكون « سفت » لأن الشعراء كذا يذكرون ، قال النابغة :

تسف بريره وترود فيه إلى دبر النهار من القسام (٢)

وقال آخر :

وعهدى بحومل فيه الخليط كأدم الظباء تسف البريرا

وإذا سفته فقد سافته ، وكلا الوجهين حسن سائغ .

٦ سَيَّافَةُ(٣) اللَّحَظَاتِ يَغْدُو طَرْفُهَا
بِالسِّحْرِ فِى عُقَدِ النُّهَى نَفَّاثَا

٧ زَالَتْ بِعَيْنَيْكَ الحُمُولُ كَأَنَّهَا
نَخْلٌ مَوَاقِرُ مِنْ نَخِيلِ جُوَاثَا

٧ — « جواثا » موضع يوصف بكثرة التمر والنخيل . و « الحمول » أحمال القوم المتحملين ، ويجوز أن يقال للقوم حمول كما يقال شهود أى

(١) المال : إذا أطلق عند أهل البادية أرادوا به الإبل .

(٢) العقد الثمين ص : ٢٨ ، والرواية فيه : « من البشام » .

(٣) قال الصولى : ويروى « حسانة اللحظات » يريد أن طرفها لحسنه يسبى ذوى العقول .

شُهَّاد ، وهذا المعنى يتردَّد فى الشعر كثيرًا ، يُشبهون الحُمول بالنخل المَواقِر وهى الكثيرات الحَمْل، إذا كانت مَواقر فإنّ بعضها يكون أصفر و بعضَها أحمر وبعضها أخضر . ويروى : « رَادت بعينيك » .

٨ يَوْمَ الثُّلاثا لَنْ أَزالَ لِبيْنِهِمْ
كَدِرَ(١) الفُؤادِ لِكُلِّ يَوْمِ ثُلاثَا

أصل « الثلثاء » المدّ ، وقَصْره جائز ، وكأنه من قولهم : صلوة الأولى ، وهم يريدون الصلوة الأولى ، وكذلك هو اليوم الثلثاء ، فأضِيف اليومُ إلى صِفته أو المُبدَل منه .

٩ إنَّ الهُمومَ الطَّارِقاتِكَ مَوْهِنًا
مَنعَتْ جُفونَكَ أَنْ تَذُوقَ حَثَاثَا

[حَثاثًا] أى نومًا قليلاً ، ولا تستعمل إلاّ فى النفى(٢) .

١٠ وَرأَيْتَ ضَيْفَ الهَمِّ لا يَرْضَى قِرًى
إلَّا مُداخَلَةَ الفَقَارِ دِلَاثَا

[ع] « ضيف الهم » ما طَرَق منه، شُبِّه بالضيف من بنى آدم. و « الفَقَار » خَرَزُ الظهر ، و « الدِّلاث » الناقة الجريئة على السير ، وهذا معنى يتكرر فى أشعار العرب ، يجعلون للهم قِرًى ، قال الشاعر :

وأقْرِى الهمومَ الطارقاتِ حَزَامةً إذا كَثُرَتْ للطَّارِقاتِ الوسَاوِسُ

وقال آخر :

وإنى لأَقْرِى ضَيْفَ هَمِّى جَسْرةً بِدَأْيَتيهَا والقُصْرَيينِ عُلُوبُ(٤)

---

(١) س : « أصفى العداوة كل يوم ثلاثا » — هـ ك « أولى العداوة » .

(٢) قال الصولى : يقال : ما ذقت غماضاً ولا حثاثاً أى ما نمت ، والحثاث (بفتح الحاء وكسرها) القليل من النوم ، كذلك الغماض . (٣) ك : « لا يبغى » .

(٤) « الجسرة » الناقة الماضية . « والدأية » فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير خاصة . و « القصريان » ضلعان يليان الترقوتين . و « علوب » جمع علب ، والعلب أثر الضرب وغيره . يريد أنه إذا حل به الهم رحل بناقة هذه صفتها .

١١ شَجْعَاءَ(١) جِرَّتُها الذَّمِيلُ(٢) تَلُوكُهُ
أُصُلًا إذا رَاحَ المَطِيُّ غِرَاثا

(ق) : « الشَّجْعاءُ » الطويلة وقيل : هى التى بها جنون من نشاطها . و « الذَّميل » السير السريع ، و « الجِرَّةُ » ما تُخرجه الناقة من جوفها إلى فمها وتَجتَرّ به ، و « تَلُوكه » تمضُغُه . و « الأصُل » العشيَّة ، و « الغراثُ » الجياع ، واحدها غَرْثان . يصف ناقةً فيقول : هى نشيطة تجترّ بالذَّميل إذا جاءَ الوقت الذى تكلّ فيه الإبلُ وهو العشيَّة متى سارت النهارَ كلَّه ، أى تسير سيرًا سريعًا . وجعل الاجترارَ مثلاً للحوق الكلال وانقطاع القُوَى والأشْر ، يقول : هى تصل السَّيْر بالسُّرَى باقيًا نشاطُها إذا حسَرت الإبلُ وكلَّتْ قُوَاها ، ويفسِّرُه البيت الذى بعده وهو :

١٢ أُجُدًا إذا وَنَتِ المَهَارَى أَرْقَلَتْ
رَقَلاً كتَحْرِيقِ الغَضَا حَثْحَاثَا(٣)

١٣ طَلَبتْ فَتَى جُشَمِ بنِ بَكْرٍ مَالِكًا
ضِرْغَامَهَا وهِزَبْرَها الدِّلْهَاثَا

١٣ – يقال أسَدٌ دِلْهاث ودُلاهِثٌ أى جرىء . ومَن زعم أن الهاء فى « هِبْلعَ » زائدة جاز أن يدَّعى أنَّها فى « دِلهاث » كذلك وأنه من الدّلاث .

١٤ مَلِكٌ إذَا استَسْقَيْتَ مُزْنَ بَنَانِهِ
قَتَلَ الصَّدَى وإذا استغَثْتَ(٤) أَغَاثَا

(١) فى ظ : روى الخارزنجى « سفعاء » .
(٢) قال الصولى : وروى « جرتها الثميل » يريد ما فى جوفها ، وهو تصحيف .
(٣) قال الصولى : قد بين البيت الأول بهذا البيت . وناقة « أجد » صلبة وثيقة ، و « حثحاث » سريع .
(٤) س ، ك : « وإذا استغيث » .

١٥ قَدْ جَرَّبَتْهُ تَغْلِبُ ابْنَةُ وَائِلٍ
لا خَاتِرًا[١] غُدَرًا ولا نَكَّاثَا

١٥ — [ع] « الخاتِرُ » مثل الغادر إلاّ أنه أشدّ مبالغة . ومَن روى « غَدْرًا » بفتح الغين وإسكان الدال نَصَبَ « غَدْرًا » لأنه مفعول له ، ومن روى « غدَرًا » بضم الغين وفتح الدّال فهو من قولهم رجل غُدَر أي غادر ، ويَنصِب « غُدَرًا » على الصفة ، ومَن روى « غَدِرًا » بفتح الغين وكسر الدال فهو راجع إلى معنى الغَدْر أيضًا ، إلا أنه لا يُستعمل في مكان الغادر وإنما يكون مستعارًا له ، يأخذُه مِن الليل الغَدِر والمُغْدِر وهو المظلم ، ومن المكان الغَدَر وهو الذي فيه حِجارة وشقوق ويَصعُب الثبات فيه ، ومنه قولهم إنه لَثَبْتُ الغَدَر . و « النكَّاثُ » الذي يَنكُث ما يَعقِدُ مِن الأمور .

١٦ مِثْلُ السَّبِيكَةِ لَيْسَ عَنْ أَعْرَاضِهَا
بالغَيْبِ لا نَدُساً ولا بَحَّاثَا

« مثل السَّبِيكة » في صَفائه ونَقائه ، واسم « ليس » مُضمَر فيها ، و « نَدُسًا » خبر ليس . أي هو مثل السَّبيكة لا يشتغل بالبحث عن أعراض قبيلته لِعفته وإقباله على شأنه . و « النَّدْس » الذي يكشف الأمور عن أخبار الناس ، ويُستعمل النَّدْسُ في الصفة بالطَّعن ، يقال : نَدَسَه إذا طَعَنَه ، قال جرير :

نَدَسْنا أبا مَنْدُوسَةَ القَيْنَ بالقَنَا ... وما رَدَمٌ مِن جارِ بَيْبَةَ ناقِعُ[٢]

« بَيْبَةَ » اسمُ إنسان . [ص] ويقال تَنَدَّس أي تَبحث الأخبار[٣] .

---

(١) ظ : ويروى « لا خاتلا عهداً » .

(٢) الديوان ص : ٣٧٢ .

(٣) تكلمة شرح الصولي : وقال ذو الرمة :

وقد توجس ذكـراً مقفر ندس ... بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

١٧ ضَرَحَ القَذَى عَنْها وشَذَّبَ سَيْفُهُ
عَنْ عِيصِها الخُرَّابَ والخُبَّاثَا

يُقال : « ضَرَح » القَذَى إذا أزالَه ودَفَعه ، وأصلُه من ضَرَح الدَّابَّةُ بِرجْله ، وبالدابةِ ضِراح إذا كان يفعل ذلك . وأصل « التَّشذيب » التفرقة . و « العِيص » الشجر الملتف . [ع] و « الخُرَّاب » جمع خارب وهو الذى يَسرِق الإبلَ خاصةً * ، ثم استُعير فى كل سارق وصاحبِ غَدْر ، قال الراجز :

والخاربُ اللِّصّ يُحبّ الخَارِبَا
وتلك قُرْبَى مِثْلَ أن تَنَاسَبَا
أنْ تُشْبِهَ الضرائبُ الضَّرائبَا

[ع] و « الخُبَّاث » جمع خابث ، والمُسْتعمَل خبيث * ، وأجمعت القُرَّاء على قراءتهم « والذى خَبُثَ لا يَخرج إلاّ نَكِداً » بضم الباء ، فهذا يَدلّ على أنّ قولهم خَبِيث هو المشهور . [ع] وقد يجوز أن يُقال « خابث » على غير الفعل أى ذُو خُبْث ، كما يقال « تامرٌ » و « لابِنٌ » .

١٨ ضَاحِي المُحَيَّا لِلْهَجِيرِ ولِلْقَنَا
تَحْتَ العَجَاجِ تَخَالُهُ مِحْرَاثَا

أى بارز للشمس، وكلّ مُنكشف ضاحٍ . و« المِحراث » عُود تَحرك به النار .

١٩ هُمْ(١) مَزَّقُوا عنْهُ سَبائِبَ حِلْمِهِ
وإذا أَبُو الأَشْبَالِ أُحرِجَ عَاثَا

« السبائب » جمع سبِيبة ، وهى شُقَّة مُستَطِيلة ، وإنما أخذ من سَبَبْتُ

(١) د : « قد » .

الشيء إذا قطعتَه . « وأحرِجَ » أى ضُيِّق عليه . [ص] يذكر قتْلَه لمَّا وُلِّى نَصِيبين جماعةً من بنى تغلب .

٢٠ لَوْلا القَرَابَةُ جَاسَهُمْ بِوَقائِعٍ[1]
تُنْسِى الْكُلابَ ومَلْهَماً[2] وبُعَاثَا

[ع] يقال « جاس » البلادَ والقومَ ، والجَوْس التخلُّل . و « مَلْهَم » موضعٌ كثيرُ النخيل[3] . و « بُعاث » موضع بالمدينة كانت فيه الحرب بين الأوس والخزرج ، وأكثر الناس يقولون بُعاث بعين غيرِ مُعجمة * وذكره الخليل بغين معجمة ، وذكر بعضُ من اجتاز بيثرب أنه دخلها وسأل عن هذا الموضع فأروْه إياه ، وأنهم يقولون فى اسمه « بُغاث » بالغين .

[ص] و« مَلْهَم » يوم بين تَميم وحَنيفة و « الكُلابُ »[4] بين عبد يَغُوثَ ابنِ وقَّاص الحارثىّ وبين قَيْس بن عاصم المِنْقَرِى ، فأسرتْ تَميم الرِّبابِ عبدَ يَغُوثَ وقتلته بالنّعمانِ بن جَسَّاس التيمىّ ، وتَولَّى قَتْلَه عُصَيْمُ بن أبَيْر التَّيْمِىّ .

٢١ بالخَيْلِ فَوْقَ مُتُونِهِن فَوارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ إذا لَقِينَ بُغَاثَا

٢٢ لَكِنْ قَرَاكُمْ صَفْحَهُ[5] مَنْ لمْ يَزَلْ وَأَبُوهُ فِيكُمْ رَحْمَةً وغِيَاثَا

٢٣ عَفُّ الإزارِ تَنَالُ جَارَةُ بَيْتِهِ
أَرْفادَهُ وتُجَنَّبُ الأَرْفَاثَا

٢٣ — [ع] يقال رجل عَفّ الإزار إذا وُصفَ بالعِفَّة وإنما يُراد ما تحت

---

(١) س : « بكتائب » . (٢) م : « ومامها » .

(٣) قال ابن المستوفى : لا معنى لقول أبى العلاء فى هذا الموضع « ملهم موضع كثير النخل » وإن كان كذلك ، وإنما كان يجب أن يذكر اليوم كما ذكره الصولى لا الموضع .

(٤) هذا هو يوم الكلاب الثانى ، أما الكلاب الأول فقد كان بين الملكين شرحبيل وسلمة بن الحارث بن عمرو ، وكان مع أحدهما تميم ومع الآخر تغلب .

(٥) هـ س : « عفوه » .

الإزار * وهذا كقولهم : هو ناصحُ الجَيْب أى ناصح الصَّدْر ، ولا معنى لوصفهم الإزارَ بالعفةِ والجَيْبَ بالنُّصْح إلاّ أن يُراد بهما ما تحتهما ، ولذلك قالوا : فِدًى لك إزارى ، أى ما تحته ، ونحو منه قول الشاعر :

ألاَ أبلغْ أبا حَفْص رسُولاً   فِدًى لك من أخى ثِقَةٍ إزارى

[ع] ويجوز رَفْعُ الجارةِ ونَصْبُها ، والرفعُ أحسن ، وليس النصب بقبيح. و« الأرفاد » جمع رِفْد وهو العطاء، ويقال للقَدَح العظيم رِفْد . و « الأرْفَاث » جمع رَفَث وهو ذِكْر الجِماع والحديثُ به .

٢٤ عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ بنِ مَالِكٍ الذى
تَرَكَ[1] العُلَى لِبَنِى أَبِيهِ تُرَاثَا

٢٥ وزَعُوا[2] الزَّمَانَ وهُمْ كُهولٌ جِلَّةٌ
وسَطَوْا على أَحْداثِهِ أَحْدَاثَا

٢٦ أَلْقَى علَيْه نِجارَهُ فأَتَى به
يَقْظَانَ لا وَرَعًا[3] ولا مُلْتَاثَا

٢٦ — أى ألقَى عمرو بن كُلثوم على مالك بن طوق نِجارَه، و« النِّجار » الأصل ، وقيل إنه يُستعمل فى معنى اللون ، والأحسنُ هاهنا أن يكون فى معنى الأصل ، ومنه قولهم فى المثل : كلّ نِجارِ إبِل نِجارُها[4]. و « الوَرَع » الجبان ، ويقال الضعيف . و « يقظان » أى هو قليل النوم متيقظ للأشياء ، وهو يحمدون الرجل بقِلَّة النوم ويَذمُّونه بكثرته و « مُلتَاث » أى بَطِيء ، يقال : التاثَ عليه الأمرُ أى أبطأ .

---

(١) س : « جعل العلى » .
(٢) م ، ل ، س ، ك ، هـ ب : « ردعوا » .
(٣) م ، ل : « لا فزعا » .
(٤) مجمع الأمثال ٢ : ٥٥ .

٢٧ تزْكُو مَواعِدُهُ إذَا وَعْدُ امْرِئٍ
أنسَاكَ أَحلاَمَ الكرَى الأَضْغَاثَا[١]

[ع] « أضغاث الأحلام » هو المختلِطُ منها المشتبه ، وأصلُه من الضِّغْث وهو أن يقبِض الرجلُ مِلْءَ كفِّه من النَّبْت فيكون منه ضُرُوبٌ مختلفة . وإذا روى « أنساكَ » من النِّسيان فالمعنى : وَعْدُ هذا المُخلِف يزيد على أضغاث الأحلام فى البُطلان والإلغاء ، وهذا مثل قولك للرجل إذا ذممته أو حمدته : قد أنسيتنى أفعالَ فلان ، أى زِدْتَ عليها فيما فعلتَ فنسيتُ عجَبى منه وصِرْتُ أعجب منك ، وإذا رُوِىَ « أمسَى » من الإمساءِ فالمعنى مفهوم[٢] .

٢٨ وترَى تَسَحُّبَنَا عليه[٣] كأنَّمَا جِئْناهُ نَطْلُبَ عِنْدَهُ مِيرَاثَا

[ع] « تسحبنا » استطالتنا كأنه من السَّحْب ، والتَّسحُّب كلمة مُبتَذلة[٤] .

٢٩ كَمْ مُسْهِلٍ بِكَ لَوْعَدَتْكَ قِلاَصُهُ
تَبْغِى سِوَاكَ لأَوْعَثَتْ إيعَاثَا

[ع] « الإسهال » ها هنا و « الإيعاث » مُستعاران لِتَسَهُّل الحاجة وتعذُّرِها ، وأصل ذلك فى السَّهْل والوَعْث من الأرض ، يقال أسهَلْنا إذا وقعنا فى السهل ، وأوعثنا إذا وَقَعنا فى الوَعْث ، وهى أرض تسُوخ فيها القدَم * يقال لها الأَوْعثُ والوَعْثاء ، كما يقولون مكان وَعْس ثم يقولون الأَوْعَس والوَعْساء ،

(١) م ، ل ، ك ، د « أضغاثا » .

(٢) قال ابن المستوفى : لم أجد رواية « أمسى » فى نسخة من النسخ ، والذى يحتمل أن يكون نظمها : « إذا وعد امرئ أمسى كأحلام الكرى أضغاثا » ويكون نصب « أضغاثا » على الحال .

(٣) ظ : وفى نسخة « وترى تصخبنا عليه » وهى فى ب .

(٤) قال الصولى : وأخذه من قول الفرزدق لعمرو بن عتبة :

أعطانى المال حتى قلت يودعنى ... أو قلت إعطاء مال قد رآه لنا

أى رآه لنا حقاً .

ومنه « اللهم إنا نَعوذ بك من وَعْثاء السَّفَر » . يقول : كم رجل أدّاه قصدُه إياكَ إلى السَّهْل ، ولو قَصَدَ غيرَك لأدَّاه إلى الحَزْن والصّعوبة .

٣٠ خَوَّلْتَهُ⁽١⁾ عَيْشاً أَغَنَّ وجامِلًا دَثْرًا ومَالًا صَامِتاً وأَثاثَا

ويروى « أغَرّ »⁽٢⁾ . [ع] « خَوّلتَه » جعلتَه خَوَله ، وهو ما يَملِكه الإنسان . و « العيش الأغَنّ » يُراد به الطَّيب الحَسَن ، ومنه قولهم قَرية غَنَّاء أى عامرة كثيرة الأهل . وإذا رويت « أغرّ » من الغُرَّة فهو أجودُ وأشبَه بصفات العيش⁽٣⁾ . و « الدَّثْرُ » الكثير ، وجمعه دُثُور . وفى الحديث : « ذَهَب أصحابُ الدّثُور بالأجور » . و « الصامت » من المال ما كان من فِضّة أو ذَهَب ويجوز أن يعنى به كلّ ما لا ينطق ، إلاّ أنّ أعرَفَ ما يُستعمَل فى الذهب ، والوَرِق . و « الأثاث » ما يملكه الرجل من فَرْش وبساط ، وقد زعم بعض الناس أنّ الإبل يقال لها أثاث ، وإنما ذلك من قولهم أثّ الشىءُ إذا كَثُر ، فكلُّ ما زادت فيه حالُ الإنسان جائز أن يُسمَّى أثاثًا .

٣١ يا مَالِكَ ابنَ المالِكينَ أَرَى الذى
كنَّا نُؤَمِّلُ مِنْ إِيَابِكَ⁽٤⁾ رَاثَا

٣٢ لَوْلا اعْتِمادُكَ⁽٥⁾ كُنْتُ ذَا مَنْدُوحَة
عَنْ بَرْقَعِيدَ وأَرْض باعِيناثَا⁽٦⁾

٣٣ والكَامِخِيَّةُ⁽٧⁾ لم تَكُن لى مَنْزِلًا فمقَابِرُ اللَّذّاتِ مِنْ قَبْرَاثَا⁽⁸⁾

---

(١) س : « أعطيته » . (٢) هى رواية ك .
(٣) فى ظ من كلام أبى العلاء : و « الجامل » اسم للجمع كالباقر .
(٤) ظ : ويروى « من عطائك » وقال : تركه على أن يرجع إليه فأبطأ فكتب إليه هذا .
(٥) ظ : وروى « لولا هواك لكنت » و « لولا رجاؤك » .
(٦) فى نسخة « برقعيد » و « باعيناث » موضعان بالجزيرة .
(٧) ظ : ويروى « والصالحية » — ك : « والمالكية » وفوقها رواية الأصل .
(٨) قال ابن المستوفى : وجدتها بفتح القاف وضمها ، والفتح فى أكثر النسخ المصححة .

٣٤ لَمْ آتِهَا مِنْ أَيِّ وَجْهٍ[1] جِئْتُهَا   إِلَّا حَسِبْتُ بُيُوتَهَا أَجْدَاثَا

٣٥ بَلَدُ الفِلَاحَةِ لَوْ أَتَاهَا جَرْوَلٌ   أَعْنِي الحُطَيْئَةَ لَاغْتَدَى حَرَّاثَا[2]

٣٦ تَصْدَا بِهَا الأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا
وَتَرُدُّ ذُكْرَانَ العُقُولِ إِنَاثَا

٣٧ أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِي خَاتَمِي
فِيهَا وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثَا

---

(١) ك : « قطر » وفوقها رواية الأصل .

(٢) قال ابن المستوفى : فى حاشية النسخة العجمية بخط الفقيه رحمه الله : قلت : طعن بعض الناس عليه فى تخصيصه الحطيئة بهذا المعنى دون الناس ، ونال منه الآمدى لذلك ، ولم يقفوا على غرضه فى ذلك ، وعندى أنه إنما خص الحطيئة لبيت قاله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو إليه .

والحرفة القدمى وأن عشيرتى   زرعوا الحروث وأننى لا أزرع .

ولا أرى هذا القول يقوم بعذر أبى تمام . وفى حاشية : لو كان الحطيئة مع لطافته فى الشعر وحذقه لما كان إلا حراثاً لقلة أهل الفضل بها . وهذا نحو قول الفقيه .

وقال يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (١) :

١ صَرْفُ النَّوَى لَيْسَ بالمَكِيثِ يَنْبِثُ مَا لَيْسَ بالنَّبِيثِ

من سادس البسيط والقافية متواتر .

[ع] « مَكِيث » فى معنى ماكث ، يُقال : مَكَث فهو ماكِث ، ومَكُثَ فهو مَكِيث . و « يَنْبِثُ » أى يَستخرج ، يقال نَبَثْتُ الشىءَ فهو مَنبوث ونَبِيث * . [ص] كأنه قال : صَرْفُ النَّوى ليس بمُبطِئٍ يَستخرج وَجْدًا وقَلَقًا .

٢ هَبَّتْ لِأَحْبَابِنا رِياحٌ غَيْرُ سَوَاهٍ ولَا دُيُوثِ

يروى « رُيُوث » . (ع) : « سَوَاه » من الشىء السَّهْو وهو السَّهْل . و « رُيُوث » من الرَّيْث وهو الإبطاء ، ويجوز أن يكون « رُيُوث » من التَّرْيِيث وهو الإبطاء ، والمعنى متقارب . و « دُيُوث » جمع دَيْث وهو اللَّيِّن . أى هَبَّتْ لهم رِياحٌ هذه صِفتها فهجرونا . والرواية الجيِّدة « رُيُوث » بالراء .

٣ بُدُورُ لَيْلِ ٱلتِّمامِ حُسْناً عِينٌ حُقوفٍ ظِبَاءُ مِيثِ

« عِين » جمع عَيْناء وهى العظيمة العَيْن ، وأصل ذلك فى بقر الوحش ، ثم استُعمل فى بنى آدم . و « الحُقُوف » جمع حِقْف ، وهو الدِّعْص من الرمل فيه انحناء . و « المِيث » جمع مَيْثاء ، وهى الأرض السهلة ، ويقال للمَسِيل الأعظم فى الوادى : مَيْثاء .

٤ بَيْنَ الخَلاخِيلِ والأَسَاوِيـ ـرِ والدَّمَالِيجِ والرُّعُوثِ

يقال : خَلْخَلٌ وخَلْخَال ، فإذا ثبتتِ الألفُ فى الواحد ثَبَتَتِ الياء فى الجمع ، وإذا حُذف الألف من الواحد حُذفت الياء من الجمع . و « الأساوير »

(١) جاء على رأس هذه القصيدة فى نسخة ك : لم يروها أبو مالك . وهى لم ترد فى نسخة س .

يُحتمل أن يكون جمع أسوِرَة ، ويجوز أن يكون جمع إسوارٍ لأنهم قد حكوا سِوَار وإسوَار ، وكذلك دُمْلُجُ ودُمْلُوج ، مَن قال دُمْلُج قال دَمَالج ، ومَن قال دُمْلُوج قال دَماليج و « الرّعوث » مِثل الرِّعَاث وهى القِرَطَة .

٥ مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ تَرَدَّى بِثَوْبِ فَيْنانِها الأَثِيثِ

« تَرَدَّى » أى يكون لها كالرِّداء . و « الفَيْنان » الشَّعَر الطويل ، وكأنه أخذ من الفَنَن وهو الغصن المُتشعِّب ، أى له غدائر كثيرة . و « الأثِيثُ » الكثير النَّبْت .

٦ كالرَّشَإِ العَوْهَجِ اطَّباهُ رَوْعٌ إلى مُغْزِلٍ رَغُوثِ

[ع] « الرَّشأ » ولد الظَّبية ، ويقال ظبية « عَوْهَج » إذا كانت طويلة العُنُق . وقلَّما يستعملونه فى صفة المذكَّر . [ص] و « اطَّباه » دَعَاه . و « رَوْعٌ » فَزَع . و « المُغْزِل » التى معها غَزَال . [ع] و « رَغُوث » أى مُرضِعة ، وهى فَعُول فى معنى مفعولة ، يقال : رَغَثَها الولدُ يَرْغَثُها إذا ألحَّ عليها فى الرِّضاع .

٧ رَعَتْ جَنابَىْ عُوَيْرِضَاتٍ مِنْ خَزَماتٍ ومِنْ شُثُوثِ

[ع] « خَزَمات » جمع خَزَمة وهى شجرة يُفتَل من لِحائها الحِبال . و « عُوَيرِضات » مَوْضع . « شُثُوث » جمع شَث[١] .

٨ ولاحِبٍ مُشْكِلِ النَّواحِى مُنْخَرِقِ السَّهْلِ والوُعُوثِ

[مُنخرِق] أى واسِعُ السَّهل والحَزْن ، ويقال طريق « لاحِب » إذا لَحَبَتْه الإبلُ بأخفافِها أى دَاسَتْه .

٩ لم تُزْجَرِ العِيسُ فى قَراهُ مُذْ عَصْرِ نُوحٍ وعَصْرِ شِيثِ

١٠ كأَنَّ صَوْتَ النَّعَامِ فيه إذا دَعَا صَوْتُ مُسْتَغِيثِ

---

(١) تكملة كلام أبى العلاء كما فى ظ : « والشثوث » جمع شث وهو النبت الذى ترعاه الظباء .

١١ قَلَّصْتُهُ بالقِلاصِ تَهْوِى بالوَخْدِ مِنْ سَيْرِها الحَثِيثِ

١١ – [ع] « قَلَّصتُه » من قَلَصَ الظِّلُّ إذا قَصُرَ ، ومن قولهم قَلَّصتُ الإزار إذا شمَّرتَه ، كأنه يقول طَوَيتُه . و « تَهوِى » تَنصَبّ من أعلى إلى أسفل . ومَن روى « سَرَّيتُه بالقِلاصِ تَتْرَى » فالمعنى أنّ بعضها فى إثر بعض ، وقيل إنّ أصل « تَتْرى » أن تجىء أفرادًا .

١٢ مِنْ كُلِّ صُلْبِ القَرَا مَعُوجٍ وكلِّ عَـيْرَانَةٍ دَلُوثِ

[ع] « مَعُوج » من المَعْج وهو ضرب من السير سهل . و « العَيرانة » الناقة التى تُشبه العَيْرَ الوحشىَّ فى صلابتها . و « دَلُوث » مثل دِلاث ، وهى الجريئة على السير ، وقلَّما يقولون فى صفة الناقة دَلُوث ، وإنما يقولون دِلاث .

١٣ ذِى مَيْعَةٍ مَشْيُه الدِّفَقَّى وذاتِ لَوْثٍ بِهَا مَلُوثِ

[ع] « المَيْعة » أوّلُ النشاط * ويقال : فعل ذلك فى مَيْعة شبابه أى فى أوّله ونشاطه . و « الدِّفقَّى » من قولهم : هو يَمشى الدِّفقَّى إذا مَشَى مشيًا واسعَ الخَطْوِ كأنه يتدفق فى السير . ويقال : ناقة ذاتُ لَوْث إذا وُصفتْ بالقوة . قال الراجز :

وقد أقودُ بالكِرامِ الأزْوالْ
مُشمِّرًا بذاتِ لَوْثٍ شِمْلالْ

و « مَلُوث » من قولهم : لُثْتُ العمامةَ على رأسى إذا أدرتَها مِرارًا . أى القوةُ قد لِيثتْ بهذه الناقة * وقال حُميدُ بن ثَوْر فى الدِّفقَّى :

تَمشِى العُجَيْلَى من مخافة شَدْقَمٍ تَمشِى الدِّفقَّى والخنيفَ ويَضْبِرُ

١٤ يطلبْنَ مِن عَقْدِ وَعْدِ[1] مُوسَى غَيْرَ سَحِيلٍ ولا نَكِيثِ

« السَّحيل » ضد المبرَم . و « النَّكيث » المنكوث .

١٥ بَنانُ مُوسَى إذَا اسْتَهَلَّتْ للنَّاسِ نابَتْ عن الغُيُوثِ

(١) د : « عهد » هى بين السطور فى ك .

١٦ حَيْثُ النَّدَى والسَّدَى جَمِيعاً ومَلْجَأُ الْخَائِفِ الكَرِيثِ

١٦ — [الكريث] الذى كَرَثَه الهمّ أى أثقله .

١٧ حَيْثُ لَبُونُ النَّوَالِ تَهْمِي غَيْرَ شَطُور ولا ثَلُوث

[ع] « اللَّبُون » ذاتُ اللَّبن ، وأصلُه فى النُّوق والشاء . و « الشَّطُور » التى يَبَس خِلْفان من أخلافها ، وهو من الشَّطْر أى النِّصْف[1] ، و « التلُوث » التى يَبَس ثَلاثةُ أخلافٍ من ضَرْعِها ، وقيل الثلوث التى يَبِس لها خِلْفٌ واحد وبَقِيت ثلاثة .

١٨ والمَجْدُ مِن تَالِدٍ قَدِيمٍ ثُمَّ ومِنْ طَارِفٍ حَدِيثِ

١٩ إنْ تَسْتَبِثْهُ تَجِدْ عُرَامــاً مِنْ مُسْتَبَاثٍ لِمُسْتَبِيثِ

[ع] « تَستَبِثْه » تَستخرِجُ ما عنده ، استباثَ استخرجَ واستنبط . و « العُرام » ما يظهر من شدّة الرجل فى الحرب والخصومة ونحوها * ويقال للسنين الشِّداد عَوَارِم ، فإذا أدخلوا الهاء فتحوا العين فقالوا عَرَامة ، هذا المعروف من كلامهم ، وقد حُكى عُرَامَة بضم العين والهاء ، ويقع فى النسخ « غراماً » ، ويكون معناها اللزوم ، من قوله تعالى : « إنّ عذابها كان غراماً » ، والرواية الأولى تفسير أبى العلاء ، ويروى « تستثره » .

٢٠ وحَيَّةً أُفْعُوانَ لِصْبٍ يَعِيثُ فى مُهْجَةِ العَيُوثِ[2]

[ع] جرَتْ عادةُ الشعراء بأن يُشبِّهوا الرجل الشديد بالحيَّة . و « اللِّصْب » الشَّق فى الجبل الضيِّق * و « يَعيث » يُفسِد .

---

(١) زيادة فى ظ من كلام أبى العلاء بعد قوله النصف : « لأن لها أربعة أخلاف » .

(٢) يلى هذا البيت بيتان أوردهما ابن المستوفى فى ظ ولم يردا فى سائر النسخ ، وهما فى صفة الناقة ، قال : وفى نسخة بعده :

تبرز حزان كل أرض علت رباها على الدميث
تعرق آباطها انتجاداً بالوخد فى رملها الوعيث

٢١ تَغْدُو المنَايَا مُسَخَّراتٍ وَقْفاً على سَمِّهِ النَّفِيثِ

« النَّفِيث » أى المنفوث ، يقال : نَفَثَ الرجلُ رِيقَه ، والحيَّةُ سَمَّه ، والجُرْحُ دَمَه .

٢٢ وصَارِمَ الشَّفرتَيْنِ عَضْباً غَيْرَ دَدَانٍ ولا أَنِيثِ

« الدَّدَان » الكَهَام[1] .

٢٣ لَيْثاً ولكنَّهُ حِمَامٌ صُبَّ انتِقَاماً على اللُّيُوثِ

٢٤ أَنْكِدْ بِأَرْيِ النَّوَالِ مَالَمْ يَحْلُ مِنَ العُشْبِ واللَّوِيثِ

و « مالم يَحْلُ » ، ويُروَى « يُخْلَ » أى يؤخذ من الخلايا وهى بيوت النحل ، أبو عبد الله : العسل لا يكون جيِّدًا ما لم يَحْلُ من أزاهير العُشْب ، هكذا عنده . (ع) : « الأرْيُ » العسل ، ويقال لماء السحاب أرْيٌ ، ويجوز أن يكون أراد بالأرْى فى هذا الموضع المَنّ الذى يسقط من السماء لأنه يؤخذ من أوراق الشجر ومن فوق النبت فيكون فيه أشياء تفتقر إلى تهذيب وإزالة ، و « اللويث » من لثْتُ الشيءَ بالشيء إذا أدرته حَواليْه ، ومنه قولهم لَوَّثه بالطين إذا أصابه منه شيء ومَن روى « الجُثُوثَ » فإن المعنى يَخلُص لعسلِ النحلِ ، لأنّ الجَثّ ما يكون فى موضع النحل من الشمع الذى لا عسل فيه وما يموت من النحل ويجتمع من أوساخها . وعلى هذا تكون الرواية « ما لم يَخْلُ من العُشْب »[2] وقد روى :

أنْكِدْ بأرْيِ النوالِ ما لم يَخْلُ من المَنِّ واللويثِ

٢٥ ما الجُودُ بالجُودِ أَوْ تَرَاهُ لَيْسَ بِنَزْرٍ ولا لَبِيثِ

أى لا يكون جَودًا إلاّ إذا لم يمطل فيه ، فإذا أعطى أعطى كثيرًا . و « لبيث » أى مبطئٌ عنك .

---

(١) « الأنيث » الذى حديده ليس بذكر ، وقيل هو نحو من الكهام .

(٢) وهى رواية الصولى .

٢٦ طَالَ المَدَى فاعْتَراكَ عَتْبٌ[1] مِنْ صَادِقِ[2] الوُدِّ مُسْتَرِيثِ

٢٧ خُذْها فَما نَالَهَا بِنَقْصٍ مَوْتُ جَرِيرٍ ولا البَعِيثِ

٢٧ — أى ما أزرى بها أن لم يحضرها جرير ولا البعيث . [ع] أى ما دمتُ باقيًا فكأنَّ غيرى من الشعراء لم يَمُتْ . وذَكَرَ البَعيثَ للقافية .

٢٨ وكُنْ كَرِيماً تَجِدْ كَرِيماً فى مَدْحِهِ يا أَبا المُغِيثِ[3]

---

(١) ك بين السطور : « قول » .

(٢) ك : « من عجل المدح » وهى فى ه ب .

(٣) جاء فى ظ : قال الآمدى : حكى أبو عبد الله محمد بن داود أن أبا تمام أنشد أبا المغيث موسى بن إبراهيم هذه القصيدة وعنده يوسف بن المغيرة القشيرى ، وكان شاعراً عالماً أديباً ، فقال لأبى المغيث : قد هجاك أبو تمام بقوله لك « وكن كريماً » وهذا لا يقال لكريم وإنما يقال للئيم. فهجا أبو تمام يوسف بن المغيرة فقال : « أيوسف جئت بالعجب العجاب » الأبيات ، و رض أبى تمام معروف ، وإنما أراد وكن كريماً فى أمرى. ولو قال :

وعجل بجود تجد عجولا بشكره يا أبا المغيث

كان أحسن وأجمل .

٣١

قافية الجيم

وقال على قافية الجيم يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته بالخُرَّمية :

١ فَلا شَنَباً يَهْوَى ولاَ فَلَجَا
ولاَ احوِرَارًا يُرَاعِيهِ ولاَ دَعَجَا

الأول من البسيط والقافية متراكب .

[ع] « الدَّعَج » سواد العين ، وليلة دَعْجاء مُظلِمة . و « الفَلَج » أراد به تَفلُّجَ الأسنان ، وقلما يقولون ثغر أفلج ، وإنما يقولون مُفلَّج . و « الاحورار » من قولهم احْوَرَّتِ العينُ إذا صارت حَوْراء .

٢ كُفِّى فقَدْ فَرَّجَتْ عنْهُ عَزِيمَتُهُ
ذَاكِ الوُلُوعَ وذَاك الشَّوْقَ فانْفرَجَا

وَصَف مَا وصفَ مِن حُسْن مَن شَبَّبَ به فى أوّل البيت ، ثم أقبل على عاذلته فقال : كُفِّى عن مَلامِك وتوبيخك ، فقد ألهَاه عَمَّن تلومينه عزيمتُه على السلوِّ عنه ، وكشَفتْ ما به من الغرام والعِشق فانفرج ، أى انكشفَ وذَهَب(١) .

٣ كانَتْ حَوَادِثُ فى مُوقَانَ مَا تَرَكَتْ
لِلْخُرَّمِيَّـــةِ لاَ رَأْساً ولاَ ثَبَجَا

تَرَك ما تَقدَّم وأخذ فى وصف ما حَدَث فى مُوقان . و « الثَّبَج » الظهر ، وثَبَجُ كلِّ شيء مُعظَمُه . وإنما يريد أنهم استؤصِلوا . [ع] و « الخُرَّمية » الذين

---

(١) بعد أن أورد ابن المستوفى هذا الشرح منسوباً للخطيب التبريزى قال عقبـه : وهذا قول الخارزنجى بلفظه إلا ألفاظاً زادها لا حاجة إليها .

لا يُراعون دينًا ولا يحظرون على أنفسهم شيئًا مما حَظَره الشَّرْعُ * ويقال : عَيْش خُرَّم أى واسع ، ويجوز أن تكون الكلمة غير عربية فى الأصل .

٤ تَهَضَّمَتْ كُلَّ قَرْمٍ(١) كانَ مُهْتَضِماً
وَفَتَّحَتْ كُلَّ بَابٍ كانَ مُرْتَتِجَا

[مرتتجا] مُنغلقا ، أرتجتُ الباب فارتتج .

٥ أَبْلِغْ مُحَمَّدًا المُلْقِى كَلاكِلَهُ
بِأَرْضِ خُشَّ أَمَامَ القَوْمِ(٢) قد لُبِجَا

[ع] جَمَع الكَلْكل ، والتوحيدُ لو أمكن أحسن ، ولكن مثل ذلك يُحتَمل ، لأنَّ كلَّ جزء من الكَلْكل يجوز أن يُسمَّى كَلْكلا ، ولا يمتنع أن يُريد بالكلاكل [ها هنا] كلاكلَ أصحابه ، لأنه إذا ألقَى كَلْكله فلا بدّ أن يتَشبَّه به قوم منهم ، ولا يبعد أن يعنى بالكلاكل صَدْرَه وغيرَه من الثِّقْل ، لأنه سائغ أن يقال : ألقتْ عليهم الحربُ كَلْكلَها ، وألقى عليهم الشرّ كَلْكلَه . وقوله « قد لُبِجَا » من قولهم لُبِجَ بالرجل إذا ألقَى نفسَه إلى الأرض من تعب أو مرض . وأصحابُ الأخبار يزعمون أن محمد بن يوسف فى هذه الحرب أوقد العدوّ فى طريقه نارًا وكان طريقًا ضيِّقًا يريدون أن يَصدّوه بذلك ، وأنه رَمَى بنفسه على النار ولَبِس ثِيابَ النفَّاطين على الحديد .

٦ مَا سَرَّ قَوْمَكَ أَنْ تَبْقَى لهُمْ أَبدًا
وأَنَّ غَيْرَكَ كانَ اسْتَنْزَلَ(٣) الكذَجَا

[ع] يعنى : « الكَذَج » مَوْضعًا بعينه ، أى استنزل أهل الكذَج ، وهذا على حَذْف المضاف ، وهو شائع فى كلامهم كثير . [خ] أى أبلغْ

(١) س ، د : « كل قرن » .
(٢) س ، ظ « أمام الموت » وهى بين السطور فى ك .
(٣) ه س : « استفتح » .

محمدًا أنّ قومك على حبهم لك وعزّك فيهم لا يَسرّهم أن تُخلّد فيهم وأنّ غيرَك كان يتولّى هذا الفتح .

٧ لمَّا قرَا النَّاسُ ذاكَ الفتْحَ قُلْتُ لَهُمْ
وَقَائِعٌ حَدِّثُوا عَنْهَا ولاَ حَرَجَا

[ع] أراد قرَأ الناس ، من قراءة الكتاب، فخفّفَ الهمزة ، ولا يَحسُن أن يُحمَل على غير هذه اللفظة من قِرَى الضيف ولا من قَرا الشىءَ إذا تتبّعه. وقوله « وقائع » أى هذه وقائع . [خ] حدّثوا عنها [أى] فكلّ ما قلتم فيه حقٌّ لا حرَج عليكم .

٨ أَضَاءَ سَيْفُكَ لمَّا اجْتُثَّ أَصْلُهُمُ
مَا كانَ مِنْ جَانبِىْ تِلْكَ البِلادِ دَجَا

أى لما قتلتَهم وأزلتَ كُفْرهم وأثرَه أنارت البلاد .

٩ مِن بَعْدِ مَا غُودِرَتْ أُسْدُ العَرِينِ بِهِ(١)
يَتْبَعْنَ قَسْرًا رَعَاعَ الفِتْنَةِ الهَمَجَا

« العَرين » الشجر الملتفّ ، ويستعار ذلك فيقال عرين الكعبة أى فناؤها ، كأنّ الحرَمَ لما كان يُهاب ويُتّقى الظلمُ فيه جُعل كعرين الأسد ، وجاء فى الحديث : « يُدفَن فى عَرين الكعبة رجلٌ عليه رُبْعُ عذابِ هذه الأمة » و « الرَّعاع » من الناس الذين لا خير فيهم ، شُبّهوا بالرَّعاع وهو صغار البعوض والذباب ، وكذلك الهَمَج . أى ترَكَ قُوّادَ الكفار وكُبراءَهم أَسْرَى أوْ باشِ المسلمين يتبعونهم .

١٠ لاَ تَعْدَمَنَّ بَنُونَبْهانَ قاطِبَةً مَشَاهِدًالكَ أَمسَتْ فى العُلَى سُرُجا

---

(١) س ، و : « بها » .

١١ إِنْ كانَ يَأْرَجُ ذِكْرٌ مِنْ بَرَاعَتِهِ
فإِنَّ ذِكْرَكَ فى الآفاقِ قَدْ أَرِجَا

١٢ ويَوْمَ أَرْشَقَ والآمالُ مُرْشِقَةٌ
إِلَيْكَ لا تَبْتَغِى عنكَ مُنْعَرَجَا

١٢ — « أرشق » موضع . و « مُرْشِقة » من قولهم أرشقت المرأةُ والظبية إذا أدامت النظرَ ومَدَّتْ عُنُقَها[1] . « ومُنعرَج » مُنعطَف .

١٣ أَرْضَعْتَهُمْ خِلْفَ مَكْرُوهٍ فَطَمْتَ بهِ
مَنْ كانَ بالحَرْبِ مِنْهُم قَبْلَه[2] لَهِجَا

استعار « الخِلْفَ » للمكروه وشفَع ذلك باستعارة الفِطام ، وأخذ لَهِجَ من لَهِجَ الفَصيلُ إذا أغرى بالرّضاع ، وأصل اللّهَج الولوعُ بالشيء ، يقال فصيل لَهِجٌ ولاهِج . أى فطمتَ بهذا الخِلْف عن الحرب مَن كان منهم لَهِجًا بها .

١٤ للهِ أَيَّامُكَ اللَّاتِى أَغَرْتَ بهَا
ضَفْرَ الهُدَى وقَدِيماً كانَ قَدْ مَرِجَا

استعار « الإغارة » من أغَرْتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فتْله ، و « الضَّفْر » فَتْلٌ ليس يَبلُغ فى القوّة المُغارَ ، ويُسمَّى الحبلُ المضفور ضَفْرًا ، سمَّوْه بالمصدر . و « مَرِجَ » الدّين إذا اضطرب .

١٥ كانَتْ على الدِّينِ كالسَّاعاتِ مِن قِصَرٍ
وعَدَّها بابَكٌ مِنْ طُولِهَا حِجَجَا

أى كانت هذه الأيام على الدين قصيرةً كالساعات لِما نالَ المسلمون من

---

(١) قال ابن المستوفى : « مرشقة » هنا من قولهم أرشق إذا أحد النظر ، ولم يوجد فى الرمى « أرشق » بالألف . (٢) ظ : « قلبه » .

الظَّفَر بالكُفار ، وكانت على بابك كالسنين لما نظم من القتل .

١٦ أَصبَحْتَ تَدْلِفُ بالأَرْضِ الفضَاءِ لَهُ
نَصْباً وأَصْبَحَ فى شِعْبَيْهِ قَدْ لَحِجَا

[ع] « تَدلِفُ » من الدَّلِيف وهو المشى الرُّوَيْد . و « نَصْبًا » من قولهم نَصَبَ للشىء إذا قَصَد قَصْده [1] . و « لَحِجَ » فى المكان الضيِّق إذا نَشِبَ فيه .

١٧ عَادَتْ كتائِبُه لمَّا قَصَدْتَ[2] لها
ضَحاضِحاً ولَقَدْ كانَتْ تُرَى لُجَجَا

١٨ لمَّا أَبَوْا حُجَجَ القُرآنِ واضِحَةً
كانَتْ سُيوفُكَ فى هَامَاتِهِمْ حُجُجَا

أى لما امتنعوا من الإسلام وقبول القرآن .

١٩ أَقبَلْتَهُ فَخْمَةً[3] جَأْوَاءَ لَسْتَ تَرَى
فى نَظْمِ فُرْسَانِها أَمْتاً ولا عِوَجَا

« فَخْمَةً » كتيبة كبيرة ، وأصل الفَخامة فى بنى آدم عِظَمُ الجسم وكثرة اللحم ، و « جَأْوَاء » كَتِيبة يَعلُوها صَدأ الحديد، يُقال جَأْواءُ بَيِّنة الجُؤْوَة ، وهى غُبرة إلى السواد . و « الأَمْتُ » أن يكون فى الأرض ارتفاع وهبوط ، ويقال ليس فى الخمر أَمْتٌ أى ليس فيها اختلاف أنها مُحرَّمة ، ويقال فى الأرض عِوَجٌ ، وكذلك فى الدِّين ، وما لا يُرَى من الأشياء ، وفى العَصا عَوَج بفتح العين ، وكذلك فى كل المنتَصِبات . وقوله « أقبَلْتَه » أى استقبلته بها ، ويقال أقبَلْتُه هذا أى إستقبلته به .

---

(١) قال ابن المستوفى : « ونصباً » يجوز أن يكون من قولهم : نصبت لفلان نصباً إذا عاديته .
(٢) د : « لما دلفت له » وهى بين السطور فى ك .
(٣) س ، م ، د ، ك : « وأقبلت فخمة » .

٢٠ إذَا عَلَا رَهَجٌ جَلَّتْ صَوارِمُها
والذُّبَّلُ الزُّرْقُ[1] مِنها ذلكَ الرَّهَجَا

٢١ بِيضٌ وسُمْرٌ إذا ما غَمْرَةٌ زَخَرَتْ
لِلمَوْتِ خُضْتَ بها الأَرْوَاحَ والمُهجَا

٢١ — أصل « الغَمْرة » فى الماء الكثير ، ثم استُعملت لكل أمرٍ شديد . و « زَخَرَتْ » ارتفعت .

٢٢ نَزَّالَةٌ نَفْسَ مَنْ لاقَتْ ولا سِيَمَا
إنْ صَادفَتْ ثُغْرَةً أَو صادفَتْ وَدَجَا

ويروى « بَزَّالة »[2] أى تُسيل دمَ من لاقَتْ . وعَنَى بـ « النزَّالة » السيوف والرِّماح .

٢٣ رَأْىُ الحُمَيْدَيْنِ أَلقَحْتَ الأُمُورَ بِهِ
مَنْ أَلقَحَ الرَّأْىَ فى يَوْمِ الوَغَى نتَجَا

[ص] يعنى حُميدَ بن قَحْطَبَة وحُميداً الطوسىّ ، وكلّهم طائيّون *

[خ] أى مَن أحسنَ التدبيرَ فى الحرب نَتَجَ الصواب * واستعار الإلقاح والنتاج للحرب ، وإنما جعله يُنتِجها لأنه يَغنم غِبَّها فيكون كمن نَتَجَ النَّاقةَ .

٢٤ لَوْ عَايَنَاكَ لَقَالاَ بَهْجَةً[3] جَذَلاً :
أَبرَحْتَ أَيْسَرَ ما فى العِرْقِ أَنْ يَشِجَا

[ع] « البهجة » و « الجَذَلُ » متقاربان ، وهما فى معنى الفرح ، جمع

(١) م ، د : « السمر » وهى بين السطور فى ك .

(٢) هذه رواية الخارزنجى كما فى ظ . وفيها : وفى بعض حواشى نسخة قرأها أبو على « مسلوبة » و« نزاعة » وضرب على « بزالة » .

(٣) د : « فرحة » وهى بين السطور فى ك . — ك : « بهجة وهوى » — وقال الصولى : ويروى « لهجة وهوى » وقال : أى لهجة بك ، وهوى لك .

بينهما اللفظ . و « أبْرَحْتَ » أي جئتَ بالبَرْح وهو العَجَب ، ويُقال لكل مَن جاء بأمر عظيم : قد أبْرَحْتَ . وقوله « أيسرُ ما في العرق أن يَشجا » يحتمل أن يجعله من قول الحُميديْن لهذا الممدوح : أي أنك قد أشبهتنا وزدْتَ علينا في النجدة والشجاعة، ويجوز أن يكون من كلام الطائي ، والأول أشبه . ومعنى قوله : « أيسرُ ما في العرق أن يَشجا » أنّ الإنسان إذا كان له قريب فيه خُلُق محمود أو مذموم ، فأيسرُ ما يَناله من ذلك أن يَشجَ العِرْق أي يتصل ، فيكون فيه شيء مما في نسيبه ، وقد يجوز أن يَغلب عليه الشَّبه فيكون مثلَ ذلك الرجلِ أو فوقَه .

٢٥ أَحَطْتَ بالحَزْمِ حَيْزُوماً أَخَا هِمَمٍ
كَشَّافَ طَخْيَاءَ لا ضَيْقاً ولا حَرَجَا

أي أحاط صَدْرك بالحزم . و « أخا هِمَم » نداءٌ مضاف[1] . و « الطَّخْياء » الليلة المظلمة ، وإنما أراد الفِتْنَةَ .

٢٦ فالثغرُ والسَّاكِنُوه لا يَؤُودُهمُ
ما عِشْتَ فيهم أَطارَ الدَّهرُ أَم دَرَجَا[2]

٢٧ سَمَّوْا حُسَامَكَ والهَيْجَاءُ مُضْرَمَةٌ
كَرْبَ العُدَاةِ وسَمَّوْا رأيَكَ الفَرَجَـا

٢٧ — « سَمَّوْا » أي ساكنوا الثغر .

---

(١) قال ابن المستوفى: الصحيح أن « أخاهم » صفة لحيزوم ، وقول أبي زكريا « أي أحاط صدرك بالحزم » ضد ما ذكره أبو تمام ، وإنما أراد أحاط بالحزم الصدر ، أي أحدقه به .

(٢) لم يرد هذا البيت في أصول التبريزي التي بين يدي ، وجاء في نسخة ل من شرح الصولي ، وكذلك هو في س ، د ، ظ ، والغالب أنه سقط من نسخ التبريزي ، بدليل قوله في شرح البيت له « أي ساكنوا الثغر » .

٢٨ إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبو نَصْرٍ فعَنْ قَدَرٍ
تَنْجُو الرِّجالُ (١) ولكنْ سَلْهُ كيْفَ نَجَا

« أبو نصر » قيل هو بابك ، وقيل من أصحابه ، أى نجا مسلوباً .

٢٩ قَدْ حَلَّ فى صَخْرَةٍ صَمَّاءَ (٢) مُعْنِقَةٍ
فَانحِتْ برأْيِك فى أَوعَارِهَا دَرَجَا

[ع] « مُعنِقة » مرتفعة ، وأصل ذلك فى طول العُنق . « وانحِتْ » بكسر الحاء أفصح من فتحها ، وقد حُكى الفتح ، وقرأ الحسن البصرى رحمه الله « وتَنحَتُون » (٣) . أى اجعل برأيك المصيب إليها سبيلاً .

٣٠ وغَادِه بِسُيُوف طَالَمَا شُهِرَتْ
فَأَخْلَفَتْ مُتْرَفاً ما كان قَبْلُ رَجَا

أى اغدُ عليه . أى أخلفت السيوفُ ما كان يرجوه من قبل . و « المُترَف » المنعّم . ويروى « وعاذَةً (٤) بسيوف » . [ص] أى يستعيذون مما يخافون بهذه السيوف ، والمرزوقى يَرُدّ هذه الرواية .

٣١ وشُزَّبٍ مُضْمَراتٍ طَالَمَا خَرَقَتْ
مِنَ القَتَام الذِى كان الوَغَا نَسَجَا

---

(١) فى ظ : ويروى « ينجو العدو » ، وفيها : وفى نسخة « ينجى الرجال » وهى بين السطور فى ك .

(٢) س ، ل : « شماء » وروتها ظ — وفى ك « تيهاء » .

(٣) الآية : « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين » الآية ١٤٩ من سورة الشعراء .

(٤) هى رواية الصولى . وقال : قال لى أبو مالك : قوله « وعاذة بسيوف » إلى آخر القصيدة شىء لا أعرفه ، ولعله زاده بعدى .

٣٢ ويُوسُفِيِّينَ يَوْمَ الرَّوعِ(١) تَحسِبُهُمْ
هُوجاً ومَا عَرفوا أَفْنًا ولا هَوَجَا

٣٢ — [ع] « ويوسفيِّين » يعنى قَوْمًا من رَهْط هذا الرجل ، وهو محمد بن يوسف . و « الهوَجُ » فى ابن آدم أن يركبَ رأسه فى الأمور بغير أناة ولا رويَّة * ، ويستعمل ذلك فى صفات الإبل والريح . يقول : لشدَّة انثيالهم على الحرب وبِدَارهم إليها تَظنهم هُوجًا ، وذلك يُستحسَبٌ فى الشّجعان فى تلك الحال ، ثم بيَّن أن ذلك لقوّة قلوبهم وشدّة حرصهم على الحرب ، لا لاضطراب خَلْق ولا قِلة عَقْل .

٣٣ مِنْ كُلِّ قَرْمٍ يَرَى الإِقْدامَ مأْدُبَةً(٢)
إذَا حَدَا مُعْلِماً بالسَّيْفِ أَوْ وَسَجَا

[ع] « يرى الإقدامَ مأدُبةً » يحتمل أن يكون من المأدُبة التى هى تأديب ، أى يرى إقدامَه من الأدَب الذى ينبغى أن يُستعمل ، ويجوز أن يكون من المأدُبة إلى الطعام فهو يَسيرٌ عليه ، و « الوَخْد » و « الوَسْجُ » ضَرْبان مِن السير ، وأكثر ما يُستعملان فى الإبل والنعام ، وقد يستعاران لغيرهما .

٣٤ تنْعَى مُحَمدًا الثَّاوِى(٣) رِماحُهُمْ
ويَسْفَحُونَ عَلَيْه عَبْرَةً نَشَجَا

(أبو عبد الله) : ظاهر البيت أنّ رماح هؤلاء اليوسفيين تُخبر بموت محمد ، وهو رجل منهم قُتل فأدركوا بثأره(٤) . ومعناه أنّ رماحهم أدركَ بها ثأرُه فانصبَّت

---

(١) س : « ويوسفين حميديين » بإسقاط ياء النسبة فى « يوسفيين » ، وقال فى ظ إنها رواية الخارزنجى .

(٢) فى أصول التبريزى « مكرمة » ولكن شرح البيت يدل على أن الرواية « مأدبة » . وجاء فى ظ : وفى نسخة أبى على مسكويه « مأربة » بالراء. وروى فى ظ : « مكرمة » وقال : والرواية « مأدبة » .

(٣) فى ظ : قال الصولى : ويروى « الملقى » .

(٤) وقال الصولى : يريد أن أصحاب أبى سعيد أخذوا بثأر محمد بن حميد ، لأن أبا سعيد ومحمداً من طى فهم أهل .

عليها الدّماء وسُمع منها الصَّرِيفُ ، فصار ذلك الصَّرِيفُ منها بمنزلة البُكاء على الميِّت والعويل عليه والإخبار بموته [ص] و « النشيج » أن يَهُمَّ بالبكاء ولا يبكي فيتردَّدَ له صوت[1] .

٣٥ قد كانَ يَعْلَمُ إذْ لاقَى الحِمَامَ ضُحًى
لا طالِباً وَزَرًا منْهُ ولا وَحَجَا

(ع) « وزَرًا منه ولا ولَجَا » و « الوَلَج » الموضع الذى يُتَوَلَّج فيه أى يُدخل [ص] و « الوَحَج » الملجأ وهو الوَجَح فقُلِبَ * . و « طالبًا » حال من المضمر فى « يعلم » .

٣٦ أنْ سَوْفَ تُهْدِى إلى أثْآرِهِ بُهُماً
يُمْسِي الرَّدَى مُسْرياً فيها ومُدَّلِجَا

[ع] « الأثآر » جمع ثأر . والمعنى أن هذا المقتول قد علم أنك ستُهدِى إلى القوم الذين قتلوه جيشًا يطلب ثأره[2] . ويجوز أن يكون « تُهدِى » من الهديَّة ، و « تَهدِى » بفتح التاء من هديتُ القوم إذا تقدّمتهم ، وإذا كان من الهديَّة فهو من باب قولهم عِتابُه الضرب وتحيتُه السيف ، أى قد أقام هذه الكتيبة مقامَ الهديَّة وإن كانت تأتيهم بشرّ ، كما قال عمرو بن معدى‌كرب .

وخيل قد دَلَفْتُ لها بخيل تحيةُ بَينهمْ ضَرْبٌ وجيعُ

---

(١) فى ظ : قال الخارزنجى : وروى « نشجا » بضم النون والشين ، وقال : هو جمع الناشج وهو الباكى ، وروى « نشجا » بفتحهما . وقال ابن المستوفى : « النشج » واحد الأنشاج وهى مجارى الماء ، فيكون صفة العبرة ، أى عبرة سائلة ، و « نشجا » بضمهما نصب على الحال . وقال : وفى النسخة العجمية « نشجا » جمع نشيج ونشوج وهو البكاء .

(٢) فى ظ من كلام أبى العلا : و « البهم » جمع بهيمة وهو الفارس الذى لا يدرى كيف يؤتى له ، كأنه قد أبهم أمره . والمعنى : أن هذا المقتول علم أنك سوف تهدى إلى القوم الذين قتلوه جيشاً يطلب بثأره . ومثله :

فإن يهلك جوين فإن حرباً كفلنك كان بعدك موقدوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها

و « الإدلاج » السير من آخر الليل ، و « المُسْرِى » الذى يَسرِى من أول الليل إلى آخره .

٣٧ لَوْ لَمْ يكُنْ هَكَذا هذا لديْهِ إذًا
ما ماتَ مُسْتَبْشِرًا بالموْتِ مُبْتَهجَا

أى لو لم يعلم هذا ما أسلم نفسه إلى الموت مع قُدرته على النجاة .

٣٨ لَوْ أَنَّ فِعْلَكَ أَمسَى صُورَةً لثوَى
بَدْرُ الدُّجَى أَبَدًا مِن حُسْنِها سَمِجَا

وروى المرزوقى : « من نُورِها سَبَجَا » (١) .

(١) فى ظ : وروى الخارزنجى : « لو أن فعلك أمسى صورة ليرى » .

٣٢

قافية الحاء

وقال على قافية الحاء يمدح أبا سعيد، ويقال نوح بن عمرو السَّكْسَكِي الحِمْصى (١).

١ قلْ لِلأَمِير لقَدْ قَلَّدْتَنى نِعَماً
فُتَّ الثَّنَاءَ بِهَا ما هَبَّتِ الرِّيحُ

٢ يا مَا نِحى الجَاهَ إِذْ ضَنَّ الجَوَادُ بِهِ
شُكْرِيكَ ما عِشْتُ للأَسْمَاعِ مَمْنُوحُ

٣ لمْ يُلْبِسِ اللهُ نُوحاً فَضْلَ نعْمتِــهِ
إلاَّ لِمَا بَثَّهُ (٢) مِنْ شُكْرِهِ نُوحُ

الثانى من البسيط والقافية متواتر .

٣ — [ص] يريد قوله عزّ وجل: « إنه كان عبداً شَكُوراً » . [ع] هذا من الإلجاء الذى تقدم ذكره فى حرف الثاء عند قوله « البَعِيث » لأنّ القصيدة لو كانت على السين لصلح أن يجعل مكان « نوح » « مُوسَى » ، ولو كانت على الدال لصلح أن يجعل مكانه « هُودًا » ، وقد قال أيمَنُ بنُ خُرَيم بن فاتك القصيدة التى يَذُمُّ فيها أهلَ العراق :

أبى الجُبْنَاءُ من أهلِ العراقِ على اللهِ فى الحرب إلاّ قُسُوطَا

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى س ، وفى نسختى ب ، ن من التبريزى جاء أنها قيلت فى أبى سعيد أو فى عمرو بن نوح السكسكى كما أثبتناه ، وفى نسختى م ، ل من الصولى لم يذكر فيهن قبلت ، وفى دجاء : وقال يمدحه — أى الممدوح — بالقصيدة السابقة — وهو أبو سعيد ، وفى ك : وقال يمدح بعض الأمـراء .

(٢) د : « نثه » .

وجاء فيها بقوله :

ولو أنَّ لُوطًا بنيٌّ لكم لأسلمتمُ حــين تُلقَوْنَ لُوطَا

فأما قول النابغة :

أتيتُــكَ عاريًا خـلَقًا ثيابى على خـوْف تُظنّ بى الظُّنونُ

فألفيْتُ الأمــانةَ لم تخنهــا كذلك كان نوحٌ لا يَخُونُ

فليس من هذا النحو إذ كان البيت لا يفسُد بتغيّر الاسم .

٤ ذَمَّتْ سَماحتُهُ الدُّنْيا إِليه فَما
يُمْسِى ويُصْبِحُ إلاَّ وهْوَ مَمْدُوحُ

٥ ولِلأُمورِ إِذَا الآراءُ ضِقْنَ بِهَا
يَوْمَ التَّجادُلِ[1] مِن آرَائِهِ فِيحُ

٥ — [ع] « فِيح » جمع أفْيَحَ وفيحاء وهو الواسع والواسعة ، يقال : مكان أفيح وأرض فَيْحاء .

٦ لَمْ يُغْلِقِ اللهُ بابَ العُرْفِ عن أَحَدٍ
بَابُ الأَمِيرِ لهُ المأْلوفُ مَفْتُوحُ

٧ لنْ يَعْدَمَ[2] المَجْدَ مَنْ كانتْ أَوائلُهُ
مِنْ آلِ كِسْرى البَهالِيلُ المَرَاجِيحُ

٧ — [ع] « البهاليل » جمع بُهلول ، والرّواة يفسرونه الضّحاك ، والاشتقاق يَدلّ على أن البُهْلول الذى أبهِلَ وشأنَه لا يُعتَرض عليه ، فيجوز أن يؤدّيَه ذلك إلى الضحك والفرح ، أُخذ من الناقة الباهِل وهى التى لا صِرَار عليها[3] .

---

(١) ل : « وللتجادل » . (٢) ل ، ظ : « لم يعدم » .

(٣) فى ظ كلام متصل بشرح أبى العلاء هذا كأنه منه فى تفسير « المراجيح » ، قال : و « المراجيح » الثقال فى مجالسهم ، يوصفون بالحلم ، لا يكادون يقولون للواحد مرجاح .

٨ مُورِي[١] الفُؤَادِ فلَوْ كانتْ بِعَزْمَتِهِ
تُذكَى المصَابِيحُ لم تَخْبُ المصَابِيحُ

٩ كأَنَّهُ لاجتِماعِ الرُّوحِ فيه لَهُ
مِنْ كلِّ جَارِحَةٍ فى جِسْمِهِ رُوحُ

(١) ه ب ، ه ن : « مذكى الفؤاد » .

وقال يمدح إسحقَ بنَ إبراهيم ، وهذه قدّمها قبل قصيدته :

• أصغَى إلى البَيْن مُغْتَرًّا فلا جَرَمَا •

١ أَلاَ يا أَيُّها المَلِكُ المُعَلَّى إِذَا بَعْضُ المُلوكِ[1] غَدا مَنِيحَا

الأول من الوافر والقافية متواتر :

[ع] « المُعَلَّى » القِدْح السابع من قِداح المَيسر وهو أعظمها حظًّا ، و « المَنِيح » لاحظَّ له ، وهو الذى أراده الطائىّ ها هنا ، وقد يكون « المنيح » فى معنى المستعار فيكون له حظ .

٢ أَعِرْ شِعْرِىَ الإِصَاخَةَ مِنْكَ يَرْجِعْ

طَوَالَ الدَّهْرِ بَارِحُهُ سَنِيحَا

٣ أَنِلْهُ باسْتِمَاعِكَهُ مَحلاًّ يَفُوتُ عُلُوُّهُ الطَّرْفَ الطَّمُوحَا[2]

٤ فلَمْ أَمدَحْكَ تَفْخِيماً بِشِعْرِى[3] ولكِنِّى مَدَحْتُ بكَ المَدِيحَا

(١) ظ : « بعض الرجال » .

(٢) « الجموحا » وهى بين السطور فى ك .

(٣) ظ ، ك : « لشعرى » .

وقال يَمدحُ الفَضْلَ بن صالح بنِ عبد الملك بن صالح ويُكذّب من قال إنه قتل أخاه عُبيدَ الله بن صالح حتى تزوّجَ بامرأته أَتْراك[١] :

١ أَهْدِ[٢] الدُّمُوعَ إلى دَارٍ ومَا صِحهَا
فَلِلْمَنازِلِ[٣] سَهْمٌ فى سَوَافِحِهَا

الأول من البسيط والقافية متراكب .

[ع] « ما صحها » من قولهم مَصَحَ الشىءُ إذا غاب فى الأرض[٤] * و « سوافحها » جمع سافِح ، يقال سَفَحَ الدمعُ فهو سافح ، وسَفَحه الباكى فهو مسفوح ، وكل شىء صُبَّ فهو مسفوح كالدّم والماء .

٢ أَشْلَى الزَّمانُ عليها كُلَّ حَادِثَةٍ
وفُرْقَةٍ تُظْلِمُ الدُّنيَا لِنَازِحِهَا

[ع] جاء بـ « الإشلاء » فى معنى الإغراء ، وكذلك تستعمله العامةُ يقولون : أشليتُ الكلبَ إذا أغريتَه ، ورواة اللغة يقولون أشليتُ الشاةَ إذا دعوتها إلىّ ،

---

(١) قال الصولى : ولهذا خبر ذكرته فى الرسالة (رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك فى أخبار أبى تمام) وبالرجوع إلى كتاب « أخبار أبى تمام » لم نجد فيه ذكراً لقصة أتراك هذه ، فالراجح أنها سقطت من النسخة الوحيدة التى نشرنا منها الكتاب .

وجاء فى ك أن أبا مالك كان لا يروى له هذه القصيدة .

(٢) فى ظ : ويروى « أهدى » فعلا ماضياً ، وقال ابن المستوفى : والأول أجود . وليها : ويروى « أهدى » فعلا مضارعاً .

(٣) ك بين السطور : « فللمدامع » .

(٤) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : الأجود أن يكون « ماصحها » من مصح الثوب أخلق ودرس ، أو مصح الشىء مصوحاً ذهب وانقطع ، قال :

* قد كاد من طول البلى أن يمصحا *

ولم أرهم ذكروا « مصح » إذا غاب فى الأرض .

وآسدتُ الكلبَ وأوسدْتُه إذا أغريتَه ، وقد جاء « الإشلاء » فى معنى الإغراء ويُروى لبلال بن جرير :

نَزَلْنا بخـــلاّدٍ فأشْلَى كِلابَه   علينا فكدنا بين بَيتيه نُؤْكَلُ

وقال آخر :

خرَجْت خُروجَ القِدْحِ قِدْحِ ابنِ مُقْبلٍ   على الرَّغْمِ من تلك النَّوابحِ والمُشْلِي

٣ حَلَفْتُ حقًّا لقدْ قلَّتْ مَلاحَتُها
بمَنْ تُخَرِّمَ عنْهَا مِنْ مَلائِحِها

٤ إنْ تبْرَحَا وتَبَارِيحى على كَبِد
ما تَسْتَقِرُّ فدَمْعى غَيْرُ بارِحِها

أى إن تُفارقانى ولن تساعدانى فإن دمعى لا يفارقنى .

٥ دارٌ أُجِلُّ الهوَى عنْ أنْ أُلِمَّ بها[1]
فى الرَّكْبِ إلاَّ وعَيْنى[2] مِنْ مَنائِحِها

---

(١) رواه الآمدى : « إن لم ألم بها » وعابه عليه ، وقال فى نقده : وقد كنت أظن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع عليه فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه ، فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ (الموازنة ص ٨٩) . وقد نقل ابن المستوفى كلام الآمدى هذا وغيره من كتاب آخر له سماه « شرح معانى أبيات من شعر أبى تمام » قال الآمدي منه : فقوله « إن لم ألم بها إلا وعينى من منائحها » عكس للمعنى الذى أراده ، وكذلك لو قال : « أجل الهوى ألا ألم بالدار إلا وعينى باكية » مثله سواء ، فإنه يجل الهوى عن أن يلم بها وهو يبكى ، وهذا ضد ما أراده . . . إلخ . وقال الآمدى أيضاً : ورأيت فى بعض النسخ مصلحاً قد أصلح هذا البيت فجعله « دار أجل الهوى عن أن ألم بها » ، فالرواية ما ذكرته لأن ذلك هو الموجود فى الأصول العتق من نسخ شعره بخط السكرى وغيره .

وقال ابن المستوفى فى الرد عليه : وفى حاشية كتابه هذا (كتاب الآمدى) بخط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزنى : « الرواية التى ذكر أنها مصلحة هى :

دار أجل الهوى عن أن ألم بهـــا   فى الركب إلا وعينى من منائحها

معناها ظاهر صحيح ، كأنه قال : أجل الهوى عن أن ألم بالدار إلا وأنا باك ، أى إذا ألممت بها بكيت ، ولا أدرى من أين زعم أن هذا ضد ما أراده ، وهذا يدل على فساد تصوره » . –

٦ إذا وصَفتُ لِنفْسِي هَجْرَها جَنَحَتْ[١]
وَدَائعُ[٢] الشَّوْقِ فى أَقْصَى جَوانِحِها[٣]

٧ وإنْ خَطَبْتُ إليْها صَبْرَها جعلَتْ
جِرَاحَةُ الوَجْدِ تَدْمى فى جَوارِحِها

٧ — « إليها » بمعنى النفس[٤]، وقوله « جعَلتْ . . . » أى سَقِمتْ ، فكلّ عضو من أعضائى موهون مجروح يَدْمَى .

٨ ما لِلْفَيافِى وتِلْكَ العِيسِ قدْ خُزِمَتْ
فَلَمْ تَظَلَّمْ إليْهَا مِنْ صَحاصِحِها[٥] ؟

(ع) « العِيسِ » خُفِضَ لأن المعنى : ما للفيافى ولتلك العيسِ ، ويجوز أن

= وقال ابن المستوفى أيضاً : الذى تكلم عليه الآمدى ورده إنما هو على ما رُوِى من هذا البيت :

دار أجل الهوى إن لم ألم بها   فى الركب إلا وعينى من منائحها

وأما ما ذكر الآمدى أنه رآه فى بعض النسخ مصلحاً فقد وجدته فى عدة نسخ على ما روى من الإصلاح « عن أن ألم بها » ولم أجده فى نسخة على ما رواه الآمدى .

(٢) [من الصفحة السابقة] قال ابن المستوفى : فى نسخة بإزاء قوله « إلا وعينى » « إلا ودمعى » ، وأكثر النسخ « إلا وعينى » .

---

(١) ك بين السطور : « جمحت » .

(٢) ل : « دوافع الشوق » .

(٣) لم يرد البيت فى نسخة د .

(٤) قال ابن المستوفى : فى نسخة التبريزى « إليها » يعنى النفس . قال الآمدي : فى قوله « وإن خطبت إليها صبرها » البيت « وإن خطبت إليها » أى إلى الدار صبرها أى إلى أن تهدى لى صبراً كصبرها من أهلها ، جعلت جراحة الوجد تدمى فى جوارحها ، فأضاف الجوارح إلى الجراحة ، وقال فى جوارحها ولم يقل فى جوارحى ، لأن جراحة الوجد وإن كان القلب مخصوصاً بها إلا أنه إنما أراد فى كل جوارحه فجعلها كلها دامية ، ويكون « فى » بمعنى « مع » أى مع جوارحها أى جراحة القلب مع سائر الجوارح .

هذا كلام الآمدى الذى أورده ابن المستوفى ، وقال عقبه : أظن الآمدى لتعصبه على أبى تمام كان يضع فى شعره أبياتاً مفسودة ليردها عليه ، وهذا البيت الذى ذكره إنما يصح تأويله له إذ لم يرو قبله « إذا وصفت لنفسى هجرها جنحت » البيت ، ولعله لم يروه ، وقد وجدته ملحقاً فى غير نسخة ، فأما إذا كان موجوداً قبل قوله « وإن خطبت إليها صبرها جعلت » البيت لم يحتج إلى هذا التعسف فى تفسيره .

(٥) وفى ظ أيضاً قضية أخرى لهذا البيت فقد رواه الآمدى « ولم تظلم إليها لى صحاصحها » وقال=

يُنصَب على أن يُجعل « تلك » فى موضع نَصْب على المفعول معه . و « خُزِمَتْ » أى جُعِلتْ الخزائم فى أنوفها . ويجوز أن يُجعل « تلك » فى موضع رفع وما بعدها خبر لها ، كأنَّه قال : وتلك العيس مخزومة . و « الصحاصِح » جمع صَحْصَح وهو الأرض الواسعة المستوية . نسخة العَبْدى :

ما للفيافى رأتها العيسُ قد خُزِمتْ

و «قد خُزِمتْ » حال للعيس ، و « رَأَتْ » من رؤية العين . وقوله « لم تَظلم » أى لم تَشكُ إليها من صَحاصِحها .

٩ فُتْلٌ إذا ابْتَكَرَ الغَادِى على أَمَلٍ[1] خلفْنَهُ يَزجُرُ الحَسْرَى بِرائِحِها[2]

« فُتْل » أى فُتْل المَرافِق . و « الحَسْرَى »جمع حَسِير وهو المُعْيِى من الإبل . [ع] والمعنى : أنّ هذه الإبل تُسرِع فتُتعب الحادِى وتسبقُه . والعرب تصف الإبل بذلك ، قال الأخطل :

حَمَيْنَ العَراقيبَ العَصَا فتركْنَهُ به نَفَسٌ عالٍ مُخالِطُهُ بُهْرُ[3]

يقول : يَبكرُ الحادى وهو يُؤمِّل أن يَبلُغ مرحلةً فتزيد على ظنّه ، فتتركه مع الرائح يَزجر الحَسْرى ، وهو يناسب قول الآخر :

إذَا القومُ قالوا وِرْدُهُن ضُحَى غَدٍ تَواهَقْنَ حتَّى وِرْدُهُنَّ مَساءُ

= « صحاصحها » مخفوض بدل من الفيافى وهو بدل البعض من الكل ، فيقول : ما الفيافى صحاصحها . . . ، « ولم تظلم إليها » يعنى إلى صحاصح الفيافى ، وأخر قوله « لى » عن موضعها فقبح نسج البيت وتأليفه ، والمعنى بالصحاصح الفيافى ، لا تتظلم إليها العيس وقد خزمت لى ، يقول : لأنى أتعبها بإغذاذى السير وإسراعى وطول دأبى فى طول الصحاصح وبعدها . وتظلمها إلى الفيافى ما يظهر من جزعها منها إلى ، فهذه لقوتها لم يظهر ذلك فيها . ثم قال الآمدى بعد هذا : كذا لفظ هذا البيت فى النسخ العتق بخط أبى سعيد السكرى وغيره ، ورأيت بعضهم أصلحه .

ما للفيافى وتلك العيس قد خزمت ولم تظلم إليهـا من صحاصحها

أى ولم تتظلم العيس إلى الفيافى من صحاصحها ، والمعنى واحد ، والله أعلم بما قاله الرجل .

(١) : قال المرزوقى فى كتابه : وروى بعضهم « على إبل » بالباء ، وقال : ومن روى « على أمل » فقد صحف .

(٢) ل ، ك : « ببارحها » وقال فى ل : ويروى « برائحها » .

(٣) الديوان ص ١٩٨ .

١٠ تُصْغِي إلى الحَدْوِ إصْغَاءَ القِيانِ إلى
نَغَمٍ إذَا استغْرَبَتْهُ مِنْ مُطَارِحِها

[ع] أى هذه العيس يعجبها الحُداءُ فيشتدّ سيرُها عليه، وهم يقولون الحُداء غِناء الإبل، قال الراجز:

غَنَّى لها عَبْدُ يَزِيدَ بالرَّمَلْ
فانبَعَثَتْ كأنها الريحُ الشَّمَلْ

ويُروى «بالزَّمَل» وهو أصحّ. و «النَّغَم» والنَّغْم واحد. قال الشيبانى:

يا رُبَّ مِثلِكِ غيْرِ فاحِشَةٍ مَحْبوبةِ الألفاظِ والنَّغْمِ

و «مَطارِحُها» الذى يُعَلِّمها الغِناءَ ويُطارحها إياه.

١١ حتَّى تَؤُوبَ كأَنَّ الطَّلْحَ مُعْتَرِضٌ
بِشَوْكِهِ فى المَآقِى مِن طَلائِحِها

[ع] «المآقى» جمع مأْقِى العين وهو جانبها الذى يَلِى الأنف. و «الطَّلْح» شجر له شوك، وهم يصفون الإبل إذا أعيَتْ بأنّ عيُونَها تَدْمَع فكأنها قد أصابها شَوْكُ الطلح، وهذا كما قال الشمَّاخ:

قدْ وكَّلَتْ بالهُدَى إنسانَ ساهمةٍ كأنّ إنسانَها بالشَّوْكِ مَسْمُولُ(١)

١٢ إلى الأكارِمِ أَفْعَالاً ومُنْتَسَباً
لمْ يَرْتَعِ الذَّمُّ يَوْماً فى طَوائِحِها

ويروى «لم يرتَعِ الذمّ فى أدنى مَسارِحِها»(٢).

---

(١) الديوان ص: ٨١.

(٢) جاءت هذه الرواية فى هـ ب، هـ ن. وفى ظ قال: ويروى «صوالحها». وفسر «طوائحها» بذواهبها. وفى د: «يوماً فى مسارحها».

١٣ آسَاسُ مَكَّةَ والدُّنيا بِعُذْرَتِهـــا
لَمْ يَنزِلِ الشَّيْبُ فى مَثْنَى[(١)] مَسائِحِها

[ع] يقول : هؤلاء القوم كانوا آساس مكة والدنيا شابّة مثل الجارية العذراء التى لم تُفتضّ . و « مسائح الرأس » جانباه ، ويقال للشَّعر الذى فيهما المسائح ، وقيل إنما سُمّى بذلك لأنه يُمسَح فى الوضوء وغيره .

١٤ قَوْمٌ هُمُ أَمِنُوا قَبْلَ الحَمَامِ بها
مِنْ بَيْنِ سَاجِعِهَا البَاكى ونَائِحِها

إنما قال « قبل الحمَام بها » لأنّ بها وبتألُّفها فيها علم الناسُ أنها مأمن . يقول : فهؤلاء أمنوا بها قبل حصول الحمام بها . [ع] . « والساجع » الذى يأتى بصوته على طريقة واحدة ولذلك سُمِّى السَّجْعُ من الكلام * . ويجوز « آمنوا قبلُ الحمامَ » بمد « آمنوا » وضم « قبل » على الغاية ونَصْب « الحمام » لأنه مفعول به[(٢)] .

١٥ كانُوا الجِبالَ لها قَبْلَ الجِبالِ وهُمْ
سَالُوا ولَمْ يَكُ سَيْلٌ فى أَباطِحِها[(٣)]

١٦ والفَضْلُ إنْ شَمِلَ الإِظْلامُ سَاحتَها
مِصْباحُها المُتَجَلِّى مِنْ مَصابِحِها

---

(١) د : « مثنى فى مسائحها » .

(٢) قال ابن المستوفى : وهذا وجدته يروى فى بعض نسخ شعره .

(٣) جاء فى ظ : قال أبو العلاء : يصفهم بقدم السؤدد والشرف ، والعرب تمدح بذلك ، وتذم بالأحدث القريب ، وقوله « سالوا و لم يك سيل » يحتمل أن يكون مراده أن يكونوا نزلوها وسالوا بها ، أى كثروا ، فيكون قريباً من قول الآخر :

ونحن بنو الشيخ الذى سال بوله بكل بلاد لا يبـــول بها فحل

يعنى كثر ولده فبالوا فى البلاد . ويجوز أن يعنى بقوله « سالوا . . . . » أنهم جادوا فكان عطاؤهم كالسيل .

قال ابن المستوفى : لم يرد أبو تمام إلا القول الآخر .

١٧ مِنْ خَيْرِها مَغْرِساً فيها وأَوْسَعِها
شِعْباً تُحَطُّ إليه عِيرُ مادِحِها

١٨ لاتَفْتَ(١) تُزْجِي فَتِيَّ العِيسِ سَاهِمَةً
إلى فَتَى سِنِّها مِنْها وقَارِحِها

« فتَى سنِّها » المملوحُ ، أى هو حديث السن ، لكن عقله عقل الشيوخ . ويقع فى النسخ « لا تفترنَّ تُزجِّي العيسَ »(٢) والمرزوقى يردّه ، وقال : الرواية « لا تَفْتَ تُزجي فتيَّ العيس ساهمةً » وفى البيت تجنيس فى ثلاثة مواضع و « تَفْتَ » مُخفَّفة من فَتِيءَ يَفتأ .

١٩ حتَّى تُناوِلَ تِلْكَ القَوْسَ بَارِيَها
حَقًّا وتُلقِى زِنَادًا عنْدَ قَادِحِها

٢٠ كأَنَّ صَاعِقَةً فى جَوْفِ بَارِقَةٍ
زَئِيرُهُ واغِلاً فى أُذْنِ نابِحِهَا

[ع] جعل عدوّه مثل الكلب النابح ، وهذا كلام يُستعمل كثيرًا فيُشبَّه الرجل الخسيس يتكلم فى الشريف بالكلب النابح ، قال :

وهلْ كانَ الحُطَيئةُ غيرَ كلْبٍ رَماهُ اللهُ أنْ نَبَحَ النُّجوما ؟

٢١ سِنَانُ مَوْتٍ ذُعَافٍ مِن أَسِنَّتِها
صَفِيحَةٌ تُتَحَامَى مِن صَفَائِحِهَا

(١) ظ : « لا يفت » .
(٢) هى رواية م ، ل ، د ، ك ، وهى رواية أبى العلاء كما جاء فى ظ . وفى ظ أيضاً : ويروى « تزجى فتاء العيس » كأنه جمع فتى ، وقال : يخاطب نفسه .

٢٢ ذُو تَدْرَإٍ وإبَاءٍ فى الأُمُورِ وهَلْ
جَواهِرُ الطَّيْرِ إلاَّ فى جَوارِحِها !

٢٢ — يقال : فلان ذو تُدْرَإٍ، إذا كان ذا حَدّ يُدفَع به العدوّ والخَصم ، وهو مأخوذ من دَرأتُه أى دفعتُه ، قال الشاعر :

وذُو تُدْرَإٍ ما الليثُ فى أصْلِ غَابِهِ بأشْجَعَ مِنْهُ عِنْدَ قِرْنٍ يُنازِلُه

٢٣ هَشْماً لأَنْفِ المُسَامِى حَيْنَهُ فَسَمَا
لِهَاشِمٍ ، فَضْلُها فِيها ابْنُ صَالِحِها[١]

أى هَشَم اللهُ أنفَ مَنْ سامَى حَيْنَه وهلاكَه ، وتَعرّض للهلاك بأن ارتفع لمبارزة هاشم ، وفيها ومنها فضلُ بن صالح هذا الممدوح .

٢٤ يا حَاسِدَ الفَضْلِ لا أعْرِفْكَ مُحْتَشِداً
لِغَمْرَةٍ أَنْتَ عِنْدِى غَيْرُ سَابِحِها

أى يا مَنْ يحسد هذا الرجل كُفّ من حَسَدِك إيّاه ، ولا تَشرَعْ فى بحرٍ لا أراك سابحًا فيه ، بل تُغرِقك أمواجُه .

---

(١) يقع هذا البيت فى ل بعد البيت ١١ « حتى تؤدب . . . » وروايته فيها :

هشماً لأنف المسامى هاشما فسما لهاشم فضلها الفضل بن صالحها

وهو فى م بعد البيت ١٢ « إلى الأكارم » . . . وروايته فيها :

هشماً لأنف المسامى هاشماً أبداً وقد رأى فضلها فيها ابن صالحها

وفى ظ روى أبو العلاء البيتين مجموعاً أحدهما إلى الآخر :

إذا العلى نسبت يوماً إلى أحد فأخصص بأفضلها الفضل بن صالحها
هشما لأنف المسامى هاشماً أبداً وقد رأى فضلها هـذا ابن صالحها

ثم قال : هذان البيتان [لا] ينبغى أن يجمع بينهما فى الرواية ، وإنما أحدهما نائب عن الآخر ، ولا يمكن أن يكون الطائى جاء بهما إلا على سبيل الاتساع ، إذ كان أحدهما يغنى عن الآخر ، وليس بينهما تباعد ، وكلاهما فيه ذكر « الفضل » و « صالح » ، وليس لهما معنى مختلف فيصرفان إليه .

وقال ابن المستوفى : لم أر فى عدة نسخ من شعر أبى تمام هذين البيتين مجموعاً أحدهما إلى الآخر ، لكنى وجدت فى النسخ رواية الأول وإسقاط الثانى ، أو رواية الثانى وإسقاط الأول ، وكيف يخفى على أبى تمام هذا الإبطاء القبيح مع تقارب البيتين وتكرار ما فيهما من الاسمين ؟ .

٢٥ لِكَوْكَبٍ نَازِحٍ مِن كَفِّ لامِسِهِ
وَصَخْرَةٍ وَسْمُهَا فى قَرْنِ نَاطِحِها

العرب تجعل الممدوح كالصخرة والجبل ، وإنما يريدون عِزَّه وثباتَه . و « وَسْمُها » أثرها .

٢٦ ولا تَقُلْ إنَّنَا مِنْ نَبْعَةٍ فلقَدْ
بانَتْ نَجائِبُ إبْلٍ مِنْ نَوَاضِحِها

أى لا يحملنَّك على حسده ومُباراته أنَّكما من هاشم ، فإنَّ بينكما من التفاوت ما بين النجائب والنواضح وإن كانت من جنس واحد[(١)] .

٢٧ سَميْدَعٌ يَتغَطَّى مِن صَنَائِعِــه
كما تَغَطَّى رجالٌ مِن فَضائِحِها

أصحاب اللغة يختلفون فى تفسير « السَّمَيْدَع » إلاّ أنه مَدْح لا اختلاف

---

(١) فى ظ : قال المرزوق : أنكر بعضهم قوله (وأنشد الأبيات الثلاثة : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦) فقال : أخطأ فى قوله « أتت نجائب إبل من نواضحها » لأنه كأنه قال إن أبانا واحد فاللئيم قد يلد الكريم ، والذى يليق بالمعنى و يصح الغرض به : « بانت نجائب إبل من نواضحها » انتهى كلامه .

قال المرزوق : قد ظلم هذا الإنسان أبا تمام ظلماً مبيناً ، وصحته فيما رواه و بدل . [فالرواية عند المرزوق إذن هى « أتت نجائب إبل من نواضحها»] ثم أخذ يحمل عيب نفسه عليه ، والمعنى أن الاشتراك فى الجنس لا يوجب التساوى ، ألا ترى أن الإبل جنس واحد ثم منها النجائب ومنها نواضح ، وقد بان بعضها من بعض ؟ ! وأعاد أبو تمام هذا المعنى على وجه آخر فى موضع آخر فقال :

غربتــه العلى على كثرة النا س فأضحى فى الأقربين جنينـــا

ومن هنا سرق المتنبى هذا المعنى فأخرجه فى معارض ، فمرة قال :

فإن يكن تغلب الغلباء عنصرهـــا فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقال فى أخرى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

قال ابن المستوفى : راجعت أكثر من خمس نسخ من شعر أبى تمام فلم أجد فى نسخة ما رواه المرزوق من قوله « فلقد أتت نجائب إبل من نواضحها » ولعل هذه الرواية وقعت إليه كما وقع غيرها من الزيادات التى تعقبها الآمدى وغيره عليه ، والذى شرحه العلماء هو مطابق لقوله « فلقد بانت نجائب إبل من نواضحها » .

فيه ، فيقولون : السَّمَيْدع الشجاع الكريم ، وقال المُنتجع بن نَبْهان : هو السيد الموطأ الأكناف ، وهذا مؤدٍ معنى الحِلْم .

٢٨ وفَارَةُ المِسْكِ لا يُخْفِى تَضَوُّعَها
طُولُ الحِجَابِ ولا يُزْرِى بِفَائِحِها

٢٩ لِلّهِ درُّكَ فى الخَوْدِ التى طَمَحَتْ
ما كانَ أَرْقَاكَ يا هَذا لِطَامِحِها ؟!

٢٩ — « طَمَحَتْ » أى ببصرها إلى السماء تكبُّرًا . ويقال : طَمحتُ فى الشرف أى ارتفعت . أى تزوجتَ بهذه المرأة التى ما كانت تتواضع للتزوج . يقول : فرَقِيتَ طامحَها ، أى ما طَمَح منها ، فأزلتَ نخوتها ، وقيل : ما أشدَّ ارتقاءَك إلى طامِحها ومُرتَفَعِها حتى تزوّجتَ بها ، يعنى جاريةً كانت لأخى الممدوح ومات عنها ، وكان مشغوفًا بها ، ولها أخبار كثيرة فى نجابتها وحُسن فِطنتها وأدبها ، فآلت بعده ألاّ تتزوج ، فلم يزل بها فضل بن صالح مُتلطِّفًا بها حتى أجابَتْه بعد خطوب طالت[١] .

٣٠ نَقِيَّةُ الجيْبِ لا لَيْلٌ بمُدْخِلِهَا[٢]
فى بَابِ عَيْبٍ ولا صُبْحٌ بِفَاضِحِها

٣١ أَخذْتَها لَبْوَةَ العِرِّيسِ مُلْبِـدَةً
فى الغَابِ والنَّجْمُ أَدْنَى مِنْ مَنَاكِحِها

٣١ — يقال لَبُؤَة على مثال سَبُعة ، فهذه اللغة الفصيحة ، ويجوز أن تجعل همزتها واوًا لأنها مفتوحة وقبلها ضمة فتقول : لَبُوَة ، ويجوز أن تُسكِّن

(١) وقال الصولى : ويعنى بذلك أن أتراك جارية عبيد الله بن صالح بن عبد الملك بن صالح ، وكان أعتقها وتزوج بها ، أبت أن تتزوج بالفضل بن صالح أخى عبيد الله بن صالح لأنه قتل أخاه عبيد الله بن صالح من أجلها .

(٢) د : « بمدلجها » .

بعد ذلك على لغة ربيعة فيقال : لَبْوَة ، والعامة تستعملها على هذا اللفظ ، فإن سكَّنْتَ فى حال الهمز قلتَ لبْأة ، فإن نُقلتْ حركة الهمزة إلى الباء وحذفت قيل : لَبَةٌ .

٣٢ لوَ أن غيْرَ أَبِى الأَشْبَالِ صافَحَهَا
شَكَّتْ بِمِخْلَبِها كَفِى مُصافِحِها

٣٣ جَاءَتْ بِصَقْرَيْن غِطْرِيفَيْنِ لووُزنا
بِهَضْبِ رَضْوَى إِذًا مَالا براجِحِها[1]

٣٤ بِهَاشِمِيَّيْنِ بَدْرِيَّيْنِ إن لَحِجَتْ
مغَالِقُ الدَّهْرِ كانا مِن مَفَاتِحِها

٣٤ — ويروى : بهاشميينِ كالبدرَيْن . ويقال : لَحِجَتِ الأبواب إذا انغلقت .

٣٥ نَصْلانِ قَدْ أُثْبِتا فى قَلْبِ شَانِئِها[2]
نارَيْنِ أُوقِدَتا فِى كَشْحِ كاشِحِها

٣٦ وكَذَّبَ اللهُ أَقوالا[3] قُرِفْتَ[4] بهـا
بِحُجَّةٍ تُسْرِجُ الدُّنْيا بِوَاضِحِها

٣٦ — قيل فى سعاية سُعِيَ به إلى المعتصم فلم تَثْبُتْ .

٣٧ مُضِيئَةٍ نَطقَتْ فينا كما نَطقَتْ
ذَبِيحَةُ المُصْطَفَى مُوسَى لِذَابِحها

---

(١) هى رواية م ، ل ، ك . (٢) ل : « شانئهم » .
(٣) م ، ل ، ك : « أخباراً » . (٤) م : « قذفت » .

٣٨ لَئِنْ قَلِيبُكَ جَاشَتْ بالسَّماحَةِ لى
لقَدْ وَصَلْتُ بِشُكْرى حَبْلَ ماتِحِها

٣٩ وقَدْ رَأَتْنى قُرَيْشٌ سَاحِباً رَسَنِى
إلَيْكَ عَنْ طَلْقها وَجْهاً وَكالحها

٣٩ – أى قصدتك من بينهم وتركتُ بخيلهم وجوادهم .

٤٠ إذَا القَصَائِدُ كانَتْ مِنْ مَدائِحهمْ
فأَنت[1] لا شَكَّ عِنْدى مِنْ مَدَائِحِها[2]

يقول : كما يفتخر هؤلاء بالقصائد تفتخر بك القصائد .

٤١ وإنْ غَرائبُها أَجْدَبْنَ مِنْ بَلَدٍ
كانَتْ عَطاياكَ أَنْدَى مِنْ[3] مَسَارِحِها

ويروى « أجْرَيْنَ » . و « غرائبها » التى تنتزعُ من بلدٍ إلى بلد .

---

(١) م ، ل ، ك : « يوما فأنت لعمرى من مدائحها » .

(٢) فى ظ : ويروى « من ممادحهم » و « ممادحها » وقال : قالوا : هو أجود .

(٣) م ، ل ، ك ، ظ ، هـ ب : « من أندى مسارحها » .

٣٤
قافية الدال

وقال يمدح أبا عبد الله أحمدَ بن أبي دُوَاد[١] :

١ سَعِدَتْ غَرْبَةُ النَّوى بِسُعَادِ فَهْيَ طَوْعُ الإتْهام والإنْجادِ

الأول من الخفيف والقافية متواتر .

« غَرْبَةُ النَّوى » بُعد النيَّة . [خ] أى سعدت النَّوى بموتاة سُعادَ إياها فى وجوهها ، فتصير بها مرةً إلى تهامة ومرةً إلى نجد .

٢ فارَقتْنا[٢] ولِلْمَدامِعِ أَنْوا ءُ سَوارٍ عَلَى الخُدُودِ[٣] غَوادِ

٣ كُلَّ يَوْمٍ يَسْفَحْنَ دَمْعاً طَرِيفاً يُمْتَرِى مُزْنُهُ[٤] بِشَوْقٍ تِلادِ[٥]

٤ واقِعاً بالخُدُودِ والحَرُّ مِنْهُ واقِعٌ بالقُلُوبِ والأَكْبادِ

(ق) « والبرد منه »[٦]. يعنى أنَّ الدمع يسيل على الخدود وبَرْده فى القلب والكبد ، لأنه ينقع الغلّة ويشفى الحُرقة ، كما قال[٧] :

---

(١) قال الصولى عقب القصيدة السابقة وقبل هذه القصيدة : ولم نجد له مدحاً على قافية الخاء .

(٢) س : « غادرتنا » .

(٣) ه س : « على النحور » — ك بين السطور : « على الصدور » .

(٤) ك بين السطور : « ودقة » .

(٥) شرحه الصولى بقوله : « طريفاً أى مستطرفاً » ، يريد محدثاً فى وقته و « يسفحن » يعنى الأنواء . و « يمترى » يحلب ، (أى) مزناً يحلب بشوق قديم .

(٦) هى رواية س ، ل ، ك
والرواية التى فى أصول التبريزى « والحر منه » غير أن الشاهد الذى أتى به ، وهو بيت ذى الرمة ، وما أورده من كلام المرزوقى واقتصاره على ذلك ، يدل على أن الرواية « والبرد منه » ، وإنما أثبتنا رواية « والحر منه » هنا فى الأصل لأن أصول التبريزى كلها أثبتتها فى المتن . وفى م من الصولى « والحر منه » وفى ل « والبرد منه » .

(٧) البيت لذى الرمة (الديوان ص ٤٩٢) وليس مما أتى به المرزوقى شاهداً ، وإنما هو من كلام التبريزى كما جاء فى ظ . أما المرزوقى فقد استشهد ببيت أبى تمام ، قال : ومثله قوله :

لقد أحسن الدمع المحاماة بعد ما أساء الأسى إذ جاور القلب داخله

٥ وعَلَى العِيسِ خُرَّدٌ يَتَبَسَّمْ نَ عن الأَشْنَبِ الشَّتيتِ البُرَادِ[١]

٦ كان شَوْكَ السَّيَالِ حُسْناً فأَمْسَى
دُونَهُ لِلفِراقِ شَوْكُ القَتَادِ

٦ — « السَّيَال » ضَرْبٌ من العِضاهِ يُشبَّه بشوكه الثغر ، و « القَتاد » من أكثر العضاه شوكًا ، يُقال للأمر إذا استُصعِبَ : دُونه شوكُ القَتاد ، ودونه خرْطُ القتادِ . [ق] و « شوك القتاد » اسم أمسى ، و « دونه » فى موضع الخبر . والمعنى : كان ذلك الثغر نَقِيًّا حسنًا فى عين المحبِّ كشوك السَّيال ، فلمّا وقع الفراقُ حال دونَ هذا العاشق ودونَه شَوْكُ القتاد[٢] .

٧ شابَ رَأْسِي وَما رأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْ
سِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ[٣] شَيْبِ الفُؤَادِ

أى ما شبتُ للكِبَرِ ، إنما ذلك للهُموم .

(١) جاء فى ظ : قال الخارزنجى : « البراد » البارد ، وقال أيضاً : البراد جمع البارد ، وإنما أراد الثغر . وقال ابن المستوفى : ولم يسمع أن البراد جمع البارد .

(٢) جعل الصولى فى شرحه وجه الشبه بين السيال والثغر البياض والصغر ، إذ قال : شبه ثغرها بشوك السيال لصغره وبياضه ، فلما فارقته صار هذا الثغر شوك القتاد عليه ، قال الأعشى :

باكرتها الأعراب فى سنة النو م فتجرى خلال شوك القتاد

وقال المرزوقى فى الرد عليه : وروى هذا الإنسان فى هذه القصيدة قوله : « كان شوك السيال ... » البيت « بنصب شوك القتاد » وقال فى تفسيره ، (وذكر ما ذكره الصولى هنا) ثم قال : أما ذكره الصغر فى تشبيه الثغر بشوك القتاد فلا فائدة فيه ، لأن الأسنان إذا كانت كالشوك فى الصغر فإنها لا تستحسن ، وقد كفى الغرض فى التشبيه ببياضها قول امرئ القيس :

منابتــه مثل السدوس ولونـــه كشوك السيال فهو عذب يغيص

وأما نصبه لـ « شوك القتاد » فليس بجيد ، ولو قصد ذلك لكان قوله « دونه » لا فائدة فيه ، وإنما الرواية برفع « الشوك » على أن يكون اسم « أمسى » ، و « دونه » فى موضع الخبر .

(٣) فى ظ : وروى الخارزنجى : « من فرط » .

٨ وكَذاكَ القُلُوبُ فى كُلِّ بُؤْسٍ
ونَعِـيمٍ طَلائعُ الأَجْسادِ

[خ] أى كل ما يحدث بالجسم فاعلمْ أنه قد بدأ بالقلب أولاً .

٩ طَالَ إنْكارِىَ البَياضَ وإنْ عُمِّرْ
تُ شَيْئاً(١) أَنْكَرْتُ لوْنَ السَّوادِ

(المرزوقى) يحتمل هذا وجوهاً : أحدها : ما قال الأعرابىّ لمَّا استُوصِفَ حالَه فقال : كنتُ أنكر الشعرةَ البيضاء فصرتُ الآن أنكر الشعرةَ السوداء! والثانى : إن عُمِّرتُ شيئاً اسودّ من جلدى ولونى ما كان مُبيضّاً فأنكرته ، وهذا كما قال العُريانُ بن الهيثَم لمَّا سأله عبد الملك عن حاله فقال : ابيضَّ منى ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنتُ أحبّ أن يبيض . . . فى كلام طويل ، ثم قال :

وكنتُ شبابى أبيضَ اللونِ زاهـراً فصرتُ بُعيْدَ الشيبِ أسودَ حالكا

والثالث : إن عُمِّرتُ شيئاً أنِسْتُ بالبَياض وسَكنتُ إليه حتى أكونَ مُنكراً للسَّواد كإنكارى الساعةَ للبياض(٢) .

١٠ نَالَ رَأْسِى منْ ثُغْرَةِ الهمِّ ما لَمْ
يَسْتَنِلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ المِيـلادِ

(١) فى ظ : ويروى : «وإن عمرت حيناً» .

(٢) قال ابن المستوفى : قالوا إنه عيب على أبى تمام قوله «شاب رأسى» البيت ، فزاد فى القصيدة «وكذاك القلوب . . .» البيت التالى له ، وأنكر أبو العباس عبد الله بن المعتز هذا البيت على أبى تمام ، وقال : فيا سبحان الله ما أقبح شيب الفؤاد ، وما كان أجراه على الأسماع فى هذا وأمثاله! قال الحسن ابن بشر الآمدى : وليس هذا عندى بمعيب ، لأنه أراد أن الشيب عاجله لكثرة هموم فؤاده ، فلما جعل منشأ الشيب إنما هو من قبل فؤاده نسب الشيب إلى الفؤاد ، وهذه فلسفة حسنة . قال : وإن شئت أن تقول : إنه إنما قابل لفظاً بلفظ ، كما قال الله عز وجل «وجزاء سيئة سيئة مثلها» ، فالسيئة لا تكون من الله عز وجل ، فسمى جزاء السيئة سيئة ، وقال عز وجل : «ومكروا ومكر الله» والمكر لا يكون من الله ، فسمى جزاء المكر مكراً ، والمعنى الأول أصح وأثبت وأوضح ، وهذه الأبيات الثلاثة (٧ ، ٨ ، ٩) من فلسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة ومن مشهور إحسانه .

ويُروى :

نال رأسى من ثُغرة الهم هَمٌّ لم ينَلْه من ثُغرةِ الميلادِ [١]

(الشيخ)[٢] : المراد بـ « ثغرة الهم » الثُّلمة التى فتحها الله لورود الحوادثِ من يوم ولادته إلى أن يُتوفَّى ، فكأنه قال : نالنى من الحوادث فشيَّبنى ما لم ينلنى من الشَّيخِ والكِبَرِ[٣] .

١١ زارنى[٤] شَخْصُهُ بِطَلْعةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ[٥] مَجْلسى من العُوَّادِ

أى أتانى قبل حينه فأسقمنى وأبدلَ من الزُّوَّار عُوَّاداً[٦] .

١٢ يا أبا عبدِ الله أَوْرَيتَ زَنْداً فى يَدَى[٧] كان دائمَ الإِصْلادِ

يقال : أورَى القادحُ الزندَ إذا ظَهرتْ نارُه ، وصَلَدَ الزّندُ وأصلدَ إذا لم

---

(١) وروايته فى ل :

نال رأسى من ثغرة الهم لما لم ينله من ثغرة الميلاد

وفى م : « ما لم يشتمله » وفى ك ، د : « من ثغرة الهم داء » .

(٢) « الشيخ » هنا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى ؛ وتقدمت إليه الإشارة بالشيخ أبى عبد الله .

(٣) فى ظ كلام للشريف المرتضى جاء فيه : أى وجد الشيب فرجة دخل على رأسى منها ، لأن الهم يشيب لا محالة . وأراد بـ « ثغره الميلاد » الوقت الذى يهجم فيه عليه الشيب من عمره ، لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ، فجعله ثغرة من هذا الوجه .

(٤) فى ظ : روى الخارزنجى : « فأرى شخصه » . (٥) س ، د : « أعمرت » .

(٦) قال ابن المستوفى ، قال الشريف المرتضى : ورأيت الآمدى يطعن على قوله « عمرت مجلسى من العواد » ، ويقول : لا حقيقة لهذا ولا معنى ، لأنا ما رأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ، ولا أن أحداً أمرضه الشيب ، ولا عزاه المعزون عن الشباب ، . . . إلخ .

قال الشريف : وهذا من الآمدى قلة نقد الشعر ، ولم يرد أبو تمام بقوله « عمرت مجلسى من العواد » العيادة الحقيقية التى تغشى العواد فيها مجلس المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه ، وإشارة إلى الغرض خفية ، فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شبابى فكأنهم فى مجلسى عواد لى ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع ، وعنى بقوله « عمرت مجلسى من العواد » كثرة من تفجع له وتوجع من شيبه ، وهذا من كلام أبى تمام فى نهاية البلاغة والحسن ، وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه .

وقال ابن المستوفى عقب هذا : ذكر الشريف رضى الله عنه ذلك فى كتابه « درر القلائد وغرر الفرائد » فى جملة أبيات أنشدها فى الشيب لجماعة من الشعراء .

(٧) فى ظ : روى الخارزنجى : « فىَّ قد كان دائم الإصلاد » . وقال : ويروى : « فى ندى كان دائم الإصلاد » .

يُورِ نارًا . [ص] يقول : صَدَّقتَ أملى بعد أن كان يُكذّبه غيرُك .

١٣ أَنتَ جُبْتَ الظَّلَامَ عن سُبُلِ الآ
مالِ إذْ ضَلَّ كلُّ هَادٍ وحَاد

ويروى «حادٍ وهادٍ» . [خ] أى أنت بينت للناس طُرق آمالهم .

١٤ فكأَنَّ المُغذَّ فيها مُقيمٌ وكأَنَّ السَّارِى عَلَيْهِن[1] غَاد

(المرزوقى) : «الإغذاذ» الإسراع فى السير . يصف الآمال ، وأنها كانت كاسفةً قبل هذا الممدوح ، لا تتعلّق بخير ولا تلحق طائلاً ، فالمُغذّ فيها مقيم لأنه لم يكن ينفعه إغذاذُه . والسارى الذى قد أخذ المهلة وتقدّم فى الطلب كان كالغادى إذْ لم يُصب خيراً ولم ينل معروفًا . ويجوز أن يكون المراد أنّ هذا الممدوح كشَف الظلام عن طُرُق الرجاء ، فكأنّ المُغذّ مُقيمٌ لا يلحقه تعب لتحقّق رجائه ، وكأنّ مَن يسرى ليلاً يسير نهاراً لاهتدائه ، والدليل على هذا قوله : «أنت جبتَ الظلام . . . » البيت :

١٥ وضياءُ الآمالِ[2] أَفْسَحُ فى الطَّرْ
فِ وفى القَلْبِ منْ ضياءِ البِــــلاد

١٦ كان فى الأَجْفَلَى وفى النَّقَرَى عُرْ
فُكَ نَضْرَ العُمومِ نَضْرَ الوِحَاد

«الأجْفَلَى» أن يُدْعَى القومُ كلُّهم ، و «النقَرَى» أن يختص بعضُهم [ع] و «الوحاد» كأنه جمعُ وحيد، مثل كريم وكرام . يقول : كان عرفك نضراً فى العُموم والآحاد ، وكأنه قابل بهذين «الأجفَلَى» و «النقَرَى» ، لأن العُموم كالبيان للأجفلَى ، والوحادَ بيانٌ للنقَرَى .

---

(١) س : «عليها كغاد» .

(٢) س : «وضياء الأمور» .

١٧ ومنَ الحَظِّ فى العُلَى خُضْرَةُ المعْرُو
ف(١) فى الجَمْعِ منْهُ والإِفْـرَاد

[ص] مَن ذهب إلى أنَّ الجمع فى معنى المصدر قال « والإفراد » ، ومَن ذهب إلى أنه فى موضع الجماعة قال « والأفراد » * ، وإنما أراد بـ « خضرة المعروف » زكاءه ونماءَه ، وأن يصيرَ بحيثُ يثمر الشُّكرَ والأجرَ تشبيهًا له بالنبات إذا اخضرّ ، فيقول : مِن حظ المُعطِي فى العُلَى أن يكون إعطاؤه نَضِرًا خَضِرًا ، واحدًا كان مَنْ وصل إليه مَعروفُه أو جماعةً .

١٨ كُنْتُ عَنْ غَرْسه بعيدًا فأَدْنَتْـ
ـنِى إليـه يَداكَ عنْدَ الجِدَاد

[ع] ضَرَبَ غَرْسَ النخل وجِدادَه مثلاً للعُرْف ، و « جِدادُ النخل » صرامُه . يقول : لم أتعب فى هذا المعروف كما يتعب الفارسُ ، وأحضرتنيه لوقت الجِداد . وهو وقتُ الفائدة .

١٩ سَاعَةً لو تَشاءُ بالنِّصْف فيها
لَمَنَعْتَ(٢) البِطَاءَ خَصْلَ الجِيـاد

(المرزوقى) : يصفُ نفسه ، وأنه اتصل به حديثاً ولم يتقدّم له به حرْمةٌ ، ولا سَلَفَتْ منه خدمة ، ومع ذلك أعطاه ولم يحرمه وألحقَهُ بأولى المواتّ القديمة وأرباب الوسائل ولم يؤخره . فيقول : منحتنى فى وقت لو منعتنى لكان ذلك منك إنصافًا ، إذْ كنتُ أبطأتُ وسَبَقَ غيرى ، ويَدُلّ على هذا قولُه : « كنتُ عن غرسِه بعيدًا . . . » (البيت) .

٢٠ لَزِمُوا مَرْكزَ النَّدَى وذَرَاهُ وعَدَتْنا عنْ مثْلِ ذَاكَ العَوَادى

---

(١) فى ظ : ويروى :
ومن الحظ فى العلى فوز سهم المر ء فى الجمع منـه والإفراد
(٢) س ، د : « لمنحت » .

٢١ غَيْرَ أَنَّ الرُّبَى إِلى سَبَلِ الأَنْوَا ءِ أَدْنَى والحَظُّ حَظُّ الوهاد

٢١ – (المرزوقى) : يقول : كانوا إليك أقرب ، ولك ألزم ، وقد خُصصتُ بمعروفك ، كما أنَّ الربى إلى المطر أقربُ ، ومَقرّه الوهاد .

٢٢ بَعْدَمَا أَصْلَتَ الوُشَاةُ سُيوفاً قَطعَتْ فِيَّ وهْيَ غَيْرُ حِدَاد

وسَبَبُ هذا أنّ أبا تمام مرَّ بجماعة فجلس إليهم ، فقال له رجل : يا أبا تمّام ! أيّ رجل أنتَ لو لم تكن من اليمن ؟ فقال له أبو تمام : ما أحِبّ أن يُغيَّر الموضعُ الذى اختارَه الله لى ، فممَّن تُحِبّ أن أكون ؟ قال : من مُضَر . قال أبو تمام : إنما شَرُفتْ مضر بالنبى صلَّى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك ما قِيسوا بمُلوكنا ، وفينا كذا وكذا ، وذكر أشياء عابَ بها نفراً من مُضَر . ونُمِي الخبر إلى أحمد بن أبى دُوَاد ، وزادوا عليه ، فقال : ما أحِبّ أن يدخل علىّ أبو تمام ، فلْيُحْجَبْ عنى ، فقال هذه القصيدة يعتذر إليه ويمدحه . وقيل طال غَضَبُ ابن أبى دواد عليه ، فما رضى عنه حتى شفَع فيه خالد بن يزيد الشيبانى ، فقال قصيدة يمدح فيها ابن أبى دواد ، وذكر شفاعة خالد بن يزيد إليه ، وأغمضَ مواضع منها فى اعتذاره ، وأولها .

* أرَأَيْتَ أىَّ سَوالف وخُدود[1] *

٢٣ من أَحَاديثَ حينَ دَوَّخْتَها[2] بالرَّأْ يِ كانَتْ ضعيفَةَ الإِسْنَاد

« دَوَّختَها » ذَلَّلتَها ، وكذلك دَوَّختُ البلادَ . و « الإسناد » من أسندتُ الشىء إلى الجبل والحائط ، استُعير ذلك فى إسناد الحديث ، لأنه يُرَدّ إلى مَن رَواه ، كما يُسند الشىء إلى ما يُمسِكه .

(١) القصة فى كتاب « أخبار أبى تمام » ص : ١٤٧ .

(٢) فى ظ : ويروى « حين زوجتها » وقال : أى لما قرنت الرأى بها . ويروى « بالسمع » .

٢٤ فنَفَى عنْكَ زُخْرُفَ القَوْلِ سَمْعٌ
لمْ يَكُنْ فُرْضَةً لغَيْرِ السَّدَاد

« فُرْضَة » مَشْرعة ومَعبر ، أى لم يكن مَعبرًا للكذب . وفى أصل العبدى : « لم يكن فُرصَة »[1] أى نُهزَةً ، والفُرصة ما افتُرِصَ واقتُطع واستُلِبَ من الكلام وغيره ، والمِفْراص حديدة تُقطع بها الفِضَّة . يقول : سمعك لا يفترِصُ ويُحصِّل إلاّ سديدَ القول وكريمه .

٢٥ ضَرَبَ الحِلْمُ والوقارُ عليْه   دُونَ عُورِ الكَلامِ بالأَسْدَاد

« عليه » أى على السمع ، و « العُور » جمع عَوْراء وهى الكلمة القبيحة . و « الأسداد » جمع سَدّ ، قال الأسود :

ومن الحوادث لا أبالك أننى   ضُرِبَتْ علىَّ الأرضُ بالأسداد[2]

يريد أنه كُفَّ بصره فلم يهتد للمسير فى الأرض . و « عُور الكلام » قبائحه ، وإنما استُعير ذلك من عَوَر العَيْن لأنه يُستقبَح فى الوجه .

٢٦ وحَوَانٍ أَبَتْ علَيْها المعَالِى   أَنْ تُسَمَّى مَطِيَّةَ الأَحْقَاد

[ع] « حَوان » أى عَواطف من مَودّات ، أخِذ من حَنَت الأمّ على الولد ، ولو قيل إنه عُنِى بـ « حوانٍ » ها هنا الأضلاع لما بَعُدَ ، ويُقوّى ذلك قوله « مطيّةَ الأحقاد » لأنها تكون بين الضلوع ، فكأنها مَطِيةٌ لها ، وإن رويت « مَظِنَّة » فجائز[3] .

٢٧ ولَعَمْرِى أَنْلو أَصخْتَ لأَقْدمْـ   ـتَ لحَتْفِى ضَغينَةَ الحُسَّاد

ويروى « لأقللت لحتفى »[4] و « أمنيَّة الحسّاد »[5] و « صينيّة الحسّاد »[6]

---

(١) هى رواية س ، ل ، ك ، د – وفى ظ : ويروى « لم يكن نهزة » و « عرضة » .
(٢) المفضليات ٢ : ١٦ .
(٣) : قوله « وإن رويت فطنة فجائز » غير موجود فى ش وأثبتناه من ب .
(٤) وفى ظ : ويروى « لأقررت لحتفى سخينة » .   (٥) هى رواية ظ .
(٦) هى رواية س ، ك ، د . وهى بين السطور فى ب .

« الصينيّة » سوق الفاكهة . بخط العبدى : ما أراد بقوله « صينيّة الحسّاد » إلا قول العامة قد جاءت فلانًا صينيتُه ، ومنه قولُهم : صينية الرأس لخيرُ نِثار يُنْثَر على المملّك والمحذّق ، ومثل هذا مما يُذكر فى كلام الشعراء من كلام العامة ، قول ابن الرومى : « لكننا تحتَ العِرا » وإنما أراد ما يتعارفه الناس من لعب الشطرنج ، وكان ينبغى أن يقول « الإعراء » لأنه يُقال أعريتُه إذا جعلته عُرْيًا ، وذا تَسمُّح من ابن الرومى . وقال أبو العلاء : هذا البيت يروى على وجوه ، ولا شك أن بعضها تصحيف ، ومن أجود الروايات « لأقدمتَ لحتفى صينيّةَ الحساد » ، وكذلك هو فى كثير من النسخ ، فيكون « أقدمتَ » من قَدَمَ الغائبُ وأقدمتُه ، و « صينية الحسّاد » أى مَن بالصّين منهم ، أى حُسّادى كثير قد انتشروا فى الأرض ، فلو قبلتَ هذه الوشاية لَقدم عليك حُسّادى من الصين يُكثرون فىّ القولَ ، ويُصوّبون ما فعلتَ . ومَن روى « أمنيّة الحساد » فالمعنى مفهوم ، أى قرّبتَ ما كانوا يَتمنّوْن ، وكذلك إذا قيل « أقدمتَ » يكون من القُدوم ، ويُروى « لأقرمتَ لحتفى ضِئْنيّة الحساد » ، و « أقرمتَ » جعلتَهم مثل القُروم من الإبل وكانوا مثل الضِّئْنية من الشّاء ، من قولهم : سِقاءٌ ضِئْنىٌّ إذا كان قد عُمِل من جُلود الضأن ، ويجوز أن تكون مُصحّفة من « ضَبّية الحُسّاد » يُنسبون إلى الضّبّ وهو الحِقْد[١] .

٢٨ حَمَلَ العِبْءَ كاهلٌ لكَ أَمْسَى لِخُطُوبِ[٢] الزَّمانِ بالمِرْصادِ

[ع] « الكاهِل » مُركّبُ العُنُق فى الظهر ، وهذا مثل استحسَنتْه العرب على ممرّ الدّهور ، وأصله لغير الآدميين ، لأن الأثقال تحملها الإبل وما جرَى مجراها ، وقوله « لِصُروف الزمان بالمرصاد » أى يَرصُدها فإذا كانت حمَل ثِقلها .

---

(١) رواية ل : « ضبيبة الحساد » وذكرها ظ وقال فى تفسيرها : من الضب وهو الحقد ، فهو كالفضيلة من الفضل ، والرذيلة من الرذل .

(٢) ك : « لقطوب الزمان » وفوقها بين السطور رواية الأصل .

٢٩ عَاتِقٌ مُعْتَقٌ[1] مِنَ الهُونِ إلاَّ   مِنْ مُقَاسَاة مَغْرَمٍ أَو نجاد

[ع] « العاتق » يُذكّر ويؤنّث ، والأكثر التذكير ، وجمعه عواتق ، و « الهُون » الهَوان . وقوله « إلاّ من مُقاساة مَغْرَمٍ أو نجاد » يجوز أن يدخل هذا فى المستثنى الذى ليس من جنس الأول ، إذ كان حَمْلُ المغارم والنِّجاد لا يُعَدّ من الهُون ، وهو نحو قول الآخر :

فتىً كملتْ أخلاقُه غير أنّه   جَوادٌ فما يُبقى من المال باقيا

٣٠ للحَمَالات والحمائلِ فيه   كَلُحُوب الموَارِد الأَعْدَاد

[ع] « الحَمَالات » جمع حَمَالة وهو ما لَزِمَ من غُرْم دِيَة أو نحو ذلك ، و « الحمائل » جمع حِمالة السيف . و « لُحُوب » جمع لَحْب ، من قولهم : طريق لَحْب أى واضح ، وهو فى معنى لا حب ، أى كأنّه قد قُشِرَ لكثرة الوطء . و « الموارد » جمع مَوْرِد ، وهو ها هنا الماء الذى يُورَد ، جعله موضعاً للورْد ، و « الأعداد » جمع عِدّ وهو الماءُ القديم الذى له أصل لا يُخشى فناؤه ، وهذا المعنى فيه مبالغة لأن الحمالات والحمائل لا تؤثّر فى العاتق ، وإنما وَصَفَه بمعاناة الحرب وحمل المغارم فتناهَى فى الصفة .

٣١ مُلِّئَتْكَ الأَحسَابُ أَىَّ حيَاءٍ[2]   وحَيَا أَزْمَةٍ وحَيَّةَ وَاد !

[ع] المعنى : أىّ حياء فيك ، فحذف ، والمعنى معنى التعجب . وأىّ حَيا أزمة أنت ! و « الحَيَا » المطر العام ، و « أزمة » سنة شديدة . وأى حية واد أنت ! ويُشبّهون السيّد الشّجاع بالحيّة .

٣٢ لَوْ تَراخَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فُوَاقاً   أَكَلَتْهَا الأَيَّامُ أَكْلَ الْجَرَاد

[ص] « عنها » أى عن الأحساب . يقال : لولاك لذهبت الأحساب .

---

(١) فى ظ : روى الخارزنجى : عاتق عاتق من الهون » وقال « العاتق » عاتق العتق و « العاتق » الآخر من العتق ، يقول : عاتق خالص من أن يلحقه ذل ، ومصون عن أن يذل أو يهان بحمل شىء ، إلا مغرم يحمله عن أهله ، وسيف يقاتل به الأعداء فيقلده.

(٢) فى أصول التبريزى « أى حياء » وفى سائر الأصول « أى حياة » .

[ع] و « الفُوَاق » ما بين الحَلْبتين ، بضم الفاء وفتحها .

٣٣ أَنتَ ناضَلْتَ دُونَها بِعَطايَا عَائدَاتٍ[١] على العُفَاة بَوَاد

٣٤ فإذا هُلْهِلَ النَّوالُ أَتَتْنَا ذَاتَ نيرَيْنِ مُطْبَقَاتُ الأَيَادى

٣٤ — يقال : هَلْهِلَ النَّسْجُ ولُهلِهَ إذا رُقِّق . [ع] ويقال : ثوب ذو نِيرَيْن إذا كان مُحْكَمًا قويًّا ، ويُستعار ذلك فى الإبل والناس ، قال الهلالى :

على كُلِّ منسوجٍ بِنِيرَيْن كَلَّفَتْ قُوَى نِسْعَتَيْه مَحْزِمًا غيرَ أَهْضَما

وقال آخر :

أيا حُبَّ لَيْلَى عافِنى قد قَتَلتنى وكيفَ تُعافينى وأنتَ تَزيدُ ؟ !
أراكَ على نِيرَيْن والحبُّ كله على واحد يَبْلَى وأنتَ جَديدُ

وقال آخر يَصفُ امرأةً وأنها ذات بقية :

ضِنَاكٌ[٢] على نِيرَيْن أمستْ لِدَاتُها بَلِينَ بِلَى الرَّيْطَاتِ وهْى جَديدُ

و « ذات نيرين » نَصْب على الحال ، ولو كان فى غير الشعر لاحتمل : ذات نِيرَيْن ، وذَوات نِيرَيْن ، وهذا من باب قولهم : المرأة قالت والنساء قالت . و « مُطبقَات الأيادى » التى قد أطبق بعضُها على بعض ، و « الأيادى » النِّعَم .

٣٥ كُلُّ شَىءٍ غَثٌّ إذا عَادَ والْـ ـمَعْروفُ غَثٌّ مَا كانَ غَيْرَ مُعَاد

أصل « الغَثّ » من قولهم لحم غَثّ إذا لم يكن سمينًا ، وحديث غَثّ إذا لم يكن عليه طلاوة ، فاستعار الغَثَاثة ها هنا فى الأشياء كلها ، وإنما المعروف أن يُستعمَل فى الحديث ، يقال : أغثّ الحديثُ إذا صار غَثًّا ، والقياسُ لا يَمنَع أن يُقال غَثّ يَغِثّ .

---

(١) ظ ، ه س : « رائحات على العفاة غوادى » وذكرت ظ رواية الأصل .

(٢) الضناك ، بكسر الضاد وتخفيف النون : المكتنزة اللحم .

٣٦ كادَت المَكرُماتُ تَنهدُّ لولا أنَّها أُيِّدَتْ بِحَيٍّ[(١)] إياد

٣٧ عندَهم فُرْجَةُ[(٢)] اللَّهيف وتَصْديقُ ظُنُونِ[(٣)] الزُّوَّارِ[(٤)] والرُّوَّاد

٣٨ بِأَحاظِي الجُدُود لا بل بوشْكِ الجدِّ لا بَل بسُؤْدَدِ الأَجْداد

٣٨ – [ع] « الأحاظى » جمع حظ على غير قياس ، كأنهم جمعوا حَظّاً على أحُظّ ، وجمعوا « أحُظّاً » على أحاظّ ، ثم أبدلوا الياء من الحرف المُضعَّف لأنها أخفّ ، وفرّوا مع ذلك من جمع بين ساكنين . ولو قيل إنّ « أحاظّ » مأخوذ من الحُظْوَة لكان قولاً حسناً ، لأنه يجوز أن يقال حِظْوة وأحُظّ على القياس ، كما قالوا نِعْمة وأنْعُم ، ثم تُجمع « أحُظّ » على أحاظّ ، قال :

وليس الغِنَى والفقرُ مِن حيلة الفتى ولكنْ أحاظ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وأضاف « الأحاظِيَ » إلى الجُدود لاختلاف اللفظين . وهذا بيت فيه نظر ، لأن القائل إذا قال جاءني زيد بل عمرو فكأنّه قد أضرَبَ عن الأوّل ، فإذا قال « بل يوشك الجِدّ » فقد تَرك المعنى الأول ، فإذا قال « بل بسؤدد الأجداد » فقد أضرب عنا لمعنى الثاني . ويُحتمل أن يقال أخبرَ عن اجتماع هذه الثلاثة الأشياء لهؤلاء الممدوحين ، كما يقال للرجل إذا كان قد جمع خِلالاً كثيرة : هو كريم ، بل هو حَسَنُ الخُلق ، بل هو حَسَنُ الوجه ، يُراد أنه قد جمع الثلاثة الأشياء ، والقول يُضمَر كثيراً في الشِّعر والقرآن ، فكأنه مُضْمَرٌ في هذا الموضع ، أي يقول قوم كذا وقوم كذا ، وإن لم يُحمل قول الطائي على هذا انتقل إلى وَصف القوم بأنّ السؤدد لأجدادهم فيكون ضدّ قول الآخر :

إنّا وَإنْ أحسابُنا كَرُمَتْ لَسْنا على الأحساب نَتّكِلُ[(٥)]
نبني كما كانت أوائلُنا تَبني ونَفعَلُ مثلَ ما فعلوا

---

(١) هـ س : « بخير إياد » .
(٢) ظ ، هـ ب : « فرحة اللهيف » وذكرت ظ رواية الأصل .
(٣) س ، د بين السطور : « وتصديق رجاء » .
(٤) س ، ك : « الوراد والرواد » . – د : « الرواد والوراد » – هـ ب : « الزوار والوراد » .
(٥) روايته في ب ، ن :
لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الآباء نتكل

٣٩ وكأنَّ الأَعْناقَ يَوْمَ الوَغَى أَوْ لَى بِأَسْيافهِمْ منَ الأَغْماد

٤٠ فإذا ضَلَّت السيوفُ غداةَ الرَّوْ عِ كانَتْ هَوَادياً للهوَادي[1]

٤٠ — يقول : إذا تَحيَّرت الأبطال ، ولم تَهتد سيوفُهم لضرائبها من الأقران ، كانت سيوفُهم مُهتديةً للأعناق وضَرْبها . وقوله « هواديًا » من قولهم هَدَاه الطريقَ وهداه إليه .

٤١ قد بَثَثْتُمْ غَرْسَ المودَّةِ والشَّحْ ناءِ في قَلْبِ كلِّ قارٍ وَبادِ

[ص] يقال : قَرَى فهو قارٍ إذا نزَل القُرى ، كما يقال : مَدَنَ فهو مادن إذا نَزَلَ المُدن .

٤٢ أَبغَضُوا عزَّكُمْ ووَدُّوا نَداكُمْ
فَقَرَوْكُمْ منْ بِغضةٍ ووِدَاد

٤٣ لاعَدِمْتُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ[2] رَبَقْتُمْ[3]
في عُــرَاهُ نَوافرَ الأَضْدَاد

٤٣ — (المرزوقي) : هذا دُعاء لهم ، و « رَبَقْتُم » شَدَدْتُم . ويعني بـ « نوافر الأضداد » ما قاله في البيت الأول « فقَرَوْكم من بِغْضَةٍ ووداد » يُريد ما في قُلُوب الناس من الحسَد لشرفهم وارتفاع منزلتهم ، ومن الحبِّ والودِّ لجودهم وإفضالهم ، وقيل لأعرابيّ : ما عَلامَةُ السيِّد فيكم ؟ فقال : الذي إذا غابَ جِدَّدْنَاه ، وإذا حضَرَ خدمناه .

---

(١) س : « بالهوادى » .
(٢) د : « غريب عز » .
(٣) ل : « عبقتم » .

٣٥

وقال يمدحه ويعتذر إليه :

١ سَقَى عَهْدَ الحمَى سَبَلُ[1] العهاد
وروّضَ حاضرٌ منـــهُ[2] وبَاد

الأول من الوافر ، والقافية متواتر .

[ع] « العَهْد » يجوز أن يعنى به المنزل ، ويجوز أن يعنى به الزمانَ الذى عَهِدهم فيه . و « سَبَلَ العِهاد » مطر من أمطار يجيء بعضها فى إثر بعض ، يقال قد أصابتهم عَهْدَة أى مَطْرَة على أثر أخرى . « وروّضَ حاضرٌ » يعنى المكان الذى فيه الحاضر ، وكذلك المكان الذى فيه البادى ، سُمِّى المكان باسم الناس لأنّ القوم إذا حضروا الماء قيل لهم حاضـــر ، ولا يمتنع أن يعنى فى هذا البيت الإنس ، إذ كان يمكن أن يُقال قد روَّضُوا إذ نبتتْ لهم الروض .

٢ نزحْتُ به رَكِيَّ العينِ لمّا[3] رَأَيْتُ الدَّمْعَ[4] من خَيْر العَتَاد

٣ فَيا حُسْنَ الرُّسُومِ وما تَمشَّى إليها الدَّهْرُ فى صُوَرِ البِعَاد[5]

٣ — [ع] « وما تَمَشَّى » أى لم يتمشَّ . [ق] يقال : ما كان أحسن تلك الرسوم حين كان الدهر لم يتَمش إليها فى صُور البِعاد ، أى لم يتَنَكّر لها كتنكُّر البِعاد * أى كانت وأهلُها مجتمعين متواصلين حَسَنَةً ، فلمّا تفرقوا وانتَشروا قَبُحَتْ .

---

(١) هـ س : ويروى « صوب العهاد » .

(٢) ظ : ويروى « منها » ، وهى رواية [illegible] .

(٣) فى سائر الأصول عدا التبريزى « إنى رأيت » .

(٤) هـ س : « وجدت الدمع » .

(٥) قال الصولى : ويروى « فى صور العناد » والأول أجود . وفى ظ : وروى الآمدى « فى صور النفاد » وقال : أى ويا حسن الرسوم ولم يتمش إليها الدهر فى صور النفاد ، أى فى صور الذهاب والفنـــاء .

وفى س بين السطور فوق « صور » « حال » رواية أخرى .

٤ وإذْ طَيْرُ الحَوادث في رُباهَا سَواكنُ وَهْيَ غَنَّاءُ المَرَاد

[ع] استعار للحوادث طيرا كما استعاره في غير ذلك ، فقالوا فلان واقع الطير إذا كان وادعا ، قال الشاعر :

فما نَفَرتْ جِنِّي ولا فُلَّ مِبْرَدِي ولا أصبحتْ طَيْرِي من الخوف وُقَّعَا

وقد عُلِمَ أن ليس هناك طير ، وإنما يريد أني لم أذلَّ كما تَذِلُّ الطيرُ الواقعة إمَّا في الشبكة ، وإمَّا أن يكون أصابتها صاعقة فألقتها إلى الأرض ، لأن بعضَ الطير إذا سَمِعَ رعداً قاصفاً وقع وضَعُفَ وربما مات . و « وسواكن » من السكون لا من السُّكنَى التي هي الإقامة في الموضع ، على أنَّ الأصل واحد . و « الغَنَّاء » الكثيرة الأهل ، و « المراد » الموضع الذي يُراد فيه ، أي يُذهَب ويُجاء فيه .

٥ مَذَاكِي حَلْبَةٍ وشُرُوبُ دَجْنٍ وسَامِرُ فتْيَةٍ وقُدُورُ صَاد

[ع] يقول : كانت هذه الديار فيها مَذَاكِي حَلْبَة ، وهي جمع مُذْكٍ من الخَيْل ، أي الذي قد تَمَّ ذَكاؤه وسِنُّه . و « الحَلْبة » الجماعة من الخيل تُرسَل للرِّهان ، و « شُرُوب » جمع شَرْب . و « الدَّجْن » إلباسُ الغَيْمِ السماءَ . والشعراء تذكُر الدَّجن والشَّربَ فيه[1] « وسامِرُ فتية » أي قومٌ يتحدَّثون في ضوء القمر ، ويُسمَّى حديثُهم السَّمَر ، ويقال للقوم هم سامِرَةٌ وسُمَّار . و « قُدورُ صاد » أي نُحاس ، فأمَّا الصَّيْدان الذي في شعر أبي ذُؤيب فهو حجارة تُعمَل منها القُدور[2] ، وذلك قوله :

وسود من الصَّيْدان فيها مَذَانِبٌ تُضَارُ إذا لم نَستَفِدْها نُعارُها[3]

٦ وأَعْيُنُ رَبْرَبٍ كُحِلَتْ بِسِحْرٍ وأَجسادٌ تُضَمَّخُ بالجِسَاد

---

(١) في ظ من كلام أبي العلاء شاهد لم يذكره التبريزي هنا ، وهو قول طرفة :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد

(٢) جاء في ظ : قال أبو عمرو : سألت بعضهم عن الصيدان ؟ فأخذ من الأرض حجراً فيه شيء يبرق ، فقال : هذا الصيدان ، ويقال هو حجر الفضة . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢٧ .

٧ بزُهْرٍ والحُذَاقِ وآلِ بُرْدٍ وَرَتْ فى كلِّ صَالحَةٍ زِنَادى

[ع] هؤلاء قَبائلُ من إياد ، وحُذاقة رَهْط أبى دُوَاد الشاعر ، وهو حُذَاقَة بن زُهْر بن إياد ، وقال « الحُذَاق » لأنه بَنَاه على النسب ، يقال رجل حُذَاقىّ فيُشبَّه بقولهم رُومىّ وزَنجىّ ، ثم يقال للجمع الزَّنْج والرّوم ، فتُحذَف الياء ، وعلى ذلك يُحمَل قوله «الحُذَاق» لمّا قال فى الواحد « الحُذَاقىّ » قال الشاعر :

ودارٍ يَقولُ لهـا المُـدلجو نَ وَيْلُ أمّ دارالحُذَاقىّ دَارَا [١]

ونحو من هذا قولهم للقبيلة تَيْمَ بن عَبْد مَنَاة ، ثم يقولون قالت التيمُ وفعلت التيمُ ، كأنّه جمع تَيْمِىّ [٢] . وبُرْد هؤلاء ذَكَرَهم امرئ القيس فى قوله :

قَوْمٌ تَفَرَّعَ من إيادٍ بَيْتُهـا بين الصَّريح الأكرمَين وبُرْد [٣]

٨ وإنْ يَكُ مِنْ بَنِى أُدَدٍ جَناحى

فإنَّ أثيثَ رِيشِى من إيَاد [٤]

٩ غَدَوْتُ بِهِمْ أمَدَّ ذَوِىّ ظِلاًّ [٥] وأكْثَرَ مَنْ ورائى ماءَ وَاد

٩ — (ع) كان أبو الفتح عثمان بن جنّى يذهب إلى أنّ « أكثَرَ » فى

---

(١) البيت فى اللسان مادة « حذق » ، وروايته فيه : « تقول لها الرائدون » .

(٢) أورد ابن المستوفى قول أبى العلاء هذا وأعقبه بقوله : هذا القول الآخر ليس من الأول فى شىء .

(٣) البيت فى ديوان امرئ القيس ، بشرح أبى سهل خرابنداذ ، وروايته فيه :

قرم تفرع من إياد بيتهـا بين النبيت الأكرمين وبرد

وشرحه فقال : القرم : الجمل الكريم الذى يتخذ للفحلة . وتفرعه : اعتلاؤه .
والنبيت وبرد : بطنان من إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

(٤) جاء فى ظ : أورده الآمدى وقال : قوله « وإن يك من بنى أدد . البيت ، فإنه يريد أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ، أى إن يك جناحى فى هؤلاء فإن هؤلاء راشونى ، يعنى إيادا ، لأن إيادا هو إياد بن معذ بن عدنان ، ويقال إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

(٥) م : « أجل ذوى قدرا » .

هذا البيت غيرُ مُضاف إلى « مَن » ويجعل موضع « مَن » نَصْباً بفعل مُضمَر ، وإنما فَرّ من أن يضيف « أكثر » إلى « مَن » لأنّ موضوع النحويين المتقدّمين أن « أفعل » لا يُضاف إلاّ إلى ما هو بعضُه ، كقولك فلان أفضلُ الناس ، وحَسُنَ ذلك لأنه بعضهم ، ولو قيل العُقاب أشدّ الناس لاستحال ، لأن العُقابَ ليست من الناس ، ولهذا أحالوا قولَ من يقول : فلان أفضلُ إخوته ؛ لأنه ليس منهم ، وإنما ينبغي أن يُقال فلان أفضل بني أبيه ، وهذا قول مُتقدّم ، وقد أجاز المتأخرون فلان أفضل إخوته ، أى أفضل الإخوة الذين هو منهم ، والإضافة يُتسع فيها جداً ، وإلى قَوْل من أجازه أذهَب ، وأبو الفتح كَرِهَ أن يُضيف « أكثَرَ » إلى « مَن » لأنّ الرجل إذا كان فى موضع فليس هو ممّن وراءَه ، إذ كان قد حَصَلَ أمامَهم ، فالمعنى الذى أراده الطائى إضافة « أكثَرَ » إلى « مَن » كأنه قال : وأكثر القوم الذين ورائى إذا كنتُ فيهم ، فَفُهِم الغرَض ، وفيه حَذْف . وقوله « ذَوِىّ » أضاف « ذَوِى » إلى المُضمَر (وذلك قليل) ، فأما النحويون فيذكرون أنه لا يجوز ، وقد قالوا فى الشعر ذوين ، قال الكميت :

وما أعنى بذلك أسفَلِيكمْ ... ولكنى عَنَيْتُ به الذّوينا

يعنى قولهم : ذُو جَدَنَ وذو يَزَنَ وذو رُعَيْن ، ونحو ذلك . وقد أضافوا « ذوى » إلى الهاء كما قال الشاعر :

صَبَحْنَا الخَزْرَجيَّةَ مُرْهَفَات ... أبَادَ ذَوِى أرُومَتِها ذَوُوها[1] *

ومعنى البيت : أى غدوتُ بهم أطولَ أصحابى ونُظرائى وأكثرهم مالاً وعِزا .

١٠ هُمُ عُظْمَى[2] الأَثَافِى مِنْ نِزار
وأَهْــلُ الهَضْبِ[3] منها والنِّجَاد

[ع] « الأثافى » كثيرٌ من البصريّين يرَوْنها مُخفَّفةً فى الجمع ، ويُنشِدون قولَ زُهَيْر :

* أثَافِىَ سُفْعًا فى مُعَرَّس مِرجَل[4] *

---

(١) البيت لكعب بن زهير . (انظر تاج العروس فى : ذو) والديوان ص ٢١٢ .
(٢) س ، م ، ظ ، ك : « عظم » . (٣) م ، ك : « وأهل الفضل » .
(٤) البيت فى الديوان ص ٧ .
أثافى سفعا فى معرس مرجل ... ونؤيا كحوض الجد لم يتثلم

بتخفيف الياء ، و « عُظْمى الأثافى » هى التى يقال لها ثالثة الأثافى ، أى الدَّاهية التى لا تُطيقُها ، وأصل ذلك أنهم يجيئون بإثفيتَيْن فيجعلونهما إلى أصل جبَل أو قُفّ ، كذلك فسَّره المتقدّمون ، ويجوز أن يَعنوا كوْنَ الحجر الذى يَعتمد عليه القِدْرُ عظيماً ، ثم يتَهاوَنُ بالحجرَيْن الآخرين ويكونان أصغرَ من الآخر[1]. وقوله : « أهل الهضْب منها والنِّجاد » أى ينزلون بالأماكن العالية لتُعرفَ أماكنُهم ويُقصَدوا ؛ ويجوز أن يكون ضَربَ المثلَ بالهِضاب والنِّجاد لأعالى القوم[2].

١١ مُعرَّسُ كُلِّ مُعضِلَةٍ وخَطْبٍ   ومَنْبِتُ كلِّ مَكْرُمَةٍ وآد

[ص] « المُعرَّس » الموضعُ الذى ينزله القومُ ليْلاً ليُريحوا فيه . فيريد أنَّ المعضلاتِ والخُطوبَ يُفزَع فيها إليهم ، ومنهم تَنشأ المكارم . و « الآد » القوة .

١٢ إذا حُدِثَتْ القَبائلُ ساجَلُوهمْ   فإنَّهمُ بَنُو الدَّهْرِ التِّلاد

١٣ تُفرِّجُ عنهمُ الغمَراتِ بِيضٌ   جِلادٌ تحتَ قَسْطَلَةِ الجِلاد

١٣ — [ق] أى تكشِفُ النَّوائبَ والشَّدائدَ عنهم رجالٌ كرام أجلاد تحتَ غبار المُجالَدة ، وهى المضاربة .

١٤ وحشْوُ حَوادثِ الأيَّامِ منهمْ   مَعاقلُ مُطْرَدٍ[3] وبَنُو طِرَاد

[ع] « مُطْرَد » من قولك أطردتُ الرجلَ إذا جعلته طريداً ، و « بنو طِراد » أى مُطارِدة فى الحرب ، وهم إذا فعَلَ الإنسانُ شيئاً وأكثرَ منه جعلوه

---

(١) قال ابن المستوفى : والقول الشائع هو الأول ، ولهذا يضرب به المثل فيقال : رماه بثالثة الأثافى إذا أرادوا الأمر العظيم والداهية التى لا تحمل كالجبل .

(٢) فى ظ : وفى حاشية النسخة العجمية : « أثافى نزار » : مضر وربيعة وإياد وأنمار ، لأنهم أصول وعليهم تفرعت العرب . وفيها أيضاً : و « النجاد » هو من المناجدة ، وقيل من نجاد السيف ، وقيل جمع نجد ، أى هم طلاع أنجد .

(٣) جاء فى الصول : ويروى « مطرد » أى موضع يحمونه .

ابنا له ، فيقولون هو ابنُ حرب إذا وصفوه بِشُهودها ، وهو ابن أرض إذا كان يَسْرى فيها * قال الشاعر :

دَعانى ابنُ أرض يبتغى الزّاد بعدما ترامتْ حليماتٌ به وأجارِدُ(١)

ومعنى البيت : أنه يَتوسطُ النوائبَ منهم رجالٌ هم مَعاقِلُ المُطرَدين وبنو الطراد .

١٥ لهُمْ جَهْلُ السِّباع إذَا المَنَايا تَمَشَّتْ فى القَنَا وحُلُومُ عَادِ

جرتْ عادةُ العرب أن يصفوا عاداً بالحِلْم ، قال زهير :

وإذا وَزَنتَ بنى أبيه بمعشَرٍ فى الحِلْم قلتَ بَقيةٌ من عاد(٢)

١٦ لقَدْ أنْسَتْ مَساوِئَ كلِّ دَهْرٍ محاسنُ أحمدَ بنِ أبى دُوَاد

١٧ متى تَحْلُلْ به تَحلُلْ جَنَاباً رَضيعاً للسَّوارِى والغَوادى(٣)

١٨ تُرَشِّحُ نعْمَةُ الأَيَّامِ فيه وتقْسَمُ فيه أرْزاقُ العبَاد

١٨ — أصل « الترشيح » تَربيةُ الوحشية ولدَها . وتَعليمُها إيّاه المشي ، ثم يُستعمَل ذلك فى كل شيء .

١٩ ومَا اشْتَبهَتْ طَرِيقُ المجْدِ إلَّا هَداكَ لقبلَة المعروف هَادِ

٢٠ وما سافرْتُ فى الآفاقِ إلَّا ومن جَدْواكَ رَاحلتى وزَادى

٢١ مُقيمُ الظَّنِّ عنْدكَ والأَمَانِى وإنْ قَلقتْ(٤) رِكابى فى البلاد

(١) البيت للعين المنقرى ، كما فى تاج العروس ، فى « أرض » . والحليمات : أنقاء الرمل . وفى الأصل « حلامات » . تحريف .

(٢) البيت غير موجود بديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية .

(٣) قال ابن المستوفى فى شرحه : جعل ناحيته التى ينزل بها قد أرضعتها السوارى والغوادى ، و « السوارى » هى السحب التى تسرى ليلا ، و « الغوادى » التى تغدو بكرة ، وإذا كان جنابه رضيعا لهما فعل فعلهما .

(٤) هـ س : ويروى « وإن جالت » .

٢٢ مَعَادُ البَعْثِ [١] مَعْرُوفٌ ولكنْ ... نَدَى كفَّيْكَ فى الدُّنْيا مَعَادِى

٢٣ أتانى عائرُ الأَنْبَاءِ تَسْرِى ... عَقَارِبُهُ بداهيةٍ نَآدِ

« عائر » من قولهم عَارَ الفَرَسُ يَعِيرُ إذا ذهبَ فى الأرضِ ، أى هذا النبأ قد سارَ فبلغنى [٢] .

٢٤ نَثَا [٣] خبرٍ كأَنَّ القَلْبَ أَمْسَى ... يُجَرُّ به على شَوْكِ القَتَادِ

٢٥ كأَنَّ الشَّمْسَ جَلَّلها كُسُوفٌ ... أَوِ استَتَرتْ بِرِجْلٍ منْ جَرادِ

٢٦ بِأَنِّى نِلْتُ من مُضَرٍ وخَبَّتْ ... إليْكَ شَكِيَّتِى خَبَبَ الجَوادِ

٢٧ وما رَبْعُ القَطيعَةِ لى بِرَبْعٍ ... ولا نادى الأَذَى منِّى بِنَادِ

٢٨ وأَيْنَ يَجُورُ عنْ قَصْدٍ لِسَانى ... وقَلْبى رَائِحٌ بِرِضَاكَ [٤] غادِ !

٢٩ ومِمَّا كانَتِ الحُكَمَاءُ قالتْ ... لِسَانُ المَرْءِ منْ خَدَمِ الفُؤَادِ

٢٩ — [ق] لأنه يترجم عنه ، أى عمّا فيه ، ويَخدمُه فى إبانة ما يكتُمه ويَطويه .

٣٠ فَقِدْماً كُنْتُ مَغْسُولَ الأَمانِى [٥]
ومَأْدُومَ القَوافِى بالسَّدادِ

« مأدُوم القوافى » من قولهم أدَمْتُ الطعامَ إذا خلطتَه بالأُدْم . [ص]

---

(١) س : « طريق العرف » وبهامشها « سبيل المجد » ، وفى ك بين السطور : « معاد العرف » .

(٢) جاء فى ظ : وقالوا « النآد » الداهية ، ثم وصفوا بها الداهية ، وإذا كان كذلك ففيها زيادة جاز لها أن توصف بها الداهية ، وإلا فإن وصف الشىء بنفسه غير جائز .

(٣) نثوت الحديث نثوا أى ذكرته ونشرته . (٤) ب بين السطور : « بهواك » .

(٥) س : « المعانى » ، وهى بين السطور فى د ، وهى رواية الخارزنجى كما جاء فى ظ . وقال ابن المستوفى : وهى رواية حسنة تطابق قوله ، وقال فى تفسير قوله « ومأدوم القوافى بالسداد » أى أن معانى أشعارى فيك قديماً لم أخلطها بما يؤذى فتكون مرة ، ولم أجعل إدام قوافى غير السداد فما بلغك عنى فهو كذب .

يقول : كيف أذكرك وأثلبُ مُضرَ وأنا في نِعمكم تحلو لي أمانيّ وقوافٍ مخلوطةٌ بالسَّداد غيرُ جائرة ، فكيف أقول هذا الذي ذُكِرَ عني زُوراً ؟

٣١ لقدْ جازَيْتُ بالإحسانِ سُوءاً إذاً وصَبَغْتُ عُرْفَكَ بالسَّوادِ

٣٢ وسرْتُ[1] أسوقُ عيرَ اللُّؤْمِ حتى أَنَخْتُ الكُفْرَ في دارِ الجِهادِ

٣٢ — « العِيرُ » إبلٌ تُحْمَل عليها المِيرَةُ ، أي امترتُ اللؤمَ وحُزْتُه .

[ص] يقول : لو فعلتُ هذا لكان ذنبي كذنب لئيم من المسلمين المجاهدين دَلَّ على ثُغور المسلمين ، واحتال للكفَّار حتى أخذوها وظفروا بها . وقال المرزوقي : ليس هذا بشيء ، ومَن دلّ على الثغور وسَلّمها للكفّار حتى تَمكّنوا من المسلمين بها لا يُقنَع في صِفته بأن يُقال هو لئيم ، بل يُقال هو كافر مُتبَرّاً منه ، ومعنى البيت : إنْ أقدمتُ على ذكرك وثَلبتُ قبيلَتَك وأصلَك فقد سَوّدتُ وجهَ معروفك ، وامترتُ اللؤمَ من أصله ومَعْدنه ، وسُقْتُ عِيرَه حتى أنختُ كُفرانَ النعمة في دار مجاهدتِها ، واستبدلتُ بواجب حِفْظِها مُوجِبَ تَضْييعها .

٣٣ فَكيْفَ وعَتْبُ يَوْمٍ منْكَ فَذٌّ
أَشَدُّ علَيَّ من حَرْبِ الفَسادِ ؟!

[ع] « فَذّ » أي فَرْد ، و « أيّام الفساد » كانت بين طيّئ في الزمن الأوّل ، فنهم مَن أسهلَ وخرجَ من الجبَلَيْن ، فلذلك قال بُرْجُ بن مُسْهِر :

فإن نَرْجِعْ إلى الجبَلَيْنِ يَوماً نُصالِحْ قومَنا حتى المماتِ[2]

(١) ق : « وصرت » .

(٢) في ظ من كلام أبي العلاء وقال حاتم :

جاورتهم زمن الفساد فلم أذممهم في العسر واليسر

وقال الخارزنجي : هي حرب كانت لإياد على طيئ . وقال المرزوقي : سميت بذلك لأن هؤلاء عصفوا نعالهم بآذان هؤلاء ، وهؤلاء شربوا الشراب بأقحاف هؤلاء ، وما أصاب أسلافهم كان يشد عليه .

٣٤ ولَيسَتْ رُغْوَتى من فَوْقِ مَذْقٍ ولا جَمْرى كَمينٌ فى الرَّماد

[ع] هذا مثلٌ ضربه . و« الرُّغوة » أصلها اللبن ، يقال رُغْوَة ورُغا ، قال الشاعر :

وأكلُهمُ الفَراسِنَ وهى شُعْرٌ وشُرْبُهمُ الرَّغا تحتَ الظلامِ [١]

يقول : ليس ما يظهر منى عن نفاقٍ ومُخادعة . و « المَذْق » اللبَن الممزوج بالماء وهو المَذيق . « ولا جَمْرى كَمينٌ فى الرَّماد » أى أنى سالم الجانب لا يَظهر منى غيرُ ما بَطَنَ [٢] ، لأنَّ الرَّمادَ ربَّما ظُنَّ أنَّه لا نارَ فيه فوُطِئَ فأحرَقَ قدَمَ الواطِئ [٣] ، و« كَمين » أى مستور .

٣٥ وكانَ الشُّكْرُ للكُرَماءِ خَصْلاً ومَيْداناً كَمَيْدانِ الجِيَاد

٣٦ عَلَيْهِ عُقِّدَتْ عُوَذى [٣] ولاحَتْ مَواسِمُهُ على شِيمى وعادى [٤]

٣٧ وغَيْرِى يَأْكُلُ المَعْروفَ سُحْتاً وتَشْحُبُ عنْدَه بِيضُ الأَيادى

٣٧ — [ع] « السُّحْت » ما لا بَرَكة فيه ، ولذلك سَمَّوا المُحرَّمَ من المكاسِب سُحْتًا ، لأنه لا يَثبُت خيرُه ولا تُحمَد عاقِبتُه ، أراد أنى أشكر على المعروف فآخذه كما يَجِب وهو مُبارَكٌ لى فيه ، وغيرى يأخذ ويَذُمّ وهو مُحرم عليه . و « تَشْحُب » أى يتغير لونُها . يقول : بيضُ الأيادى عندى محفوظة لا أغيِّرها ولا يَشحُبُ لَونها .

والشُّحوب تَغير اللون والهُزَال .

---

(١) لم يرد هذا الشاهد ضمن كلام أبى العلاء فى ظ .

(٢) جاء فى ظ : قال الخارزنجى : هذا مثل قولهم إنه يسر حسوا فى ارتغاء ، أى يظهر أمراً ويريد غيره فيعتل به .

(٣) ك ، هـ س : « عليه عقِّدت عقدى » .

(٤) « عاد » جمع عادة ، وأراد عاداتى ، كما فى الصولى .

٣٨ تَثَبَّتْ إنَّ قَوْلًا كانَ زُورًا أَتَى النُّعْمانَ قَبْلَكَ عن زِيادِ

زيادُ النابغةُ الذبيانيّ ، وحديثه مع النعمان بن المُنْذر مَشهور[1] ، وهو زيادُ ابنُ عَمْرو بن ضباب بن معاوية أحَدُ بَنِي يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّةَ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان .

٣٩ وأَرَّثَ بَيْنَ حَيِّ بَنِي جُلاحٍ سَنَا[2] حَرب وحَيِّ بَنِي مَصَادِ

يقال : أرّثتُ النّارَ إذا حرّكتَها لتتوقّد ، ثم يُستعار ذلك فى الحرب ، قال الشاعر :

فَمِنّا لَقيطٌ وابنُمــاهُ وقَعْنَبٌ مُؤَرِّثُ نيران المكارم لا المُخْبِي

[ع] و « بنو جُلاح » الذين ذكرهم المعروفون ببني الجُلاح مِن كلْبِ ابن وَبَرَة[3] ، حَذَفَ منهم الألف واللام ، وقد ذكرهم النابغةُ فى قوله :

بَقِيَّةُ قِدْرٍ من قُدورٍ تُوُرِّثَتْ لآل الجُلاح كابرًا بعْد كابِرِ[4]

يمدح بهذه الأبيات النعمانَ بن جَبَلة بنَ الجُلاح ، وكان النعمانُ أغارَ على رَهْط النابغة فأسرَ بِنْتَه عَقْرَب ، فلمّا بلَغَه أنها ابنةُ النابغة أطلقها له ، وقال فيه خيرًا وهو غائب . و « بنو مَصَاد » من بنى عُلَيْم بن جَنَاب ، وهم يرجعون إلى كَلْب أيضًا[5] . يقول : إنّ أقوال الناس لم تزَل تُفرّق بين بنى الأب الواحد وتُغيِّر الأوِدّاء .

٤٠ وغادَرَ فى صُروف الدَّهْرِ قَتْلَى بَنِى بَدْرٍ على ذَاتِ الإِصَادِ

[ع] ضربَ المثل بقصة حُذَيفةَ بن بَدْر وإخوته مع قيس بن زُهَير العَبْسيّ . و « ذات الإصاد » يقال إنها عَيْن ماء ، والإصاد جمع أصيدة ،

(١) الرواية المشهورة أنه بلغه عنه أنه يشبب بامرأته أو غير ذلك ، فاعتذر إليه ، فقبل عذره ، وبان له براءته .

(٢) د ، ك : « شبا حرب » .

(٣) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٨ س ٧ — ٩ .

(٤) ذكره صاحب العقد الثمين فيما نسب إلى النابغة ص ١٦٨ .

(٥) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٧ س ٥ — ٦ .

وهى حَظيرة من الشجر ، وذات الإصاد هى الموضع الذى أجرى فيه داحس والغَبراء ولُطم عليها داحس ، فقال بِشْر بن أبىّ العَبْسىّ :

لَطِمْنَ على ذاتِ الإصَادِ وجَمْعكم يرَوْنَ الأذَى من ذِلّة وهَوانِ

والموضع الذى قُتِلَ فيه حُذَيفَةُ وأخوه حَمَلٌ هو جَفْرُ الهَبَاءة ، ويجوز أن يكون قريبًا من ذات الإصاد ، وإن كان يَبْعد منها فجائز أن يكون جَعَل القَتْلى كأنها على ذات الإصاد ، لأن ابتداء الشرّ كان عندها .

٤١ فمَا قِدْحَاكَ للبارِى ولَيسَتْ مُتونُ صَفاكَ من نُهَزِ المُرادِى[(١)]

[ع] هذا مثل ضربه . يقول للممدوح : ما قِدْحاك للبارى ، أى أنك لا تعطيهما باريًا غيرَك فيصنع بهما ما لا تُريد . أو يَقتضبهما من شجرة لا ترضاها ، بل أنت تلى أمرك بنفسك ، فهذا وجه . ويحتمل أن يريد بقوله : « ما قِدْحاك للبارى » أى أنك لا تترك قِدْحك لمن يَبريه فيُفسِدُه بالبَرْى الزائد على الحدّ ، كما قالوا فى المثل هو مُغْرًى بنحتْ أثْلَتِه إذ كان يَنقُصُه ويَعيبه . و « المتُون » جمع مَتْن وهو ظهر الشىء ، وأصله فى ابن آدم لأسفل الظهر . و « الصَّفا » جمع صَفاة وهى الصخرة . و « النُّهَز » جمع نُهْزَة وهى مثل الفرْصَة . و « المرَادِى » الذى يُرَادى بالصخر ، يقال رَدَاه يَرْدِيه إذا رماه ، وراداه إذا كانت المفاعلة من اثنين ، ويقال للصخرة التى يمكن أن يُرمَى بها مِرْداة ورَدَاة ، قال الشاعر :

وناجيَة مثل الرَّدَاةِ بَعثْتُهـا على ظَهرِ عادِىٍّ مُبينِ السلائق

ومن أمثالهم كل ضَبّ معه مِرْدَاته[(٢)] ، يُراد أنّ كل ضَبّ يكون عند بيته صَخْرة يجوز أن يُرمَى بها بيتُه فينهدم ، يقول : ليست مكارمُك وعِزّتُك مما يَنتهِزُه الطامعُ إذْ كان لا يُؤثِّر فيها ، كما قال اليَشكُرِىّ :

وكأنّ المَنونَ تَـرْدِى بنـا أصـ ـحَمَ صُمًّا يَنجابُ عنه العَماءُ

٤٢ ولَوْ كَشَّفتَنى لَبلَوْتَ خِرْقاً[(٣)] يُصَا فى الأكْرَمينَ ولا يُصَادى

[ع] « صادَيت» الرجلَ إذا لايَنْتَه ودافَعْتَه . و « الخِرْق » الذى

---

(١) فى س بفتح الميم ، وفى ك بالفتح والضم معا . (٢) مجمع الأمثال ٢ : ٥٢ .

(٣) ك « حرا » وفوقها بين السطور رواية الأصل . وقال ابن المستوفى : هى أولى بهذا الموضع .

يتخرّق بالمعروف . يقول : لو خبرتني لخبرتَ كريمًا ذاهبًا بنفسه عن المطامع الدّنيّة .

٤٣ جديرًا أنْ يكُرّ الطّرْف شزْرًا إلى بعْض المواردِ وهو صادي

[ع] يقول : إنني لا أردُ كلّ ماء ، وإنما أتخيّر المياه ، فأتركُ بعضَها وأنا محتاجٌ إلى الوِرْد لأنّ وِرْدَ مثلِها لا يُرضيني . و« شزْرًا » من قولهم نَظَر إليه شزْرًا إذا أحدّ إليه بمؤخرِ عينه ، وهو نَظَرُ الغضْبان[1] .

٤٤ إليْكَ بَعَثْتُ أبكارَ المعاني[2] يَليها سائقٌ عَجِلٌ وحَادي

٤٥ جَوائرَ عن ذُنابَى القَوْمِ حَيْرَى[3] هوادىَ للجَماجِم والهَوادي

٤٥ — ويروى « عن ذُنَابَى القوم زُورًا » ضَرَب الذُّنَابَى والجماجِم والهوادِيَ أمثالا ، فجعل الذّنَابَى لخساس القَوْم ، والهَوادِيَ لرؤسائهم ، والذنَابَى مثل الذّنَب ، وأكثر ما يُستعمل في الطير ، وقد استعمل في غيرها[4] .

٤٦ شِداداَ الأسْرِ سالمةَ النّواحي منَ الإقواءِ فيها والسِّنادِ

أصل « الأسْر » في شدّ الشيء بالقِدّ ، ولذلك سُمِّيَ الأسيرُ أسيرًا لأنهم

---

(١) قال ابن المستوفى : يتعلق « إلى » بقوله « شزراً » لا بقوله « يكر » ، لأن في قوله « يكر » معنى التردد ، ولا معنى لتردد طرفه إلى مورد لا يكون كريماً ، وإن ذهب ذاهب إلى أن نفسه تنازعه الورود فهو يكر طرفه لذلك ثم يكون نظره إلى المورد نظر شزر . وقال : وفي قوله « بعض الموارد » نظر ، ولو قال « إلى كدر الموارد » أو نحوه كان أوضح .

(٢) م ، ل : « أبكار القوافي » . وفي ظ قال أبو العلاء : « وأبكار المعاني » يعني ما لم يسبق إليه ، وقال ابن المستوفى : ويجوز أن يريد بذلك المعاني التي لم يفترعها غير الممدوح ، أي لم يمدح بها غيره .

(٣) س : « حيدا » .

(٤) وقال الصولي : يقول : تجور — أي تعدل — عن الذنابي وهم السفلة ، وهذه القوافي عالمة برءوس الناس مهدية لطرقهم .

وعقب ابن المستوفي عليه بقوله : « عالمة برءوس الناس مهدية لطرقهم » غير ما أراده أبو تمام .

يربطونه بالقدّ ، ثم كثر ذلك حتى قالوا هو شديد الأسْر أى الخَلْق .
و « الإقواء » مختلَفٌ فيه ، وهو مُجمَع على أنه عَيْب ، فأظهرُ الأقوالِ وأكثرُها :
أنه اختلاف الإعراب فى القافية . وقال قوم : هو الإكفاءُ . وقال آخرون الإقواء
كلّ عَيْب يجىء فى آخر البيت . ورُوِى عن أبى عُبيدة أنه كان يجعل الإقواءَ
مثلَ قول الشاعر :

لمّا رأتْ ماء السَّلَى مَشْرُوبَها والفَرْثَ يُعصَرُ بالأكُفِ أرَنَّتِ[1]

و « السِّناد » عَيْب كانوا يذكرونه قديمًا ، قال عَدىّ بن الرّقاع :

وقَصيدة قد بِتّ أجمعُ شَمْلَها حتّى أقوّمَ مَيْلَها وسِنادَها

وقيل : كلّ عيب فى القافية فهو سناد . فأمّا المحققون من أهل العلم فيجعلون
السّنادَ ضروبًا ، وهو تغيُّر حركة أو حرف ، مثل أن يجىء « سالِم » مع
« آدَم » أو « جَمَل » مع « ثَمِل » فى الشِّعر المُقيَّد ، أو « يُورى » مع
« شُكْرى » ، ونحو ذلك .

٤٧ يُذَلِّلُها[2] بِذكرِكَ قَرْنُ[3] فكْرٍ
إذا حَرَنَتْ فتَسْلَسُ فى القِيَاد

يُقال : حَرَنَ الفرسُ وحَرُنَ إذا وَقَفَ فلم يَسِرْ ، وفرسٌ سلِسُ القِياد
إذا كان سَهْلَه .

٤٨ لَهَا فى الهاجِس القِدْحُ المُعَلَّى
وفى نَظْم[4] القَوافِى والعِمَاد

« الهاجِس » ما يَهجِسُ للإنسان ، أى ما يعرض فى خاطره ، و « الهَجْس »

---

(١) البيت ، كما فى اللسان ، لحجل بن نضلة . والرواية فيه : « يعصر فى الإناء » .
(٢) س : « يهيجها » ، وبهامشها رواية الأصل .
(٣) فوقها بين السطور فى س : « كل » . والبيت فيها جاء بعد البيت : « منزهة عن السرق ... »
(٤) فى الأصول كلها عدا نسخة د « نظم القوافى » وشرح البيت يدل على أن الرواية عند أبى العلاء
« كتب القوافى » وهى رواية الآمدى كما جاء فى ظ .

الصوتُ الخفيّ ، واستعار القِدْحَ المُعلَّى . [ع] و « كُتْبَ القَوافي » ما يُكتَب منها كما يقال هذا في كُتُبِ النَّسب أي في الكُتب التي يُذكر فيها النسب ، وكذلك الكتب التي تُثبَت فيها القوافي ، وهي الأبيات والقصائد ، والمعنيّ بها في هذا الموضع دواوين الشعراء ، فديوان امرئ القيس من كُتُب القوافي ، وكذلك ديوان الطائيّ وغيره . و « العماد » مَردُودٌ إلى القَوافي ، كأنه قال في كُتُب القوافي وعِمادِها ، ويجوز أنْ يعني بـ« العِماد » جمع عمود ويُحتمل أن يكون العِماد واحداً من قولهم هو عِمادُ الشيء إذا كان يُعمدُ به ويُقيمه[1] ؛ وإن رويتَ « نَظم القوافي » فمعناه مفهوم .

٤٩ مُنَزَّهَةً عن السَّرَق المُوَرَّى مُكَرَّمةً عن المعْنَى المُعَادِ

[ع] يقال سَرِقٌ وسَرَق . قوم يختارون كَسْرَ الراء ، وقوم يختارون الفَتْح . و « المُورَّى » من قولهم وَرَّى عن الشيء إذا أظهر غيره . يقال : وَرَّى عن سَفَره إذا كان يريد أن يسير إلى نجد فأظهر أنه يريد المَسير إلى تهامة ، قال الشاعر :

ولو كنْتَ صُلْبَ العُود أو كابنِ مَعْمَرٍ لَوَرَّيتَ عن مَوْلاكَ والليلُ مُظلِمُ[2]

٥٠ تَنَصَّلَ ربُّها من غير[3] جُرْمٍ إليْكَ سوَى النَّصيحة والوِدادَ

٥١ ومَنْ يأْذَنْ إلى الواشين تُسْلَقْ مَسامعُهُ بألْسنَة حداد

٥١ — [ع] « أذِنَ » للشيء إذا أمال إليه أذُنَه و « تُسلق مسامعه » من قوله تعالى : « سلقوكم بألسنة حِداد » أي ضربوكم بالكلام ، يُقال : سَلَق بصوته إذا رفعه . وخَطيبٌ مِسْلَق ومِسْلاق إذا وصفوه بالبلاغة .

---

(١) في ظ قال الآمدي : أي ولها فيما يعمدها ويقويها القدح المعلى . كأنه يريد إقامة الوزن ، يعني العروض .

(٢) البيت ، كما في اللسان والتاج مادة « ورى » للفرزدق . والشطر الأول منه ، فيهما : « فلو كنت صلب العود أو ذا حفيظة » .

(٣) ك بين السطور : « من كل » .

وقال يمدحه :

١ أَيَسلُبُنِى ثَرَاءَ المَالِ رَبِّى   وأَطلُبُ ذَاكَ من كَفٍّ جَمَادِ؟

٢ زَعَمْتُ إِذًابـأَنَّ الجودَ أَمْسَى   له رَبٌّ سوَى ابنِ أَبِى دُوَادِ!

من أول الوافر ، والقافية متواتر .

« جـَمـَاد » : أى لا عـَطاء عندها ، أخـِذتْ من السَّنة الجـَماد ، وهي التى لا مـَطـَر فيها . ويروى : « زَعمتُ إذًا بأن العلم . . . »

وقال يمدحه ويَعتذر إليه ، ويَستشفع بخالد بن يزيد :

١ أرأيْتَ أيَّ سَوالِفٍ وخُدُود   عَنَّتْ لنا بيْنَ اللِّوَى فزَرُود!

الثانى من الكامل ، والقافية متواتر .

« السالِفَة » : صَفْحَة العُنُق ، ومِن أمثالهم : أقْصَرُ مِن سالِفة الذُّباب ، كما يقولون : أقصرُ من إبهام القَطاة ، وإبهام الحُبارَى . و « عَنَّتْ » : عَرَضَتْ .

٢ أتْرَابُ غَافلة اللَّيالى ألَّفَتْ   عُقَدَ الهوَى فى يارَق[1] وعُقُود

[ص] « اليارَق » الدَّسْتِينَج العريض ، ويُسمَّى أيضًا الجَبِيرة[2] .

[ع] « غافلة للَّيالى » يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد أنَّ المرأة غافِلةٌ فى الليالى ، يَصف أنها قليلة الهَمّ ، لا تَشعرُ بما الناس فيه ، كما قال الأول :

شُهورٌ يَنقَضِينَ وما شَعَرْنا   بأنْصَافٍ لَهُنَّ ولا سِرَار

والآخر أن يُريد : غافِلَةٌ لياليها ، فيكون من قولهم لَيْلٌ نائم ، والمعنيان مُتقاربان . (المرزوقى) : يقول : هؤلاء النِّسوة أمثالٌ لهذه المرأة الغَرِيرة الغافلة عن الليالى وأحداثِها ، وهى مَوْضع الهوَى والعِشْق ، فكأنَّها جَمَعَتْ قلائدَ الهوَى فى يارَقها وقلائدها ، لأنَّ من نَظَر إليها هَوِيهَا وصَبَا إليها .

٣ بَيْضاءُ يَصْرَعُها[3] الصِّبَا عَبَثَ الصَّبَا   أُصُلاً[4] بِخُوط البَانة الأُمْلُود

نَصَبه على المصدر ، أى الصِّبا يَصرَعُها ويَعبَث بها عبَثَ الصَّبَا بخُوط البان أصُلا .

---

(١) قال الصولى : وروى قوم : « فى بارق » ، وهو تصحيف .
(٢) قال ابن فارس : « الجبيرة » السوار ، والجبارة ، وجمعها الجبائر .
(٣) قال ابن المستوفى : لفظه « يصرعها » ، وقد روى « يثنيها » ، وهو ألطف وأحسن .
(٤) ظ : « سحرا » .

ويروى :

بَيْضاءُ يَصرعُها الصِّبَا مِن نَعْمَةٍ[1] خَوْدٌ كخُوطِ البانةِ الأُملُودِ

و « الخُوط » : الغُصْن . و « الأُملُود » : النّاعم الأملس .

٤ وَحْشيَّةٌ تَرْمى القُلُوبَ[2] إذَا اغْتدَتْ[3] وَسْنَى فمَا تَصْطادُ غَيْرَ الصِّيد

(المرزوقى) « وَحْشِيَّة » : يجوز أن يكون أراد أنها فى حُسنها كالوَحْشيَّة ، ويجوز أن يكون أراد أنها تنفِر عن الرِّيَب ، فكأنها وحشيَّة . وقوله « فما تَصطاد غيرَ الصِّيد » : يجوز أن يكون عنَى أنه لا يَرومُهن ولا يَهِمُّ بهن إلا الكِبارُ من الرِّجال ، المُتكبِّرون ، لِعزَّتهن وجَلالتِهن في النُّفوس . ويجوز أن يكون أراد أنهن لا يتَواضَعْن إلا لِرَمْى الرِّجال المُعجبِينَ بأنفسهم ظَرْفًا وعِزّة .

[ص] « وسْنَى » : كأنَّها ناعِسَةٌ من النَّعْمة .

٥ لَاحَزْمَ عِنْدَ مُجرِّب فيهَا ولا جَبَّارُ قَوْمٍ عِنْدَها بِعَنِيد

[ع] أى أنَّ الحازمَ المجرِّبَ يَضِلُّ لُبُّه إذا رآها ، وهو نحو قول النابغة[4] :

لو أنَّهـا عرَضَت لأشمطَ راهبٍ عبدَ الإلـهَ[5] صَرورةٍ مُتعبِّدِ

لَرَنا لِبهْجَتِها وحُسْنِ حَديثِها ولَخالَهُ رَشَدًا وإن لم يَرْشُدِ

وقوله « ولا جبَّار قوم عندها بعنيد » : « العَنيد » من صفات الجبَّار ، وهو من قولهم : عَنَدَ عن الحق إذا مالَ عنه ؛ وهذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون الغَرَض أنَّ الجبَّارَ العَنيد إذا قِيسَ تجبره بتجبرِها فليس بجبَّار ، لأنه يَصغُر ويَذِل ، كما تقول كلّ بحر إذا قِيسَ إلى بحرك فهو ثَمَد ، أى أنك تزيد عليه ؛ والآخر أن يريد : ولا الجبارُ إذا حَضَر عندها بجبَّار ، لأنه يَذِلّ لها وإن لم يكن فيها تَجبُّر .

---

(١) هذه رواية الصولى ، وقال : وروى قوم : « يصرعها الصبا حبث الصبا » .
(٢) ل : « الفؤاد » .
(٣) مختار الشعر الجاهلى ١ : ١٨٦ .
(٤) هـ س : « إذا غدت » .
(٥) ظ : « يخشى الإله » .

٦ مَالِي[1] بِرَبْعٍ مِنْهُمُ مَعْهُود إِلَّا الأَسَى[2] وعَزِيمَةُ المَجْلُود[3]

[ص] « الأسَى » : الحزْن ، و « الأُسَى » الصَّبْر ، من الأسْوَة . و « مَجلُود » أى جَلادَة ، من قولهم ليس لفلان مَعقول ، أى عَقل . [ق] أى ليس من ربعهم الذى عَفَا وتَغَيَّر إلاّ الصَّبْر ، أى ليس الرّأىُ إلاّ الصبرَ وإيثارَ التَّعزّى والجَلادَة .

٧ إنْ كانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلالَهمْ
سَبَلَ الشُّؤون فلسْتُ من مسْعُود

[ق] قيل : يعنى مَسْعُود بن عَمْرو الأزدىّ ، وكان يَنْدُب الأطْلالَ ويبكيها ، فيقول : إن كان ذلك قَضَى أيامَه بالبكاء على الأطلال ، فلستُ أنا بمقتد به . وقيل : مسعود : هو أخو ذى الرّمّة . [ص] يقول : لستُ منه ، لأنه لا دَمْعَ لى فأبكى ، إذْ قد نَزَفته قبل ذلك . [ع] وقوله «فلستُ من مسعود » أى لستُ ممَّن يفعل فعْلَه ، كما تقول للرجل : ما أنا منك ولا أنتِ منى ، أى أنّى بَرِىءٌ منك . وذكرُه « مسعوداً » هنا من الإلجاء الذى تقدَّم ذكرُه[4] .

---

(١) س : « من لى » ، وهى رواية المرزوقى كما فى كتابه ، وكما فى ظ نقلا عنه . وكذلك هى رواية الآمدى كما جاء فى ظ . ورواية الصولى كالأصل ، وقال : مالى بما عهدت منهم يدان إلا الأسى .

(٢) رواية المرزوقى : « الأُسى » بضم الهمزة .

(٣) فى ظ : روى أبو العلاء : « وعزيمة التجليد » ، وقال : مصدر جلّد صاحبه : إذا صبره على شىء ، وإنما يعنى تجليده نفسه ، لا أن صاحبه يحمله على ذلك .

(٤) نقل ابن المستوفى فى كتابه كلاماً كثيراً للآمدى فى نقد هذا البيت ، بعضه من كتابه الموازنة ، وبعضه من كتابه الذى سماه « معانى أبيات أبى تمام المفردة » ، نذكر منه قوله : ما زال شيوخ البغداديين يرون هذا البيت من معايبه ، ويزعمون أنهم لا يعرفون شاعراً يقال له مسعود غير مسعود أخى ذى الرمة ، وليس له بيت يبكى فيه على الديار ، ولا فى آباء أبى تمام وأجداده المذكورين فى نسبته الموسومة أول ديوانه ، من يقال له مسعود ، فكان يقال : إن كان مسعود أبى يبكى على الديار فلست منه . وكنت أسمعهم دائماً يقولون : فأين مسعود هذا ؟ أفى السماء هو أم فى الأرض ؟ ويزعمون أنه إنما جاء بمسعود من أجل القافية . فلم تك نفسى تقبل هذا من قولهم ، ويقع أنه ما أراد إلا شاعراً بعينه من شعراء طى المغمورين ممن بكى على الديار ، فخرجت كل شاعر من شعراء القبائل من طى وغيرها ، ممن يقال له مسعود ، فلم أجد فيهم أحداً بكى على الديار . (ثم نقل ابن المستوفى أسماء المساعيد الذين خرجهم الآمدى وذكر أشياء من أشعارهم =

٨ ظَعَنُوا فكانَ بُكاىَ حَوْلًا بَعْدَهُم
ثُمَّ ارعَوَيْتُ وذَاكَ حُكْمُ لَبِيد

يريد قول لبيد :

* ومَن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذَرْ[1] *

٩ أَجْدِرْ بِجمْرةِ لَوْعَةٍ إطفاؤُهـــا
بالدَّمْعِ أَنْ تزْدَادَ طُولَ وُقُود

أى : جمرة لوعة تُطفأ بالدَّمْع حَقِيقٌ بأن تزدادَ التهاباً وتوقُّدا . يعنى

= فى «كتابه معانى أبيات أبى تمام المفردة» . ثم أورد ما قاله بعد ذلك . فأعيانى معنى البيت مدة طويلة ، حتى قرأت فى شعر ذى الرمة قوله :

عشية مسعود يقـــول وقد جرى ... على لحيتى من واكف الدمع قاطر
أفى الدار تبكى إذ بكيت صبابة ... وأنت امرؤ قد حلمتك العشائر

فعلمت أن أبا تمام إنما أراد مسعوداً هذا أخا ذى الرمة ، لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ، فكأنه أراد : إن كان مسعود بكى على الديار ورجع عن مذهبه فى ترك البكاء وتفنيد من بكى ، فلست منه ، وكان هذا عنده (أبى تمام) أبلغ من أن يضرب المثل بمن بكى على الديار ، والمثل قد يضرب بالشيئين المتضادين ، ألا ترى أن قائلا لو قال : إن كان خالد بن الوليد غدر بمالك بن نويرة ، فلست من خالد ، أى فأنا برىء من خالد ، ولو ضرب المثل بأوفى الناس فقال : إن كان السموءل قد غدر فلست منه ، وكذلك إن كان أبو سفيان بن حرب بخيلا فلست على دينه ، وإن بخل عبد الله بن جعفر برئت منه ، وقال الشاعر :

لئن ضن البخيل بمـــا لديه ... فلست من البخيل وليس منى
ولو بخل الجـــواد أقول أيضاً ... إليك إليك قدنى منك قدنى

وإنما ضرب المثل بمسعود الذى كان ينهى عن البكاء على الدار ، وكان ذلك أبلغ من أن يضرب المثل بمن بكى . . . إلى أن قال الآمدى : وقد أتيت بكل ما وقع إلى فى معنى هذا البيت إلى أن يتحقق مسعود كان معروفاً بالبكاء على الديار والدمن .

ثم قال ابن المستوفى بعد أن ذكر ما قاله الآمدى والصولى وأبو العلاء والخارزنجى فى هذا البيت : ولا أعلم ما الذى دعاهم إلى ألا يكون مسعود إلا أخا ذى الرمة ، وأن لا يكون له صاحب اسمه مسعود على عادة العرب فى الإخبار عن أصحابهم ؟ .

(١) بيت لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(الديوان ص ١) .

أنّ البكاء لا ينفع ، بل التعزّى وعزيمةُ المجلود تُغنى عن ذلك . وهو ضد المعنى الذى فى مثل قوله :

* وإنّ شِفائى عَبْرةٌ مُهَرَاقةٌ *

وليس للرّد عليه سبيل ، فإن هذه الأبيات يُفسّر بعضُها بعضا . وقوله :

مالى بربعٍ منهـم معهـود إلاّ الأسَى وعـزيمةُ المجلود

يدل على أن المعنى فى الأبيات التى بعدها هو الإعراض عن البكاء على الربع ، والتسلى عنه بالصبر[1] .

١٠ لا أُفقِرُ الطَّرَبَ القِلاصَ ولا أُرَى
مَعْ زِيرِ نِسْوانٍ أَشُدُّ قُتُودِى

« قُتُود » : جمع قَتَد ، وهو خَشَب الرَّحْل . (المرزوقى) : يعنى أنه لا يُعمِل إبلَه فى الطّرَب . و « الإفقار » أن يُعِيرَ ظهرَ البعيرِ ليُركَب أو يُحمَلَ عليه . و « لا أرَى مع زير نِسوان » أى لا أُصاحب مَن يُغازل النساء ، ويُعجِبه مُحادثتُهن ، فأرتحلَ معه .

١١ شَوْقٌ ضَرَحْتُ قَذَاتَه عن مَشرَبى
وهَوًى أَطَرْتُ[2] لِحَاءَهُ عَنْ عُودِى

« اللحاء » قِشْر الشيء ، ومن أمثالهم : هو يدخل بين العصاء ولحائها ، أى يدخل فيما لا يجب أن يَدخل فيه . [ص] يقول : هذا الشوق قد عَدلتُ عنه إلى مدْح مَن أريد مدحه . و « أطرتُ لحاءَه عن عُودى » : مثلٌ ضَرَبَهُ لِترْكه إيّاه .

---

(١) فى ظ : وهو ضد ما قاله ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحـة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

(٢) قال ابن المستوفى : وفى الطرة بإزاء قوله « أطرت » : « عطفت » ، وله وجه ، والأول أجود .

١٢ عَامِى وَعامُ العيس بيْنَ وَديقةٍ
مَسْجُورةٍ وتَنُوفةٍ صَيْخُود[١]

[ع] « الوديقة » شِدَّة الحَرّ ، ودُنُوّ الشمس من الأرض . و « مَسْجُورة » أي مملوءة بالسَّراب . ويجوز أن يَعنِي بمسجورة : من سَجْر التَّنُّور ، يصفها بشدَّة الهَجِير . و « التَّنُوفة » : القَفْر من الأرض . و « صَيْخُود » : يجوز أن يَعْنَى به صلابة الأرض ، من قولهم صخرة صَيْخُود ؛ ويجوز أن يَعنى به شِدَّة الحَرّ من قولهم : صَخَدَتْه الهاجِرَة إذا آلمتْ دماغَه .

١٣ حتَّى أُغَادرَ كُلَّ يَوْم بالفَلا للطيْرِ عيدًا من بَنات العيد

[ع] « أغادر » أى أترك للطير عِيدًا ، أى شيئًا تعتاده ، و « العِيد »

---

(١) س : « صيهود » ، ويإزائها فى الهامش : « وحمارة صيخود » . قال وأصلها حمارّة ، فخفف ضرورة ، ويقال : صهدته الشمس ، لغة فى صخدته .

وقال ابن المستوفى : قال الآمدى : « الوديقة » شدة الحر ، وقد ذكر بعضهم أنها تكون نصف النهار . وحمارّة القيظ بالتشديد : أشد ما يكون من الحر أيضاً ، والصيخود الشديد الحر ؛ يقال : أصابنا صدان الحر ولهبانه ، أى شدته . وقال (أبو تمام) : حمارة ، وخفف ؛ وذلك قبيح ، لأن العرب نطقت بها بالتشديد ، فقالوا حمارّة القيظ . وقال : « بين وديقة مسجورة وحمارة صيخود » ، وتلك قسمة رديئة أيضاً ، لأن الوديقة المسجورة معناها كمعنى الحمارة الصيخود ، وكان ينبغى أن يأتى بمعنيين مختلفين لا متفقين ، كما تقول : إنما نحن الدهر بين حل ومرتحل ، ومقام وظعن ، وراحة وتعب ؛ أو إن أراد أن يجعلهما جميعاً شدة يقول : ما نحن إلا بين فراق وهجرة ، ولا يقول بين صدود وهجرة ، لأن معناهما واحد ، وما نحن إلا بين بخل ومطل ، ولا يقول بين بخل ومنع ، والقوم بين خوف وقتل ، ولا يقول بين خوف وفرق . ولو لم يأت بـ « بين » ثم قال : « فى وديقة مسجورة وحمارة صيخود » ، لكانت الحمارة الصيخود مؤكدة للوديقة المسجورة . وهذا كقوله عز وجل : « يسمع سرهم ونجواهم » . وكقول الشاعر :

* وهند أتى من دونها النأى والبعد *

لأن النأى : هو البعد ، والسر : هو النجوى ، فجاءت كل لفظة مؤكدة للأخرى ، وإذا جئت بـ « بين » مع هذه الألفاظ لم يصلح أن تقول : أنا مع زيد بين مناجاة وسرار ، وأنا مع عمرو بين صدود وهجرة ، لأن « بين » إنما هى واسطة بين لفظين معناهما واحد .

وقال ابن المستوفى فى التعقيب عليه : فأما رواية غير الآمدى من العلماء فإنهم رووا : « بين وديقة مسجورة وتنوفة صيخود » ، وفسروا « الصيخود » بشدة الحر ، وفسروه بالصلابة ، فعلى كلا القولين من روايتهم و « تنوفة صيخود » ، لا تكون القسمة فاسدة .

ما يُعتَاد ، ومن ذلك قيل لليوم عيد ، لأنه يعود ويُعتَاد ، والأجود أن يكون « عيد » فى بيت الطائىّ يُراد به العيد الذى هو الفِطْر أو الأضحى ، و نحو ذلك من أعياد الأمم ، لأنه جَعَل الطير تَفرح بما يُلقيه لها من الركائب ؛ فتعتاده ، أى تجيئه للأكل . و « العيد » : قبيلة من مَهْرَه بن حَيْدان . وبعض الناس يقولون : العيدُ فَحْل من فُحُول الإبل . و « بنات العيد » يحتمل وجهين : أحدهما أن يعنى أنّ هذه الإبل ممّا يُنسَب إلى هذه القبيلة ؛ والآخر أن تكون منسوبةً إلى الفَحْل المذكور .

١٤ هَيْهاتَ منْها رَوضةٌ مَحْمُودَةٌ حتَّى تُنَاخَ بأَحْمَدَ المَحْمُود

أى حينئذ تصل إلى الروض . ويُروَى :

« هيهاتَ منها مَرْتَعٌ وإرَاحَةٌ حتى تُنَاخَ »[1] . . . .

١٥ بِمُعَرَّسِ العَرَبِ[2] الذى وَجَدَتْ به أَمْنَ المَرُوعِ ونَجْدَةَ المَنْجُود

« النجدة » القُوَّة ، نجدَه على عدوّه أى قَوَّاه ، و « مَنْجُود » مكروب . [ص] أى عنده نجدة لمن استنجد ، وأمْنٌ لمن خاف .

١٦ حَلَّتْ عُرَا أَثْقَالِهَا وهُمُومِهَا أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ فيه وهُود

[ع] « إسماعيل » : يعنى به إسماعيلَ النبيَّ عليه السلام ، وهو من ولد هُود النبي صلى الله عليه وسلّم ، وكأنّه أَوْمَأَ بأولاد هُود إلى اليمن ، لأنهم يُنسَبون إلى قحطان بن هود ، ولم يُرِد الطائىّ إلاّ ذلك ، إذْ كان إسماعيل ترجع إليه مَعَدٌّ بأنسابها . وهذه القسمة التى قَسَمها فيها تداخل ، إذْ كان إسماعيل يَشْرَك اليمنَ فى هُود * يعنى رَهْطَ ولد مَعَدّ بن عدنان وولد هُودٍ اليمانية . أى هو مُناخ كل مُجتَدٍ من كلّ قبيلة .

---

(١) رواها الصولى فى شرحه .

(٢) وقال الصولى : « ومعرس العرب » : أى محط رحالهم .

١٧ أَمَلٌ أَنَاخَ بهم[١] وفُودًا فاغتدَوْا مِنْ عندِه وهُمُ مُنَاخُ وفُود

١٨ بَدَأَ النَّدَى وأَعَادَهُ فيهمْ وكَمْ من مُبْدِئٍ للعُرْفِ غيرُ مُعِيد!

١٩ يا أَحمدَ بنَ أَبِي دُوَادٍ حُطْتَنِي بِحِيَاطَتِي ولَدَدْتَنِي بِلَدُودِي

١٩ — أى حُطْتَنِي بحياطة مثلى ، وداويتنى بداء مثلى . و « اللَّدُود » ما يُوجَر به الإنسانُ فى أحد شِقَّيْ فَمِه[٢] .

٢٠ ومَنَحْتَنِي وُدًّا حَمَيْتُ ذِمَارَه[٣] وذِمَامَه من هجْرة وصُدُود

٢١ ولكَمْ عدوٍّ قالَ لى مُتَمَثِّلاً كَمْ مِنْ وَدُودٍ ليسَ بالمَوْدُود!

٢١ — أى كانوا يقولون : أنت تَوَدّ هذا الممدوح وهو لا يَوَدّك .

٢٢ أَضحَتْ إِيَادٌ فى مَعَدٍّ كلِّها وهُمُ إِيَادُ بِنائِها المَمْدُود

« الإياد » : ما حول الشيء ، ولا يُقال إلاّ لما هو مرتفع ، وهو مأخوذ من التأييد ، أى هو يُقوِّى البناء ، ويقال لما يجعله الظَّلِيم حول بَيْضه إياد ، وإياد الباب ما يؤيَّد به . قال المرزوقى : إياد بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان ، يعنى أنّ إيادًا تُشيِّد مآثر مَعَدّ ، وترفع بُنيانَ شرفها ، فهم لمعدّ كالإياد للبناء .

٢٣ تَنْمِيكَ فى قُلَلِ المكارمِ والعُلَى زُهْرٌ لزُهْرٍ أُبُوَّةٍ وجُدُود

٢٤ إِنْ كُنْتُمُ عَادِيَّ ذَاكَ النَّبْعِ إِنْ نسبُوا وفَلْقَةَ[٤] ذلكَ الجُلْمُود

٢٤ — (ع) « القُلَل » جمع قُلَّة ، وهى أعلى الشيء . و « زُهْر » الأولى :

---

(١) فى أصل التبريزى نسخة ش ، ن ، ب : « به » ، وهو ظاهر الخطأ . وفى بقية أصول الديوان : « بهم » .

(٢) ه س : يريد : حطتنى بما يصلح لى من الحياطة ، ولددتنى بما يصلح لى من الدواء ، وهو أن يصب فى أحد شق الفم . واللديدان : جانبا العنق . وفى القاموس : الوجور : الدواء يوجر فى الفم ، ويضم ، وتوجر الدواء : بلعه ، والماء : شربه كارها .

(٣) س : وجزيتنى وداً حميت ذمامه وذماره .....

(٤) ب بين السطور : « وقلة » .

اسم قبيلة المملوح . و « زُهْر » الثانية : جمْع أزْهَر ، وهو الأبيض . و « أبوَّة » جمع أب ، وقد . وافَق لفظَ المصدر ، مِن قولهم أبٌ بيِّن الأبُوَّة . و « العادِيّ » القديم من كل شيء . وصل ذلك أنهم نَسبو ما قَدُمَ إلى عاد ، لأنها قديمة ؛ يُقال بِئْر عادِيَّة ، وطريق عادِيّ ، وسُودَد عاديّ ، قال ذو الرّمة[1] :

لعل ابن طُرْثُوث عُتَيبةَ ذاهِبٌ بعادِيَّتى تكْذابُه وجَعائلُه

زَعَم الرواة أنه أراد « بعاديَّتى » بئْراً عادِيَّة . و « النَّبْع » شجر صُلْب ينْبُت في الجبال . ويقال : هو من نَبْعة كرَم : أى من أصل شريف . يقول : إن كنتم شُركاءَ غيرنا من القبائل فى النسب ، فأنتم شُركاؤنا فى الجُود ، لأنّ كعبَ بن مامَة يُضرَب به المثل فى ذلك ، لحديثه مع النَّمَرِيّ ، لمَّا آثره بالماء على نفسه فى السَّفر ، حتى هلَك وسلِم النَّمَرِيّ ، وضُرِب المثل « اسْقِ أخاك النَّمَرِيّ »[2] يُضرب مثلاً لمن ألحف ، لأنهم كانوا يتقاسمون الماء بالحصاة فإذا قسموا لكعب حِصَّتَه قال النَّمَرِيّ : اسْقِ أخاك النَّمرِيّ ، فيسقيه ويبقى على ظمئه . والنَّمَرِيّ : منسوب إلى النَّمر بن قاسِط .

٢٥ وشَرِكْتُموهمْ دُونَنا فلأنْتمُ شُركاؤُنا منْ دُونِهِمْ فى الجُود

٢٦ كَعْبٌ وحَاتمٌ اللَّذانِ تَقَسَّما خُطَطَ العُلَى منْ طَارِفٍ وتليد

٢٧ هَذا الَّذى خلفَ السَّحابَ ومَاتَ ذا
فى المَجْد[3] ميتَةَ خضْرِمٍ صنْديد

٢٧ — [ع] « الخِضْرِم » : الكثير العَطاء . يقال : بَحْر خِضْرِم أى كثير الماء ، وكل كثير عندهم خِضْرِم . و « الصِّنْديد » : السيّد الشجاع . ويجوز أن تكون النون فيه زائدة ، ويكون منه : صَدَدْتُ الأمور إذا دفعْتَها .

٢٨ إلّا يَكنْ فيها[4] الشَّهيدَ فَقَوْمُهُ
لا يَسْمَحُونَ به بأَلْف شَهيد

---

(١) الديوان ص : ٤٧٣ (٢) مجمع الأمثال ١ : ٢٢٤ (٣) س : فى الجود .
(٤) ظ : ويروى « فيه » : أى فى الفعل الذى فعله ، « وفيها » : أى فى المنية .

٢٩ ما قَاسَيا فى المَجْد إلاّ دُونَ ما
قاسَيْتَهُ فى العَدْلِ والتَّوْحيد

٢٩ — [ع] يقول : ما قاسى حاتم وكعب من المجاهدة فى طَلَب المكارم إلاّ دون ما قاسيتَ فى نُصرة العَدْل والتوحيد . وكان ابن أبى دُوَاد يرَى رأى المعتزلة ، وهم يُسمُّون أنفسَهم أصحابَ العَدْل والتوحيد ، ويكنون عن مذهبهم بهذين الاسمين .

٣٠ فاسْمَعْ مَقَالَةَ زَائِرٍ لم تَشْتَبِهْ
آرَاؤُهُ عِنْدَ اشْتِبَاه البِيـد[1]

٣١ يَسْتَامُ بَعْضَ القَوْلِ منكَ بفعْله
كَمَلاً وعَفْوَ رِضَاكَ بالمَجْهُود

٣١ — [ص] يقول : اسمعْ مقالةَ رجلٍ يَشترى أيسرَ قول منك فى تَقريظه وتحسين أمره عند السلطان ، بكلِّ فعل يُطيقه من خِدمة وشُكْر ومَدْح ، ويَطلُب عفوَ رضاك بِجَهْده ومجهوده .

٣٢ أَسْرَى طَرِيدًا للحَيَاءِ منَ الَّتى
زعَمُوا ، ولَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيد

[ق] يَعْنى نفسَه، ويعتذر إلى ابن أبى دُوَاد فيقول : أَسْرَيْتُ طريدًا ، أى مطرودًا ، حياءً وخجلاً ، ولم أكن طريدَ رهبة ، لأنى بَرِىء الساحة مِمَّا قُرِفتُ به[2] .

---

(١) شرحه الخازرنجى كما جاء فى ظ بقوله : يقول : اسمع ما قاله زائر قصدك فلم يشتبه عليه من يقصد حين اشتبهت المذاهب فى عينه ، وحين قابلته المفاوز .

(٢) فى ظ زيادة من كلام المرزوقى : وهو أن الطائى هجا مضر ونال منها بقوله « تزحزحى عن طريق المجد يا مضر » .

٣٣ كُنْتَ الرَّبِيعَ أَمَامَه ووَرَاءَهُ قَمَرُ القَبائلِ خالدُ بنُ يَزِيد

٣٤ فالغَيْثُ من زُهْرٍ سَحابَةُ رَأْفَةٍ
والرُّكْنُ[1] مِنْ شَيْبَانَ طَوْدُ حَدِيد

٣٤ — [ص] يقول : أنتَ لي سَحابةَ رحمة ورأفة ، وخالد بن يزيد شفيعي إليك جَبَل ألتجئ إليه . و « زُهْر » : قبيلة أحمد .

٣٥ وغدًا تَبيَّنُ مَابَراءَةُ سَاحَتِي لَوْ قدْ نَفَضْتَ تَهَائمِي ونُجُودِي

[ع] يقال : نَفَضْتُ الطريق : إذا نَظَرْتَ هل فيه أحَدٌ أم لا . يقول : لو نَفَضتَ أرضي التي أسْلُكُها ، أي لو فتَّشْتَ ما ظَهَرَ وما بَطَن من أمري ، لعلمتَ أنَّ الذي قِيلَ لك مُحَال . وهذه أمثال ضَرَبها على معنى الاستعارة .

٣٦ هذَا الوَلِيدُ رَأَى التَّثبُّتَ بَعْدَمَا
قالوا يَزِيدُ بنُ المهلَّبِ مُودِ

كان الحَجَّاج اعتقل يزيد بن المُهلَّب في أيام الوليد بن عبد الملك، فهَرَب يزيد من حَبْسه ، فلحق بسليمان بن عبد الملك وهو ببيت المقدس ، فأكرمه سليمان ، وأنفَذَ معه أيُّوبَ ابنَه إلى حضرة الوليد أخيه ، وأمرَ أيُّوبَ أنْ يكونَ في السِّلسلة مع يزيد بن المهلب ، فلمَّا دَخَلا على الوليد عَفَا عن يزيد ، ووَجَّهه إلى سليمان ، فحَظِيَ عنده وأكرَمَه إكرامًا عظيمًا .

٣٧ فتَزَحْزَحَ[2] الزُّوْرُ المُؤَسَّسُ عِنْدَهُ
وبِناءُ هذا الإفْكِ غَيْرُ مَشِيد

---

(١) س : « والطود من شيبان ركن حديد » ، وبهامشها رواية الأصل .

(٢) س : « فتزعزع » ، وفي ظ : ويروى « فتضعضع » . وقال ابن المستوفي : وهي أجود ، لأنه بمعنى هدمه ، وهو أشبه بقوله « المشيد » .

٣٨ وتَمَكَّنَ ابنُ أَبِى سَعيد من حجَا
مَلك بِشُكْرِ بنى المُلوك سَعيد

٣٨ – [ع] يعنى « بابن أبى سعيد » : يزيدَ بن المهلَّب ، لأنَّ كُنية المُهلَّب أبو سعيد . وإذا رويتَ « حِجَا » فالمرادُ بها العقل ، وإذا رويت « حَجَا » بالفتح فالمراد الملجأ ، وجمعه أحْجاء ، قال ابنُ مقبلٍ :

لا يُحْرِزُ المرءَ أحْجاءُ البلادِ ولا يُبْنَى له فى السَّمواتِ السَّلاليمُ

و « المَلِك » ها هنا : سليمان بن عبد الملك ، سعدَ بشكر بنى المُلوك : يعنى آلَ المهلب .

٣٩ ما خَالدٌ لِى دُونَ أَيُّوبٍ ولَا عَبْدِ العَزيزِ ، ولَسْتَ دُونَ وَلِيد

« أيُّوب » : ابن سليمان بن عبد الملك ، و « عبد العزيز » : ابن الوليد بن عبد الملك و « خالد » : ابن يزيد الشيبانى ، شفيع الطائى ، و « وليد » : يعنى به الوليد بن عبد الملك ، فحذف الألف واللام وهو جائز . وقد استعمل ذلك الطائى كثيراً فى مواضع ، وهو جائز ، إلاَّ أنَّ تَرْكه أحْسَن .

[ص] يقول : اعْفُ عنى إذ كنتَ أكرمَ من الوليد ، والشَّفِيعُ إليك أجلُّ من الشفيع إلى الوليد ، فاستَنَّ فىَّ بسنَّته فيه .

٤٠ نَفْسى فِدَاوكَ أَىَّ بابِ مُلِمَّةٍ لم يُرْمَ[(١)] فيه إليْكَ بالإِقْليد؟!

٤١ لِمُقَارِفِ البُهْتانِ غَيْرُ مُقَارِف[(٢)]
ومنَ البَعيد الرَّهْطِ غَيْرُ بَعيد

يقول : هذا الممدوح غير مُقارف للقوم الذين يُقارِفون البُهتان ، أي لا يَقرُب منهم ؛ وهو ناصِرٌ لِمَن بَعُدَ رَهْطه ، قريبٌ إذ كان الحقُّ معه .

---

(١) س : « لم يلق » ، وبهامشها رواية الأصل .

(٢) ظ : « مقارب » .

٤٢ لَمَّا أَظَلَّتْنِى غَمامُكَ[1] أَصْبَحَتْ
تلكَ الشُّهُودُ علىَّ وهىَ شُهُودى

[ص] يقول : أصغيتَ إلى قولى ، وتَحققَتَ أمرى ، فكَفَّ أعدائى فعلُكَ معى .

٤٣ منْ بَعْد أَنْ ظَنُّوا بِأَنْ سيَكُونُ لى
يَوْمٌ ببَغْيِهم[2] كَيْوم عَبِيدِ

[ع] يُقال : ظَنَّ أن سيكون ، وظَنَّ بأنْ سيكون ، وحذْفُ الباء أكثر * و « عبيد » : هو عبيد بن الأبرص الشاعر ، قتله عمرو بن هند .

٤٤ أُمْنِيَّةٌ ما صَادَفُوا[3] شَيْطَانَها
فيها بِعفْريتٍ ولا بِمَرِيد

يقال : ما صادفتُه حاضرًا ، وما صادفتهُ بحاضر ، فيُدخلون الباء إذا كان فى أوّل الكلام نَفْى أو شىء يُشابه النَّفْى . و « العِفْريت » والعفرية : الذى أعيا خُبْثا .

[ص] أى ما تَمَّتَ لهم هذه الأمنية لأنهم تَمنَّوا أمنية شرّ وكذِب ، ولم تكن وثيقة التأسيس .

٤٥ نَزَعُوا بِسَهْم قَطيعةٍ يَهْفُو به
رِيشُ العُقُوق فكانَ غيْرَ سَديد

يُقَال : نَزَعَ له بسهم ، إذا رَماه به . وأصلُه من نَزَعَ فى القَوس إذا جَذَب وتَرَها ، ويُسمَّى السَّهمُ مِنْزَعًا ، و « تَهْفو به » : أى تطير به .

---

(١) ظ : « سماؤك » .
(٢) ظ : « بسعيهم » .
(٣) ب ، ن : « ما صادفت » .

٤٦ وإذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لهَا لِسَانَ حَسُود

٤٧ لَوْلاَ اشتعَالُ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ
ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُود

٤٨ لَوْلا التَّخَوُّفُ للعَواقب لَمْ تَزَلْ
للْحَاسد النُّعْمَى على المَحْسُود

٤٨ — [ع] هذا البيت مُتَعلِّق بما قبله مِن ذِكْره الحسود. يقول: أراد بي الحُسَّادُ شرًّا، فصار حَسَدهُم نِعْمةً لهم عليَّ، لأنه أدَّاني إلى رضاك وعِلْمِك أنهم ظالمون، وكذلك كلّ حاسد تَنقلب شرَّتُه فتصير خيرًا للمحسود، إلا أنَّ الذى يُحسَد يتَخَوَّف من عَوَاقب ما يَجرّه الحَسَد، لأن الطائيّ كان خائفًا من عاقبة حَسَدهم الذى حَمَلهم على السِّعَاية به، فكأنّ الحَسَد نِعْمةٌ على المحسود، إلاّ أنه قد يجوز أن يَجرَّ هَلاكَه * قال المرزوقى: يقال: لولا أنّ عاقبةَ الحسد مذمومةٌ مَعيبة، لكان للحاسد النِّعمةُ على المحسود، لأنه يُظهِر مِن فَضْله ما كان مستورا، ومن كرمه ما كان خافيًا؛ ثم إنّ المحسودَ متى عَلِم بحسَد الحاسد ازداد فى اكتساب المكارم، وابتناء المعالى، فكان حَسَدُه سبَبًا له.

٤٩ خُذْها مُثَقَّفَةَ القَوافِي رَبُّها لِسَوابِغ النَّعْمَاءِ غيرُ كَنُود

«مُثَقَّفَة»: مُقوَّمة. وأصل التَّثقيف لما رأته العين كالقناة والصَّعْدة، ثم استعير للكلام.

٥٠ حَذَّاءُ تَمْلأُ كُلَّ أُذْنٍ[1] حِكْمةً وبَلاغَةً وتُدرُّ كُلَّ وَرِيد

[ع] «حَذَّاء» خفيفة السَّيْر، من قولهم قَطاةٌ حَذَّاء، وقيل هى القَصيرة الذَّنَب. أراد أنها تسير فى البلاد، يُقال: قَوافٍ حُذّ، وعزيمة

(١) ظ: ويروى: «كل قلب».

حَذاء : ماضيَة . وقوله « تَملأ كلَّ أذن حكمةً » : يعني كلَّ أذن سَمِعَتْها إذْ كان لا يمكن أن تَمرَّ بآذان الخَلْق كلّهم ، وقد يجوز أن يَسمَعها مَن لا يفهم اللسانَ العربي ، فتكون عنده كالهَذَيان. وقوله « وتُدِرّ كلَّ وريد » : يعني مَن يَحسدُها أو يُعانِدها ، وإدرار الوريد : كناية عن الذَّبْح ، وهو من قولهم : هو يُدِرّ العُروقَ بالسَّيْف ، أي يَعقر الإبلَ للضِّيفان(١) .

٥١ كالطَّعْنَة النَّجْلاءِ مِنْ يَدِ ثائرٍ بأَخيه أو كالضَّرْبَة الأُخْدُودِ

[ع] يقول : هذه القصيدة قد اجتهد قائلها في تجويدها ، لأنه حَنِق على الذين وَشَوْا به ، كما أنَّ الطَّعنةَ النجلاء — أي الواسعة — يجتهد فيها الثائرُ بأخيه ، وكذلك الضربة الأُخْدُود ، التي هي كالشَّقّ في الأرض .

٥٢ كالدُّرِّ والمَرْجانِ أُلِّفَ نَظْمُهُ بالشَّذْرِ في عُنُقِ(٢) الفَتاةِ الرُّودِ

[ع] أكثر الناس يَذكر أنَّ المرجان صِغار اللؤلؤ . وبعضهم يقول : هو شيء أحمر يخرج من البحر ويكون طويلاً . و « الشَّذْرُ » : ما يُصاغ من الذَّهَب والفِضَّة ، فيُفصَّل به اللؤلؤ . « والرُّود » : الناعمة .

٥٣ كَشَقيقَةِ البُرْدِ المُنَمْنَمِ وَشْيُهُ في أَرْضِ مَهْرَةَ أو بِلادِ تَزيدِ

[ع] أي كما شُقَّ مِن البُرْد ، ويحتمل أن يكون كشُقَّةِ البُرْد ، لا أنَّه يُريد نِصْفَه ، إذْ كان اشتقاقُ الشُّقَّة مِن الشَّق . و « مَهْرَة » تسكن في بلاد اليمن ، والعَصْب يُعمل هناك . و « بَنو تَزيد » مِن قُضاعة ، وإليهم تُنسب البرود التزيديَّات . و « المُنَمْنَم » : المنقوش .

---

(١) قال الصولي : « وتدر كل وريد » أي يمتد إليها كل عنق . وقال الخارزنجي في ظ : من ينشدها لجزالة ألفاظها ينتفخ وريده .

(٢) س : « في جيد » ، وفوقها بين السطور : رواية الأصل .

٥٤ يُعْطِى بها(١) البُشْرَى الكَرِيمُ ويَحْتَبِى
بِرِدَائِهــا فى المَحْفِل المَشْهُود

[ع] إن رويتَ « يُعطَى » على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه ، فالمعنى : أنَّ الكريم يُعطاها ، لأنها مَوْهِبةٌ له ، يُؤْثَر بها مَجدُه وشَرَفُه . و إذا رويت « يعطى » فالمعنى أن الكريم إذا بُشِّر بقُدومها أعطَى من يُبشِّره بشراه ، أى عَطِيَّةَ البشارة .

٥٥ بُشْرَى الغَنِىِّ أَبِى البَنَات تَتَابعَتْ
بُشَرَاوُهُ بالفَــارِس المَوْلُود

٥٦ كَرُقَى الأَسَاوِد والأَرَاقِم طَالَمَا
نَزَعَتْ حُمَات سَخَائِمٍ وحُقُود

« الأَسَاوِد » و « الأَرَاقِم » : مِن الحَيَّات . و « الأساود » : جمع أَسْوَد . و « الأَرَاقِم » : جَمع أرقَم ، وهو الذى فيه نُقَط سُود . و « حُمَات » : جمع حُمَة ، وهو السَّمّ ، ويقال : فَوْعَةُ السَّمّ(٢) .

---

(١) س ، م : « يعطى لها » .

(٢) قال الخارزنجى فى ظ : هذه القصيدة فى نفيها الكذب والزور المنقول عنى ، ونزعه ونزع سخائم هذا الممدوح من قلبه وشحنائه ، كالرقى التى ترقى بها الحيات ، فتخضع وتلين ، وتذهب سورة السمّ .

٣٨

وكان أبو تمام لمّا عمل هذه القصيدة [القصيدة السابقة] حرَص على أن يُسمِعها ابنَ أبي دُوَاد، فتأخّر ذلك، فكتَب بهذه الأبيات [١] :

١ أأَحْمَدَ إنَّ الحاسدينَ حُشُودُ ... وإنَّ مَصابَ المُزْنِ[٢] حَيْثُ تُرِيدُ

٢ فَلا تَبْعُدَنْ منِّى قَرِيباً فَطالَما ... طُلِبْتَ فلمْ تَبْعُدْ وأَنتَ بَعِيدُ

٣ أَصِخْ تَسْتَمِعْ حُرَّ القَوافِى فإنها ... كَواكِبُ إلَّا أَنَّهُنَّ سُعُودُ

٤ ولا تُمْكِنِ الإِخْلاقَ منها فإنَّما ... يَلَذُّ لِباسُ البُرْدِ وهو جَدِيدُ

فدَعا به واستمعها منه ورضى عنه .

٤ — [ع] : استعمل «اللِّباس» فى معنى المصدر، والمعروف أنّ اللباس هو الملبوس، يُقال : عليه لِباسٌ حسَن، وقد يستعيرون الأسماء، فيُقِيمونها مَقامَ المصادر، ومِن أعجب ما رُوى فى ذلك بيتٌ أنشده الفرّاء :

فإنْ كان هذا المَطْلُ منكَ سجِيَّةً ... فقد كنتُ فى طُولِى رجائِكَ أشعَبا

أى فى إطالتى رجاءك .

(١) هذا الخبر منقول عن الصولى حدثه به أبو مالك .

(٢) ظ : ويروى : «وإن محل المزن» .

٣٩

وقال يمدح عليَّ بنَ الجهْم القرَشِي الشَّاعِر ، وقد جاءَه يُوَدِّعه لِسفَر أرادَه ، وكان أصدقَ النَّاسِ له :

١ هيَ فُرْقَةٌ منْ صَاحبٍ لكَ ماجِد
فغدًا إذابةُ كُلِّ دَمْعٍ جامِدِ

أوّل الكامل ، والقافية مُتدارِك .

٢ فافْزَعْ إلى ذُخْرِ الشُّئونِ وغَرْبِه[1]
فالدَّمْعُ يُذْهبُ بَعْضَ جَهْد الجَاهدِ

٢ — هذا تَركٌ لما قال فى التى قبلَها ورُجوعٌ عنه .

٣ وإذا فَقَدْتَ أخاً ولَمْ تَفْقِدْ لَهُ
دَمْعاً ولا صَبْرًا فَلَسْتَ بفاقدِ

٤ أعَلِيُّ يا بْنَ الجهْم إنَّكَ دُفْتَ لى
سِمًّا وخَمْرًا فى الزُّلالِ البَارِدِ

٤ — إذا رويت « سِمًّا وخمرًا » فالمعنى : أنك سقيتنى وِدادَك فكان كالخمر بالزّلال البارد ، ثم جاء الفراقُ فكان كالسّم . فالمعنى صحيح على هذه الرواية . [ق] يقول : خلطتَ مودّتك وقُربَك ببعدك وفراقك ، فكأنك جمعتَ لى بين ما يُحيينى ويُميتنى ، ومَن روى « جَمْرًا » بالجيم فقد صَحّف (٢)

(١) س : « وعونه » — م ، هـ ب : « وعذبه » .

(٢) س ، م ، ل : « جمرا » ، وقال الصولى فى شرحه : ويروى « خمرا » وليس بشىء ، وهو تصحيف ، وإنما يريد خلطت مودتك وقربك ، فكانا جمرا وسما مع زلال بارد عذب ، وفى ظ : وروى غيره : « سما وشهدا » . ودفنت : أى أذبت .

٥ لا تَبْعَدَنْ أَبَدًا ولا تَبْعُدْ (١) فما
أَخْلاقُكَ الخُضْرُ الرُّبَا بِأَباعد

يقال : بَعُدَ يَبْعُد مِن بُعْدِ المكان ، وبَعِدَ يَبْعَدُ في معنى الهلاك . وجعل أخلاقه خُضرَ الرّبا ، لأنه شبّهها بالرياض .

٦ إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاءِ فإنَّنَا
نغْدُو ونَسْرى في إخَاءٍ تَالِدِ

أي إن لم يُثمر حَدِيثُ الإخاء فإنّ إخاءَنا قديم مُثْمر .

٧ أَوْ يختَلِفْ مَاءُ الوِصالِ فمَاؤُنَا
عَذْبٌ تَحَدَّرَ من غمامٍ وَاحدِ

٨ أَو يَفْترِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بَيْنَنا
أَدَبٌ أَقمْنَاهُ مُقامَ الوالِدِ

٩ لو كُنْتَ طِرْفاً كنْتَ غيْرَ مُدَافعٍ
للأَشْقرِ الجَعْدىِّ أَو للذَّائدِ

٩ — [ع] « الأشقَر الجعديّ » : فرَسٌ كان يُعرَفُ بأشقر مروان . وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص . وإنما أراد أنْ يَنسُبَ الفرسَ إليه ، فلم يستقم له الشعر ، فجعل الأشقرَ جَعْدِيًّا . وكان مروانُ يُقال له : مروان الجعدى ، نُسب إلى الجَعْد بن دِرهَم ، وكان الجَعْد مُؤدّبَه ، فقتَله يومَ عِيد ، فقيل له : مرْوان الجعدى . ويقال : إن أشقَرَه كان من نسل الذائد ، وكان الذائد فرسًا عند هشام بن عبد الملك ، وأسَنّ الذائدُ ،

(١) ل : « إن تنأ بى أبداً ولا تبعد » ورويتها ظ . وقال ابن المستوفى : والأول المشهور .

حتى بان فيه العَجْز والتَّقصير . وقوله « الذائد » فى هذه القافية من الإلجاء ، لأنها لو كانت على الباء لقال « المذهبِ » أو نحوَ ذلك .

١٠ أَوْ قَدَّمَتْكَ السِّنُّ خلتُ بأَنَّهُ[١]
مِنْ لَفْظِكَ اشتُقَّتْ بَلاغَةُ خالِدِ

يعنى خالد بن صفوان التَّميميّ ، وقد كان يُوصَف بالبلاغة ، وحضَر بين يَدَىْ أبى العباس السَّفاح ، وحديثُه مشهور مع أم سَلَمة امرأة أبى العبَّاس .

١١ أَو كُنْتُ يَوْماً بالنُّجوم مُصَدِّقاً
لَزَعَمْتُ أَنَّكَ أَنتَ بِكْرُ عُطارِدِ

المُنجِّمون يزعمون أنّ عُطارداً يَتولَّى الشُّعراء والكتاب[٢]. يقول: لو كنتُ أصدّق بالنُّجوم لقلتُ إنك بِكْر عُطارد ، أى أوّل أولاده ، وبِكْر الرجل يَفضُل على مَن بعده مِن ولده .

١٢ صَعْبٌ فإِنْ سُومِحتَ كُنْتَ مُسامحاً
سَلساً جَرِيرُكَ فى يَمينِ القائد

« الجرير » : حبلٌ يُضفَر من أدَم ، ويكون فى عُنُق البعير ، وجَعَله سَلِساً لأنه أملس لا عُقَد فيه ، وذلك أنهم يقولون هو مَضروس الجرير ، إذا كانت فيه كالأضراس من العُقَد ، وكأنهم يستعملون ذلك إرادةً لتذليل البعير ، فيقولون قد انقاد فلان كأنَّه بعير مضروس الجرير ، قال الشاعر :

تَبِعْتُ الهوَى يا طيبَ حتَّى كأنَّنى مِنَ أجْلِكِ مضروسُ الجريرِ قَئُودُ

١٣ أَلْبِسْتَ فَوْقَ بياضِ مَجْدِكَ نِعْمَةً
بَيْضاءَ حَلَّتْ فى سَوادِ الحاسِدِ

(المرزوقى) : يجوز أن يكون فى شخص الحاسدِ ، لأنّ سوادَ كلِّ شىء

(١) س : « قلت بأنه » .
(٢) قال الصولى : إن المنجمين يقولون : من تولاه عطارد كان بليغاً .

شخصه ، أى أنها تُتلفه ، إذ صارت غُصَّةً فى صدره ، ويجوز أن يكون أراد سويداء قلبه ، والمعنى : أن ذلك صار كمَداً فى قلبه . ويُروَى « تُسرِعُ فى سَوَاد الحاسدِ »[١]. ويُروَى « تُسرع فى يمين الحاسدِ » أى فى قُوّة الحاسد ، من قوله :

* تلقّاها عَرابَةُ باليمين[٢] *

١٤ ومودَّةٌ لا زَهَّدَتْ فى راغبٍ
يَوْماً ولا هِىَ رَغَّبَتْ فى زَاهِدِ

يقول : الناس يَوَدّونك كأنّك ألبِستَ المودّة ، وتلك الخَلّة التى ظهرت منهم لا تُزهدك فى مَودّتهم .

١٥ غَنَّاءُ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ أنْ يَغْتَدِى
فى رَوْضِها الرَّاعِى أمَامَ الرَّائِد

(المرزوقى) : أى مودّتُك خِصبَةٌ نَضِرة ، لا يُنكَر — لاشتهار أمرها — أن يتقدّم الرّاعى على الرائد فيها ، لأنّ الرّائد هو الذى يتقدّم القومَ فيطلب الماء والمرعَى لهم ، وإنما يُحتاج إليه إذا التَبَس الأمر فى ذلك ، فيقول : مَودّتُك أشهر من أن يكون الرّاعى لروضتها يحتاج إلى رائد * أى أنك تُسرع التفضّل على مَن يَودّك ، فودّتُك مثل الروضة يرعاها الرّاعى قبل أن يردها الرائد ، أى أنت قريب ممن يُريدك .

١٦ ما أدَّعِى لكَ جَانباً من سُؤْدُدٍ
إلّا وأنْتَ عليْهِ أعْدَلُ شاهد

---

(١) هى رواية الصولى ، وقال : ويروى : « تسرع فى يمين الحاسد » .
(٢) هذا عجز بيت للشماخ ، وهو :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

٤٠

وقال يمدحُ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ مَزْيَدٍ الشَّيْبانيّ :

١ طَلَلَ الجَميعِ لقَدْ عَفَوْتَ حَميدَا
وكَفَى على رُزْئى بِذَاكَ شَهيدَا

الثانى من الكامل ، والقافية متواتر .

[خ] أى عَفوتَ محموداً لما كنّا نَجِده مِمَّن كان يَسكُنك من المساعدة ، وكَفَى على رُزْئى شاهداً بعفُوّك ، أى عفُوّك يكفى من أن أستشهد على رُزْئى فيك بفراق أهلك . [ق] أى إذا أثّر هذا الأثر(١) فى الجماد الذى لا يَعقل ولا يميِّز ، فكيف تأثيرُه فىّ مع علْمى وتمييزى ؟ ! وموضع « بذاك » رفْع بفعله ، والباء دخلت للتأكيد(٢) .

---

(١) فى كتاب المرزوق : « هذا الأمر » ، وفى أصول التبريزى وفى ظ : « هذا الأثر » .

(٢) قال الصولى فى شرحه : يقول شدة رزئى ، أي وجدى ومصيبتى ، تدل على أنك عفوت عن حمد منى لك .

وذكر المرزوق ما قاله الصولى ثم قال : إنما استشهد أبو تمام على رزئه بحال الطلل ، فعكسه هذا المفسر ، ولم يعرف المراد . والمعنى : درست أيها الطلل وأنت محمود ، لأنك من أجل من فارقك حقيق بالدروس ثم قال : « وكفى بذاك » أى بما رؤى من تغير حال الطلل شهيداً على رزئى . ثم ذكر المرزوق بعد ذلك ما أورده التبريزى هنا من كلامه وقال : وقال أبو تمام على هذا المعنى حين قال :

قد أقسم الربع أن البين فاضحه ... إن لم تحل به عقواء من عفر

وقال من أخرى :

لو قيل ما كان مزورا بها ... إذاً لسر الربع بالرابع

وقد شرحنا نظائر هذا البيت فى المشكلات .

وذكر ابن المستوفى ما قاله الآمدى فى نقد هذا البيت (الموازنة ص ٨٩) . قال الآمدى : ووجه الكلام أن يكون : وكفى رزئى شاهداً على أنه مضى حميداً لأن حمد أمر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم ، فلأن يكون الحاضر شاهداً على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر . . . إلخ .

وقال ابن المستوفى أيضاً : ونقلت عن خط أبى محمد عبد الله بن محمد بن سنان فى كتابه « سر الفصاحة » عند قوله « ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوباً ، فيفسد المعنى ، ويصرف عن وجهه » ، وذكر لذلك أمثلة ، وقال : على هذا حمل أبو القاسم الآمدى قول الطائى الكبير (وذكر البيت) . ثم قال : فإذا كان أبو تمام على عادته فى صناعة الشعر أراد أن يقيم حال الطلل شاهداً على =

٢ دِمَنٌ كأَنَّ البَيْنَ أَصْبَحَ طالباً
دِمَناً لَدَى آرَامها وحُقُــودَا

« الدِّمن » الأول : جمع دِمْنة ، وهي آثار القوم فى الديار ، ثم يُسمَّى المنزل دِمْنة لكوْن الدِّمْنة فيه . و « الدِّمن » الثانى : جمع دِمْنة ، وهى الحقْد وبقيَّته فى القلب ، وعَنَى « بالآرام » النساء ، شبَّهها بالظباء البيض . يقول : كأنّ الفراق طلب عند ظباء هذه الدِّمن أثآرا .

٣ قَرَّبْتَ نَازِحَةَ القُلُوبِ منَ الجَوَى
وتَركْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فيكَ بَعيدَا

[ص] يخاطب الفراق ، يقول : قَرَّبتَ إلى الجوَى قلوبًا كانت بعيدةً منه ، وتركتَ شأو الدمع أى طَلَقه بعيدًا(١) .

٤ خَضِلًا إذَا العَبَراتُ لم تَبْرَحْ لهَا
وَطَناً سَرَى قَلَقَ المَحَلِّ طَرِيدَا

أى لا يتركه الحزن أن يَقَرّ . [ص] يقول : إذا كانت العَبَرات لا تبرح ، أى لا تزول عن أوطانها ، وهى العيون ، فإنّ دمعى على مَن ذكرتُ يَسرى قلقَ المحل ، أى يَتحدَّر ولا يَبقى فى محلّه ، ويفيض كأنه طريد . و « خَضِلاً » أى رَطْبا .

—حاله فليس هناك فى الكلام قلب . وذكر ابن سنان البيتين الآنفين اللذين وردا فى كلام المرزوقى مستشهد بهما على أن الكلام ليس فيه قلب . وانظر كلام ابن سنان الخفاجى هذا فى كتابه « سر الفصاحة » طبعة الخانجى بمصر سنة ١٣٥٠ ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(١) فى ظ : قال الخارزنجى : يخاطب طلل الحى الجميع ، يقول : يا طلل الحى الجميع ، لما عفوت وبليت قربت من الجوى والحزن القلوب النازحة . . .

وقال ابن المستوفى : وفى النسخة العجمية يخاطب الطلل .

٥ أَمَوَاقِفَ الفِتْيَانِ تَطْوِى لَمْ تَزُرْ
شَرَفاً [١] ولَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا؟!

ويروى : « الفَتَيَات » ، ويروى : « لم نَزُرْ » ، و « لم نَنْدُب » .
و « تَطوِى » : أى تَمَرُّ فيها ، و « شَرَفا » : أى مُرتفعا .

٦ أَذْكرتنا المَلِكَ المُضَلَّلَ فى الهَوَى
والأَعْشَيَيْنِ وطَــرْفَةً ولَبِيدَا [٢]

يعنى « بالملك المُضلَّل » امرأ القَيْس . و « الأعشيان » : أعشى قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل ؛ وأعشى باهلة ، وهو من قيس عيلان . وأكثرُ الروايةِ و « طَرْفَة » يعنى طَرَفَة بن العَبْد ، والرّواة كالأصمعى وغيره يقولون « طَرَفَة » بتحريك الراء ، يجعلونه مُسمًّى بالواحدة من الطَّرْفَاء ، ولا ينبغى أن يُحمل على أنّ الطائى سكّن الرّاء ، إذْ كان ذلك مستنكَرًا ، لأنهم لا يقولون فى شَجَرَة شَجْرة ، ولا فى حَجَر حَجْر ، لأنّ تسكين الفتحة عندهم مرفوض ، وإنما يُسكّنون الضمة والكسرة فيقولون فى عَضُد : عَضْد ، وفى نَمِر : نَمْر . وذَكَر بعض الناس أنّ اسم طَرَفة بن العَبْد : عمرو ، وأنه سُمِّى بقوله :

لاتَعذُلا فى البكاءِ اليومَ مُطَّرِفَا ... ولا أخا عَوْلَةٍ فى الدّارِ أنْ يقفا

فكأن الطائىّ جعله مُسمًّى بطرْفة من « طُرِفَتْ عَيْنُه » . وقد استعمله البحترى بتسكين الراء ، فهذا يَدلّ على أنّ أبا تمام قاله كذلك ، لأن البحترىّ

(١) س : « شوقا » ، وقال ابن المستوفى : قال أبو القاسم الآمدى : ورأيت فى نسخة « أمواقف الفتيان تطوى لم تزر شوقا » ، والأول أصح ، أى تطويها ولم تزر حزناً منها ولا سهلا ، لأنه جعل « الشرف » ما علا وخشن ، وجعل « الصعيد » ما انحدر وسهل ، أى لم تزر منها شيئاً . ورواية الصولى : « تطوى لم نزر شرفا » ، وقال : ويروى : « تطوى لم تزر شوقاً ولم تندب » .

(٢) فى أصل نسخ التبريزى « وجرولا ولبيدا » غير أن الشرح يدل على تفضيله لرواية «وطرفة» ، ورواية الصولى : « ومالكا ولبيدا » ثم قال : ويروى « وحارثا وعبيدا » ، ورواية س «وطرفة» وبهامشها : ويروى « ومالكا ولبيدا » و « جرولا ولبيدا » وقال ابن المستوفى : ورواية «وطرفة ولبيدا» هى أكثر الرواية .

كان يتبعه فى كل طُرقه ، وذلك قوله :

وكذا طَرَفَةُ حينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً فى الرأسِ هان عليه قَطْعُ الأكحلِ

أيَ ذكرْتنا هؤلاء الذين كانوا يصفون مثلها من المواقف البالية .

ومن روى « جَرْولاً ولبيدا » فقد خلَصَ من هذه الشُّبهة ، وكذلك روِى قولُ البحتريّ : ،

« وكذا عَبيدٌ حين أوجس » (البيت)

٧ حَلُّوا بِها عُقَدَ النَّسيب ونَمْنَمُوا
مِنْ وَشْيِها حُلَلاً لها وقَصيدًا

ويُروى « نشْرًا لنا وقَصيدًا » ويروَى « رَجزًا لنا وقصيدًا[1] » . و« نمنموا » : أي زخرفوا : .

٨ راحَتْ غَوَانِى الحَىِّ عَنْكَ غَوانياً
يَلْبَسْن نَأْياً تَارَةً وصُدُودَا

« الغانية » : هى الشَّابة التى قد غَنَيتْ بحسنها عن الحُلَىّ ، وقيل : التى غَنَيت بمال أبيها عن الأزواج ،وقيل : هى مَن غَنَيت فى بيت أبيها إذا أقامت ، يقال : غَنَينا بالمنزل ، إذا أقمنا به ، وكثر ذلك حتى قالوا : غَنَيت دارُهُم تهامة ، ونحو ذلك ، قال الشاعر[2] :

غَنِيَتْ دارُنا تِهامةَ فى الدَّهْرِ وفيهــا بنو مَعَدٍّ حُلُولاَ

وقيل : الغانية : التى غَنَيتْ بزوجها عن الرجال . والأصل فى ذلك كلّه من غَنَيتُ عن الشيء إذا استغنيتَ عنه ، الاّ أنهم صاروا يكنون بالغوانى عن النساء التى يَرغب فيهنّ الرّجال .

---

(١) هى رواية الصولى ، وقال : ويروى « نتفاً لنا وقصيدا » ، وذكر رواية الأصل . س : « من وشيه رجزا بها وقصيدا » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة يذكر اجتماع ولد معد فى دارهم بتهامة وما وقع بينهم من الحرب . اللسان مادة « غنى » ومعجم ما استعجم المقدمة ١ : ١٩ وفى صفة جزيرة العرب للهمدانى : « عمرت » .

٩ مِنْ كلِّ سَابِغةِ الشَّبابِ إذا بَدَتْ
تَرَكَتْ عَميدَ القَرْيَتَيْنِ عَميـدا

[ع] « سابغة الشباب » : أى قد جرَى شَبَابُها فى جميع جسدها ، ولمَّا كان الشباب يُستعار له البُرْد والقميص والرِّداء استعار له السبوغ . و « عَميد القريتين » : رئيسهما . و « عَميدا » : من قولك عمده الحُبُّ إذا ذَهَب بقلبه . وإنما بنى الطائى هذا الكلام على الآية وهى قوله عزّ وجل : (وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) . وقد استعملوا فى صدر الإسلام نحواً من ذلك ، فقالوا : ليس فلان بعظيم القريتين ، أى ليس هو برئيس ، وانما أخذ ذلك من القرآن على ما مَضَى ، ويُقال : إنه عَنَى بالرجل العظيم من القريتين حَبيبَ بن عمرو الثقفىّ ، أو الوليدَ بن المُغيرة المخزومىّ ، وقيل بل الثقفىّ عُرْوَةُ ابن مسعود . و « القريتان » : مكةُ والطائف .

١٠ أُولِعْنَ بالمُرْدِ الغَطارِفِ بُدَّناً
غيدًا أَلِفْنَهُمُ لِدَاناً غيـدَا

[ع] : إذا رويت « لُدَّنًا » فهو جمع لادنة ، وذلك لفظ لا يُستعمل ، وإنما يقال : غُصْنٌ لَدْن ، وشباب لدْن ، وهو الناعم المُنعطف . ويقال : تَلَدَّنت النساء فى الدار إذا تأخرتْ فيها بعد تَرَحُّل القوم ، وهو مأخوذ من التعطف ، قال كُثَيِّر (١) :

تلَدَّنَّ حتى قلتُ لسْنَ بَوارِحًا من الدَّارِ واستقللن بعدَ طَويلِ

وإذا رويت « بُدَّنا لُدْنًا » فهو أعرَف ، لأن قولهم : امرأة بادن ، كلام

(١) البيت الذى رواه التبريزى مركب من شطرى بيتين فى الديوان ، وهما :
تأطرن حتى قلت لسن بوارحا رجاء الأمانى أن يقلن مقيلى
فلأيا بلأى ما قضين لبانــة من الدار واستقللن بعدطويل
انظر الديوان ٢ : ٢٥٠ البيتين رقم ٣٠ ، ٣٢ .

معروف ، ويكون « لُدْنًا » جمع لَدْن ولَدْنة ، كما يقال : رَهْن ورُهْن ، وفرَسٌ وَرْدٌ ، وخيل وُرْد ، ويُروى : « أَرَبِيْنَ » [1].

١١ أَحْلَى الرجالِ منَ النِّسَاءِ مَواقعاً
مَنْ كانَ أَشْبَهَهُمْ بهِنَّ خُدُودَا [2]

١٢ فاطْلُبْ هُدوءًا بالتَّقَلْقُلِ واسْتثِرْ
بالعيسِ منْ تَحْتَ السُّهاد هُجُودَا

أى اطلبْ بالحركة فى الأسفار سُكونًا ودَعةً فيما بعد ، وبالأرق نومًا.

[ق] وقوله « بالعيس » : أى بركُوب العيس . و « من تحت السُّهاد » : أى من تحت الصبر على السُّهاد [3] .

---

(١) هى الرواية عند الصولى . وقال فى شرحه : يقول زدن على المرد الذين ألفنهم لداناً غيدا ... وهى كذلك رواية س ، ظ ، وفى ه س : ويروى « أردين » . وفى ه م : « أبدلن » . وجاء فى ظ : روى الخارزنجى « أربين » وقال : أى لازمن المرد من الفتية . . . وقال المرتضى : قوله « أربين بالمرد » من أرب بالشىء إذا لزمه فأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا أقام عليه ، ورواه قوم «أربين بالمرد» من الربا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ، فيقول : أربين بالمرد إذا ازددن عليهـم .

(٢) قال المرتضى فى ظ : يقال إنه أخذ قوله «أحلى الرجال من النساء مواقعاً» البيت من قول الأعشى :

وأرى الغوانى لا يواصلن الذى   فقد الشباب وقد يصلن الأمراد

ولمنصور النمرى مثله :

كرهن من الشيب الذى لو رأينه   بهن رأيت الطرف منهن أزورا

ونحوه قول الآخر :

أرى شيب الرجال من الغوانى   كموقع شيبهن من الرجـال

(٣) فى كتاب المرزوقى وفى ظ نقلا عنه : وهو مثل قوله فى أخرى .

* أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد * وقال ابن المستوفى فى الحاشية : « استثر » أى استخرج ، وقريب منه قوله (أى قول من قال) :

جئت طليحـا راكبا طليحـا
تعبت فى السير لأستريحـا

١٣ منْ كلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى
وَخْـدًا يَبِيتُ النومُ منْهُ شَرِيدَا

« عَلَلُ السُّرى » يعنى إسراءً بعد إسراء ، أخذه من عَلَلِ الشُّرْب . [ص]
ومَن رَوَى « على عِلَلِ السُّرَى » أى ما يُحدثه السُّرَى من هُزالها وغير ذلك .

١٤ تَخْدى بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إذَا وَنَى
ضُرَباؤُهُ حِلْساً لها وقُتُــودَا

« المُنصَلِت » : الماضى فى الأمر . يقول : هذا الرجل قد أَلِفَ ظُهورَ العيس فكأنَّه قُتُودٌ لها ، وهذا مثل قولهم : بنو فلان أحلاسُ الخَيْل .
و « ضُرَباؤه » : نُظراؤه .

١٥ جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا ووَدَّعَ راضياً
بالهُونِ يَتَّخذُ القُعُودَ قَعُودَا

[ق] « راضياً » : انتصب لأنه مفعول به ، والمعنى أنه امتطى الليل ، وخلَّف مَن كان يرضى بالهوان ويلزم بيتَه ، ولا يسعى فى كَسْب المال وتحصيله ، بل اتخذ جُلوسَه قَعُوداً له ، أى اقتعده ورضى به مركباً . و « القَعُود » : ما يُقتَعَد من الإبل ، أى ما يُركَب ، ولا يُستعمل[1] ذلك إلاّ فيما كان فىّ السن قريبَ العهد بالركوب .

١٦ طَلَبَتْ رَبيعَ رَبِيعةَ المُمْهِى لَهـا
فوَرَدْنَ ظلَّ رَبِيعةَ المَمْدُودَا[2]

ويروى « فتَفيأتْ ظلاً له ممدوداً » . ولمَّا كان الربيع من الأزمنة يُحمَد

(١) يبدأ من هنا خرم فى نسخة ب ، ن ، ويستمر إلى البيت ٣٣ من هذه القصيدة .

(٢) رواية الصولى : « فتفيأت ظلا لها ممدوداً » ، وهى الرواية فى س ، ورواية الخارزنجى : « فوردن ظل ربيعة الممهودا » ، وفسرها بالممهد لها الموطأ للطالبين المنتجعين .

على كل حال – إن كان الربيع الأوَّلَ أو الثانى – جَعَلَ الممدوحَ ربيعاً . والأحسن أن تكون الإضافة هاهنا على معنى « منْ » . لأنها إذا كانت بمعنى اللام جاز أن يتَوهَّم السامع أنه ربيع لربيعة دون غيرها من القبائل . و « المُمْهى لها » أى المُحسَّن الكثير الماء ، ويجوز أن يكون من قولهم أمهيتُ الفرَس إذا طوَّلتَ له فى الرَّسَن(١) . ويحتمل أن يُروى « ظلٍّ ربيعةَ » على الإضافة إلى الهاء ، ولا يمتنع « ربيعةَ » على اسم القبيلة .

١٧ بَكْرِيُّهَا عَلَوِيُّها صَعْبِيُّهَا الـ ـحصْنىُّ شَيْبانيُّها الصِّنْديدا

١٨ ذُهْلِيُّها مُرِّيُّهـا مَطَرِيُّها يُمْنَى يَدَيْها خَالدَ بنَ يَزِيدَا

١٨ – نَسَبَ الممدوح إلى هذه القبائل وهى على ما ثَبَتَ . وفى النسخ تقديم وتأخير فى النسب ، وصناعة الشعر يجب فيها ذلك ، لأن هذا الممدوح من بنى مَطَر . ومَطَرأَدْنَى هؤلاء الآباء إليه ، فينبغى أن يُروَى « بكْريها عَلَويّها صَعْبيُّها » ، وكذلك ينبغى أن يُروَى « ذُهْليُّها مُرِّيُّها مطَريُّها » لأنَّ بنى مَطَر رَهْط هذا الممدوح من مُرَّة بن ذُهْل بن شيْبان بن ثعلبة ، وثعلبة هو الذى يُلَقَّب الحِصْن بن عُكابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . وإذا نُسِب الرجل وكان نَسَبُه مشهوراً فَبُدِئ بالأب الأقرب ، ثم جِيءَ بعده بالأب الأكبر، كان ذلك كالفَضْلة من الكلام الذى لا يُحتاج إليه ؛ وإذا ذُكر الأب الأكبر ثم تُلِى بمن بعده كان ذلك مفيداً للسامع ، مُبيِّناً عن المنسوب ؛ وتمثيل ذلك أن يقول الرجل لرجلٍ من ولد علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : هو رجل عَلَوِىٌّ ، ثم يقول : مُطَّلِبىٌّ هاشمىٌّ قُرشىٌّ ، والسامع قد استغنى بعَلَوىٍّ عن ذكرك هذه الأسماء ، لأنك بدأت بالجَدِّ الأقرب وهو مشهور ، وقد أغنَى عن ذكره مَن بعده . وإذا قلتَ فلان قرشىٌّ فقد أفدتَ السامع أنه من قريش ، فإذا قلت إنه هاشمىٌّ فقد زدتَه فى الفائدة ، لأنه يجوز أن يكون من غير بنى هاشم ، ثم على هذا الترتيب .

---

(١) قال ابن المستوفى : وإذا روى المُمهى (بفتح الهاء) كان من أمهيت الحبل : إذا أرخيته .

١٩ نَسَبٌ[١] كأَنَّ علَيْه من شَمْسِ الضُّحَى
نورًا ومنْ فَلَقِ الصَّباحِ عَمُــودا

٢٠ عُرْيانُ لا يَكْبُو[٢] دَليلٌ من عَمًى
فيه ولا يَبْغى[٣] عليْه شُهُودَا

٢٠ — جعل النَّسب عرْيانًا لأنه لا يستتر بشىء لشهرة الآباء ، ولذلك قالوا : هو كعُرْيان النجوم ، أى كالنجم الذى لا َيستره غيم ، قال الشاعر :

وإنى كفانى الذَّمَّ جَدٌّ مُهذَّبٌ وخَالٌ كعُرْيانِ النجوم رفيعُ

وترك صرف عريان للضرورة ، كأنهم شَبَّهوه بالصفات على فَعْلان ، إذْ كان فى عِدَّتها من الحروف والحركات ، وإنما يخالفها بالضمَّة .

٢١ شَرَفٌ على أُولَى الزَّمان وإنَّما
خَلَقُ المَناسب أنْ يكونَ[٤] جَديدَا

لأن ما كان حديثًا جديدًا كان خَلَقًا لا يُتفكر فيه .

٢٢ لَوْ لَمْ تَكُنْ منْ نَبْعَــةٍ نَجْديَّةٍ
عَلْويَّةٍ لَظَنَنْتُ عُودَكَ عُودَا

(ع) : « نجدية » : نِسبة إلى نَجْد ، لأنَّ آباءَه كانوا يَحلُّون

---

(١) س : « نسباً » وهى رواية الخارزنجى فى ظ ، وقال : نصب « نسبا » لأنه لما قال « ذهليها مربها مطريها » صار المعنى كأنه قال : المنتسب إليهم نسبا ، فنصبه على المصدر بهذا المعنى ، ولو رفع على إضمار الابتداء جاز ، كأنه قال : هذا نسب ، أو الذى ذكرت ونسبت نسب هذه حاله .

(٢) رواية الخارزنجى فى ظ « لا تحبو دليلا » ، وفسرها بقوله : أى لا تحتاج أن تحبو عليه من يدلك عليه وترشوه .

(٣) م ، ل ، س : « ولا تبغى » .

(٤) م ، ل ، س ، ظ « ما يكون جديداً » ، وهى رواية الخارزنجى فى ظ ، وقال ابن المستوفى : وروى غيره : « أن يكون جديداً » .

بها . وعلويّة : يعنى من علىّ بن بكر بن وائل . وقوله « لظننتُ عودَك عودا » : أصل العودين واحد ، وإنما فرّق بينهما كثرةُ الاستعمال ، لأنهم يريدون هذا عُود طيّب ، فيحذفون « طيّبا » ، فصار ذلك كالاسم المُخالِف لهذا اللفظ ، فكأنه قال : لظننتُ عُودَك قُطْرًا أو ألُوَّةً أو يلَنْجوجا ، أو غير ذلك من أسماء العُود . وقال المرزوقى : لولا أنى أعرف أصلك ، وأنه مِن عِتقه كالنّبع فى الأشجار — وهو شجر يُتخذ منه القِسِىّ ، وجعله نجديًّا لأنه إذا كان مَنبِتُه الجبال والهضاب كان أصدق وأصلب — لظننتُ أصلَك من طِيبه العُودَ الذى يُتبخَّر به .

٢٣ مَطَرٌ أبُوكَ أبُو أهِلَّةِ وَائلٍ
مَلَأَ البَسيطَةَ عُدَّةً وعَديدَا

أى أبوك كأنه أبو أهلة فى شرفهم .

٢٤ أكْفَاءَهُ تَلِدُ الرِّجالُ وإنّما
وَلَدَ الحُتُوفُ أسَاودًا وأُسُودَا

يقول : الرجال تَلِد رجالاً مثلَها ، وجعل رَهْطَ الممدوح حُتوفًا يلدون أساوِد وأسُودا ، وهذا فن من المدح خُصّ به هؤلاء الناس دون غيرهم لأنه جعلهم حُتُوفاً ، وإنما يريد أنهم حُتُوف الأعداء دون غيرهم [1] .

٢٥ رُبْدًا ومَأْسَدَةً على أكْتادها
لِبَدٌ تَخالُ فَليلَهُنَّ لُبُودَا

وقوله « رُبْدًا » جعله بدلاً من « أساود » ، لأنّ الأرْبَد من صفة الحيّة لا من صفة الأسد[2] . و « مأسدة » : أراد بها جماعة الأسْد ، وحقيقتها أن

---

(١) قال ابن المستوفى : وفى نسخة « ولد الحتوف » بنصب الفاء ، ويعود الضمير فى « ولد » إلى الهاء فى « أكفاءه » ، ونصبه بالمفعول له ، وأبدل « أساود » و « أسود » منه . وهى رواية س .

(٢) فسر الصولى « الربد » بالدواهى ، قال : أى هم دواه ، وهم مأسدة . وفى ظ : « ربداً بمأسدة » ، وفيها « يخال فليلهن » .

تكون الموضع الذى فيه الأسْد ، كما يقال أرض مَسْبَعة ، أى ذات سِباع ، ثم جَعَل ساكِنَ الموضع يُسمَّى باسمه(١). و « الفليل » : الشعَر المجتمع ، واحدته فَلِيلة .

٢٦ وَرِثُوا الأُبُوَّةَ والحُظوظَ فأَصبَحُوا
جَمَعوا جُدُودًا فى العُلَى وجُدُودَا

« الجُدُود » الأول : آباء الآباء ، والثانى : الحظوظ . [ق] يقول : حصل لهؤلاء القوم وراثةُ شرفِ النسب ومساعدةُ القَدَر ، فأصبحوا قد جمعوا آباءً أشرافًا وحظوظًا ضخامًا .

٢٧ وُقُرُ النُّفُوسِ إذا كَواكبُ قَعْضَبٍ
أَرْدَيْنَ عِفْرِيتَ الوَغَى المرِّيدَا

[ص] « قَعْضَب » رجل كان يَعمل الأسِنَّة فى الجاهلية ، وقد ذكره امرؤ القيس فى شِعْره(٢).

٢٨ زُهْرًا إذا طَلَعَتْ على حُجُب الكُلَى
نَحَسَتْ وإن غابتْ تكونُ سُعُودَا

٢٧ ، ٢٨ – (المرزوقى) : « الوُقُر » جمع وَقُور ، وصفَهم بالرَّزانة وسُكون الجأش فى الحرب . وأراد بـ « كواكب قَعْضَب » الأسنَّة تُهلك بهم الحربَ وشياطينها . و « الزُّهْر » : البيض تلمع ، إذا طَلَعت على الأكباد والكُلَى ثم لم تَنفذ فيها فقد لاقت نَحْسا ، لأنها قد أخطأت ، وإن نَفَذَت

---

(١) قال الخارزنجى : « المأسدة » : أراد الأسود ، كما يقال مشيخة للشيوخ .
(٢) تكملة الكلام من شرح الصولى : قال امرؤ القيس :

[وأوتاده ماذِيَّة وعِمَادُه] رُدَيْنِيَّةٌ فيها أسنة قعضب

ولم يدر قوم كانوا يدعون العلوم ولا يرضون أحدا ، فرووا : « إذا الكواكب أقصدت » .

فيها وغابت فقد لاقت سَعْدًا ، لأنها أصابت (١).

٢٩ ما إنْ تَرَى إلّا رَئيساً مُقْصَدًا
تَحْتَ العَجاج وعاملًا مَقْصُودَا

(ق) : يَصِف المعركة . و « المُقْصَد » : المقتول ، رماه فأقصَدَه : إذا قتله مكانَه ، « والمقصود » المكسور . و « العامِل من الرّمح » : ما دون السِّنان بقدْر ذِراع . يقول : لا تَرَى فى هذا المُزدَحَم إلاّ رئيساً مقتولاً تُرِك تحت غُبار الحرب ، ورمحًا مكسورًا تُرِك فى المطعون ، ويُحمد من الطعن ما يُكسَر له الرمح(٢). ويروى : « ما إن تَرَى إلاّ بئيسا »(٣).

٣٠ فَزِعَوا إلى الحَلَقِ المُضَاعَفِ وارتَدَوْا
فيها حَديدًا فى الشُّئُونِ حَديدَا

هو مثل قوله : « لَظَنَنتُ عُودَكَ عُودَا » ، لأن هذا الجوهر الذى يسمَّى الحديد ، إنما قيل له ذلك لحدَّته ، وقد يجوز أن يجعل « الحديد » الأول من الامتناع ، والثانى من المَضَاء . و « الحَلَق المُضاعف » : الدّروع .

٣١ ومَشَوْا أَمامَ أَبِى يَزِيدَ وخَلْفَهُ
مَشْياً يَهُدُّ الرَّاسيات وَئيدَا

« أبو يزيد » : كنية خالد بن يزيد . و « الوئيد » : الذى يُسمَع له صوتٌ لثقله .

(١) قال الخارزنجى فى ظ : هذه الأسنة ، التى كأنها كواكب زهر ، إذا باشرت الكلى فى حجبها من الخوف ، وطلعت عليها وأصابتها صارت نحساً عليها ، وإن غابت عنها ولم تصبها فهى سعد لها .

(٢) قال المرزوقى فى كتابه : ويسمى الإجرار ، قال :

* أجـره الرمح ولا تهاله *

(٣) « البئيس » : الشجاع ، كما ذكره المرزوقى .

٣٢ يَغشَوْنَ أَسْفَحَهُم مَذَانبَ طَعْنَةٍ
سَيْحٍ [١] وأَشْنَعَ ضَرْبَةٍ أُخْدُودَا

[ق] أراد أن قومه يَغشَوْنَ هذا الممدوح ، وهو أصبّهم مسايلَ طعنة ، أى أوسَعهُم طَعْنًا ، وجعل للطعنة مسايل لكثرة خروج الدم منه . و « السَّيحُ » : الماء الذى يجرى على وجه الأرض . وتخفِض « سَيْح » بجعْلِه صفةً للطعنة ، وإن شئتَ نصبتَه على تقدير يَسِيح سَيْحًا ، والأحسنُ خفض « ضربة » ، لأنه عَطَفه على قوله « أسفحهم » ، فوجب أن يكون على تقدير قولك . وأشنعهم ضربةً ، ولا يمكن ذلك إلاّ فى المعنى ، والنصب جائز ، ولكن هذا الوجه أبين وأحسن ، وإنما قبح النصب لأجل حذف المضاف ، كما قَبُح فى قولك مررتُ بأشرف القوم وأحْسن وجهًا ، وأنت تريد وأحسَنِهم وجهْا[٢] .

٣٣ ما إنْ ترَى الأَحْسَابَ بِيضاً وُضَّحاً
إلَّا بحيْثُ ترَى المَنَايَا سُودَا

[ع] أى مَن لم يَصبِر فى معركة الأبطال لم يُذكَر .

٣٤ لَبِسَ [٣] الشَّجاعَةَ إنَّها كانَتْ لَهُ
قِدْماً نَشُوغاً فى الصِّبا ولَدُودَا

« النشوغ » مثل السعوط ، نشغتُ الصبى نشغا .

---

(١) س : « سفحا » ، وبهامشها رواية الأصل . وفى ظ : ويروى « سحا » أى صبا .

(٢) فى ظ : قال بعضهم « أسفح » : رجل منهم كان يحارب خالد بن يزيد فقتل . وقال ابن المستوفى : وتوجيه قول من قال : « أسفح رجل منهم » أن يروى : « يغشون أسفحهم مذانب طعنة » ، فينصب « أسفحهم » مفعولا أول ، و « مذانب طعنة » مفعولا ثانياً ، والجر فى « ضربة » مع هذه الرواية أولى من النصب .

وفى كتاب الصولى وكذلك فى ظ نقلا عنه : لم يعرف أبو مالك هذا البيت .

(٣) قال ابن المستوفى : فى نسخة « ألف الشجاعة » . وقال : وهى أجود من « لبس » لقوله « نشوغا » و « لدودا » . وقال : و « النشوغ » بالعين والغين معاً : دواء يتجرعه الصبى جرعة بعد جرعة. و « اللدود » : دواء يصب فى أحد شق الفم . وقال الخارزنجى فى ظ : « النشوغ » : الوجور فى الفم كله ، و « اللدود » فى أحد شق الفم .

٣٥ بَأْساً قَبِيلِيًّا وبأْسَ تَكَرُّمٍ جَمٍّ[١] وبَأْسَ قَرِيحَةٍ مَوْلُودَا

(ق) يقول : اجتمع فيه البأس من وجوه ، فمنه ما وَرِثه عن قبيلته وذويه ، لأنهم شجعان ، ومنه ما يَتكلَّفه ليزداد عن الذكر به كرما ، ومنه ما هو طَبْع منه وقريحة ، وُلِد معه ونشأ فيه ، وأصل القريحة : أوّل ما يخرج من البِئْر إذا حُفِرت ، وقريحة كلِّ شيء : أوّلُه .

٣٦ وإذا رأيْتَ أَبا يَزِيدٍ فى نَدًى
وَوَغًى[٢] ومُبْدِئَ غارَةٍ ومُعِيدَا

٣٧ يَقْرِى[٣] مُرَجِّيه مُشاشَةَ ماله
وشَبَا الأَسنَّة ثُغْرَةً ووَرِيدَا

٣٧ — « المُشَاشة » : العَظْم الذى يُمكن مَضْغُه وربما أكل . ويجوز أن يَعْنِيَ « بالمُشَاشة » ما على العَظْم المتَشِّ من اللحم ، وإنما عَنَى أنه يُبالغ فى العطيَّة ، فيُمكنَه من ماله حتى يَمتشَّه[٤] .

٣٨ أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّماحِ شَجاعةً
تُدْمِى وأَنَّ مِنَ الشَّجاعةِ جُودَا

(المرزوقى) : يقول : يَتسَخَّى فى الحرب بنفسه ، ويتبذلها للسلاح ولا يصونها ، فإنْ حَضَرتْه الزّوّار والعُفاة فإنه يَتندَّى بأمواله عليهم ، ويَبذُلها ولا يَضَنّ بها ، فمن تأمَّل حالتيْه علم التناسب بين السّماح والشجاعة ، إذْ كان لا تسخو

---

(١) س ، ظ : « جشم » — ق : « جشما » وقال ابن المستوفى : فن نصب جعله صفة « بأس » ، ومن جر جعله صفة تكرم . ومعناه ما يتجشم ، أى يتكلف .

(٢) س ، م : « فى وغى وندى » .

(٣) س ، ظ : « يعطى » ؛ وفى ظ ، هـ س رواية الأصل .

(٤) فى ظ قال الخارزنجى : « الثغرة » : ثغرة النحر ، « والوريد » : حبل العاتق ، و « شبا الأسنة » : حدها ، يقول : يعطى آمليه خيار ماله ، وأعداءه شبا أسنته فى ثغورهم .

نفسُه إلاّ بشجاعته ، ولا يشجُع إلاّ بعد أن يسخوَ بنفسه ، وقد بَيَّن هذا فيما قبل(١) فقال :

وإذا رأيتَ أبا يزيد فى نَدًى وَوَغًى . . . .(البيت)

٣٩ وإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قبابِه(٢)
لمْ تَلقَ إلَّا نِعْمَةً وحَسُودَا

أى نِعْمةً أفضلَ بها على ولىّ من أوليائه(٣) .

---

(١) قال ابن المستوفى : وإلى هذا المعنى ذهب ابن الرومى فى قوله :

وما فى الأرض أكرم من شجاع وإن أعطى القليل من النوال
وذاك لأنه يعطيك مما تنوء عليه أطراف العوالى
شرى دمه به حتى إذا ما حواه حوى به حمد الرجال

وقال أبو الفتح : ما أحسن ما ساند أبو تمام ألفاظ بيته ، وأقام وزنه بقوله « ندى » ، وهى حشو البيت إلا أنها فى غاية الظرف ، وهذه طريق الحذاق بهذه الصناعة ، وقل من يعرفها ، فأما مدعيها فكثير . ولذلك جهل قدر المبرز النحرير . . . ثم قال ابن المستوفى : وقد بين هذا المعنى مسلم بن الوليد حيث يقـول :

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٢) س ، ظ : « فنائه » ، وذكرت ظ رواية الأصل .

(٣) قال ابن المستوفى : قوله « على ولىّ من أوليائه » غير محمود فى المدح ، إنما المحمود أن يعطى الجواد من كان وليه أو لم يكن وليه ، ما عدا أعداءه ، فإذا فعل ذلك استوى الناس فى عطائه غير أعدائه ، وهذا هو الغاية فى الجود ... وقال أبو تمام فى موضع آخر :

لن ينال العلى خصوصا من الأقـ ـوام من لم تكن يداه عموما

وزاد البحترى فأحسن :

وأنفق فى العليـاء حتى حسبته من الدهر يعطى أو من الدهر ينفق
عطاء كضوء الشمس عم فمغرب يكون سواء فى سناه ومشرق

وهذا باب واسع جدًّا يطول ذكره ، وقال أبو تمام :

فنول حتى لم يجد من ينيله وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال على بن جبلة :

أعطيت حتى لم تجد لك سائلا وبدأت إذ قطع العفاة سؤالها

وأخذه البحترى فقال :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منا السؤال جاد ابتداء

٤٠ ومَكارماً عُتُقَ النِّجار تَليدَةً
إنْ كانَ هَضْبُ عَمايَتينِ تَليدَا

« عَمَايَة » : جبل ، وربما ثنّوه فقالوا عَمَايتان ، كما يقولون مرةً : أبان . ومرةً : أبانان ، قال الشاعر :

لو أنّ هَضْبَ عَمايتين ويَذْبُلٍ سمعا حديثَك أنزلا الأوعالا(١)

يقول : مكارمكم تليدة قديمة إن كان هذا الجبل قديمًا تليدًا ، فاستعار التليد للهَضْب ، وإنما هو فى المال ، إذْ كان مُشْتقًّا من الولادة فى الأصل ، ثم صرّفوا منه الفعل فقالوا : تلِدَ فهو تالد ، وهذا مثل قولهم : إنْ كان فى الدنيا كريم فأنت كريم .

٤١ ومتَى حَللْتَ به أنَالَكَ جُهْدَه
ووَجدْتَ بَعْدَ الجُهْدِ فيه مَزيدَا

٤٢ مُتَوَقَّدٌ منهُ الزَّمانُ ورُبَّما كانَ الزَّمانُ بآخرينَ بَليدَا

٤٠ — يقول : يُولى ويَعزِل ، ويُعطى ويَحرِم، فهذا تَوقُّدُه . وأمّا بَلادته فَلأنّ تكون عنه هذه الأمور ، فيكون كالبليد الذى لا حَراك به ، ويكون متحيِّرًا فيما يُدفع إليه(٢).

٤٣ أبْقَى يَزِيدُ ومَزْيَدٌ وأَبُوها
وأَبُوهُ رُكْنَكَ(٣) فى الفَخَارِ شَديدَا

---

(١) البيت لجرير كا فى الديوان ص ٤٥٠ ونقائض جرير والأخطل ص ٨٧ والرواية فيهما :
لو أن عصم عمايتين ويذبل سمعت حديثك أنزل الأوعالا
وانظر معجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت مادة عماية .

(٢) فى ظ : وفى حاشية : أى الزمان حذر منه . و « ربما كان الزمان بآخرين بليدا » لأنه كان لا يحفل بهم ، علماً بقلة غنائهم .

(٣) ط : « ركنا » .

٤٤ سَلَفُوا يرونَ الذِّكْرَ عَقْباً صالحاً
ومَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّناءَ خُلودَا

٤٥ إنَّ القَوافِىَ والمساعِىَ لم تَزَلْ
مثْلَ النِّظامِ إذا أَصابَ فَرِيدَا [1]

٤٥ – [ص] يقول : القوافى نظام يتِمّ بشرف هذا الممدوح ، فيكون كالفريد لهذا النّظام .

٤٦ هىَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإنْ أَلَّفْتَه بالشِّعْرِ صارَ قَلائدًا وعُقُودَا

[ص] أى كرم هؤلاء جوهر نثر حتى ينظمه الشعر ويُحصِيَه ، فيتحلّى به الممدوح .

٤٧ فى كلِّ مُعْتَرَك وكلِّ مَقامَةٍ يأْخُذْنَ منْهُ ذمَّةً وعُهودَا

[ص] يقول : إذا ذُكرت المكارم فى المجالس ومواضع الحرب ، التجأتْ إلى ما نظمه الشعر منها ، فكأنما تأخذ منها ذمّة وعهدًا بإحصائه إياها .

٤٨ فإذا القَصائدُ لَمْ تَكُنْ خُفَـراءَها [2]
لَمْ تَرْضَ منها مَشْهدًا مَشْهُودَا

[ص] يقول : هذه الجواهر والمكرمات إذا لم تحفظها القصائد كما تحفظ الخفراء لم تَشِع ولم تشتهر .

---

(١) يبدأ بعد هذا البيت خرم فى نسخة ب .

(٢) س : « صُقُلا لها » .

٤٩ من أَجْلِ ذلكَ كانت العَرَبُ الأُلَى
يَدْعُونَ هذا سُؤْدَدًا مَحْدودَا

الأُلى : يريد الأوَل ، فقلب .
[ص] : أى من أجل ذلك كانوا يقولون : فلان محدود السُّؤددُ ، أى لم يكثر مدحه ، لأنه يكون مقصُوراً عن كماله إذا لم يُقل فيه شعر .

٥٠ وتَنِدّ عنْدهُمُ العلَى إلَّا عُلًى جُعلَتْ لها مِرَرُ القَصيد[1] قُيودَا

تندّ : أى تنفر : يقول : إن المكارم إذا لم تُقيّد بالشعر تتفرّق وتتبدّد .

---

(١) س : « القريض » .

٤١

وقال يمدحه[١]:

١ ما لِكَثِيبِ الْحِمَى إلى عَقِده ما بَالُ جَرْعائِهِ إلى جَرَدِهْ؟!

الأول من المنسرح ، والقافية متراكب .

يقال : عَقَدُ الرمل وعَقَدَهُ ، وهو ما يُعقَد منه ، والذين يسكنون نجداً ونحوها يقولون عَقْد الرمل ، قال الشاعر :

أتذكرُ أم تَنْسَى لياليَنَا التى بِعَقْدِ اللِّوى سَقْياً لهنّ لياليَا !

و « الجَرْعاء » : أرض فيها رمل[٢]. وقوله « جَرَدِه » إذا فتحتَ الرَّاء احتمل وجهين : أحدهما أن يكون اسم موضع بعينه ، وهو الذى ذكره النابغة فى قوله : « كالغزْلانِ بالجَرَدِ »[٣]. والآخر أن يكون المصدر من قولهم مكان جَرِد : إذا لم يكن فيه نبات . ومَن روى « جَرِده » بكسر الراء ، فهو من المكان الجَرِد .

٢ ما خَطْبُهُ ما دَهاهُ ما غَالَهُ[٤] ما نَالَهُ فى الْحِسَانِ مِنْ خُرُدِه!

« فى الحِسان » : أى فى مُفارقة الحِسان . يستنكر حاله ، لتغيّر حاله عما كان عُهِد عليه .

---

(١) يبدأ من هنا خرم فى نسختى ب ، ن .

(٢) قال الصولى : « الجرعاء » : ما انحدر من معظم الرمل إلى الوادى .

(٣) بيت النابغة هو :

والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجرد

مختار الشعر الجاهلى ١ : ١٥٢ .

(٤) س : « ما باله ما غاله » – ظ : وروى أبو يحيى « عاله » بالعين غير المعجمة ، وذكر أنها الصحيح من الرواية ، وقال : لا يقدم الأيسر على الأكثر ، لأن قولك « غاله » بالغين المعجمة ناقض لقولك « ما دهاه » و « ما خطبه » ؟ إذ ليس بعد أن غالته غول خطب أجل منه وأفظع ، فلا يقدم ما هو أيسر منه عليه . على أن هذه المواضع التى ذكرها باقية لم تغلها غائلة ، وإنما نكرها إليه زوال أهلها عنها ؛ والدليل على حقيقة ذلك قوله : « ما ناله فى الحسان من خرده » ، أى : أى شىء ألم به ، فأزال بهاءه لمكان هؤلاء فيه .

٣ السَّالِباتِ امْرَءًا عَزِيمَتَهُ[(١)] بالسِّحْرِ والنَّافِثاتِ فى عُقَدِهْ

« السالبات » : بَدَل من « خُرُدِه » . [ق] : و « عَزِيمته » فى النُّسُك وغيره من الأشياء الصَّادَّة عن اللَّهو والصِّبَا . و « بالسِّحر » أى بكلامهن اللطيف ، وظَرْفِهن البارع ، وحُسْنهن الدَّقيق . و « فى عُقَدِه » : أى فى عُقَدِ حِلْمه فيَحلُلْنه .

٤ لَبِسْنَ ظِلَّيْنِ ظِلَّ أَمْنٍ مِنَ الدَّهْـ ـرِ وظِلاًّ مِنْ لَهْوِهِ[(٢)] ودَدِهْ

أى هنّ من بنات الملوك ، آمِناتٌ من حوادث الدَّهر ، مُتنعِّمات مُتوفرات على اللهو واللعب ، فقد جمعْن ظِلّ الأمن وظِلّ اللهو ، وغيرُهن قلَّما يجمعهما ، إذ ليس كل آمن مشتغلا باللهو ، ولا كلّ مشتغل باللهو آمنًا من الدهر . وجعل للأمن ظِلاً لأنه يَحجزُ صاحبه من الخوف ، وللَّهوِ ظِلاً لأنه يحجزه عن الحزن . وإذا جُعل « الدَّدُ » فى معنى اللهو فهو من نحو قوله :

* وألفَى قولَها كَذِبًا ومَيْنًا *

وإذا جُعل على خلاف الباطل جاز أن يُحمَل على خلاف اللهو . وفى « دَدٍ » لغات : « دَدٌ » مثل دَم ، و « دَدًى » مثل رَحًى ، و « دَدَنٌ » مثل شَطَن ، تكون نُونُه أصليَّة . ولو سمَّيت رجلاً بدَد ثم صغرته ، قلت على قول مَن قال ددًا : دُدَىّ ، ومن قال دَدَن : دُدَيْن ، ومن قال دَدٌ ردَّه إلى أحد الوجهين ، لأن التصغير لا يقع إلاّ على ثُلاثىّ ، فيجب أن يُردَّ الثُّنائىّ إلى الأصل .

٥ فهُنَّ يُخبِرْنَ عن بُلَهْنِيَةِ العَيشِ ويَسْأَلْنَ مِنْهُ عَنْ جَحَدِهْ

أى هُنّ لم يعرفن سوى الرَّغَد من العيش ، لأنهن تَرَبَّيْن فيه ، فهنّ

--- وقال ابن المستوفى فى الرد عليه : الظاهر أن يقدم ما هو يسير على ما هو كثير ، فيقال : ما لفلان متألماً ، ما له محموماً ؟ وقوله : على أن هذه المواضع باقية لم تغلها غائلة ، يحتمل أن يكون الأمر بضده ، وأنها دراسة لم يبق إلا رسومها . وهذه هى الطريقة التى بنوا عليها أشعارهم ، فشبهوا آثار الديار بالخط ، وذكروا أنها لم يبق منها إلا الوتد والأثافى ، إلى سوى ذلك مما هو مشهور ؛ ولهذا كرر أبو تمام السؤال عن حال الكثيب بما ذكره ، تعجباً من سرعة بلاه ، وهذا أيضاً مذكور فى أشعارهم .

(١) ه س : « صريمته » . (٢) س : « من عيشه ودده » ، و بهامشها رواية الأصل .

يُخبرن الناسَ عنه ، لعلمهنّ به ، ويسألن عن البؤس والضّر ، لأنهنّ لا يعرفنه . و « بلَـهنية العيش » : سَعَته ورَغَدُه ، وهو من قولهم : عيش أبلَه ، إذا كان صاحبُه رَخِيَّ البال ، لا يهتمّ لشىء ، والنون والياء فى « بلُهنية » زائدتان ، قال الراجز :

يا حبَّذا الشرْخُ وعَيْشٌ أبلَهُ
لا ذُو المَشيبِ والكبيرُ الأجلَهُ

« لاذو » : بمعنى لا صاحب الشَيْب . و « الجحَد » : بؤس العيش وشِدّته ، يقال : عَيْش جحَد ، ورجل مُجْحد ، وهو الجحْد أيضًا ، قال :

لئن بَعثتْ أمّ الحُمَيدينِ رائدًا   لقدغَنِيتْ فى غيرِ بؤسٍ ولاجحْدِ (١)

٦ ورُبَّ ألْمَى مِنهنَّ أشْنَبَ قَدْ   رَشَفتُ مالاَيَذُوبُ مِنْ بَرَدِهْ

« الألْمَى » : الأسمر الشفتين ، يُقال : ظبىٌ ألْمَى ، وظباء لُمْى . وكنَى « بالبرَد » عن الأسنان ، وإنما أصل ذلك التشبيه ، ثم تُحذف آلته ، وإنما يُستَحبّ سُمْرة الشَّفتين ، لأنّ بياض الثغر به يتبيّن ويظهر أكثر .

٧ قَلْتاً(٢)مِنَ الرِّيقِ ناقِعَ الذَّوْبِ   إلَّا أنَّ بَرْدَالأَكْبادِ فى جَمَدِهْ

أصل « القَلْتِ » : نقرة فى صخرة يجتمع فيها ماء السماء ، والغالب عليها التأنيث ، قال الشاعر :

لَحىَ اللهُ أعلىَ تَلْعة (٣) حَفَشتْ به(٤)   وقَلْتًا أقرّتْ ماءَ قَيْسِ بن عاصمِ

---

(١) البيت فى اللسان مادة « جحد » ، وقال : أنشدنى بعض الأعراب . والرواية فيه : لئن بعثت أم الحميدين مائرا . . . .

(٢) ظ : « قلت » وهى : رواية الخارزنجى ، قال : « قلت » بالخفض أعجب إلىّ ، على البدل من « ألمى » .

(٣) التلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها : والتلعة . مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض . (اللسان : مادة تلع) .

(٤) حفشت به : يقال : حفشت الأرض بالماء من كل جانب : أسالته قبل الجانب (اللسان : مادة حفش) .

ويقال : إنَّ بعض العرب يجعل « القَلْتَ » البئر كثيرةَ الماء . وقال بعضهم : « القَلْت » تَصْغُر وتَكبُر ، فربما غَرِق فيها الإنسان ، قال الراجز :

إنَّ دَلاتى أيُّما دَلاتى
قاتِلُهَا(١) ومِلْؤُها حَيَاتى
كأنها قَلْتٌ مِنَ القِلاتِ

وإنما أراد الطائىّ ما صَغُر من القلات ، وعَنَى به الفَم .

وأراد « بالذَّوْب » : الرِّيق(٢) ، و « بالجمَد » : الأسنان . و « الناقع » : المُرْوِى . وأراد وصْفَ الثغر فقال : هو من كثرة رِيقه كالقَلْت ، والقَلْت : مُستنقَع الماء ، والفَمُ إذا كثُرَ رُضابه طاب ، كما أنه إذا قلَّ خَلَف وتغير ، ثم جعل الثغر ذائباً وجامداً ، وزعَم أنَّ ذائبه مُرْوٍ لمن تَرشَّفه ، ويريد بذلك الرُّضاب ، وأنَّ جامده يُبرِد الكبد ، ويعنى به الأسنان ؛ كأنه جعل الرِّيق فى الفم كالماء بالجمَد ، على عادتهم فى وَصْف الثغر بالبارد والخَصِر ، لتَرَدُّدِه بين الأسنان ، وابيضاض الثَّنايا وكثرة ظَلْمها . وإذا كان كذلك فالهاء فى « جَمَدِه » لا تعود إلى « الرِّيق » ، بل يعود إلى « القَلْت » ، الذى هو كناية عن الفم . وسَقَط قول العائب « ما مَعنى جَمَد الرِّيق ؟ » إذا كان الجمَدُ كناية عن الأسنان . وهذا ظاهر حَسَن ، وليس لأحد أن يقول : « الجُمُود » يُستعمل فيما كان سائلاً قبلُ ، لأنهم توسَّعوا فى استعماله واستعمال الذوْب ، ألا تراهم يقولون فيمن لا يبكى عند الرَّزايا : هو جَماد الحاجِبَيْن ؛ قال الأعشى :

* وكان حُرَيْثٌ عن عَطائىَ جامِداً(٣) *

---

(١) فى النوادر لأبى زيد ص ٥٧ : قاتلتى .

(٢) قال الصولى : إنه أولى من أن يكون مصدر ذاب ذوباً . وفى ظ : قال الخارزنجى : « الذوب » : هو العسل . وقال ابن المستوفى : هذا طباق لفظى ، ومثله :

أبى حبى سليمى أن يبيدا وأمسى حبلها خلقا جديدا

(٣) بيت الأعشى :

أتيت حريثا زائراً عن جنابة وكان حريث عن عطائى جامدا

(الديوان : ص ٤٩)

٨ كالْخُوطِ فى القَدِّ والغَزالَةِ فى البَهْـ
جَةِ(١) وابْنِ الغزَالِ فى غَيَــدِهْ(٢)

« البَهْجة » : الإشراق والحُسْن . « الخُوط » : الغُصْن ، وجمعه : خِيطان. وكَثُر ذلك حتى قالوا : رجل خُوط ، إذا كان شابًّا قويًّا . و « الغزالة » من أسماء الشمس . وقيل : إنَّ ذلك إنما هو من قولهم جِئْتُه غَزالةَ الضحى ، أى ارتفاعَها ، قال ذو الرُّمة :

فأشْرَفْتُ الغَزالةَ رأسَ حَوْضَى أراقبُهم فمـــا أغْنَى قِبَالا(٣)

وقال الراجز :

قالتْ له وارتفَعَتْ ألاَ فتَى(٤)
يَسُوقُ بالقَوْمِ غَزَالاتِ الضّحَى ؟!

و « الغزال » : ولد الظبى. وقال ها هنا : « وابنِ الغَزَالِ » ليُقيم الوزن ، والمعنى صحيح إذ كان الغزال إذا سلِمَ فلا بُدَّ أن يلِدَ غزالا ، وهذا يدخل فى باب تسميتهم الرجلَ طفلا وقد صار ابنَ أربعين سنةً أو أكثر ، فيُقال : هذا الطفل فلان .

٩ وما حَكَاهُ ولَا نَعِيمَ لهُ فى جِيدِهِ بَلْ حَكَاهُ فى جَيَدِهْ

يقال : ظبيٌ أجْيَدُ وظبية جَيْداء ، أى طويل الجيد ، ومَن أنَّث العُنُق قال : عُنُق جَيْداء ، ومَن ذكَّره قال : عُنُق أجْيَد ؛ واصطلحتِ الشُّعراءُ على تشبيه جِيد الإنسان إذا استُحسِن بجيد الغَزَال ، وقد أعْرَب الطائىُّ عن حقيقة ذلك ، لأنهم قالوا : جيدٌ كجيد الرِّئم ، يَعنُون فى الطول لا غير ،

(١) س : « والغزالة فى الإشراق » .
(٢) هنا ينتهى خرم نسختى ب ، ن .
(٣) الديوان ص : ٤٣١ وفى اللسان مادة « غزل » : رأس حزوى .
(٤) هكذا فى أمالى الزجاجى ص ٩ . وفى النوادر لأبى زيد ص ١٢٨ واللسان مادة غزل :

دعت سليمى دعوة هل من فتى
يسوق بالقوم غزالات الضحى
فقام لا وان ولارث القــوى

ولو كان لابن آدم جِيدٌ كجيد الرِّئم في الحقيقة ، لكان مُثْلَةً ومَسْخا . وقوله « ولا نَعِيمَ له » : أي لا كَرَامة له ، أي ما حكاه في جيده ولا كرامةَ له[1] ، وقيل : الواو في قوله « ولا نعيم له » للحال ، أي ما حكاه ابنُ الغَزالة في جِيده ولا نعيم له وعلى جِيده شَعَر ، وإنما حكاه في جَيَدِه ، أي حُسْن العُنُق وطُوله .

١٠ فالرَّبْعُ قد عَزَّني على جَلَدِي ما مَحَّ مِن سَهْلِه ومِنْ جَلَدِهْ

« مَحَّ » الربعُ : إذا خَلَق ، وأصلُ ذلك في الثَّوْب ، أي ما مَحَّ مِن الرَّبْع قد غلبني على تجلُّدي وقوَّتي ؛ فجمع بين « جَلَدي » ، الذي هو الجَلادَة ، و « جَلَده » الذي هو الحَزْن . و « على » ها هنا : ليست بمعنى « مع » ، وإنما هي من صلة « عَزَّني » ، لأنه يقال : عَزَّني فلان على كذا ، أي غلبني عليه .

١١ لم يُبْقِ شَرٌّ[2] الفِراقِ مِنْهُ سِوَى
شَرَّيْهِ مِنْ نُؤْيِهِ ومِنْ وَتِدِهْ[3]

« شَرَّيْه » : تثنية شَرّ ؛ فإن كان قد جعله مثل قوله في أوّل البيت « لم يُبْقِ شَرّ الفِراق » فلا كلام فيه ؛ وإن كان أراد « بشرَّيْه » تثنيةَ شَرّ ، من قولهم : هذا شَرٌّ من هذا ، فإن باب « أفْعَل » الذي للتفضيل يقع واحدُه على الآحاد والجموع ، والمذكَّرين والمؤنَّثين ، فيقال : هذا أفضلُ منك ، وهؤلاء أفضلُ منك ، وهذان أفضلُ منك ، وكذلك المرأةُ والمرأتان والنِّساء . وقولهم : هذا شَرٌّ مِن هذا وخَيْرٌ من هذا ، هو من باب أفْعَل ، لأنّ أصله أشَرُّ من هذا وأخْيَر ، إلا أنّ الهمزة قد حُذِفَت لكثرة الاستعمال ، ولكنهم لما فقدوا

(١) قال الآمدي في معاني أبيات أبي تمام : يقال لا ، ولا نعمى لك ، ولا نعيم لك .

(٢) ل : « وشك الفراق » . وروتها ظ . وقال ابن المستوفي : والأول أشبه بمذهب أبي تمام .

(٣) قال الصولي : لم يرو أبو مالك هذا البيت ولم يعرفه .

الهمزة اجترءوا على إدخال الهاء فى خَيْرَة وشَرَّة ، قال الراجز .

* تأبَّرِى يا خَيْرَةَ الفَسِيلِ[١] *

وقال آخر :

لستُ أعنِى كُوثَى العِراقِ ولكنْ شَرَّةَ الدُّورِ دارَ عَبْدِ الدَّارِ

ولِقائِلٍ أنْ يقول : إنّ « خَيْرَةً » و « شَرَّةً » أخرجتا من ذلك الباب ، لأنك إذا قلتَ : هذان أفضلا بنى سُلَيم ، فإنما تريد هذان الفاضلان منهم ، ولا تريد تفصيل الرجلين عليهم أجمعين . و « النؤى » حفيرة تحفر حول البيت لتَدفَعَ عنه السَّيْل . ويجوز أن يكون الطائىّ جعل « النؤْى » و « الوَتِدَ » شَرَّى الرَّبْع ، لأنهما يَهيجان الأسَفَ والبُكاء ، ولا يمتنع أن يكون قال ذلك إذْ كانا لا يُنتَفع بهما ، فالوَتِد يُتْرَك فى الدِّيار ، لأنّ العِوَضَ منه موجود ، ولأنهم أينما حلّوا قَدَروا على اتخاذ نُؤْى[٢] .

١٢ سَأَخْرِقُ الخرْقَ بابْنِ خَرْقَاءَ كالْ هَيْقِ إذا ما اسْتَحَمَّ فى نَجَدِهْ[٣]

« الخَرْق » : ما اتَّسَع من الأرض . و « ابنُ خَرْقاء » : يريد به جَمَلاً من وَلَد ناقة خَرْقاء تلعب بيديها من سُرعتها فى السَّيْر ، كقوله « وابن الغزال » وإنما جاءَ « بابن » لإقامة الوزن ، ومقصدُه قول النابغة :

وأقطعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ قدجَعَلَتْ بَعد الكَلالِ تَشَكَّى الأيْنَ والسأما[٤]

وإنما قيل للناقة خَرْقاء تشبيهاً بالرِّيح ، وهى التى تَهُبّ من كلِّ وجه ، وذلك أحد الوَجْهين اللذين فُسِّر عليهما قول الشاعر :

هَيْقٌ كأنّ جَناحيه وجُؤْجُوَه بَيْتٌ أطافَتْ به خَرْقاءُ مَهجُومُ

---

(١) أنشده صاحب اللسان فى « أبر » ، وقال : قال الراجز ، وذكر بيتاً بعده ، وهو : « إذ ضن أهل النخل بالفحول » .

(٢) جاء فى ظ : قال الآمدى : جعل « النؤى » و « الوتد » شرى الربع ، لأنهما قد يوجدان فى الربع ولا أنيس به ، ويخرب ويمح وهما باقيان ، وكذلك الأثافى ، وليس سائر الآلات كذلك التى لا توجد إلا بوجود أهلها ، فإذا رأيتها علمت أن القوم حضور ، مثل خيمة أو خباء أو سقاء أو دلو أو حبل أو جفنة ، أو ما سوى ذلك من الآلات التى إذا ارتحلوا احتملوها معهم .

(٣) م ، ل ، س ، ظ : « من نجده » .

(٤) مختار الشعر الجاهلى ١ : ١٧٠ .

« هَجِيمَ » : أى سَقَط – قيل : أراد « بالخرقاء » الرّيح ، وقيل : بل أراد « بالخرقاء » امرأةً لا تُحسِن العمل. وقال قوم : وُصِفت الناقة بالخرقاء ، لأنها مُشبَّهة بالمرأة التى ليست بالصَّناع ، ولا يجب أن يكون ذلك والله أعلم .

وقد قالوا فى الشعر :

* إلاَّ صَنَاعَ الرِّجْلِ خَرْقاءَ اليَدِ [1] *

وقال آخر :

كفلتُهــا رَحْلى إليْكَ فضمَّنتْ إبلاغَــه خَرْقاؤُهـا وصَنَاعُها

وإنما بُنى البَيْتُ على ما تَقدَّم من أنها لا تُحسن العمل . و « الهَيْق » : ذكَر النَّعام . و « النَّجَد » : العَرق . و « استحمَّ » : من الحَميم وهو العَرَق . والأجود أن يكون « الحَميم » ها هنا الماء الحارّ ، أى كأنَّه قد استحمّ من كثرة عَرَقه .

١٣ مُقَابَلٍ [2] فى الجدِيلِ صُلْبِ القَرَا لُوحِكَ منْ عَجْبِهِ إلى كَتَدِهْ

مُقابَل : أى أبُوه وأمه من وَلَد الجَدِيل ، وهو فَحل [3]. و « لُوحِك » أى لُزَّ خلْقُه بعضُه ببعض ، يُقال : تَلاحكَ البناءُ إذا كان كذلك . و « القَرَا » : الظَّهْر ، و « العَجْب » : أصلُ الذَّنَب ، ويقال لمؤخر الكَثِيب : عَجْب . و « الكَتَد » : مُجتَمع الكَتِفين ، يقال بكسر التاء وفتحها .

١٤ تامِكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخَــلِه مَلْمُومِهِ مُحْزَئِلِّهِ أَجُدِهْ

« التَّامك » : السَّنَام الطويل و « النَّهْد » : الضخم المرتفع . و « مَلْمُوم » : من لَمَمْتُ الشيءَ إذا جمعتَ بعضَه إلى بعض و « مُحْزَئِلّ » : مُنتصب .

(١) قال ابن المستوفى : والإنشاد الصحيح قوله :

* فهى صناع الرجل خرقاء اليد *

(٢) يعود خرم فى نسختى ب ، ن ينتهى عند البيت « ٣٠ » .

(٣) فى الصولى : وهو فحل كريم .

و « أجُد » : مُوثَّقة الخَلْق . والهاء فى « تامكه » وما بعده راجعة إلى « القَرَا » . وأكثر ما يُستعمَل « الأجُد » فى صفات الإناث ، وربما استُعمل فى المذكَّر ، قال النابغة :

هل تُبلغَنّيهمُ حَرْفٌ مُضرَّبَةٌ أجْدُ الفَقَارِ وإدْلاجٌ وتَهْجيرُ[1] ؟

كأنه قال : أجُدٌ فَقَارُها ، فإذا حُمل « الفَقَار » على التّذكير دَلَّ على أنّ « الأجُد » يُستعمل للمذكَّر .

١٥ إلى المُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ غَمْرُ المُلُوكِ فى ثَمَدِهْ

أى سأخرق الفَلاة إلى أبى يزيدَ ببعير هذه صِفَتُه . و « الثَّمَد » : الماء القليل . أى يَقِل كثيرُ الملوك فى قليله .

١٦ ظِلٌّ عُفَاةٌ[2] يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الكَبِيرِ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِهْ

١٧ إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَيْهِمُ[3] مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهْ

١٧ — أى يستفيدون من ماله وأدبه حُكمَيْهم[4] .

١٨ مِنْ كلِّ لَهْفَانَ زِدْتَ[5] فى أَوَدِ الـ
أَمْوالِ حَتَّى أَقَمْتَ مِنْ أَوَدِهْ

« أوَده » : اعوجاجه . أى إذا أناخوا ببابه من كل حزين . وقوله « زِدْتَ فى أوَدِهِ » أى زدتَ فى فساد مالك بالتّبديد والتّفريق بإصلاح حاله به .

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ : ٢١٨ .

(٢) فى ظ : فى الكتاب العجمى : « ظل نداه » أو « حياة » ، لأن تنكير « عفاة » غير مستحب . وقال ابن المستوفى : الرواية « عفاة » ، ولم أجد ما ذكره فى نسخة ما ، ولا بأس بتنكير « عفاة » وإن كان التعريف أجود .

(٣) م ، ظ : « حكمهم » .

(٤) قال ابن المستوفى : الصحيح أنه مثل قوله :

ترمى بأشباحنـا إلى ملك نأخـذ من مالـه ومن أدبه

(٥) قال الصولى : ويروى : « زاد فى أود الأموال حتى أقام من أوده » .

١٩ مُسْتَمطَرٌ حَلَّ مِن بنى مَطَر بحَيْثُ حَلَّ الطِّرافُ مِنْ عَمَدِهْ

«مُستَمطَر» : أى يُطلَب فَضْلُه وجُودُه كما يُطلَب المطرُ من السَّحاب[١]. و «بنو مطر» : قوم الممدوح . و «الطراف» : قُبَّة من أدَم . يُريد أنه أعظمُ قومه شرفًا ، وأنه قد فَضَلهم بمكارمه ، إلاّ أنه قد جعلهم يُقلونه ويحملونه ، إذِ الطِّراف لا ثَبَاتَ له إلاّ بالعَمَد .

٢٠ قَوْمٌ غدَا طَارِفُ المَدِيح لَهم ووَسْمُهُمْ لائحٌ على تُلُدِهِ

«تُلُد» : جمع تَليد ، وهو القديم . [ق] أى مُدِحوا قديمًا وحديثًا ، إذ كانوا يتنافسون فى ابتناء المكارم ، ويتشابهون فى طلب المعالى ، فحديثُ المدح لهم ، وقديمه ظاهر عليه أثرهُم ، غَيْرُ غُفْل من علامتهم * و «وَسْم» بالسِّين غير مُعجَمة : أى علامةٌ بالمِيسَم ، وهو أشبه من الوشم بالشين فى هذا البيت ، لأنّ الوشم يُستَعمل فى الأكُفِّ والأذرُع .

٢١ فهُمْ يَمِيسُونَ البَخْتَرِيَّةَ فى بُرُودِهِ[٢] والأنَامُ فى بُرَدِهْ[٣]

«يَميسون» : أى يختالون . و «البخترِيةُ» : من التَّبختُر ، ونَصَبها على المصدر ، نحو اشتمل الصَّماءَ وفَرَّق فى هذا البيت بين «البُرُودِ» و «البُرَد» ، لأن «البُرُودَ» تكون مُثمَّنة ، و «البُرَد» فى قول بعضهم من الصّوف ، يقول : فهم فى حُلَل المديح ، أى مُهذّبه وجيّده ، لأنّ مناقبَهم وفضائلهم تُملى على الشُّعراء ما يستحقونه من الثناء والذِّكر الجميل ما لا يَستحقه غيرُهم . و «الناس فى بُرَدِه» : أى أكسيَته ، لأنهم لم يَستحقُّوا من الشعر إلاّ هذا القدر[٤] .

---

(١) روى الخارزنجى : «مستمطِر» بكسر الطاء ، وقال : من صفة السائل اللهفان ، وهو طالب المعروف ، ومن فتح الطاء فهو من صفة الممدوح ، أى هو مسئول . وقال المرزوقى : «مستمطر» : مستعطى مستجدى ، حل فى قومه وعشيرته فى ذروة المجد وأعلى شوامخه كما يحل الطراف – وهو البيت من الأدم – من عمده أعلاها ، إذ كان يغشاها وهى تحته ، و «العمد» جمع عمود أو عماد ، وهذا الجمع يقل ، وعلى قلته فقد جاء مثل إهاب وأهب وأديم وأدم .

(٢) ظ : «أبراده» .

(٣) قال الصولى : ويروى : «فى جديده والأنام فى جرده» ، وكذلك يرويه أبو مالك .

(٤) قال الصولى : هم يختالون فى ثياب المدح جديدة ، والناس جميعاً فى ثياب خالدة .

٢٢ لا يَنْدُبونَ القَتيلَ أَوْ يَأْتِىَ الحَوْ
لُ لَهُمْ كامِلاً على قَوَدِهْ

هذا معنى يُوصَف به الممدوحون . يقول : هؤلاء القوم إذا قُتِل منهم قتيل لم يبكوه حتى يأخذوا بثأره ، وبالَغَ فى صِفتهم بالصبر ، فجعلَهم لا يبكون القتيل ، حتى يأخذوا بثأره ويمضى على أخذهم بالثأر سنة . وأصل « القَوَد » : من أن يُقاد القاتل إلى رَهْط المقتول ، فيقتلوه به .

٢٣ إنَاءُ مَجْدٍ مَلآنُ بُورِكَ فى صَريحهِ لِلْعُلَى وفى زَبَدِهْ [(١)]

لمَّا جعَلَه ملآ ن من المجد جعَلَه إناء . أى بورك للعُلَى فى خالصه وزَبَدِه ، لأنها تَزِيد بهما كَرمًا وفَخرًا .

٢٤ وهَضْبِ عِزٍّ تَجْرِى السَّماحَةُ فى
حَدُورِهِ والإباءُ فى صُعُدِهْ [(٢)]

(١) روى الخارزنجى : « فى زبده » بضم الزاى والباء ، وقال : وهى ثمرته ، وهذا مثل . ومن روى « زبده » « بفتحهما » يعنى رغوته ، وهذا جيد .

(٢) ترك التبريزى شرح هذا البيت على كثرة القول فيه . قال الصولى : « صعده » : جمع صعود مثل جزور وجزر ، يقول : من سامحهم وأتاهم من جانب اللين لانوا له ، وضرب لهم مثلا من الحدور ؛ ومن عازهم – أى غالبهوم – غلبه ، ومثله الصعود ، و [يقال] وقع فى صعود وهبوط وحدور . وقال المرزوقى : يقول : هو جبل عز ، سماحته فى حدور : أى فى سهلة المنازل ، تنصب على طالبها ، فتجيئه عفواً ، كالماء إذا كان فى انحدار . وفى « صعده » أى أعلاه بحيث لا يرام ولا ينال . وقال الخارزنجى : « فى صعده » بفتح العين والصاد . وقال ابن المستوفى : ولو جعلت « السماحة » من العطاء لكان قولا ، وجعلها تجرى فى الحدور لتقرب من المستميح وتسهل ، وجعل « الإباء » فى الصعود ، لأنه ارتفاع عما لا يرضونه .

قال : وبعد أن كتبت ذلك وجدت فى كتاب الخارزنجى : هم هضب عز ثابت ، تجرى سماحته السهلة فى حدوره من أعلاه ، أى سماحته سهلة تجرى من الارتفاع إلى الحدور ، وإباؤه صعب ، كأنه يجرى من الحدور إلى الصعود ، وذلك ما لا يكون .

٢٥ يَزِيدُ والمَزْيدانِ فى الْحَرْبِ والـ
زَّائدَتانِ الطَّوْدَانِ مِنْ مُصُدِهْ

٢٥ — [مُصُد] : جمع مَصَاد ، وهو أعلَى الجبَل ، أى هؤلاء كلهم معاقلُه ، يَتحصَّن بهم ويمجد هم فى الحرُوب والمواضع الصَّعْبة .

٢٦ نِعْمَ لِوَاءُ الخَمِيسِ أُبْتَ بهِ يَوْ
م خَمِيسٍ عَالِى الضُّحَى أَفِدِهْ

ذكر « الضحى » والغالب عليها التأنيث ، وإنما بان تذكيرُه فى قوله « أفده » ، لأنه لو أنث لقال « أفدها » . وأصل « الأفد » : العَجل ، وقد يجوز أن يقال : أفِدَ الرجل ، إذا أشْرَف . أى نِعْم لواءُ الخميس « الجيش » ، اللواء الذى رجعتَ به يومَ الخميس ، وكان عقَد له على أرمينية .

٢٧ خِلْتَ عُقَاباً بَيْضَاءَ[1] فى حُجُراتِ الـ
مُلْكِ طَارَتْ مِنْهُ وفى سُدَدِهْ

يعنى الراية ، يُشبِّهها بالعُقاب ، وقد تُسمَّى الراية نَفسُها عُقاباً ، ولم يُرد ها هنا إلاّ التشبيه . وإذا قيل « حُجُرات المُلْك » فهو جمع حُجْرة ، ويجوز ضَمّ الحاء والجيم معًا ، ويجوز فتْح الجيم ، والضمّ أجود . ومَن روى « حَجَرات » أراد جمع حَجْرة ، وهى الناحية . و « السُّدَد » : جمع سُدَّة وهى الباب ، وقيل : بل السُّدَّة كالظُّلَّة[2] .

٢٨ فشَاغَبَ الجَوَّ وهْوَمَسْكَنُهُ وقاتَلَ الرِّيحَ وهْىَ مِن مَدَدِهْ

« شاغَبَ » فاعَلَ ، مِن الشَّغَب . يعنى اللّواء .

---

(١) هـ س : ويروى : « خلت العقاب البيضاء » .

(٢) روى الخارزنجى « طارت به » . وقال : إذا نظرت إلى هذا اللواء فى الهواء حسبت أن عقابا بيضاء طارت ، فحملته فى الهواء .

٢٩ ومَرَّ تَهْفُو ذُوابَتاهُ على أَسْمَرَ مَتْناً[1] يَوْمَ الوَغَى جَسِدهْ

أى قد لَصِق الدَّمُ فهو كالجساد . « يَهفُو » : يضطرب . و « ذؤابتاه » : ما أسبلَ منه من الجانبين ، ويعنى « بالمَتْن » : ما ظَهَر منه من جوانبه كلِّها ، من أوّله إلى آخره ، لأنَّ كلَّ ذلك يُسمَّى مَتْنَـه .

٣٠ مَارِنِهِ لِدْنِهِ مُثَقِّفِـهِ عَرَّاصِهِ فى الأَكُفِّ مُطَّرِدِهْ

هذه الهاءَات كلُّها : تَعود على « لَدْن » فى البيت الذى تَقدَّمه .

(ع) : « المارِن » : الذى قد مَرَن ، أى لان . و « العَرّاصُ » : الذى يَهتزّ . وهذه الهاءَات التى فى قوله « مارنهِ » ، « لدْنهِ » ، « مُثقّفهِ » ، وما بعدها من الهاءات راجعةٌ إلى « لَدْن » . وإذا صَحَّت الرواية على ما ثَبَت فالأجودُ أن يُضاف إلى « لَدْن» . وذلك أشبَه من أن تكون الهاءاتُ فى « جَسَد» راجعة[2] على« يوم الوَغَى » وإن كان ذلك جائزاً، إذ كان الأحسن أن يُقال : مررت برجل حسنِ الوجه جميله ، فيكون أوجَه من قولهم : مررتُ برجل حسَنٍ وجهًا جميله ،والأجود أنيكون « أسمر » منعوتًا بشىء مُضاف إلى « يوم الوغى» ، مثل أن يكون أسمر دامىَ يوم الوغى ؛ ويَدُلّ على ضعف الرواية الأولى تكرير « لَدْن » ، على أنّ ذلك جائز . وفى بعض النُّسخ « أسْمَرٍ مَتْن » [3] وهو أصَحّ وأوجَه .

٣١ تَخْفِقُ أَفْياؤُهُ[4] على مَلِكٍ يَرَى طِرادَ الأَبْطالِ مِنْ طَرَدِهْ

٣٢ نَالَ بِعَارِى القَنَا ولابِسِه مَجْدًا تَبِيتُ[5] الجَوْزاءُ عَنْ أَمَدِهْ

٣٢ – (خ) : أى تَبيتُ قاصِرةً عن غايته ، أى مجدًا عاليا .

المعنى : أنه نال المجدَ بالقَنا الذى لا راياتِ عليه ، وهوالعارى عنده ،

---

(١) فى ظ : روى أبو العلاء : « أسمر لدن » . وعليها شرح التبريزى .

(٢) ينتهى هنا خرم نسختى ب ، ن .

(٣) هى رواية س ، م ، ل .

(٤) س ، م ، ل : « أثناؤه » ، ورويها ظ ، وقال : أى أعطافه . وقال المرزوقى : أى أفياء هذاالعلم ، فمقاتلة الشجعان عنده صيد .

(٥) ه ش : « تبين » . وقال الصولى : ويروى : « تدانى الجوزاء » .

و « لابسُه » : ما كان عليه رايات . وقيل : أراد « بالعارى » الرمْح ، و « باللاَّبس » القَلَم ، لأنّ المدَاد الذى يَخضب أعلاه به كاللِّباس له[1] ، وقيل : « العارى » : ما يُحارَب به ، و « اللابس » : ما جُعلَت عليه الرءوس ذَوَات الشعور ، لأن شُعورَها تكون له كاللباس . وقيل: « العارِى » : ما كان خاماً لا يُعمَل به ، للغنَى عنه بغيره ، و « اللّابس » : ما يُستَعمل ، فيكون مستوراً بيد مُستَعمله[2] .

٣٣ يَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ للعُلَى لَقَمٌ قَصْدٌ لِمَنْ لم يَطَأْ على قِصَدِهْ

« اللقَم » : الطريق الواضح . و « قَصْد » : أى قاصد : و « القِصَد » : جمع قِصْدَة ، وهى الكِسْرَة مِن القَنا وغيره ، يقال : قَصدت العَصا من الشجرة ، إذا قطعتَها منها . والهاء ، فى « قِصَده » راجعةٌ إلى « القَنا »[3] .

٣٤ يَا فَرْحَةَ الثَّغْرِ بالخَلِيفةِ مِنْ يَزِيدِهِ المُرْتَضَى ومن أَسَدِهْ!

كان ليزيدَ بن مَزْيد ولَدٌ يُقال له « أسَد » ، وقد ذَكَرَتْه الشعراء وأصحاب اللغة ينشدون شعراً يجب أن يكونوا أخذوه عن شاعر من أهل البادية مدح به يزيد بن مَزْيد ، وهو :

دَعَقَتْ إلى سَبَبِ الإمامِ رِكابُنا حتى تَخوَّن نيّها الدَّعْقُ[4]
عَذَقَتْ يزيداً بالسماحة قَوْمُه وعلى ابْنِه أسَد لهم عَذْقُ[5]

« والخليفة من يزيد » : خالدٌ ابنُه ، ونَسَبهم إلى الثغر لأنهم أمراؤُه .

---

(١) هذا الوجه هو ما قال به المرزوقى .

(٢) روى الصولى « من أمده » ، وقال : أى مجدا غايته الجوزاء ، وقال : ويروى : « يدانى الجوزاء عن أمده » ، و « عارى القنا » : ما قاتل به . و « لابسه » : ما لبس الألوية التى عقدت له . وقول ابن المستوفى : أجود هذه الوجوه أن يراد بـ « العارى » : ما لا رايات عليه ، وبـ « اللابس » : ما عليه الرايات ، ويجوز أن يريد بـ « العارى » : الذى لم يتلبس بالدم ، وهو الذى ذكره فقال :

« أسمر متن يوم الوغى جسده »

(٣) قال الصولى : يقول : من لم يطأ على قصد الرماح ، وهو ما تكسر منها ، لم يكن فى طرق المجد .

(٤) الدعق : وطء الدابة الأرض بشدة (اللسان : مادة دعق) .

(٥) عذق : وصف الرجل بخير أو شر حتى عرف به (اللسان : مادة عذق) .

٣٥ تُضْرَمُ نارَاهُ في قِرًى ووَغًى مِنْ حَدِّ أَسْيافِهِ ومن زُنُدِهْ

أى نارُه فى الوَغى من حَدِّ أسيافه ، وفى القِرَى من زُنُده ، جمع زناد .

٣٦ مُمْتَلِئُ الصَّدْرِ والجَوانِحِ مِنْ رَحْمَةِ مَمْلُوئِهِنَّ مِنْ حَسَدِهْ

أى من رحمة رجل مملوءِ الصَّدْر والجوانح مِن حسَدِه .

٣٧ يَأْخُذُ مِن رَاحَةٍ لِشُغْلٍ ويَسْتَبْقِي لِيُبْسِ الزَّمَانِ مِنْ ثَأَدِهْ

(ع) : لِبُؤْس الزمان . و « : الثَّأد » النَّدَى . ومكان ثَئِد : أى نَد .
يقول : هذا الممدوح يذكر فى الرخاء حالَه فى البُؤْس ، وفى الراحة ما ينتظر من الشغْل .

٣٨ فهوَ لواسْطَاعَ عِنْدَ أَسْعُدِهِ[(1)] لَحَزَّ عُضْواً مِنْ يَوْمِهِ لِغَدِهْ

أى يتَّخذ الصنائع عند الأحرار إذا أقبلت الدنيا عليه ، لتبقَى له ذخائر الشُّكر اذا أدبر عنه ، حتى لو قَدَر أن تكون صنيعتُه من بعض أعضائه لفَعَل .

٣٩ إذْ مِنْهُمُ مَنْ يَعُدُّ ساعتَه الـ ـطلْقَ عَتَادًا لهُ على أَبَدِهْ

[خ] ويروى « عِيَارًا »[(2)] . « إذْ منهم » : أى من الناس . مَن روى « عِيَارًا » ، فمعناه أنه يُقدِّر أنَّ سائرَ أيامه الباقية عِيارُها ما هو فيه ، فيكون أبدًا مثل ما يُشاهده . ومَن روى « عَتادًا » فمعناه : أنَّ مِن الناس مَن يَعُدّ أنَّ ما هو فيه مِن الدَّعة والخِصْب عُدَّةٌ له على باقى أيامه ، حتى لا يقدرَ الدهرُ على أن يتنكَّر له ويتبدَّل فيما بَعْد .

٤٠ أَلْوَى كَثِيرَ الأَسَى على سُودَدِ الـ

عَيْشِ قَلِيلَ الأَسى على رَغَدِهْ

يقول : هو كثير الاهتمام بالسُّؤدد فى أيام عَيْشه ، وقليل الاهتمام برَغَده

---

(1) قال الصولى : ويروى : « فى توسعه » .

(2) هى رواية س ، م ، ل ، وجاءت فى هـ ب ورواها الخارزنجى فى ظ . وقال : أى وفاء ، والعيار : اللتى تستوى به المكاييل ، لأنه واف صحيح .

وخِصْبه ، أى إنما يَهمُّه أمرُ السُّؤدد ، لا أمْرُ المال وكثرتُه . فإذا سَلِم له ذلك لم يُبَال بغيره . فى الأصل : « ألوَى كثيرَ الأسَى على سَوْرة العيش » : أى شِدَّته . قال الشيخ : وفيه أربعةُ أوجهُ : «الأسَى » بفتح الهمزة فى الأوّل والثانى ، و « الأُسَى » بضمهما فيهما ، وبضمها فى الأوّل وفتحها فى الثانى ، وفتحها فى الأول وضمِّها فى الثانى .فأما الأول فمعناه : هو كثير الحزن على شدَّة الزمان ، لما يفوته لأجلها من الصنائع عند الأحرار ، وقليل الصبر على رَغَد العيش ، لأن ما يَحصُل فى يده من المال يُبدِّده لقلةصبره عليه . ومعنى الثانى : أنه كثير الصبر على شدَّة الزمان ، لقلة مبالاته بها ، وهو قليل الصبر على رَغَد العيش ، لمحبة البَذْل . فإذا عُلِم هاتان الروايتان عُلِم الأخريان[١] .

٤١ قَرِيحَةُ العَقْلِ مِنْ مَعاقِلِه والصَّبْرُ فى النَّائِباتِ مِن عُدَدِهْ[٢]

٤٢ يامُضْغِناً خالِداً الكَ الثُّكْلُ إنْ خَلَّدَ حِقْداً عليْكَ فى خَلَدِهْ

٤٣ إليْكَ عنْ سَيْلِ عارِضٍ خَضِلِ الشُّـ ـؤْبُوبِ يَأْتى الحِمَامُ مِنْ نَضَدِهْ

٤٣ — انجُ بنفسك عن سَحَاب هذه صِفَتها . الرواية . « يَأتى الحِمَامُ مِنْ نَضَدِه »[٣] .

---

(١) وقال المرزوقى : ويروى :

«قليل الأسى على سورة العيـ ش كثير الأسى على رغـده »

فتكون « السورة » بإزاء الرغد ، ويكون المعنى : أنه قليل الحزن والضجر بما يلحقه من شدائد العيش ، ويطرقه من نوائب الدهر ، كثير الأسى – أى الصبر – على ما يؤديه إلى رغده ، ويفضى به إلى سعته وطيبه . وروى الخارزنجى : « يلفى كثير الأسى » ، وقال « الأسى » الحزن . وقال الصولى : يحزن على السؤدد ، ولا يحزن على الرغد والنعمة .

وقال ابن المستوفى معقباً على شرح التبريزى : فسر « الأسى » الآخر المفتوح فى الوجه الأول بما فسر به « الأسى » فى النصف الثانى المضموم الهمزة ، وهذا بين لمتأمله .

(٢) قال الخارزنجى : « القريحة » : الفطنة ، و « المعاقل » : الحصون ، يقول : الروية فى الأمر والتدبير المصيب من حصونه التى يتحصن بها من الزلل وحوادث الدهر ، والصبر فى النائبات من عدده التى اعتدت له . وقال ابن المستوفى : ويجوز – وهو الأليق – أن يريد : أن تدبيره يدفع عنه كما تدفع عنه المعاقل ، ولا حاجة إلى أن يريد بذلك أنه يتحصن به من الزلل ، ويقويه النصف الأخير .

(٣) ب ، ن ، هـ ب : « دانى الحمام » – وفى ظ : روى أبو زكريا « دانى الحمام مرتصده » .

٤٤ مُسِفِّهِ ثَرِّهِ مُسَحْسِحِهِ وابِلِهِ مُسْتَهِلِّهِ بَرِدِهْ

« مُسِفُّه » : قريبه من الأرض . و « مُسَحْسِحِه » : من سَحَّ المَطَر . و « المُسْتَهِلّ » : المُصَوِّت . و « بَرِدِهِ » : فيه البَرَد .

٤٥ وهَلْ يُسامِيكَ في العُلَى مَلِكٌ صَدْرُكَ أَوْلَى بالرَّحْبِ[1] مِن بَلَدِهْ

٤٤ ، ٤٥ — (ع) : الهاء في « مُسِفِه » : راجعة إلى « الشُؤْبُوب » . ويقال : سَحابٌ ثَرٌّ ، أى كثير الماء ، وكذلك الفَرَس إذا وُصِف بكثرة الجرْى . و « مُسَحْسِح » : كثير الصَّبّ . وبعض الناس يذهب إلى أنّ « مُسحسحاً » مأخوذ مِن السَّحّ ، وأصحاب القياس من أهل البصرة يزعمون أن « سَحْسَحَ » من غير لفظ « سَحَّ » . ووزن « مُسَحْسِح » على رأى سيبويه « مُفَعْلِل » ، وعلى رأى غيره من أصحاب النظر « مُفَعْفِل » ، وعلى ما ثَبَت في كتاب العين « مُفَعْفِع » . والمعنى : أن هذا الممدوح إذا غَضِب كان سَحابُه بَرِداً ، وهو مَذمُوم عند عدوّه كما يُذَم السَّحابُ البَرِد ، لأنه مُهْلِك .

[خ] : وقوله « صَدْرُك أَوْلَى بالرَّحْبِ من بلَدِه » : أى قلبُك أوسَعُ من بلده الذى هو فيه . وقيل : أراد « بالبلد » : الصَّدْر ، وإذا كان كذلك كان كأنه قال : صَدْرُك أوسَعُ مِن صَدْرِه[2] .

٤٦ أَخْلاقُكَ الغُرُّ دُونَ رَهْطِكَ أَثْ
رَى مِنْه في رَهْطِهِ وفى عَدَدِهْ

[خ] : أى كيف يُسامِيكَ مَلِكٌ أخلاقُك وحدها أكثرُ منه ومن رَهْطه ومن عَدَده ؟ وإنما أراد أنّ لك خُلُقاً كريماً واسعاً .

٤٧ ومَشْهَدٍ صَيَّرَ الكُماةُ بِهِ خُطْبانَهُ سُلَّماً إلى شُهُدِهْ

« الخُطْبَان » : الحَنْظَل الذى فيه خُطُوط خُضْر ، يقال : أخطَبَ

---

(١) ل : « فى الرحب » .

(٢) قال ابن المستوفى : وأحسن من هذا قوله :

و رحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

الحنظل : إذا صار كذلك . يقول : صيَّرت الكُماةُ صبرها فى هذا المَوْطن — وهو مُرٌّ — سُلماً إلى ما تَرجُوه من الخير ، وهو حُلْوكأنّه الشُّهْد .

٤٨ كأنَّما مُبْرَمُ القضاءِ بهِ مِنْ رُسْلِهِ والمَنُونُ مِنْ رَصَدِهْ

« به » : أى المَشْهَد المُتقدّم ذِكره .

٤٩ أَرْثٌ مِن خالدٍ بمُنْصَلِتِ الـ إِقْدامِ يَوْمَ الهِياجِ[1] مُنْجَرِدِهْ

« أَرْث » : أى ذلك المشهد .

٥٠ كالبَدْرِ حُسْناً وقَدْ يُعاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ العَرِينِ فى عَبَدِهْ !

« فى عَبَدِه » : أى أَنَفِه .

٥١ كالسَّيفِ يُعطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِن فِرِنْدِهِ تارَةً ومِن رُبَدِهْ

[ص] : جمع « رُبْدَة » ، وهى كالكَلَف فيه[2] .

٥٢ تاللهِ أَنْسَى دِفاعَهُ الزُّوْرَ مِنْ عَوْراءِ ذِى نَيْرَبٍ ومِنْ فَنَدِهْ

أرادَ : « تاللهِ لا أنسى » ، فحذَف لعلم السامع ، و « لا » تُحذَف كثيراً فى هذا الموضع . و « العَوْراء » : الكلمة القبيحة . و « النَّيْرَب » : النميمة ، و « الفَنَد » : أصلُه ذَهاب العقل من الكِبَر ، وأن يَتكلَّم الشيخ بغير الصواب ، ثم كثر ذلك حتى سُمِّى كلّ قول بمحمود فَنَدا . وتقدير الكلام : دفاعُه الزّورَ الذى هو مِن عَوْراءِ ذِى نَيْرَب — أى نميمة — ومِن فَنَدِه .

٥٣ ولا تَناسَى أَحْياءُ ذِى يَمَنٍ ما كانَ مِنْ نَصْرِهِ ومِنْ حَشَدِهْ

(١) م : « يوم الهيجاء » .

(٢) قال الخارزنجى : ترى فيك الخيرات والشرور ، كما يرى فى السيف صفاء الفرند وسواد الربد .

٥٤ جِلةُ أَنْمارِهِ وهَمْدانِهِ والشُّ ــمُّ مِن أَزْدِهِ ومن أُدَدِهْ

٥٣ ، ٥٤ — « الحَشْد » و« الحَشَد » : أن يجتهد الإنسان فى جمع جيش أو كلام ، وهو ها هنا من الكلام . وقوله « ذِى يَمَن » : أراد صاحِبَ يَمَن ، وهم يستعملون « اليمن » بالألف واللام ، ويحذفونها مع « ذِى » ، وفى حديث النبى صلّى الله عليه وسلم : « يَطلُع عليكم الساعةَ خَيْرُ ذِى يَمَن » يعنى جَرِيرَ بن عبد الله البَجَلِىّ . ويجوز أن يكون حَذَفُوا الألفَ واللام من أجل أنهم أرادوا النكرةَ ، كأنه قال : خيرُ رجل من أهل اليمن ، ويكون « يمن » نكرة . فأما الطائى فالأجودُ أن يكون « يَمَن » فى بيته مَعرِفة . والهاء فى « أنماره » يحتمل أن تكون راجعة إلى « ذى » وإلى « يمن » ، وهذا على مذهب مَن زَعَم أنّ أنمارًا من اليمن ، ومَعَدٌّ تَدَّعيهم ، ولذلك قال الكميت :

فأنمارٌ وإن رَغِمَتْ أُنُوفٌ مَعَدِّىّ العُمُومَةِ والخُئُولِ

ونُسّاب اليمن يقولون : هو أنمار بن إراش ، ونُسّاب مَعَدّ يقولون : هو أنمار بن نِزار أخو مُضَر .

٥٥ آثَرَنى إذْ جَعَلْتُهُ لَجَأً[(١)] كُلُّ امْرِئٍ لاجِئٌ إلى سَنَدِهْ

٥٦ فى غُلةٍ[(٢)] أَوْقَدَتْ على كَبِدِ السـ ـائِلِ[(٣)] نارًا تُعْيِى[(٤)] على كَبِدِهْ

أى أوقَدَتِ الغُلّةُ التى آثرنى فيها نارًا على كَبِد العَطيّة بأن حَوَّلَته إلىّ ونَقَلَتْه عن صاحبه ، تلك النار كانت أعيَتْ على كَبِد الشاعر ، لأنه لم يكن يجد ما يشفيه منها ، يقال : أعيا عليه الأمر ، إذا لم يهتد إلى إصلاحه[(٥)] :

---

(١) س ، م ، ل : « سنداً » .

(٢) رواية الصولى : « فى محلة » ، وقال : ويروى « فى غلة » ، ورواية س : « فى علة » ظ « فى ساعة » .

(٣) رواية الخارزنجى : « على كبد الثائر » . ظ : ويروى « على كبد السائل » .

(٤) م ، ل : « تغلى » .

(٥) قال الصولى : الهاء فى « كبده » لأبى تمام ، يقول كان أملى وما آخذه من ابن أبى داود قد بطل وذهب .

٥٧ إيثارَ شَزْرِ القُوَى يَرَى جَسَدَ الـ
مَعْروفِ أَوْلَى بالطِّبِّ مِنْ جَسَدِهْ

يقول : آثرني إيثارَ رجل قويّ في رأيه وحَزْمه. و « الشَّزْر » : المُحكَم من الفَتْل ، واستعار للمعروف جَسَداً .

يقول : هذا الرجل يُداوي المعروفَ ليُزيل مرضَه ، وهو على شِفائه أحرصُ منه على شِفاء جسدِه إذا اعتَلّ .

٥٨ وجئْتُه زائراً فجاوَزَ بي الـ أَخلاقَ مِنْ مالِهِ إلى جُدُدِهْ

أي أعطاني طارِفَ مالِه وتالِدَه .

٥٩ فَرُحْتُ مِنْ عِنْدِه ولِي رِفِدٌ[1]
يَنالُها المُعْتَفُونَ مِنْ رِفَدِهْ

قد رَدّد الطائيّ هذا المعنى في مواضع ، ولا يُستَعمل « الرِّفَد » في معنى الرِّفْد ، كأنّها جمع رِفْدَة ، وإنما تُستَعمل الرِّفَدُ في الجماعات من الناس ، وما يترافد من القول ، كما قال النابغة :

لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ له وإنْ تأثَّفكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ[2]

وإذا حُمِل الكلام على الاستعارة دَخَل فيه هذا وغيرُه. وإذا رويتَ « ولِي رَفَد » بفتح الرّاء والفاء فله وجه ، يُجعل « الرَّفَد » ما رُفِد به ، كما أن القَبَض ما قُبِض ، والنَّقَض ، ما نُقِض .

٦٠ وهَلْ يَرَى العُسْرَ عِذْرَةً رَجُلٌ
خالِدٌ المَزْيَدِيُّ مِنْ عُدَدِهْ ! !

كأنه يقول : هل يَحسُن بي أن أعتذر إلى مَن يَقصِدني بالإعسار ، وهذا

---

(١) روى الخارزنجي :
فأبت من عنده ولي نعم تناول المعتفين من رفده
وهي رواية الآمدي كما في ظ .

(٢) مختار الشعر الجاهلي ١ : ١٥٤ .

للمدح مِن غدٍ دى ؟ وروى أبو العلاء هذا البيت :

وهل يَرَى العَيْشَ تَرْحَةً أَحَدٌ   خالدُ الشيبانى من عُقَدِه ؟ (١)

استعار « العُقَد » ، فجعل خالداً بعضَها ، وهو من قولهم قد اعتَقَد فلانٌ مالا ، واشترَى ضَيْعَةً فجعلها عُقْدَةً ، كأنها مأخوذةٌ من عُقَد الخيط ؛ لأنها بطيئة الانحلال . يقول : إذا جعل الإنسانُ خالداً أو جُودَه عُقْدَةَ ماله ، لم يرَ العَيْشَ تَرْحة ، أى لم يَحزن ، لأنّ ماله يَكثُر بعطاء خالد . قال : رَوَى « وهل يرَى العُسْرَ عِذْرَةً أحدٌ » فهو مَرْدُودٌ على البيت الذى فيه ذِكرُ الرِّفَد ، أى إن المُتكل على خالد لا يَعتذِر إلى سائله بالعذر .

---

(١) رواية الصولى : « خالد المزيدى من عقد » .

رقم الإيداع	٢٢٦٥ / ١٩٨٧
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢-١٩٧٢-X

١ / ٨٧ / ٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)